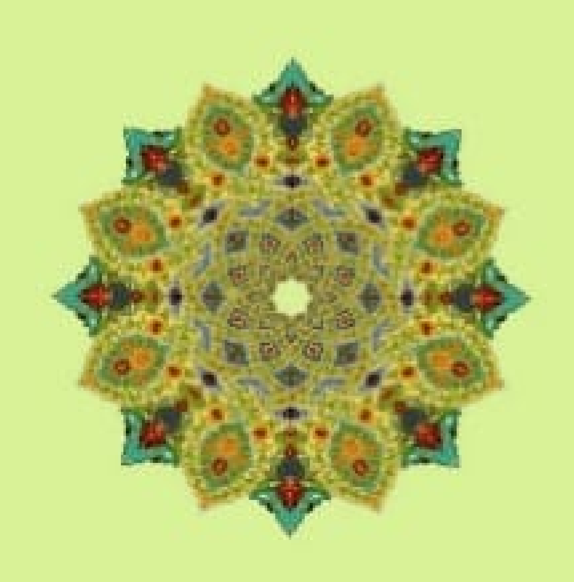


مجلة المجمع العلمي العراقي



فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م
الجزء (الثاني) المجلد (التاسع والستون)
أيار ٢٠٢٢م - شوال ١٤٤٣هـ





فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثاني ـ المجلد التاسع والستون

أيار ٢٠٢٢م ـ شوال ١٤٤٣هـ

(شروط النشر وضوابطه)

١ - تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ - لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ - يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤ - تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ - هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦ - لا تنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا او تنظيما خاصا .

٧ - لا تنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨ - لا تنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لأي من المؤسسات .

٩ - لا تنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولا يمكن اصلاحها .

١٠ -يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية.

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لا يزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١ -يعطى صاحب البحث (عند نشره) نسخة واحدة من المجلّة مع خمس مستلات من بحثهِ وللمجمع حق التصرف بما يبقى من نسخ المستلات.

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي العراقي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

المحتويـــات

الجزء الثاني/المجلد التاسع والسـتون

سياق الحال في المعجم العربيّ
– دراسة في ضوء اللّسانيات العربيّة البَيْنِيَّة –

الأستاذ الدكتور عبد القادر ميلود سلاّمي
كلية الآداب واللّغات / جامعة تلمسان/ الجزائر

الملخص:

استعان المعجم العربيّ بسياق الحال الدالّ على مجموعة الظّروف الّتي تحيط بالكلام، وجميع القرائن الحالية الّتي تصبغ الخطاب ودلالته بصبغة خاصّة. وهو ما سمّاه بعض المحدثين بـ "السياق الاجتماعيّ" أو ما يعرف في علم الدَّلالة اليوم باسم "سياق الموقف"؛ وهو ما سمّاه قدماء العرب من البلاغيين بـ: "المقام".

وتسعى الورقة البحثية التّالية إلى عرض نماذج من المعجم العربيّ بقسيميه اللّفظي والمعنويّ، وتحليلها وفق سياقات ورودها اجتماعيّاً وثقافيّاً ونفسيّاً، بما يحقّق مستوى مهمّا من مستويات اللِّسانيات العربيّة في ضوء الدِّراسات البَيْنِيَّة.

الكلمات المفتاحيّة: المعجم العربيّ، سياق الحال، اللِّسانيات العربيّة، الدّراسات البَيْنِيّة.

المقدمة:

لئن أصبحت اللسانيات علماً يدرس اللّغة الإنسانيّة من مستوياتها الصَّوتية والصَّرفية والنَّحْوية والمعجمية والدَّلالية، دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النّزعة التّعليمية والأحكام المعيارية؛ فإنّ الفكر اللّغويّ العربيّ القديم يعدُّ اللّغة أو الخطاب اللّغوي كلاًّ لا يتجزأ في الاستعمال والتّداول. فتحليل الظاهرة اللّغوية في أبعادها الصَّوتية والصَّرفية التَّركيبية والدَّلالية والتّداولية بات من مستلزمات الدّرس اللِّساني الحديث، وعليه سنركز في هذه الدِّراسة على أحد الجوانب اللِّسانية وهو الجانب الّذي يتناول معاني الكلمات والمركَّبات والجمل والتّعابير وحقولها وعلاقاتها الدَّلالية.

١ – علم اللِّسان في التّراث العربيّ:

كان اهتمامُ اللُّغويين العرب بدراسة اللِّسان العربيّ من اهتمامهم بالقرآن الكّريم، وهذا يظهر بجَلاءٍ في خُطب مؤلَّفاتهم؛ إذ تجدهم يؤكِّدون على أنَّ الغرض من هذه المصنَّفات خِدْمةُ كتاب الله–عزّ وجلّ–؛ ومِنْ ثمَّ فالنصُّ المخصوص بالوصْفِ هو الكتاب المنزَّل باللِّسان المبين، وما وُرود كلام العرب إلَّا للاستشهاد به في تفسير الظواهر، والاستدلال على الاطِّراد في القواعد.

وحِرْصًا من العرب على الحفاظ على لسانهم المبين الّذي اختاره الله–عزّ وجلّ– وِعاءً لهذه الرِّسالة الخاتمة– ولاسيَّما بعد دخول الأعاجم في الإسلام، وانتشار اللَّحْن على مستويات متعدِّدة

(الصَّوتية والصَّرفية والنَّحْوية وغيرها)– عَمَدَ اللُّغويون إلى جمْع لسانهم لحفْظِه من التّشويه والتحريف، ولفَهْمِ القرآن الكّريم، والوقوف على معانيه، والإحاطة بدقائقه، أضِفْ إلى هذا رغبة اللُّغويين في أن يلتحق بهم غيرُ العرب في تعلُّم اللِّسان العربيّ؛ ليسهُل عليهم التّعامُل مع القرآن تلاوةً وفهمًا ودراسةً، وبهذا كان لنزول كتاب الله–عزّ وجلّ– دورٌ أساسيٌّ في نشأة العلوم اللِّسانية العربيّة؛ حيث عَكَفَ العلماءُ على دراسةِ أصواتها ومفرداتها، ووصْفِ تراكيبها، وألَّفُوا في ذلك كُتبًا لضبْطِها وروايتها، ووضعوا القواعد التي تَصِفُ هذا اللِّسان وصْفًا مُحكمًا ودقيقًا.

وقد انْتهج علماءُ العربيّة للقيام بذلك منهجًا مُتميِّزًا في البحث اللُّغوي، مُعتمدين على ذوقهم، وإعمال العَقْل، ودقَّة الملاحظة، وكان ذلك في إطار الدِّراسة القرآنيّة، فكان لهم فَضْلُ السَّبْق في الوقوف على كثيرٍ من الظواهر الصَّوتية والصَّرفية والنَّحْوية الّتي أفادت المحدثين إفادةً جمَّةً، ولاسيَّما الغرب، فسبقت الأمّةُ العربيّةُ غيرَها من الأُمَم في التقعيد اللِّساني بمستوياته الصَّوتية والصَّرفية والنَّحْوية والدَّلالية.

وقد أدّى التطوّر الكبير الّذي شهدته العلوم التّجريبية، إلى التّعويل على مناهجها واستدراج العلوم الإنسانيّة للاحتكام إلى دقتها وفاعليّتها، فكان أن سادت فكرة تبنّي الدّراسة العلميّة لكلّ اللّغات البشريّة بعدما ظهر كتاب « محاضرات في اللّسانيات العامة » للّساني الشّهير فرديناند "دي سوسير"(ت١٩١٣م).

إنّ هذا المنعرج الّذي أحدثه "دي سوسير" في حقل اللّسانيّات أسهم إلى حدّ كبير في ظهور وجهات نظر مختلفة على مستوى السّاحة اللّغويّة العربية، وولّد نزعة تجديديّة تلّح على ضرورة الاستفادة من المناهج اللّسانية الحديثة في قراءة التّراث اللّغويّ العربيّ وإعادة صياغته.

وقد ذكر"ابن سيده"(ت٤٥٨هـ) في مقدّمة مخصصه أنّ كتابه يشتمل على(علم اللّسان)، فأورد ذلك بعبارة مشابهة لعبارة "أبي نصر الفارابي"(ت٣٩٩هـ) في إحصاء العلوم،[١] ونبّه على أنّه ليس مقصورا على اللِّسان العربيّ فحسب، بل هو حدّ شامل له ولعلم كلّ لسان. وذكر أنّه علمٌ يقوم على أمرين، أوّلهما: الإحاطة بمفردات اللّغة ومعرفة مختلف دلالالتها؛ وثانيهما: معرفة قواعد اللّغة الّتي تتعلّق بالمفردات من قِبَل اشتقاقها وصيغة بنائها وما يطرأ على بنيتها من تطوّرات صوتية أو تغيّرات تقتضيها قوانين اللُّغة المعنِيَّة؛ ثمّ مثّل لذلك بالمقاييس الّتي يعرف بها المؤنّث من المذكّر، والجمع من الواحد، والممدود من المقصور،[٢] وعلى هذا ينبغي أن يُنظَر إلى هذين القسمين باعتبارهما جزأين متلازمين يكمّل أحدهما الآخر.[٣]

---

[١] يُنظر: الفارابي، إحصاء العلوم، ص:٤٧، ٥٠.

[٢] يُنظر: ابن سيده، المخصص، مج١، ص:١٤.

[٣] يُنظر: النّعيمي، ابن سيده وآثاره وجهوده في اللّغة، ص:٩٨.

ويبيِّن "الفارابي" أنَّ علم اللِّسان عند كلِّ أمَّة ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة، علم الألفاظ المركبة، علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركّب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة وقوانين تصحيح الأشعار.[٤]

ولعلَّ هذا من النّصوص النّادرة في التّراث العربيّ، الّتي تعرض بصورة صريحة مصطلح (علم اللِّسان) بهذا التّفصيل، وقبل أن يتناول "الفارابي" أقسام علم اللِّسان، يحدّد مجاليْه الواسعين اللّذين تنضوي تحتهما كلّ الأقسام الّتي يفصلها بعد ذلك؛ فعلم اللِّسان ضربان واسعان:

أ- حفظ الألفاظ الدالة عند أمّة ما وما يدلّ عليه شيء منها؛ أي معرفة الجانب المادّي للّغة والإحاطة بثروتها اللّفظية، دوالها ومدلولاتها، ويمكن أن نجمل هذا الضرب الأوَّل في دراسة اللّغة، في: مادة اللّغة أو بنيتها.

ب- معرفة قوانين الألفاظ في لغة ما؛ أي الإحاطة بنظام اللّغة وقوانينها الصَّوتية، الصَّرفية، النَّحْوية والدَّلالية.

٢- سياق الحال وأبعاده الاجتماعيّة والثّقافية والنّفسية:

يدلُّ "سياق الموقف" أو "السياق الاجتماعيّ"[٥] أو "سياق الحال"[٦]على مجموعة الظّروف الّتي تحيط بالكلام، وجميع القرائن الحالية الّتي تصبغ الخطاب ودلالته بصبغة خاصّة.[٧] وهو ما سمّاه قدماء العرب من البلاغيين بـ: "المقام".[٨] وذكره "ابن خلدون"(ت٨٠٨هـ) باسم" بساط الحال".[٩] وهو ما أكّده ابن جنّي(ت ٣٩٢هـ) قبل "فيرث"(Firth)[١٠]حين قال بأنّ المعاني قد لا يُتوصّلُ إليها إلّا بالظّروف الّتي أحاطت بها؛ ومن ثمّ لا ينبغي أن يكتفي اللّغوي بالسّماع،

---

[٤] يُنظر: الفارابي، إحصاء العلوم، ص:٤٧، ٥٠.

[٥] يُنظر: أبو الفرج، المعاجم اللّغويّة، ص:١٢١.

[٦] يُنظر: السّعران، علم اللّغة، ص:٣٠٩، ٣١٠.

[٧] يُنظر: محمّد يونس عليّ، وصف اللّغة العربيّة دلاليّا، ص:١٠٢، ١٣٩. ويُنظر: شحدة فارع وآخرون، مقدّمة في اللّغويات المعاصرة، ص:١٨٣، ١٨٤.

[٨] لاحظ بعض المحدثين على القدماء في استخدامهم لمصطلح (المقام) أنّ نظرتهم إليه اتّسمت بالمعيارية، فقضوا أن يأتي الكلام مؤكّداً للمنكر وجوباً، وللمتردّد استحساناً، كما أوجبوا أن يأتي الكلام خُلْواً من التأكيد إذا لم يكن المخاطب منكراً ولم ينزل منزلته وهكذا. ينظر: محمد يونس عليّ، وصف اللّغة العربيّة دلالياً، ص:١٣٧.

[٩] يُنظر: مدكور عاطف، علم اللّغة بين القديم والحديث، ص:٢١٤.

[١٠] أشار فيرث(Firth) إلى أنّ كلّ إنسان يحمل معه ثقافته وكثيراً من واقعه الاجتماعي حيثما حلّ. ينظر: محمّد محمّد يونس: وصف اللّغة العربيّة دلالياً، ص:١٠٢،١٣٩ وشحدة فارع وآخرون مقدمة في اللّغويات المعاصرة، ص:١٨٣-١٨٤.

بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة، أي كلّ ما يحيط بظروف الكلام. ويعني ذلك عنده ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال الأوائل، وأن يكون الحاضر شاهد الحال، فعُرف السّببُ الذي له ومن أجله وقعت عليه التّسمية، والآخر لبعده عن الحال لم يُعرف السّبب للتّسمية، والألفاظ المنقولة إلينا كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم نَدْرِ ما حديثُها، وخير مثال قولهم:(رَفَع عقيرته): إذا رفعَ صوته. فلو ذهبْنا نشتقُّ لقولهم(ع ق ر) من معنى الصّوت لبعُدَ الأمْرُ جداً. وأصل ذلك أنّ رجُلاً قُطعت إحدى رِجْلَيْه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثمّ نادى وصرخ بأعلى صوته، فقيل بعد ذلك لكلّ من رفع صوته: رفع عقيرته.(١١)

ومن أمثلة ذلك ما أورده "أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر"(ت٤٧١هـ) في(فضائل البربر من العَجَم)، مدلّلاً على أهمّية مساعِدات الكلام من نحو أسماء الإشارة الّتي قد تحتاج إلى إشارة اليدين أو حركات الجسم أو نحوهما لإيضاح المقصود من سِيَر السّلف الصّالح؛ فقال: "وبلغنا عن عائشة، أمّ المؤمنين – رضي الله عنها– (ت٥٤هـ)، دخل عليها ذات يوم رجُلٌ من البربر، وهي جالسةٌ ومعها نَفَرٌ من المهاجرين والأنصار، فقامت عائشة عن وسادتها، فطرحتها للبَرْبَريّ دونَهُم، فانسلَّ القومُ غِضَاباً، فاستفتى البَرْبَرِيُّ في حاجة ثمّ خرجَ، فأرسلَتْ إليهم عائشة فالتَقَطَتْهُم من دُورِهِم، فجاؤوا كلُّهم، فقالت لهم عائشة – رضي الله عنها–: أراكم قمتُم عنّي غِضَاباً، ولِمَ ذلك؟ قال بعضُهم: غَضِبْنا عليك من أجل رجُلٍ جاءكِ من البَرْبَر كنّا نزدَريه ونُنْقِص قومه، فآثرته علينا وعلى نفسِكِ. قالت لهم عائشة – رضي الله عنها–: آثرتُهُ عليكم وعلى نفسي لِمَا قاله رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قالت: أَتَعْرِفُونَ فُلاناً البَرْبَرِيّ؟ قالوا: نَعَمْ. قالت عائشة: كنتُ أنا ورسول الله– صلى الله عليه وسلم– جُلُوساً إذ دخلَ علينا ذلك البَرْبَرِيّ مُصْفَرَّ الوجه غائِرَ العينَيْن، فنظر إليه رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فقال له: ما دهاك، أَمَرِضْتَ مَرْضَةً؟ فارقْتَنِي بالأمس ظَاهِرَ الدَّمِ صحيحَ اللَّوْنِ، وجِئْتَني السَّاعةَ كأنَّما نُشِرْتَ من قَبْرٍ. فقال البَرْبَرِيُّ: يا رسولَ الله، بثٌّ بهَمٍّ شديدٍ. قال له النَّبِيُّ– صلى الله عليه وسلم–: ما الذي هَمَّكَ؟ قال: تردُّدُ بَصَرِكَ علَيَّ بالأمس، خِفْتُ من ذلك أنَّه قد نَزَلَتْ فيَّ آيةٌ من الله (تعالى). قال له النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم–:لا يُحْزِنْكَ ذلك إنّما تَرَدُّدُ بصري عليك بالأمس من أجل جبريل–عليه السّلام– جاءني، فقال لي: يا محمّد، أُوصِيكَ بتقوى الله (تعالى) وبالبَرْبَرِ. قلت: يا جبْريلُ، وأيُّ البَرْبَر؟ قال: قومُ هذا، وأشار إليكَ قال النَّبيُّ ﷺ: فقلت لجبريلَ: وما شأنُهم؟ قال: قومٌ يُحْيُونَ دِينَ الله، بعد أن يمُوتَ ويَجَدِّدُونَه بعد إذْ يَبْلى. قال جبْريلُ: يا محمّد، دِينُ الله خَلْقٌ من خَلْقِه ينشأُ بالحِجَاز وأصلُه بالمدينة خلْقَةً ضعيفةً، ثمّ يُنْميه ويُنْشئَه حتّى يعلُوَ ويُثْمِرَ كما تُثْمر الشَّجَرةُ. ثمّ يقعُ. وإنّما

---

(١١) ينظر: ابن جني، الخصائص،مج١/٢٤٨ وابن فارس، الصاحبي في فقه العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص:٩٦، ٩٧.

يقعُ رأسُ دينِ الله بالمَغْرِبِ. والشّيءُ إذا وقعَ لمْ يُرْفَعْ من وسَطِه، ولا من أصله، وإنّما يُرْفَعُ من عند رأسِه".[١٢]

والثّابت أنّ فقهاء العربيّة أدركوا أهمّية سياق الحال بوصفه عاملاً متمّماً للمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تَسْبِيق موادّ اللّغة. فقد جاء في المقاييس: النّون والسّين والياءُ أصلان صحيحان: يدلُّ أحدُهما على إغْفَال الشَّيء والثّاني على تَرْكِه وإذا هُمِزَ تغيَّر إلى تأخير الشّيء. يقال: نَسِئَتِ المرأةُ:تأخَّرَ حيضُها عن وقتهِ. والنَّسيءُ من كتاب الله: التأخير لقوله تعالى:**﴿إنَّما النَّسِيءُ زِيَادةٌ في الكُفْرِ﴾**.[١٣] فقد كان النّاسُ إذا صَدَرُوا على مِنًى يقومُ رَجُلٌ من كِنَانَة يُقالُ له نُعَيْم بن ثعلبة فيقولُ: أنَا الذي لا يُرَدُّ لي قَضَاءٌ. فيقولونَ: أَنْسِئْنَا شَهْراً، أي أَخِّرْنَا حُرْمَةَ المُحَرَّمِ فاجْعَلْنَا في صَفَر. وذلك أنَّهُم كانوا يَكرهُونَ أن يتوالى عليهم ثلاثةُ أشْهُرٍ لا يُغيرُونَ فيها؛ لأنَّ مَعَاشَهُم كان الإغَارَة ، فَيُحِلُّ لهُم المُحَرَّم.[١٤]

ذكر الفيروز آبادي في القاموس المحيط خبَراً تفصيلياً في مجال النَّبَات مفادُه أنَّ: "شقائق النُّعمان: للمفرد والجمع؛ سميت لحُمرتها تشْبيهاً بشقيقة البَرْقِ. وقد أُضيفَت إلى ابن المُنْذِر؛ لأنَّه أوَّل من حماها بعد أن قصد موضِعَها وقد اعتمَّ نَبْتُهُ من أَصْفَر وأَحْمَر، وفيه من الشّقائق ما راقه واستحسنها، فقال: احْمُوها، وكان أوَّلُ من حماها".[١٥]

ومن المعاني المتعدّدة حسب السّياق، نذكر على سبيل التّمثيل لفظة (الفجر)الّتي تُطلق على:[١٦] "ضوء الصّباح وهو حمرة الشّمس في سواد اللّيل، وأفجروا: دخلوا فيه والفِجار ككتاب الطرق، وفجرة الوادي مُتّسعه الّذي ينفجر إليه الماء، والفَجْرُ: الانبعاث في المعاصي والزنى، والفَجَر: بالتّحريك العطاء والكرم والجود والمعروف والمال وكثرته، والفاجر المتموِّل والسّاحر، وأفجره وجده فاجرا، وفَجَرَ فسق وكذب وكذّب وعَصَى وخالف ومن مرضه بَرأ أو كلَّ بصره، وأمرهم فسد والراكب فُجورًا مال عن سرجه وعن الحقّ عَدَل. وأيّام الفِجار بالكسر أربعة أفجرة في الأشهر الحرم كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان. وكانت الدَبْرَةُ [*]على قيس. فلما قاتلوا قالوا: فَجَرْنا. حضرها النّبيﷺ وهو ابن عشرين، وفي الحديث: **(كُنْتُ أَنْبُلُ[*]على**

---

[١٢] أبو زكريا يحيى، كتاب سِيَرُ الأئمّة وأخبارهم، ص:٥٠-٥١.

[١٣] سورة التّوبة، الآية:٣٧.

[١٤] ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مج٥، ص:٤٢١-٤٢٣، مادّة (نسى). والقالي، الأمالي في لغة العرب، مج١، ص:٥، ٦. وينظر: ثابت بن أبي ثابت، الفرق، ص:٥٣، باب(الحَمْل).

[١٥] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مج٣، ص:٢٥٩. مادّة (شَقَّهُ).

[١٦] يُنظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مج٢، ص:١١١، مادّة (الفجر).

[*] الدُبرة: الهزيمة في القتال، يُنظر: الفيروز آبادي، القاموس المُحيط، مج٢، ص:٢٧، مادّة (الدُّبُر).

[*] أنبل: أرمي بالسّهام، ينظر: المصدر نفسه، مج٤، ص:٥٥، مادّة (نبل).

عُمُومَتِي يَومَ الفِجَارِ، ورَمَيْتُ فيه بِأَسْهُمٍ ومَا أُحِبُّ أَنِّي لم أَكُنْ فَعَلْتُ).(١٧)

ويبدو أنّ المرأة العربيّة قديماً لم تجد غضاضة في التّعبير عن مشاعرها تجاه من تحبّ دون أنْ يقلّل ذلك من أنوثتها في شيء.

فممّا جاء في متخيّر الألفاظ "لابن فارس"(ت٣٩٥هـ) من أنَّ"ابن الأعرابيّ"(ت٢٣١هـ) قال: "قالت لي أمّ هِشَامٍ السَّلُولِيّة: إنّه لَيُعْجِبُنِي سِنْحُك ووَضَحُك. قُلْتُ: وما سِنُحي؟ قالت: هيئتك. قلت وما وَضَحِي؟ قالت ما بدَا من وجْهِكَ"،(١٨) فكان ذلك وجاءً لها من العنُوسة أو الترمّل. فقد: "كانت في العرب امرأة مُفَوَّهَة، قالت: لا أتزوّج إلا لمن يردّ على جوابي. فجاءها خاطب، فوقف ببابها فقالت: أين أنت؟ قال: على بِساطٍ وَاسِعٍ و بَلَدٍ شاسِعٍ قريبُهُ بَعيدٌ، وبعيدُهُ قَريبٌ. فقالت: مَا اسْمُكَ؟ قال: مَنْ شاءَ أَحْدَثَ اسْماً، ولم يكن ذلك عليه حَتْماً. قالت: كأنّك لا حاجة لك؟ قال: لوْ لم تكُن لم آتِكِ ولم أَقِفْ ببابكِ قالت: أسرٌّ حاجتُكَ أَمْ جَهْرٌ؟ قال: سرٌّ مُسْتَعْلَنٌ. قالت: فأَنْتَ خَاطِبٌ؟ قال: هو ذَاكَ، قالت: قُضِيَتْ، فتزَوَّجَها".(١٩)

هذا ولم يكُن الرّجلُ العربيّ أقلَّ سخاءً من المرأة العربيّة السّمحاء، فبادلها وُدّاً بوُدٍّ حين أعانته على قوّة الاستمرار في الحياة، فأعانها على طلب المُعيل. "ويُروى أنَّ" عبد الله بن أبي بكر"، وكان أجْوَدَ الأجْوَاد، عَطش يَوماً في طريقه من منزل امرأة، فأخرجتْ لهُ كُوزاً، وقامت خلفَ البَاب قالت تنّحوْا عن البَاب، ولْيَأخُذْه بَعْضُ غِلْمَانِكُمْ، فإنّي امْرأةٌ عَزْبٌ ماتَ زَوجي منذ أيّام فشربَ عبد الله الماء، وقال يا غُلام: احْمِلْ إليها عشرة آلاف درهم. فقالت: سبحانَ الله أَ تَسْخَرُ منّي؟ فقال: يا غُلام أحمِلْ إليها عشرين ألفاً، فقالت: اسألُ الله العافية، فقال يا غُلام: احمِلْ إليها ثلاثين ألفاً، فما أمْسَتْ حتَّى كَثُر خُطَّابُها".(٢٠)

كما كان لحسن التلفّظ وفصاحته أو سوئه لدى المرأة العربيّة باع في الاستجازة وترغيب أهل البلاط فيها. فقد "وعُرِضَت على(الخليفة) المُتوكّل، وكان متقلّباً يتبعُ الهوى، جاريَةٌ شاعرة فقال أبو العَيْناء(ت٢٨٣هـ) يستجيزها: أحمَدُ الله كثيراً، فقالت: حيث أنشأك ضريراً. فقال يا أميرَ المؤمنين: أحْسَنَت في إساءتها فاشْترِها"؛(٢١) الأمر الذي حمل اللّغويين ودارسي الإعجاز والبلاغة وتوجيههم نحو تأليف حروف الكلمة بحسب المخارج الصّوتية والاعتداد بذلك في الكلام.

كما كان حسنُ المعاشرة من أهمّ سِمات المرأة العربيّة، والّتي تجاوزت بها حدود الصّورة الخِلقية الّتي قد يكون عليها بعْلُها، الأمر الذي لا يخدش فحولتها في نظرها أو يُلغي مبدأ القوامة

---

(١٧) يُنظر: ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، مج٥، ص:١٠.

(١٨) ابن فارس، متخيّر الألفاظ، ص:٩٠.

(١٩) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، مج٣، ص:٢٠٨.

(٢٠) الأبشيهي، المستطرف من كلّ فن مستظرف، ص:١٧٤.

(٢١) المصدر نفسه، ص:٦٨.

عنه، وابتغاء مرضاة الله تعالى. فممّا يُذكر "أنَّ سلمى بنت أيْمَن التَّميمية كانت أحسنَ النّسَاء وزَوجُها من أقبح الرّجال، فقالت له يَوماً: عَلمْتُ أنّي أنَا وأنْتَ في الجنَّة. قال: وَلِمَ؟ قالت: لأنّي رُزِقْتُ مِثْلَكَ فصَبِرتُ ورَزِقْتَ مِثْلي فشَكَرْتَ، والصَّبُور والشَّكُور في الجنَّة. وقيل لها: كيفَ تَصْبِرينَ على قُبْحِه وأنْتِ منَ الحُسْن بحيث أنْتِ؟ فقالت: أمَا إنَّه قد قَدَّمَ حسَنَةً عندَ الله، وأَذْنَبْتُ عندهُ ذَنْباً، فصَيَّرَني في ثَوابه، وصَيَّرَه في عِقابي".[٢٢]

على أنّ حمل النّفس على المكروه وإغاثة الملهُوف، وإجارة المستغيث من نائبات الدّهر حين تنُوبُ ممّا جاد به العربيّ الأبيّ وقد رُزق الصّبر الجميل، دَيْدَنُه في ذلك ثناء حُسْنٍ على مُحْسنٍ. وفي ذلك يقول "الجاحظ": وفيه أيضاً: "قال الجاحظ (ت٢٥٥هـ): سمعتُ إبراهيم (إبراهيم بن السّندي بن شاهك) يقول: قلتُ في أيّام ولايتي الكوفة لرَجُلٍ من أبنائها، لَمْ أرَ أكرَمَ ولا أظْرَفَ منه، وكانَ لا تَجِفُّ لبدُه ولا تَسْكُنُ حرَكتُه ولا يَسْتَرِيحُ قَلَمُه من إغاثَة المَلْهُوف وإعانَة المَكْرُوب: ما الّذي هَوَّنَ عنْدَك هذا الأمر وقَوَّاكَ على هذا التَّعَب؟. قال: سَمعْتُ تَغْريدَ الأطْيَار، وتَجَاوُبَ المِزْمَار والأوْتَار، فَلَمْ أُطرَب كطَرَبِي لِثَنَاءٍ حَسَنٍ على مُحْسِنٍ. فقلتُ: أَحْسَنْتَ والله أنتَ! فلقد حُشِيتَ كَرَماً كما مُلِئْتَ ظَرْفاً".[٢٣]

غير أنّ مبدأ الكراهية المبرّر الّذي يعكس تذمّر الحيّ من أهل زمانه، على النّحو الّذي "حُكي عن الجاحظ أنّه دخل على أبي الحسن عليّ بن عبيدة الرّيحاني يعُودُه، فقال له: "ما تشْتَكي يَا أبَا الحسَن؟، فقال: أعْيُنَ الرُّقَبَاء، وألْسُنَ الوُشَاة، وأكْبَادَ الحُسَّاد".[٢٤] لم يكنْ ليلغي مبدأ الحبّ المتبادل بين المتباغضين حينما يكون الاعتذار الرّقيق قسيم العفو عند المقدرة.

ويذكُرُ أيضاً أنَّ "محمّد بن موسى الهاشمي بَلَغَهُ أنَّ عمر بن فَرج السّرخسي عَتَبَ عليه وتنكَّدَ به، فطرقه ليْلاً فاعتذَرَ إليه حتّى رَضِيَ عنه، فلمّا قامَ لِيَنْصَرفَ قال: خُذُوا الشَّمْعَة بين يَدَيْه. فقال: دَعْنِي يا سَيّدي حتَّى أمْشِي في ضَوْءِ رِضَاكَ. فقال: كلامُك هذا حلَّ العُقْدَة البَاقيَة منْ سَخَطِي عليك!.[٢٥]

الخاتمة:

افتنَّ العرب منذ القديم في صناعة المعاجم وفي أساليب تبويبها وترتيبها. وقد بدا اتّساعُ اللّغة العربيّة في ما أُلِّف ويؤلَّفُ في حاضرها من معاجم كثيرة ومتنوّعة في ميادين اللّغة والأدب والعلوم والفنون بما لا تستطيع أن تضطلع به المجامع بله الأفراد، إذ كان الهدف من وراء ذلك هو مساعدة المُراجع أو الباحث على تصوُّر حقيقة المفردة لا سيَّما في توضيح فصائل النَّبات

---

[٢٢] الثّعالبيّ، لطائف اللّطف، ص:٩٧.

[٢٣] المصدر نفسه، ص:١١٥.

[٢٤] المصدر نفسه، ص:١١٣، ١١٤.

[٢٥] المصدر نفسه، ص:١١٥.

وأجناس الحيوانات وخبايا الأرض والسَّماء، ووصف العلاقات الاجتماعيّة وفق أعرافها، ودقائق النّفس البشريّة وترجُّح العاطفة الإنسانيّة بين الحبّ والكراهيّة. ولئن سلك المعجم العربيّ التّراثيّ في التّعبير عن كلّ ذلك بالوصف مضافٌ إليه سياق الموقف الّذي يقوم على وصف الأحوال والمعاينة، فإنّ المعجم العربيّ في شِقِّه الحديث اعتمد الوصفَ من حيث أضاف الصُّورة المجسِّمة أو اللَّقطة القارَّة، دون أن يكون كلُّ ذلك في رأينا بديلاً موضوعياً لما لم يكن الأسلاف ومعجمهم اللّغوي ولسان حالهم في أمره مقصّرين.

المصادر:

١. ابن الأثير، أبو السعادات، (٦٣٠هـ)، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط١، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣م، مج٥.

٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق: محمّد عليّ النّجار، بيروت، لبنان، دار الهدى للطّباعة والنّشر، ط٣، مج١.

٣. ابن سيده، أبو الحسين عليّ، (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم في اللّغة، تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصّار، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٨م، مج٣.

٤. ابن سيده، أبو الحسين عليّ، (ت٤٥٨هـ)، المخصص، القاهرة، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣١٧هـ–١٣٢١هـ، مج١.

٥. الأبشيهي، شهاب الدِّين، (٨٥٢هـ)، المستطرف من كلّ فنٍّ مستظرف، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، لبنان، دار القلم، د ت.

٦. ابن فارس، أبو الحسين زكرياء، (٣٩٥هـ)، الصّاحبي في فقه العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطبّاع، بيروت، لبنان، مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.

٧. ابن فارس، أبو الحسين زكرياء، (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ١٩٧٩م، مج١.

٨. ابن فارس، أبو الحسين زكرياء، (ت٣٩٥هـ)، متخيّر الألفاظ ، تحقيق: هلال ناجي، بغداد، صدر عن مطبعة المعارف، ط١، ١٩٧٠م.

٩. أبو زكريا، يحيى بن أبي بكر، (٤٧١هـ) كتاب سِيَرُ الأئمّة وأخبارهم (المعروف بتاريخ أبي زكرياء)، تحقيق وتهميش: إسماعيل العرب، بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط٢، ١٩٨٤م.

١٠. ثابث بن أبي ثابت، (٢٥٠هـ)، الفرق، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ١٩٨٥م.

١١. الثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك، (٨٥١هـ)، لطائف اللّطف، تحقيق: عمر الأسعد، بيروت، دار المسيرة، ط١، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.

١٢. السّعران محمود، (١٩٦٣م)، علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربيّ، بيروت، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، د ت.

١٣. شحدة فارع وآخرون، مقدمة في اللّغويات المعاصرة، عمّان، دار وائل للنّشر والتّوزيع، ٢٠٠٠م.

١٤. شديد عبد الكريم، محمد النّعيمي، ابن سيده آثاره وجهوده في اللّغة، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، دار الحريّة للطّباعة، ١٩٨٤م.

١٥. الفيروز آبادي، مجد الدِّين يعقوب، (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مصر، مؤسّسة فنّ الطّباعة، د ت، مج٢، مج٤.

١٦. الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان، (ت٣٩٩هـ)، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، القاهرة، ١٩٣١م.

١٧. أبو الفرج محمد أحمد، المعاجم اللّغوية في ضوء دراسات علم اللّغة الحديث، ط١، دار النّهضة العربيّة، للطّباعة والنّشر، ١٩٦٦م.

١٨. القالي، أبو علي إسماعيل، (٣٥٦هـ)، الأمالي في لغة العرب، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٣٩٨هـ–١٩٧٨م.

١٩. مدكور عاطف، علم اللّغة بين القديم والحديث، القاهرة، دار الثّقافة، ١٩٨٦م.

٢٠. محمّد محمّد يونس عليّ، وصف اللّغة العربيّة دلالياً في ضوء الدّلالة المركزيّة، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، لمحمّد محمّد محمّد يونس عليّ، ط١، طرابلس، ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، ١٩٩٣م.

الأمراض المزمنة
بين المعنى اللغويّ والاصطلاح الطبّيّ

الدكتور عبد السلام صالح
وزارة الصحة

الأستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان
جامعة الصادق(ع)/ كليّة الآداب

الملخص:

إنّ مصطلح (المرض المزمن) يستعمل لمفهوم يختلف عن استعمال (المرض المستدام)، وإنَّ المرض يمرُّ بأربع مراحل؛ ففي مرحلته الأولى: يأتي المرض سريعًا وينتهي سريعًا، وقد يطول به الأمد فيكون (تحت الحادّ) في مرحلة ثانية، حينما تطول مدّة المرض لبضعة أسابيع، وعندما يمتد من أشهر إلى عدّة سنوات يدخل المرحلة الثالثة، مرحلة المرض المستدام التي قد يتعافى المريض منها، أو قد يتحوّل إلى مرض مزمن، في مرحلة رابعة وأخيرة، كمرض الكباد المزمن.

وشاع استعمال مصطلح (الأمراض المزمنة)، وانتشر انتشارًا واسعًا، فهو الذي يطلق على "فرط ضغط الدم، وداء السكري، وأمراض الجهاز التنفسي الانسدادي المزمن، والسرطان" الذي لا يلاحظ المريض عادة مرضه إلا بعد ظهور مضاعفات خطيرة، وربما الموت المفاجئ أول ظهور أعراض المرض .

واتُّفِقَ على استعمال (المرض المزمن)، وصارت الكلمتان (مرض/ مزمن) مسكوكة لغويّة ثابتة، ومصطلح علمي دال على معنى معين، ووحدة دلاليّة متماسكة، تتّسم بإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وبنيّة من البنيّات اللغويّة الثابتة، والقالب المستقرّ من لفظين متلاصقين متضامَّينِ: إذ الموصوف (المرض) وصفته (المزمن)، في متلازمة لفظيّة مميّزة حاضرة في الأذهان، وعبارة مفهومة تربط المرض بالزمان واستمراره، وعنصر معجمي راسخ يصَعُبُ التفكير في تغييره بعد تواتر استقرار استعماله وتداوله .

المقدّمة:

تختلف الأمراض المزمنة (Chronic diseases) عن الأمراض الحادة (Acute diseases) السّريعة الحدوث، التي قد تكون سارية منتقلة "Communicable Diseases"، وغالبًا ما تتطور الحادّة تطوّرًا سريعًا ومفاجئًا، واستمرارها لبضعة أيام، أو ربما لأسابيع قليلة، مستجيبةً للعلاج، وبعضها نتيجة لفايروس أو بكتريا ؛ وأكثر ما تكون (الحادَّة) غير المُزمنة مصحوبة بأعراض تتطلّب الرعاية السريعة، التي لا تتحمّل التأخير، فيجب على سبيل المثال أن يعالج

الطبيب العظم المكسور أو غيره، الناجم عن سقوط، أو اصطدام، أو حادث عرضيّ، أو سوء استعمال أدوية ... إلخ، ومثل ما تقدّم نزلات البرد، التي كثيرًا ما لا تحوج إلى دواء أو علاج .

وقد تبدأ بعض الحالات المرضية حادة "Acute " ثمّ تتراجع حدّتها مع الزمن لتكون تحت الحادة "subacute"، ثم مستديمة "Persistent" لمرض قد يستمرّ ويغلب عليه الزوال، ومريضه يواصل المعاناة لكن يرجى شفاؤه، وقد يتحول المستدام إلى مرض مزمن "Chronic" كالتهاب الكبد الحاد "Acute Hepatitis" الذي يتحول إلى التهاب الكبد تحت الحاد "Subacute Hepatitis" ثم إلى التهاب الكبد المستديم "Persistent Hepatitis" وينتهي إلى التهاب الكبد المزمن "Chronic Hepatitis". أمّا الأمراض المُزمنة غير السارية "Non–communicable"، أو غير الانتقالية فشأنٌ آخر، إذ يشيع استعمال عبارة : (أمراض مزمنة)، من مثل : بطاقة (الأمراض المزمنة)، وصيدلية (الأمراض المزمنة)، وتقرير (الأمراض المزمنة)... إلخ، ومشكلة هذا البحث التمييز بين الأمراض المزمنة والمستدامة .

(١)

ومن أجل التعريف ببعض ما شغل العرب قبل الإسلام وما بعده، من الألفاظ الدالّة على الزمن في أقدمِ أزمانهم، من التي نقلها لنا التراث، وقائمة على الملاحظة المستمرة بمرور السنين والدهور، وكانت هذه الألفاظ تعبّر عن التجربة والخبرات الحياتيّة، نجدُ أنّهم استندوا إلى مراقبة الشمس والقمر والكواكب، وتأمّل ما يختلف من أحوالها، ولها علاقة بتسمية الأشياء كتسمية الليالي والأيّام والشهور والأعوام، على مذاهب العرب لتعيين معايشهم في الأرض، وما يناسب ذلك الزمان والمكان .

فكان أن اهتمّ بها المتخصّصون لاحقًا في رسائل ومؤلّفات، تحت عنوانات كثيرة، من مثل: الأنواء والأزمنة، والأزمنة والأمكنة، والأوقات والأزمنة، والليالي، والأيّام، والشهور، والسنين، والدهور، والمواسم ... إلخ ؛ إذ شارك في تأليفها فلكيّون وجغرافيون ولغويون وغيرهم، إذ يُلحظ أنهم وجدوا صلتها الوثيقة بحياة الناس في تلك الأزمنة، من مثل الإفادة من الاهتداء بالقمر في حساب الزمن وعدد أيّامه، قال تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ - يس ٣٩)، أي حساب الزمن من اختلاف مناظر القمر بالنسبة إلى أهل الأرض، لأنّ نُورَهُ مكتسب من الشمس يستنير بها، فبسبب تغيّر موضع الاستنارة، بما يتغيّر من النظر إليه، في منازل أي أنّه ينزل كلّ ليلة منزلًا منها، حتى يصير في آخر ليلة من الثماني والعشرين كالعذق القديم إذا قَدِمَ واستقوس [كتاب الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي٢١] ؛ فيما يُلحظ من دوران وهيئات بعدد أيّام الشهر، حتى يعود إلى موضعه الأول بعد ٢٨ يومًا وبعض أجزاء اليوم [الميزان١٧ / ٧٥] .

وقد أفادوا كذلك من تغيّر مواضع المجاميع النجميّة، في تعيين الزمان والمكان، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ـ الأنعام ـ ٩٧)، وعرفوا من جميعها التنبُّؤ بحالة الجوّ، ووصف الحرِّ والبرد والشتاء والربيع والصيف والخريف، وما يتصل بالرياح، والمطر والاستسقاء، والغيوم والبروق، ومنها تحديد فصول السّنة وأجزائها، لأجلِ تعيين مواعيد الإقامة والظَّعن، وكانوا قد ميّزوا ما يقع تحت اسم (الأنواء) ممّا يتعلّق بالرياح والمطر، وما يتعلّق بطول الليل وقصره وأجزاء السّنة من الأيّام والليالي والشهور وما يرتبط بها من الأسماء والصفات تحت اسم (الأزمنة)، وكان لهم من هذين النوعين أو التسميتين عبارات ومعلومات توارثتها الأجيال من العصر الجاهليّ، وما زالت آثارها باقية في لهجاتنا العربيّة المعاصرة معروفة ومتداولة حتى يومنا هذا، كمخاط الشيطان أو ريق الشمس ولعابها وهو ما يتراءَى في عين الشمس للناظر في الهواء بالهاجرة، وأشمسنا أي أصابنا حرّ الشمس، وركدت الشمس ركودًا: ثبتت في الظهيرة،، وركدت السفينة: وقفت فلا تجري، والراكد الدائم إذا سكن، والهالة: دارة القمر، وهالني : أفزعني، والقمر ابن ليلة وابن ليلتين ... إلخ، وقاظ يقيظ قيظًا، والقَيظ : فصل الصيف بعد الشتو، وحمّارة القيظ : شدّته، وفي المقابل قرَّ يومنا إذا اشتدَّ برده، ويوم القَّرِ: اليوم الأوّل من أيّام التشريق، لأنّ الناس يقرّون في مِنى للنحر، وقرَّ الشيء: استقرّ؛ والقرقف: البرد من الليل، واقترف : اكتسب، والليلة الليلاء: لآخر ليلة من الشّهر، والصّفاري التي كانوا يمتارون فيها الطعام من المواضع والحواضر، وتُسمّى الصَّفاري المعتدلات من الخريف، والبيت الصِّفر : الخالي من المتاع؛ وصكَّةُ عُمَيٍّ وأعمى أي نصف النهار أو شدّة الحرِّ في الهاجرة، وصكّه صكًّ إذا ضرب وجهه بيده، ورحتُ وأروحُ: ذهبت، والذهاب الرجوع أي قبل المغيب ونهاية النهار، قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ . سبأ ١٢)، أي ذهابها، والرّواح والغدوّ عند العرب يستعملان في المسير أيّ وقت كان من ليل أو نهار، والرَّواح : العَشِيّ، وهو من الزَّوال إلى الليل، والرِّيح: الهواء، والراحة ضدّ التعب بعد الإعياء، ودَلهَمَ الليلُ وحَندَسَ : من الحندس شدّة الظلام [وفي العاميّة: الهِندس]، ولا أفعله دهر الداهرين ولا أبد الأبدين، والمعمعة : الحرّ الشديد، وغمَّ يومنا غمًّا: لشدّة حرّه، واسمألّت الظهيرة أي إذا اشتدّ حرّها، واسمَألّ الثوب إذا أخلق، وصمخت الشّمس وجهه: أصابت صماخه، واشتدت عليه وقعها، والصِّماخ : خرق الأذن الباطن أو الأذن نفسها [الأزمنة وتلبية الجاهليّة ٥٨، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٠٠، ١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، وتاج العروس ٦ / ٤١٧ . ٤١٨، ٧ / ٢٩٣ . ٢٩٤، ١٢ / ٢٣٠، ٢٠/ ٩٤، والمصباح المنير ٢٤٣] .

(٢)

وسنحاول ابتداءً عرض ما يتصّل باشتقاق: زمن وزمانة ومزمن ... إلخ، وما يتّصلُ بهذا

الاشتقاق أو غيره من قريب أو بعيد، في استعمال العرب وتداولهم قديمًا وحديثًا، في مضامين ما يدور بمدار الأمراض المزمنة، من التي نعدُّها مفيدة لقارئنا العربي من جميع المستويات وربما من أصحاب التخصّصات .

إذ نجد في تعليل القدماء من أطبّاء ذلك الزمان التمييز بين الأمراض المزمنة التي تحدث عن سبب بارد فتطول مدتها كالفالج (hemiplegia)، ونقيضها الأمراض الحارّة [محيط المحيط ٣٧٩] أو الحادّة.

يقول ابن فارس: (الزاء والميم والنون: أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على وقتٍ من الوقت ... يُقال: زمانٌ وزَمَنٌ والجمع أزمان وأزمنة ... فأمّا الزَّمانةُ فالتي تُصيب الإنسان فتقعده) [معجم مقاييس اللغة ٣/ ١٢ . ١٣، ٣٧٢] .

وأمّا زَمِنونَ وزَمنَى فصفة مشبهة تدلّ على الثبوت لدائمي المرض، لِضَعفٍ أو كِبَرٍ ؛ ذلك من مرض مزمن، وعِلَّةٍ مزمنة ؛ (وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: إنّما قالوا: مرضى وهَلكَى ومَوتى وجَرْبَى وأشباه ذلك، لأنَّ ذلك أمر يبتلون به، وأُدخِلوا فيه، وهم له كارهون وأُصيبوا به، فلمّا كان معنى المفعول كسّروه على هذا المعنى ... وقالوا رجلٌ وَجِعٌ وقومٌ وَجْعَى كما قالوا هَلْكَى، وقالوا وَجاعَى ... قالوا : زَمِنٌ وزَمنى، فأجرَوا ذلك على المعنى، كما قالوا يتيمٌ ويتامى ... فأجروه مُجرى وَجاعَى، وقالوا: حذارَى لأنّه كالخائف ... وقد جاء منه شيء كثير على فَعالى، قالوا : يتامَى وأيامَى، شبهوه بوَجاعَى وحَباطَى ؛ لأنها مصائبُ قد ابتُلوا بها، فشبهت بالأوجاع حين جاءت على فَعْلَى ... كما قالوا : زَمنى ...) [كتاب سيبويه ٣/٦٤٨ . ٦٥٠] .

وتزامن الشيئان تزامُنًا: اتفقا في الزمن أي حدثا في وقت واحد، وتزامن الشخصان: عاشا في عصر واحد، وعامله بالزمن، كزامن المالك المستأجر شهريًّا، وزارني من زمان: من وقت طويل أو قصير، وَزَمَنِيّة: اسم مؤنّث منسوب إلى زمن، ومتزامن اسم فاعل من تزامن [العربيّة المعاصرة ٢٠٠٨]، وصيغة (فاعل) المجرّدة من السوابق واللواحق عند الدكتور مهدي المخزومي، تستعمل للتعبير عن استمرار الحدث، نحو: زيدٌ قائمٌ [في النحو العربيّ نقد وتوجيه ١٧١] .

والزمكان: نحتٌ اسميٌّ منتزعٌ من كلمتين، هما: "زمان" و "مكان"، حيّزٌ افتراضيٌّ له أبعاد يحدّد أحداثي الزمان وإحداثيات المكان لحدث ما، والنحتُ نفسه: (أخذُ كلمة من كلمتين فأكثر، مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه، في اللفظ والمعنى معًا ...) [الاشتقاق لعبد الله أمين ٣٩١]، و(النحتُ سائغٌ لغة ... وقد أجازه مجمع اللغة العربيّة في العلوم والفنون ... فأصدر في الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر ٢١ / ٢ / ١٨٤٨ في دورته الثالثة عشرة القرار الثالث من قراراته

العلمية ... عندما تُلجِئ الضرورة) [الاشتقاق لعبد الله أمين ٤٤٧] .

ويقولون: زمان الرّطب، وزمان الحَرّ، وزمان البرد [تهذيب اللغة، للأزهري ١٣/ ٢٣٣]، وزمن البرامكة: يضربُ مثلًا لكلِّ شيء حَسَنٍ، وزمن أغبر كالح: عبوس شديد الضيق، فكيفما يكنِ الناس يكن الزمان، قد يكون نعيمًا أو جحيمًا، أو بطيئًا أو سريعًا، وكلّ ذلك يُعدُّ زمانًا نفسِيًّا وليس موضوعيًّا يقاس بالآلات الزمنيّة المعروفة [الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ٢٦٢ . ٢٧١، وأساطين الزمان: حكماؤه [العربيّة المعاصرة ٢٠٠٨] .

وكلُّ صورة للزمن تلخّص صورة هذا الإنسان ضمن تجربته، وتلخّص نظرته ومشاعره، فزمن اللهو والشباب والفرح، غير زمان الكِبَرِ والشيخوخة وأمراضها المزمنة، إذ لكلٍّ زمانه، فللزمان أحكامه، وفي المثل: إذا بلغ الرجل السبعين اشتكى من غير علة، أو إذا بلغ الرجل الستّين فإيّاه وإيّا الشوابّ [كتاب سيبويه ١/ ٢٧٩]، (وحين سُئل أحد الشيوخ عن الذي بقِيَ منه أجاب: يسبقني من بين يدي ويدركني من خلفي، وأذكر القديم وأنسى الحديث ...) [البيان والتبيين ٢/ ٩٦] .

وزمن صِرام النخل: قطعه، والزمن العربيّ : توقيت يبدأ قياسه من لحظة غروب الشمس، واليوم العربي من الغروب إلى الغروب، والزمن الضائع (Down time): وقت توقّف الإنتاج لإجراء بعض الإصلاحات أو انتظار وصول الآلات أو تحسّن الأحوال [المعجم الكبير ١١٣٤٧ . ٣٤٨] .

وأزمَن الشيء: طال عليه الزمان، وهو ثلاثيّ زيد بهمزة من أوّله بوزن أفعَل، ودلالة أفعل للمبالغة وكثرة المعنى [مفردات الراغب الأصفهانيّ ٣٩٥]، وأزمن بالمكان: أقام به زمانًا، وفي الحديث عن النبيّ ص: إنّه قال لعجوز تحَفَّى بها [أي احتفى واحتفل] في السؤال، وقال "كانت تأتينا زمن خديجة" [السلسلة الصحيحة ١/ ٤٢٤]، أراد حياتها ؛ ويقولون: استأجرته مُزامنة وزمانًا، كما يُقال مشاهرةً [لسان العرب ٣/ ١٨٦٧] . ؛ ومن استعمال (العقول الزَّمنة) ما جاء من الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع): (ليس كلُّ ذي عينٍ يُبصرُ، ولا كُلُّ ذي أُذنٍ يسمعُ ، فتصَدّقوا على أُولي العقول الزَّمِنة ، والألباب الحائرة ، بالعلوم التي هي أفضل صدقاتكم ...) [شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ٢٠/٤٣١] .

(٣)

وزَمِنَ الشخص زَمَنًا وزمانة فهو زَمِنٌ: لِمَرَضٍ يدوم زمانًا طويلًا، والقومُ زَمنَى على وزن فَعلَى لما لزمته الزمانة والضّرر [دقائق التصريف ١٠٢]، والزَّمِنُ: ذو الزَّمانة، والزَّمانة: آفة، ورجَلٌ زَمِنٌ أي مُبتلى [لسان العرب ٣/ ١٨٦٧] ؛ كأنّ الزّمانةَ غَلَبَةُ الزمان على الإنسان المُزمن،

لعاهة أعاقته؛ وربما خصّصها الأطبّاء بالشلل ويبس اليد [محيط المحيط للبستاني ٣٧٩]، لأنَّ أزمنَ طال بالمرض الزمن، يُقال: يزمن به المرض، أو تُوفّيَ من علّة مزمنة، وأزمن به وعنه: طال زمنه وصار مزمنًا، وزمانيّ: علّة زمانيّة، مرض مزمن [تكملة المعاجم، رينهارت دوزي ٥ / ٣٦٠ . ٣٦١] .

وقد يمتزج الزمن بالنفس والمكان في بُعدَينِ تاريخي وشخصي، فزمان الطبيعة حركة الشمس في البروج، وزمان الخبرة الخاضع لحركة النفس في مجرى الأحداث [الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ٢٦٦]، وينسبون الدواهي لفعل الزمان، و(زمن الرَّجلُ يزمَنُ زمانَةً، وهو عُدْمُ بعضِ أعضائه أو تعطيل قواه ... وأزمن الشيء، إذا أتى عليه الزَّمان، فهو مُزمِن) [ترتيب جمهرة اللغة ٢ /١٤٢] .

و(زَمِنَ زَمَنًا وزُمنَةً وزَمانةً: مَرِضَ مَرضًا يدوم زمانًا طويلًا، وزَمِنَ: ضَعُف، بِكِبَرِ سِنٍّ أو مُطاوَلةِ علَّةٍ، فهو زَمِنٌ وزَمِينٌ فعيل بمعنى مفعول ... وأزمنَ الله فلانًا وغيرَه: ابتلاه بالزَّمانة ... والزمانة: مرض يدوم ... [و] الزَّمين : الزَّمِن والجمع زُمناء وزُمنى ... يُقال: لقيته ذات الزُّمَين: يراد بذلك تراخي المدّة؛ والمُتزامن في علم الطبيعة: ما يتفق مع غيره في الزمن، والمتزامنتان: حركتان دوريتان تتفقان في زمن الذبذبة والطور) [المعجم الوسيط ١/ ٤٠٣] .

وذوو الزَّمانة: هم ذوو الإعاقة، أو ذوو الاحتياجات الخاصّة، في استعمال هذا العصر، لإعاقة خَلقِيّة أو مكتسبة، لإصابات جسدية تعيق الجهاز الحركي، أو نتيجة شلل، أو مرض يؤدّي إلى الحدِّ من وظائف هذه الجهاز، إذ إنّ المعاق يعاني من ضعف وظائف الجسم، يكون هذا الضعف دائميًّا، ويُعرّف المعاق حركيًّا بأنّه : هو الشخص الذي لا يستطيع، أن يحيا حياة طبيعية كالآخرين، نتيجة قصور أو عجز في وظائف الجسم بدنيًّا كان أو حسيًّا، وقد يؤثّر هذا العجز في مظاهر النموّ العقليّ والاجتماعيّ والانفعاليّ، سواء أكان هذا العجز ولاديًّا أم مكتسبًا [مستوى جودة الحياة ١٥] .

(٤)

يُقالُ مَرَضٌ مُزمِنٌ، وعِلّة مُزمِنَة، وأزمَنَ اللهُ فلانًا: ابتلاه بالزَّمانة، لأنّ مرضه يدومُ، وزمانُه مرتبطٌ بالديمومة [المعجم الكبير ٣٤٥/١١]؛ والمرضُ مُزمنٌ (chronic) في الطبّ يعني المرض طويل الأمد أو متكرّر الأعراض، ومعروفٌ أنّ الأمراض المزمنة هي أربعة أنواع: الأمراض القلبية الوعائية (مثل: النوبات القلبية والسكتة الدماغية) ... والأمراض التنفسية المزمنة "Chronic Respiratory Diseases" (مثل: الداء الرئوي المُسِدّ المزمن " Chronic Obstructive Lung Disease" والربو) ... والسكَّري ... والسرطانات ... وهي الأمراض

التي تتطوّر تطوّرًا بطيئًا، وهي في مقدّمة الأمراض التي تؤدّي إلى الوفاة، وترتفع معدّلات الإصابة بالأمراض المزمنة عالميًّا ارتفاعًا كبيرًا، على الرّغم من التقدم العلميّ الهائل في العقود الأخيرة، ذلك لتغيّر أنماط الحياة، ولما يحيط بالإنسان من ظروف، حتّى أنّ نسبة وفياتها من أعلى النّسب، ولاسيما أمراض القلب والسرطان؛ ففي إحصاء منظمة الصحّة العالميّة لعام ٢٠٢٠ ، تسببت الأمراض المزمنة ما يقرب عن ٧٠٪ من مجموع الوفيات في العالم، وهي مسؤولة عن ٨٢٪ من الوفيات المبكرة قبل ال ٧٠ من العمر، ويفرض وباء الأمراض المزمنة عواقب صحية مدمرة للأفراد والأسر والمجتمعات، ويهدد بإرهاق النظم الصحية ويزيد التكاليف الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بها، لذلك تتطلب الوقاية من هذه الأمراض ومكافحتها ضرورة إنمائية رئيسة للقرن الحادي والعشرين .

وتتميّز هذه الأمراض بأنها غير انتقالية، ولا ناجمة عن بكتريا أو فيروسات، وقد ينتج بعضها عن بعض، (فكلٌّ من السّكري وضغط الدم يسببان خللًا في الشرايين، يؤدّي إلى أمراض القلب والشرايين والسكتة الدماغية والفشل الكلويّ، ولكنّ الخلل يتعاظم كثيرًا حينما يجتمع السكري مع ضغط الدم المرتفع ... وبنحو ٧٥ من المئة من المضاعفات الصحيّة يمكن أن تُعزى إلى ضغط الدم المرتفع) [العلاج الطبيعي لضغط الدم ٧٣] .

وقد تُسَمّى هذه الأمراض بالأمراض الصامتة، لأنَّها تقتل بصمت، وقد ينتهي المصاب بها لما يسمى "موت الفجأة"، فلا يتنبّه المريض على تطوّر حالته إلّا بعد ظهور الآثار الخطيرة لمضاعفات مرضه، كمرض ارتفاع ضغط الدم، وعادة ما ترتبط هذه المخاطر بالسلوك الغذائي والحركي للأفراد والمجتمعات، ومنها أيضًا مرض السُّكّريّ غير المعتمد على الانسولين "Non– Insulin Dependent Diabetes Miletus" الذي يرتبط بالبدانة ارتباطًا وثيقًا، ومنها أيضًا أمراض الجهاز التنفّسيّ التي تتأثّر بالتدخين .

ويمتد علاج هذه الأمراض مع عمر الإنسان، وقد يوجب علاجها بما يكون غاية في الضيق والتعب والأرق، وربما القلق المستمرّ من حدوث المزيد من التغيّر، وتفاقم الخطر، ودوام الخوف من الموت ؛ وعدا عن هذه الأعباء، تزاد الأعباء الاقتصاديّة لهذه الأمراض، لدوام الآثار النفسيّة التي يعاني منها المريض ويستشعرها في حياته، وما يظهر جليًّا في عمله، من كثرة شكواه، وتكرار تغيّبه، وضعف أدائه، وتراجع كفاءته .

وربما لا يَتبيّنُ الدافعُ لحصولها، لكن الواضح تحقّق أضرارها، والأوضح أنّ تقدّم العمر هو الذي يزيد من الاحتمال بالإصابة بالأمراض المزمنة، وكذلك الوراثة التي لا يُستهانُ بها في الإصابة ببعض الأمراض المزمنة كالسكّري وسرطان الثدي .

ومن آثارها المباشرة تقليل جودة الحياة التي يحياها المصاب وأثر ذلك في حياة أسرته ومجتمعه، زيادة على تكاليف الرّعاية الصحّيّة العالية ونفقاتها الباهضة واستمرار هذه النفقات، ما ينجم عنها من ضغوط هائلة على ميزانيّات الأشخاص والدّول ولاسيما مع استفحال هذه الأمراض وزيادة نسبة المصابين بها، وتطوّر مضاعفاتها.

وتسمّى هذه الأمراض بأمراض الأغنياء، لأنها أكثر ما تكون مصحوبة بزيادة الدّخل والتطوّر الاقتصادي، لكنّها ربما ليست متخصّصة بهم ولا مقتصرة عليهم .

وتتجه الجهود العالميّة نحو بناء خطط تتصدّى للأمراض المزمنة، والوقاية منها، وجعلها أولويّة مهمّة ووضع التدابير لوقف تهديدها الصحّيّ العالمي، ومنها: فرض ضرائب عالية على التبغ وصناعته للتأثير في معدّلات متعاطي التدخين، وسنّ قوانين تَحِدُّ من التدخين في الأماكن العامّة، وتشجيع النّاس على ممارسة الرياضة وتهيئة مستلزماتها وأماكن ممارستها، وإعداد الوسائل التي تمكن من الكشف المبكّر عن أضرار هذه الأمراض قبل تطوّرها واستفحال أمرها، وشمول المصابين بها بتأمين صحّيّ يخفف آلام مرضى (الأمراض المزمنة) ويقلّل من نسبة الوفيات.

وتُعرف هذه الأمراض أيضًا بأنّها الأمراض المرتبطة بنمط الحياة، مع أنّها أمراض غير مُعدية للآخرين، وقد أجرت وزارة الصحة العراقية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية المسح الوطني العراقي الشامل لعوامل الخطورة المسبّبة للأمراض المزمنة غير الانتقالية ٢٠١٥، فكان من أهمّ هذه العوامل:

- قلة تناول الخضر والفواكه لجميع الفئات العمرية ...
- وقلة النشاط البدني ٣٠٪ للرجال و ٥٠٪ للنساء ...

ـ وزيادة الوزن عند النساء أكثر من الرجال، ومؤشر كتلة الجسم ٢٩.٤ بمقابل ٢٦.٩ كغم/ م٢ "يقاس بالوزن كغم على مربع طول الانسان بالمتر" .

. وأنّ (٦٥.٤٪) من العراقيين لكلا الجنسين يعانون من زيادة الوزن .

. ٣٨٪ من الرجال العراقيين يدخنون .

. ٣٥٪ نسبة شيوع ارتفاع ضغط الدم .

- ١٣.٩ نسبة المصابين بداء السكري، وتزداد هذه النسبة زيادةً حادة عند العمر ٤٠ فما فوق، - ١٢٪ نسبة المصابين بأمراض القلب الناتجة من عوامل الخطورة أعلاه ...

وتؤلف الأمراض المزمنة غير الانتقالية ٥٠٪ من الوفيات في العراق، والسبب الأول للوفيات لعشر السنوات الماضية، "تقرير الاحصاء الحياتي السنوي ٢٠٢٠ وزارة الصحة" ... .

(٥)

وبعد ما تقدّم أنفكّر في تغيير مصطلح (الأمراض المزمنة) لنستعمل (الأمراض المستدامة)، أو استعمالهما معًا، أو تكون الثانية مجرد مرادفة لها ؟ ولاسيما بعد أن تعوّد المعنيّون تداول (الأمراض المزمنة)، وكذلك الناس في خطابهم وحياتهم اليوميّة، حتى أصبحت عبارة (الأمراض المزمنة) مفهومة، ومتلازمة لفظيّة مميّزة حاضرة في الأذهان بين الموصوف وصفته، استلزم أحد اللفظين الآخر، وانضم إليه، وانسجم معه لأداء المعنى [اللغة معناها ومبناها ٢١٧]، حتّى صَعُبَ التفكير في تغيير هذه المسكوكة اللغويّة التي صارت ثابتة، وقد تواتر استقرار استعمالها وتداولها، والمسكوكة اللغويّة : وحدة دلاليّة متماسكة، تتسم بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى، أو أنّها المتلازمة والبنيّة من البنيّات اللغويّة الثابتة، والقالب المستقرّ، لأنَّ مسكوكتنا مؤلفة من لفظين أو أكثر يكونان متلاصقين متضامّين مجتمعين، صارا يؤلفان وحدة دلاليّة بنيويّة مقيّدة لا تغيّر ولا يحذف منها ولا يزاد عليها، وعنصر معجمي راسخ، في نظام اللغة لكثرة استعمال هذه المسكوكة، وقد ربط المرض بالزمان وإطالته وامتداده أو استمراره [المسكوكات اللغويّة في كتاب سيبويه ٦، ١٢٣، والمسكوكات النبوية ٦، ومجلة مدارات في اللغة والأدب، العبارات المسكوكة، سمر الغانمي، ١١٢، ١١٣] .

(٦)

في حين نجدُ أنَّ المُستدامة في مراجع اللغة من جذر: (الدال والواو والميم أصلٌ واحد يدلُّ على السكون واللزوم، يُقال دام الشيء يدوم، إذا سكن، والماء الدائم : الساكن، ونهى رسول الله (ص) أن يُبال في الماء ثمّ يُتوضّأ منه، والدليل على صحّة هذا التأويل أنّه روي بلفظةٍ أخرى، هو أنّه نهى أن يُبال في الماء الدائم ... واستدمت الأمر، إذا رفقت به ...) [معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣١٥]؛ ودام الشيء يدوم دومًا ودوامًا : ثبت، ودام المطر: تتابع نزوله، ومادام: من أفعال الاستمرار، قال تعالى: (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا . المائدة ٩٦)، المعنى ما دمتم محرمين، فالحرمة تستمر لمدة الحرمة، أي مدّة كونهم حرمًا [التحرير والتنوير ٥/ ٢٢٠] ؛ وداوم عليه : واظب، واستدام الشيء : دام أو طلب الدوام، والدُّوام : دُوار لِعَرَضٍ في الرّأس، يُقال: به دُوام كما يُقال دُوار [تاج العروس ١٦/ ١٨٩] .

والدِّيمة: المطر الدائم مع السكون، أي من دون رعد فيه، ولا برق، وتدوم الدِّيمةُ يومها، وأخذه دُوامٌ في رأسه مثل الدُّوار، ودام الشيء: إذا دار ودام، ودُوّامةُ الغُلامِ: لعبة مستديرة يلفُّها

الصَّبيّ بخيط ثمَّ يرميها على الأرض فتدور، واستدام الرجل غريمه: إذا رفق به، واستدامة الأمر: الأناة فيه والنّظر [تهذيب اللغة ١٤/٢١٠. ٢١١، والمعجم الوسيط ١/٣٠٤. ٣٠٥]؛ ودام يدوم دومًا ودَيمومًا بوزن (فيعول)، وأدامه واستدامه وداوَمه: تأنّى فيه، أو طلب دوامه، والدَّيوم والدَّوام: الدائم، والدُّوامُ دُوارٌ في الرَّأس مثلما عرضنا [القاموس المحيط ١٠٢٣] .

أمّا استعمال المرض بصيغتيه المستديم أو المُستدام بدلًا من المرض المُزمن، فلا بُدّ من لحظ أهمّ دلالات استدام التي هي بوزن "استفعل" صيغة قياسيّة لإفادة الطلب والصيرورة [المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر ٥٥٢]، فعلى سبيل الفرض استدام: طلب الدوام، واستدام: تحوّل وصار دائمًا، أي استواءُ حالٍ لا تتغيّر، وامتداد مكاني ثم زماني مع ثبات على حال واحدة، أو تنقطع : كالديمومة البالغة السّعة مع استواء سطحها، والماء الراكد الساكن، وكدوام المطر أيّامًا [المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم ١/٤٤٢ ـ ٤٤٣]، أو دام يدومُ دوامًا ودومًا وديمومة، واستدام الشيء أي استمرَّ دوامه إلى حين، قال تعالى: (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا .مريم ٣١)، أي مدّة دوامي حيًّا، و(إنّ الشواهد جميعها تؤيّد مجيء (دام) في الزمن الماضي مسبوقة بـ"ما" المصدرية الظرفيّة ... فـ "مَا دُمْتُ حَيًّا" أصله مدة دوامي حيًّا) [الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة ٣٩، والمغني ٣٣٦]، وقد يكون الدوام من دون تحديد كقوله تعالى : (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ .المعارج ٢٣)، معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، كما روي عن النبيّ ص "أفضل العمل أدومه وإن قلّ" [الكشاف ١١٤٠]، أي أنّهم مداومون مستمرون على أدائها، وكمال العمل بالمداومة عليه [الميزان ٢٠/ ١٤]، ومن طلب الدوام استدام الله نعمته [تاج العروس ١٦/ ١٨٠] ؛ أمّا أدام عِزّك ويديمه فمعناه : أطال بقاءك، الدعاء في هذا التأليف يقع في المستقبل لا بالماضي [دقائق التصريف ٣٦] .

ومن استعمال "المستدامة" على سبيل الاستطراد والتوسّع في هذا العصر، إطلاقهم مصطلح "التنمية المستدامة" (Sustainable Development)، يقصدون تطوير الأرض والمدن والمجتمعات ومجمل نواحي الحياة، استنادًا إلى تفاعل العناصر المرتبطة بحركة المجتمع، بتطوير حياة الأفراد صحيًّا وتعليميًّا ومعاشيًّا، بعد تحديد المشكلات والمعوقات، ويعنون بالمستدامة : القابلية في الاستمرار، والتدرج بها بمراحل زمنية، ومن دون إضرار بالبيئة أو بالأجيال المقبلة، وبتعزيز إمكانات الحاضر والمستقبل ؛ من مثل جاء في خطة التنمية التي وضعَتها منظمة الأمم المتحدة حتى عام ٢٠٣٠ (Sustainable Development Goals)، إذ تترابط مجموعة من الأهداف الواسعة من قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية ومنها : الفقر – الجوع – الصحة – التعليم – تغير المناخ – المساواة بين الجنسين – المياه – الصرف

الصحي – الطاقة – البيئة – العدالة الاجتماعية ... إلخ، وأدرجت من ضمن سبعة عشر هدفًا من أهداف التنمية المستدامة، لأجل الازدهار وإنهاء الفقر وحماية الكوكب وضمان السلام لجميع الناس بحلول عام ٢٠٣٠ [التنمية المستديمة والعلاقة بين البيئة والمستقبل العربي، عبد الخالق، عبد الله، ١٩٩٣، والتنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها، الدكتور عبد الرحمن محمد الحسن، Email: abomohamedrod@gmail.com]؛ وعلى هذا فالمستدامة صارت تستدعي التنمية أي (التنمية المستدامة)، والمزمنة تستدعي (الأمراض المزمنة)، فهما مسكوكتان لغويتان قارَّتان على معنيين ومصطلحين مختلفين، أمّا استدامة المرض، أو (المرض المستدام)، فلاستعمال ثالث لمرض ما بين الحادّ والمزمن مثلما عرضنا سابقًا .

(٧)

ونجِدُ . بعد ما تقدّم ـ أنَّ لفظَ مُزمِنٍ على وزن مُفعِل، وهو اسم فاعل من مزيد الثلاثيّ بحرف : أي أزمَنَ، بضمّ أوّلِ مضارعه وكسر ما قبلَ آخِره، وأمّا زَمَنٌ فجمعه أزمُنٌ على وزن أفعُل جمع تكسير، وزمان وأزمِنة على وزن أفعِلة .

أمّا استمرار (المرض المزمن) مع التغيّر والتحوّل من حال إلى حال من تطوّر المرض يقدمه في الاستعمال على المستدام، فضلًا عن شيوع (المرض المزمن)، والكَثرة في الاستعمال والتداول، لذا نرجح أن يقدم على غيره، لأنّ المصطلح الواحد لمفهوم واحد ولا يجوز أن يتعدّد، فإذا جاز تعدّد المترادفات في اللغة العامّة لمعاني متقاربة فلا يجوز في المصطلحات، لذلك فإنّ اللفظين العربيّين اللذين يدلان على الشيء الواحد لا يجوز استعمالهما معًا في الاصطلاح، إذ منع المتخصّصون في الاصطلاح من الازدواج والترادف في المصطلح، ولهذا المنع مراجع هي المجامع العلميّة العربيّة في المعجمات العلميّة المتخصّصة عامّةً، وينصّ علم المصطلح على (عدم استخدام أكثر من مصطلح واحد للتعبير عن المفهوم الواحد، وعدم استخدام المصطلح الواحد للتعبير عن أكثر من مفهوم واحد، في الحقل العلمي الواحد) [علم المصطلح ٢٨٧]، أي تجنّب الترادف والاشتراك اللفظيّ في صياغة المصطلحات الخاصّة بحقل علميّ معيّن ضمانًا للوضوح والدقّة في اللغة العلميّة، ومن المبادئ الأساسيّة في اختيار المصطلحات، أن يستعمل ما استقرَّ في الاستعمال، وتفضيل الكلمات التي بين مدلولها اللغويّ والاصطلاحي مناسبة ومشاركة ومشابهة، واستقراء التراث العربي في اختيار المتداول، وما استعمل من الكلمات، التي تختار للمصطلحات، في نصوص لغويّة معتبرة كالمعجمات، وغيرها من المصادر اللغويّة عالية الفصاحة، والتركيز على الكلمة دقيقة الدلالة على المعنى المراد توظيفه مصطلحيًّا، وتمييز الكلمة القريبة المعنى الشائعة في حالة وجود المترادفات من الكلمات الأخرى، وانتقاء التي استقرَّت في الاستعمال وما اتفق عليه المتخصّصون في استعمالهم، وبعد استشارة المجامع

اللغوية العربيّة ومكتب تنسيق التعريب، وبعد استيفاء دراستها من لجان علميّة من متخصّصين ولغويين ومن لهم صلة بعلم المصطلح [علم المصطلح ٥٥٨ . ٥٦١] .

إنّ لفظ "المرض المُستدام" لمعنى معيّن، ومرحلة من مراحل المرض مثلما عرضنا، ولا يحلُّ محلَّ "المرض المزمن" المتواضَع عليه في الاستعمال .

الخاتمة

وأخيرًا : يظهر أنّ مصطلح (المرض المزمن) يستعمل لمفهوم يختلف عن استعمال (المرض المستدام) وأنَّ مراحل المرض الحادّ أربعة ؛ ففي مرحلته الأولى: يأتي المرض سريعًا وينتهي سريعًا، وقد يطول به الأمد في مرحلة ثانية، لكنه أدنى من المستدام، وأما في المرحلة الثالثة فهو (المرض المستدام) الذي يطول بقاؤه لأشهر أو سنين، وقد يشفى، أو يتحول إلى (مرض مزمن) في مرحلة رابعة، فلا يرجى شفاؤه، فضلاً عن أنّ الاستدامة في الاصطلاح قد تستعمل في الأمراض وغيرها مثلما عرضنا .

وشاع مصطلح (الأمراض المزمنة) الذي يطلق على بعض الأمراض التي ربما لا يتنبّه عليها المريض إلّا بعد ظهور آثارها وضررها الكبير، ومضاعفاتها الخطيرة، وربما بعد فوات الأوان . ولا يُشفى منها شفاءً تامًّا، بل يمكن تخفيف ضررها، وترافق المريض إلى نهاية عمره؛ مثل أمراض فرط الضغط وداء السكري والسرطان وأمراض التنفس المزمنة، واتُّفِقَ على مصطلح الأمراض المزمنة بين أفراد المجتمع وذوو المهن الطبية، وصارت الكلمتان : مرض مزمن أو أمراض مزمنة، كلمة واحدة أو مسكوكة لغويّة ثابتة، أو مصطلح علمي دال على معنى معين معروف ومتداول .

وقد يستمرّ علاج (الأمراض المزمنة) . التي لا تنتقل بعدوى . بأشدِّ ما يزعج من ألم، وما يُنَفِّرُ من إجبار على غذاء أو دواء، وبسببها تعترض استقرار حياة الإنسان العوارض المؤلمة التي تتهدّدها أو ما ينغّص استمرارها، كالعلاج الكيميائي والإشعاعي لمرضى السّرطان، ووجوب استمرار أخذ الأنسولين لمرضى السكّري ... إلخ .

ومن النصائح الطبيّة التي ربما لا يُلتفت إليها بقدر ما تستحق، هي العودة إلى الغذاء الصحّي وممارسة الرياضة المناسبة، وكل ما يَقِي من هذه الأمراض أو يخفّف من آثارها ومخاطرها، إذ إنّ الطب المقتصِر على الأدوية، ربما لا يحقّق ما يبتغيه الطبيب ومريضه في العلاج، فلبعض الأدوية أضرار جانبيّة واجتماعيّة ونفسيّة واقتصاديّة . فالحاجة إلى ثقافة طبيّة واسعة تستند إلى منجزات العلوم وما تتوصّل إليه ضرورة أكيدة ؛ في ظلّ ما تعرضه وسائل التواصل من معلومات غير صحيحة، لدواعي لا حصر لها، ومن غير المعنيين بالطبّ،

ولا المتخصّصـين بمعالجـة هـذه الأمـراض ... والحمـد لله الـذي (... إِذَا مَرِضْـتُ فَهُـوَ يَشْـفِينِ ـ الشعراء ٧٩ . ٨٠) .

المصادر

. الاشتقاق، عبد الله أمين، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠٠ .

. الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة، الدكتور أحمد سليمات ياقوت، الإسكندرية، ١٩٨٦ .

. البيان والتبيين، للجاحظ، تح السندوبي، ط ٢، المكتبة التجارية ، ١٩٣٢.

. تاج العروس، للزبيدي، مجموعة من الأساتذة، الكويت، د . ت .

. التحرير والتنوير، لابن عاشور، بيروت، ٢٠٠٠ .

. ترتيب جمهرة اللغة لابن دريد، مشهد، ١٤٢٨ هـ .

. تكملة المعاجم، رينهارت دوزي، تح الدكتور محمد سليم النعيمي، بغداد، ١٩٨٢ .

. التنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها، الدكتور عبدالرحمن محمد الحسن، Email: abomohamedrod@gmail.com.

. التنمية المستديمة والعلاقة بين البيئة والمستقبل العربي، عبد الخالق، عبد الله، ١٩٩٣ .

. تهذيب اللغة، للأزهريّ، تح عبد السلام هارون، د . ط ، ١٩٧٦ .

. دقائق التصريف، للمؤدّب، تح الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، دمشق، ٢٠٠٤ .

. الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، بغداد، ١٩٨٦ .

. شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

. السلسلة الصحيحة ، للألباني ، الرياض ، ١٩٩٥ .

. العربيّة المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون ٢٠٠٨ .

. العلاج الطبيعي لضغط الدم، الدكتور جاي س . كوهن، ترجمة سلمى بيطار بيروت، ٢٠١٢ .

. علم المصطلح، الدكتور علي القاسمي، بيروت، ٢٠٠٨ .

. في النحو العربيّ، نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزوميّ، ط ٢، بغداد، ٢٠٠٥ .

. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣ .

. كتاب الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، بيروت، ١٩٩٦ .

. كتاب الأزمنة وتلبية الجاهليّة، لقطرب، تح الدكتور حنا جميل حداد، الأردن، ١٩٨٥.

. كتاب سيبويه، تح عبد السلام هارون، ط ٣، عالم الكتب، ١٩٨٣ .

. الكشاف، للزمخشريّ، بيروت، ٢٠٠٢ .

. لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، د . ت .

. اللغة معناها ومبناها، الدكتور تمام حسّان، ط ٥، القاهرة، ٢٠٠٦ .

. مجلة مدارات في اللغة والأدب، الجزائر، المجلد ١، العدد ٢، العبارات المسكوكة، سمر الغانمي، ٢٠١٩ .

. محيط المحيط للبستاني، بيروت، ١٩٨٧ .

. مستوى جودة الحياة لدى الطالب الجامعي المعاق حركيًّا، بسرة صبرينة، رسالة ماجستير، الجزائ، ٢٠١٩.

. المسكوكات اللغويّة في كتاب سيبويه، دليلة صاحبي، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠١٤ .

. المسكوكات النبوية، الدكتور اكتفاء مطر التميمي، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد .كلية التربية، ٢٠١٨ .

. المصباح المنير، للفيّوميّ، تح الدكتور عبد العظيم الشنّاوي، ط ٣، مصر، ٢٠١٩ .

. المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، ط ٥، القاهرة، ٢٠١٩ .

. المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠١٩ .

. المعجم المفصل في علم الصرف، إعداد : راجي الأسمر، بيروت، ١٩٩٧ .

. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الفكر، د . ت .

. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، ١٩٦٠ .

. المغني لابن هشام، تح الدكتور مازن المبارك، بيروت، ١٩٦٩.

. مفردات الراغب الأصفهانيّ مع ملاحظات العاملي، دار المعروف ، ١٤٣٢ .

. الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي، تح إياد باقر سلمان، بيروت، ٢٠٠٦ .

تأمّلات في "باب المسند والمسند إليه"
من مقدّمة كتاب سيبويه

الدكتور سعيد أحمد البطاطي
أستاذ اللغة والنحو/ جامعة حضرموت
كليّة الآداب/ قسم اللغة العربيّة

الملخّص:

هذا بحث بعنوان (تأمّلات في "باب المسند والمسند إليه" من مقدّمة كتاب سيبويه) غايتُه أن يتأمّل في نصّ هذا الباب، بما يكشف عن شيء من أبعاده النظريّة والتصوّريّة التي تشكّل جزءا مهمّا من منظومة النظريّة النحويّة عند سيبويه التي نزعم أنّها لم تُكتشَفْ أبعادُها حتى الآن، وإن كان ما كُتِبَ عنها يُظهر بما لا يدع مجالا للشكّ أنّها نظريّةٌ متجاوِزةٌ لا متجاوَزة. ولتحقيق هذه الغاية قد يمدُّ البحثُ بصرَه إلى نصوص من متن الكتاب وثيقة الصلة بتصوّرات الباب، وإلى نصوصٍ من مدوّنات الخالفين؛ للكشف عن مدى اقترابها أو ابتعادها عن تصوّرات سيبويه في الباب الذي نتأمّل فيه. وخلص البحثُ إلى أنّ (باب المسند والمسند إليه) أصلٌ للتركيبات النحويّة التي عالجها سيبويه في أثناء كتابه، وأنّ مقصودَه بالمسند والمسند إليه غيرُ مقصودِ النحويّين اللاحقين بهما. وقد ترتّب على ذلك نتائج أخرى أجملها البحث في الخاتمة.

المقدمة:

قال سيبويه: "هذا باب (المسند والمسند إليه): وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّمُ منه بُدًّا. فمِن ذلك الاسمُ المبتدأ والمبنيُّ عليه، وهو قولك: (عبدُ اللهِ أخوكَ)، و(هذا أخوك). ومثلُ ذلك: (يذهبُ عبدُ اللهِ)، فلا بُدَّ للفعل من الاسم؛ كما لم يكن للاسمِ الأوّلِ بُدٌّ من الآخَرِ في الابتداء. وممّا يكون بمنزلة الابتداء قولُكَ: (كان عبدُ اللهِ منطلقا)، و(ليتَ زيدًا منطلقٌ)؛ لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتجاجِ المبتدأ إلى ما بعده. واعلم أنّ الاسمَ أوّلُ أحوالِه الابتداءُ، وإنّما يدخلُ الناصبُ والرافعُ سوى الابتداءِ والجارُّ على المبتدأ. ألا ترى أنّ ما كان مبتدأ قد تدخلُ عليه هذه الأشياءُ حتّى يكون غيرَ مبتدأ، ولا تصلُ إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرتُ لك، إلّا أن تدعَه. وذلك أنّك إذا قلتَ: (عبدُ اللهِ منطلقٌ)، إن شئتَ أدخلتَ (رأيتُ) عليه، فقلتَ: (رأيتُ عبدَ اللهِ منطلقا)، أو (كانَ عبدُ اللهِ منطلقا)، أو (مررتُ بعبدِ اللهِ منطلقا). فالمبتدأُ أوّلُ جزءٍ؛ كما كان الواحدُ أوّلَ العددِ، والنكرةُ قبل المعرفة"[١].

---

[١] الكتاب: ١/ ٢٣- ٢٤.

هذا هو باب (المسند والمسند إليه)، وهو من أهمّ أبواب مقدّمة الكتاب؛ لأنّه بابٌ مؤسّس، إذ تُبْنى على مضمونه تصوّرات سيبويه في شأن الجملةِ وبنائها تكوينا وتكوّنا، وربطا وارتباطا[٢]. وسنحاول تأمّلَ هذا الباب من خلال ثلاثة محاور، أوّلها بعنوان (المسند والمسند إليه)، وثانيها بعنوان (لا جملةَ بدون المسندِ والمسند إليه)، وآخِرها بعنوان (الاسم أوّل أحواله الابتداء).

وسيفضي بنا التأمّل إلى مدِّ النظر إلى نصوص أخرى من نصوص الكتاب، بما يكشف عن تصوّرات سيبويه المجملة في الباب المتأمّلِ فيه؛ وإلى نصوص من نصوص النحويّين اللاحقين، بما يكشف عن مدى قُربهم من تصوّرات سيبويه أو بعدهم عنها. وقد أفدتُ في هذا البحث إفادةً قُصوى، من عملَيْنِ سابقين لي، أحدهما (ظاهرة الإهمال في النحو العربيّ)، والآخَر: (نظريّة العامل في النحو العربيّ في هدي كتاب سيبويه). ووثّقتُ مواطنَ الإفادة، على وفق ما يقتضيه التوثيق في البحث العلميّ.

المسند والمسند إليه:

المسند عند سيبويه هو الفعل والمبتدأ، أي: العنصر النحويّ الذي تبدأ به الجملة في أصلها الافتراضيّ. فجملة (عبدُ اللهِ أخوك)؛ المسند فيها هو (عبد الله)، أي: المبتدأ. وجملة: (يذهبُ عبدُ اللهِ)؛ المسند فيها هو (يذهبُ)، أي: الفعل. وهاتان الجملتان تكوّنتا بحسب الأصل الافتراضي. وجملة (زيدًا أكرمتُ)؛ المسند فيها هو الفعل (أكرمَ)، وإن لم يقع أوّلا بحسب الظاهر، لكنّه أوّلٌ بحسب البناء الافتراضي للجملة الفعليّة، فهذه الجملة هي تحويلُ من الأصل الافتراضيّ (أكرمتُ زيدًا). وجملة (جميلٌ خطُّك)؛ المسند فيها هو المبتدأ (خطّك) وإن تأخّر في الظاهر؛ لأنّه في الأصل متقدِّم لا متأخِّر، إذ هذه الجملةُ تحويلٌ عن الأصل المفترض: (خَطُّك جميل)[٣]. أمّا المسند إليه، فهو الخبرُ في الجملة الاسميّة، ومرفوعُ الفعل (الفاعل أو نائب الفاعل) في الجملة الفعليّة.

وذلك ما لمّح إليه سيبويه تلميحا، في هذا الباب، فقال: "فمِن ذلك المبتدأ والمبنيّ عليه"[٤]،

---

[٢] على هذه الفكرة انعقد كتاب محمد حماسة عبد اللطيف: (بناء الجملة العربيّة)؛ فكان فصلُه الأوّلُ في الجملة وعناصر بنائها، أي: في التكوين والتكوّن؛ وفصلُه الثاني في ترابط أجراء الجملة ووسائله، أي: في الربط والارتباط؛ وفصلاه الثاني والثالث في العوارض، وفي بناء الجملة في الشعر القديم، أي: في لواحق مضامين الفصل الأوّل والثاني.

[٣] فرضيّة (الجملة الأصليّة والجملة المقدّرة) من الفرضيّات الأساسيّة في التأصيل النحويّ عند العرب، وهي قريبةٌ من افتراض تشومسكي البنية العميقة والبنية السطحيّة. ولقيت استهجانا من دعاة المنهج الوصفيّ، لكنّ فرضيّات تشومسكي أعادت لها الاعتبار والحيويّة. ينظر: النحو العربيّ والدرس الحديث: ١٤٣، فما بعدها.

[٤] الكتاب/ ١/ ٢٣.

وقال: "ومثل ذلك: (يذهبُ عبدُ الله)" [٥]؛ وفي باب (الابتداء)، فقال: "فالمبتدأُ كلُّ اسمٍ ابتُدِئ؛ ليُبْنى عليه كلام. والمبتدأ والمبنيّ عليه رفع. فالمبتدأُ الأوّلُ، والمبنيُّ ما بعده عليه؛ فهو مسندٌ ومسندٌ إليه"[٦]. وهذا ترتيب جارٍ على ما جرتْ عليه ترجمة الباب (باب المسند والمسند إليه)، على أنّ هذا التلميح لا يكفي للقول بأنّ سيبويه يعني بـ(المسند) المبتدأ والفعل، وبـ(المسند إليه) الخبر ومرفوع الفعل. فهذا القولُ مخالفٌ لما هو سائدٌ ومعلومٌ في المدوّنات النحويّة اللاحقة؛ فلا بُدَّ من القول الصريح لإثباته، ولا سيّما في مسألة المبتدأ والخبر وأنّ الأوّل مسندٌ والثاني مسند إليه. أمّا الفعل ومرفوعه، فهما عند سيبويه كما هما عند خالفيه: الفعل مسند، ومرفوعُه مسند إليه، من حيث التسمية لا من حيث التصوّر في أقل تقدير.

قال سيبويه مصرّحا أنّ المبتدأ مسندٌ والخبر مسندٌ إليه: "فالمبتدأ مسندٌ، والمبنيُّ عليه مسند إليه"[٧]. وهذ التصريح لا لبس فيه؛ فلا يُقال فيه: إنّ سيبويه "كان أحيانا يعكس التسمية؛ فيسمّي المبتدأ مسندا، والمبنيَّ عليه مسندا إليه"[٨]؛ لأنّ هذا العكس لم يقع في الكتاب، فلم يرد فيه "أن سمّى سيبويه المبتدأ مسندا إليه، والمبنيَّ عليه مسندا"[٩]، والعكس إنّما يصحّ لو أنّ سيبويه سمّى المبتدأ مسندا إليه، ثُمَّ عكس في موضع آخر، فسمّاه مسندا. وهذا ما لم يقع في الكتاب البتّة. وأمّا قول السامرّائيّ: "فالمسند إليه هو المتحدَّث عنه، أو المحدَّث عنه بتعبير سيبويه"[١٠]؛ فهو من باب إسقاط تصوّرات الخالفين على تصوّر سيبويه، وإلّا فإنّ سيبويه لم يكن حيثُ إشارةُ السامرائيِّ، في وارد الحديث في المسند والمسند إليه، بل كان في وارد المحتوى الدلاليّ لجُمَلٍ من نحو: (ذَهَبَ زيدٌ)، و(جَلَسَ عمرٌو)، و(ضُرِبَ زيدٌ)، و(يُضْرَبُ عمرٌو) [١١]. قال سيبويه: "فأمّا الفاعل الذي لا يتعدّاه فعلُه، فقولُك: (ذَهَبَ زيدٌ)، و(جَلَسَ عمرٌو)؛ والمفعولُ الذي لم يتعدَّه فعلُه ولم يتعدَّ إليه فعلُ فاعلٍ، فقولُك: (ضُرِبَ زيدٌ)، و(يُضرَبُ عمرٌو). فالأسماءُ المحدَّثُ عنها، والأمثلةُ دليلةٌ على ما مضى وما لم يمضِ من المحدَّثِ به عن الأسماءِ، وهو الذهابُ والجلوسُ والضربُ"[١٢].

---

(٥) الكتاب/ ١/ ٢٣.

(٦) الكتاب: ٢/ ١٢٦.

(٧) الكتاب: ٢/ ٧٨.

(٨) الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٣.

(٩) نظريّة العامل: ١٠٦، الهامش٥.

(١٠) الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٣.

(١١) ينظر: نظريّة العامل: ١٠٦، الهامش٥.

(١٢) الكتاب: ١/ ٣٣- ٣٤.

وكان السيرافيّ (٣٦٨هـ) قد ذكر وجوها في المسند والمسند إليه[١٣]، منها ما هو منسجمٌ مع تصريح سيبويه وتلميحه؛ فقال: "الوجه الرابع: أن يكون المسند هو الأوّلَ على كلّ حال، والمسندُ إليه الثاني على كلِّ حال. فإن كان فعل وفاعل، فالفعل هو المسند، والفاعل هو المسند إليه. وإن كان مبتدأ وخبرا، فالمبتدأ هو المسند، والخبر هو المسند إليه، ويكون المسند والمسند إليه بمنزلة المضاف والمضاف إليه، في أنّ المضاف هو الأوّل، والمضاف إليه هو الثاني؛ وذلك أن معنى الإضافة والإسناد واحد، تقول: (أسندتُ ظهري إلى الحائط)، و(أضفتُ ظهري إليه)" [١٤].

إنّ المسند والمسند إليه عند سيبويه عنصران بنائيّان، يُكشَفُ بهما عن بنية الجملة لا عن محتواها في المقام الأوّل[١٥]، إذ بهما تتكوّن الجملةُ في أقصر مداها الخطّي: (مبتدأ +مبنيّ عليه)، أو (فعل + مرفوعه). وتتكوّن الجملةُ النواة[١٦] من عامل ومعمول. والعاملُ هو عنصر مكوِّن يأتي في أول الجملة الافتراضيّة. والمعمول هو عنصر مكوَّن بالعامل يأتي مباشرا للعمول بحسب الأصل الافتراضيّ للجملة[١٧]. فالمسندُ والمسند إليه مفهومان مرتبطان بالربط العامليّ عند سيبويه، لا بالمضمون القضويّ للجملة، إذ المسند هو العامل الذي تبدأ به الجملة، وبه يرتبط المعمول الأساسيّ (المبنيّ عليه أو مرفوع الفعل). لذا نجد سيبويه في مواضع من كتابه يصف المسند فعلا كان أم مبتدأ؛ بأنّه مبتدأ. فأمّا وصفه المبتدأ بأنّه مبتدأ، فقد ورد في هذا الباب، وهو من باب تحصيل الحاصل، فلا يحتاج إلى دليل. وأما وصفه الفعل بأنّه مبتدأ، فمنه

---

[١٣] ينظر: شرح كتاب سيبويه: ١/ ١٧٣– ١٧٤.

[١٤] شرح كتاب سيبويه: ١/ ١٧٣– ١٧٤.

[١٥] بعد تطوّر اللسانيّات تطوّرا هائلا وظهورِ لسانيّات ما بعد البنيويّة، صار التركيز على المعنى هو الأساس، وصار النظر إلى النحو من زاوية المبنى موضع نقد شديد. والذي أراه أنّ النحو بمفهومه الضيّق (SYNTAX)، سيظلّ معنيّا بالبنية في المقام الأوّل، بل ينبغي أن يظلَّ كذلك لطبيعةٍ منهجيّةٍ، وإلّا خرج من كونه علما معنيّا بالتركيب إلى مزيج من العلوم التي تعنى بتحليل الخطاب وتداوله. ولا يعني هذا أنّ النحو بمفهومه الضيّق لا يُعنى بالمعنى، بل العكس هو الصحيح، فهو معنيّ بالوظائف النحويّة، وهي معانٍ وأوعية معنويّة، ولا قيمة للمباني إن كانت فارغة من المعنى، فالنحو – إذن– حينما يعنى بالمباني فإنّما ينطلق من المبنى إلى المعنى، بخلاف اللسانيات الدلاليّة والتداوليّة، فإنّها ذات طبيعة منهجيّة تجعلها تسير في اتّجاه معاكس للاتّجاه الذي يسير فيه النحو، فتنطلق من المعنى إلى المبنى. ينظر: نظريّة العامل: ٢٧٩– ٢٨٤.

[١٦] نقصد بـ(الجملة النواة): الجملة في أقصر مدًى خطّيّ، أي: الجملة المكوّنة من (مبتدأ +خبر)، أو (فعل+ مرفوعه)، من دون تكملاتٍ أخرى. ونقابل بها الجملة الموسّعة التي تشتمل على تكملات ووظائف نحويّة أخرى بعد عنصري النواة: المبتدأ والخبر أو الفعل ومرفوعه.

[١٧] ينظر: نظريّة العامل: ١٧.

قولُه: "لأنّ الحدَّ أن الفعلُ مبتدأً إذا عَمِلَ"[18]. وعلى هذا الأساس يكون المسند في تصوّر سيبويه مقولة اسميّةً أو فعليّةً، موضوعةً في أوّل الجملة وضعا أوّليّا لا تحويليّا، لينشأ بها بناءٌ جمليّ؛ والمسند إليه مقولة اسميّة بحسب الأصل، تشكّل معه بالمنسد مقولةَ الجملةِ النواة.

على أنّ الأمر قد اختلف في التصوّر النحويّ السائد بعد سيبويه، فصارت علاقة الإسناد فيه علاقة منطقيّة، لا علاقة ربط عامليّة[19]؛ إذ نُظِرَ "إلى الجملة– كما نظر إليها المناطقة– على أنّها تركيب لغويّ يقومُ على ركنَيْنِ أساسيَّيْنِ، هما الموضوعُ والمحمولُ. ففي قولِنا: (العلمُ نورٌ) تكونُ كلمةُ (العلم) أمرا موضوعا أمامَ العقل، ليحكم عليه حُكما مناسبا؛ لذلك يسمّيه المناطقة والنحاة بالموضوع. وتكونُ كلمةُ (نور) ذلك الحكمَ الذي يتمُّ به معنى التركيب، وتُسمّى عند الفريقَيْنِ بالمحمول"[20].

وفي ضوء النظر إلى الجملة على أنّها قضيّة حمليّة "انحرف التصوّرُ النحويُّ السائدُ بمفهومي المسند والمسند إليه، عمّا كانا عليه في التصوّر السيبويهيّ"[21]، فصار المسند إليه هو الموضوع، أي: "موضوع الكلام المحدَّث عنه"[22]، وصار المسند هو المحمول، أي: "المحدَّث به عن ذلك الموضوع"[23]، وصارتِ العلاقةُ بينهما هي "نُسبة حُكْمٍ إلى اسمٍ إيجابا أو سلبا، كـ(قامَ زيدٌ)، و(ما زيدٌ قائما)" [24].

لقد هيمن هذ التصوّر على النحو السائد "حتّى ظُنَّ أنّه تصوّرٌ سيبويهيٌّ، في حين أنّ الفرق بينه وبين التصوّر السيبويهيّ بعيدٌ جدّا. ففي التصوّر السيبويهيّ كانت علاقةُ الإسنادِ علاقةَ ربطٍ عامليّة، يُحْدِثُها المسندُ بوصفه عاملا ليربط بها المسند إليه بوصفه معمولا، وبذلك تصف علاقةُ الإسنادِ في التصوّر السيبويهيّ الشكلَ البنائيَّ للجملة. أمّا في التصوّر السائد، فعلاقةُ الإسنادِ علاقةٌ منطقيّةٌ حُكْميّةٌ، أي: مرتبطةٌ بقضيّةٍ يُحْكَمُ فيها بشيءٍ على شيءٍ، فالمسندُ هو الحكم، والمسندُ إليه هو المحكوم عليه، والإسنادُ نسبةُ الحكمِ إلى المحكوم عليه"[25]؛ وبذلك تصفُ علاقةُ الإسنادِ في هذا التصوّرِ المضمون المنطقيّ للجملةِ بوصفها "الصورة اللفظيّة للفكرة"[26]

---

[18] الكتاب: ١/ ١٢٠.

[19] ينظر: نظريّة العامل: ١٠٥.

[20] الجملة في ضوء الدراسات اللغويّة الحديثة: ١٤٩.

[21] نظريّة العامل: ١٠٦.

[22] في النحو العربيّ قواعد وتطبيق: ٨٤. وينظر: نظريّة العامل: ١٠٦.

[23] في النحو العربيّ قواعد وتطبيق: ٨٤. وينظر: نظريّة العامل: ١٠٦.

[24] الكواكب الدرّيّة: ٢٨. وينظر: نظريّة العامل: ١٠٦.

[25] نظريّة العامل: ١٠٦– ١٠٧.

[26] في النحو العربيّ قواعد وتطبيق: ٨٣.

لا جملةَ بدون المسندِ والمسند إليه:

إنّ المسند في تصوّر سيبويه عنصر عامليّ منوطٌ به تكوينُ الجملةِ وبناؤها، فيشمل الفعل والمبتدأ؛ والمسندَ إليه عنصر معموليّ مكوَّنٌ بالعاملِ (المسند)، فيشمل: مرفوعُ الفعلِ والمبنيّ على المبتدأ. وبينهما علاقةٌ هي علاقة الإسناد، وهي علاقةُ ربطٍ عامليّة لزوميّة، أي: لا بُدَّ منها لتكوين الجملة، ذلك أنّ البدءَ بالفعلِ يلزم منه جلبُ الفاعل، والبدءَ بالمبتدأ يلزم منه جلبُ المبنيّ عليه؛ وإلّا فلا جملةَ ولا كلامَ. وقد أكّد سيبويه هذه العلاقة بين المسند والمسند إليه وأنّها علاقة لزوميّة بقوله في الباب الذي نتأمّل فيه: "وهما لا يَغْنى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلِّمُ منه بُدًّا"[٢٧]، وقولِه فيه: "فلا بُدَّ للفعل من الاسم؛ كما لم يكن للاسمِ الأوّلِ بُدٌّ من الآخَرِ في الابتداء"[٢٨]، وقولِه في نصّ آخر: "ألا ترى أنّ الفعلَ لا بُدَّ له من الاسم، وإلّا لم يكن كلاما"[٢٩].

ويفضي تصوّر سيبويه إلى "أن المسند والمسند إليه من ألزم الضروريّات لبناء الجملة"[٣٠]. وعلى الرغمِ من أنّ تصوّر سيبويه يختلف عن تصوّر النحويّين الخالفين في شأن طبيعة (المسند) و(المسند إليه)؛ ورثوا عنه ما يفضي إليه تصوّره من حيثيّة أنّه لا جملة ولا كلام بدون مسند ومسند إليه. قال المبرّد (٢٨٥هـ): "هذا باب المسند والمسند إليه: وهما ما لا يستغني كلٌّ واحدٍ من صاحبه. فمِن ذلك: (قام زيدٌ)، والابتداءُ وخبرُه"[٣١]. وقال: "فالابتداءُ نحو: (زيدٌ). فإذا ذكرتَه، فإنّما تذكرُه للسامعِ؛ ليتوقّع ما تُخبرُه به. فإذا قلتَ: (منطلقٌ) أو ما أشبهه، صحَّ معنى الكلام، وكانت الفائدة للسامع في الخبر...؛ لأنّ اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا. وإذا قرنتَها بما يصلُحُ، حَدَثَ معنى، واستغنى الكلامُ"[٣٢].

وقال ابن السرّاج (٣١٦هـ) في معنى أنّ الإسناد ربطٌ عامليٌّ لا بُدَّ منه لتكوين الجملة: "الاسم يعملُ في الاسم على ثلاثة أضرب: الضربُ الأوّلُ أن يُبْنى عليه اسمٌ مثلُه، أو يُبنى على اسمٍ، ويأتلف باجتماعهما الكلامُ ويتمُّ، ويفقدان العواملَ مِن غيرِهما؛ نحو قولِك: (عبدُ اللهِ أخوكَ). فـ(عبدُ اللهِ) مرتفعٌ بأنّه أوّلٌ مبتدأٌ فاقدٌ للعواملِ، ابتدأتَه لتُبني عليه حديثا عنه؛ و(أخوك) مرتفعٌ بأنّه الحديثُ المبنيُّ على الاسمِ الأوّلِ المبتدأِ"[٣٣]، وقال: "واعلم أنّ كلَّ فعلٍ لا يخلو من أن

---

[٢٧] الكتاب: ١/ ٢٣.

[٢٨] الكتاب: ١/ ٢٣.

[٢٩] الكتاب: ١/ ٢١.

[٣٠] ظاهرة الإهمال: ١٤٢.

[٣١] المقتضب: ٤/ ١٢٦.

[٣٢] المقتضب: ٤/ ١٢٦.

[٣٣] الأصول: ١/ ٥٢.

يكون عاملا، وأوّلُ عملِه أن يرفعَ الفاعلَ أو المفعولَ الذي هو حديثٌ عنه؛ نحو: (قامَ زيدٌ)، و(ضُرِبَ عمرٌو). وكلُّ اسمٍ تذكرُه ليَزيدَ في الفائدة بعد أن يستغني الفعلُ بالاسمِ المرفوعِ الذي يكون ذلك الفعلُ حديثا عنه؛ فهو منصوبٌ، ونصبُه لأنّ الكلامَ قد تمَّ قبل مجيئه، وفيه دليل عليه"(٣٤).

وقال أبو عليّ الفارسيّ (٣٧٧هـ) في ما يأتلف به الكلامُ: "فالاسمُ يأتلف مع الاسم، فيكون كلاما مفيدًا، كقولِنا: (عمرٌو أخوك)، و(بِشْرٌ صاحبُك). ويأتلف الفعلُ مع الاسم، فيكون كذلك، كقولنا: (كَتَبَ عبدُ اللهِ)، و(سُرَّ بكرٌ)" (٣٥). وشرح الجرجانيّ (٤٧١هـ) كلامَ الفارسيّ، فقال: "واعلم أنّ معنى الائتلافِ الإفادةُ، وذلك لا يكونُ إلّا بينَ الاسمِ والاسمِ؛ كقولك: (زيدٌ أخوك)، فـ(زيدٌ) مبتدأ، و(أخوك) خبرُه، كلُّ واحدٍ منها اسمٌ. أو بينَ الفعلِ والاسمِ؛ كقولك: (خَرَجَ زيدٌ)، و(سُرَّ بكرٌ)، و(انطلقَ عبدُ اللهِ)، فهذه أفعالٌ، وما بعدها مُخبَرٌ عنه. فالكلامُ لا يخلو من جملتَيْنِ: أحدهما اسميّة كـ(زيدٌ أخوك)، وتُسمّى جملةً من مبتدأ وخبر؛ والثانية فعليّةٌ، كقولك: (خرجَ زيدٌ)، وتُسمّى جملةً من فعل وفاعل. والمقصودُ بالاسميّةِ أن يكونَ الجزءُ الأوّلُ اسما، وبالفعليّةِ أن يكونَ الأوّلُ فعلا"(٣٦).

فهؤلاء النحويّون ومن تلاهم لا يتصوّرون "جملةً لا إسناد فيها. فإذا انعدم الإسنادُ، فلا جملةَ ولا كلام"(٣٧). وعلى وفق هذا التصوّر جعل ابن جنّي (٣٩٢هـ) الكلامَ مشروطا بالاستقلالِ بالإفادةِ، فقال: "أمّا الكلامُ، فكلُّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسِه، مفيدٍ لمعناه، وهو الذي يُسمِّيه النحويّونَ الجملَ؛ نحو: (زيدٌ أخوك)، و(قامَ محمّدٌ)، و(ضُرِبَ سعيدٌ)" (٣٨). وقال: "فكلُّ لفظٍ استقلَّ بنفسِه، وجنيتَ منه ثمرةَ معناه؛ فهو كلامٌ"(٣٩). وقال الزمخشريّ (٥٣٨هـ): "والكلامُ هو المركّب من كلمتَيْنِ أُسنِدَتْ إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتّى إلّا في اسمَيْنِ، كقولك: (زيدٌ أخوك)، و(بِشرٌ صاحبُك)؛ أو في فعل واسم، نحو قولك: (ضُرِبَ زيدٌ)، و(انطلقَ بكرٌ)، وتسمّى الجملة"(٤٠).

وإذا كان الزمخشريّ قد سوّى بين الكلامِ والجملة، فإنّ نحويّين آخرينَ يميزون أحدهما من

---

(٣٤) الأصول: ١/ ٥٤.
(٣٥) الإيضاح العضدي: ٩.
(٣٦) المقتصد: ٩٣.
(٣٧) ظاهرة الإهمال: ١٤٢.
(٣٨) الخصائص: ١/ ١٧.
(٣٩) الخصائص: ١/ ١٧.
(٤٠) المفصّل في علم العربيّة: ٣٢.

الآخر؛ كالرضيّ (٦٨٦هـ) الذي قال: "والفرقُ بينَ الجملةِ والكلامِ: أنّ الجملة ما تضمّن الإسناد الأصليّ[٤١]، سواء أكانت مقصودة لذاتها[٤٢] أو لا[٤٣]... والكلامُ ما تضمّن الإسناد الأصليّ، وكان مقصودا لذاته. فكلُّ كلامٍ جملة، ولا ينعكس"[٤٤]؛ وكابن هشام (٧٦١هـ) الذي قال: "الكلامُ: هو اللفظ المفيد بالقصد. والمراد بالمفيد: ما دلّ على معنى يحسُن السكوتُ عليه. والجملة: عبارة عن الفعل وفاعله، كـ(قام زيدٌ)؛ والمبتدأ وخبره، كـ(زيدٌ قائمٌ)؛ وما كان بمنزلة أحدهما، كـ(ضُرِبَ اللصُّ)، و(أقائمٌ الزيدانِ)، و(كان زيدٌ قائما)، و(ظننتُه قائما). وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفَيْنِ كما يتوهّمه كثيرٌ من الناس، وهو ظاهرُ قولِ صاحبِ المفصّل؛ فإنّه بعدَ أن فرغ من حدِّ الكلام، قال: (ويُسمّى الجملة). والصوابُ أنّها أعمُّ منه؛ إذ شرطُه الإفادةُ، بخلافها؛ ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكلُّ ذلك ليس مفيدا، فليس كلاما"[٤٥].

ويبدو "التفريقُ بين الكلامِ والجملةِ مُلحًّا على الوجه الذي ذكره ابنُ هشام؛ في طائفة من الأساليب التي تتجرّد فيها الجملةُ من فائدتها، فلا يحسن السكوتُ عليها، كأسلوب الشرط المتكوّن من جملتَيْنِ: الأولى شرطيّة، والثانية جوابيّة، نحو: (إنْ تدرسْ تنجحْ)، فجملة (تدرس) لا تتمّ بها الفائدة وحدها، كذلك جملة (تنجح). والقولُ نفسه يمكن إجراؤه على جملة صلة الموصول، نحو: (الذي ينامُ مُبكِّرًا هو أخي)، فجملة (ينامُ مُبكِّرًا) في الأسلوب الواردةِ فيه لا تتمُّ بها الفائدة. ومع هذا كلُّ وحدةٍ تركيبيّة في الشرط، أو في الصلة، أو غيرهما من الأساليب المشابهة؛ يصدق عليها حدُّ الجملةِ الذي ذكره ابن هشام والرضيّ، ولا يصدق عليها حدُّ الكلامِ. أقول: يصدق عليها حدّ الجملة؛ لتوفّر عنصر الإسناد فيها إمّا بين فعل وفاعل وإمّا بين مبتدأ وخبر، أمّا الفائدة فليس من شروط الجملة أن تفيد، ولهذا لم ينطبق حدُّ الكلامِ على كلِّ وحدةٍ إسناديّة تركيبيّة من الوحدات المشارِ إليها، فهي جُمَلٌ وليست كلاما. أمّا نحو: (قام زيدٌ)، و(محمّدٌ صديقي)، فكلُّ وحدةٍ تركيبيّةٍ منها يصدق عليها حدُّ الكلامِ للإفادة، وحدُّ الجملةِ للإسناد، مع ملاحظة أنّ الإفادة

---

[٤١] يقصد بالإسناد الأصليّ: الإسناد الحاصل بين الفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر. ويقابله الإسناد غير الأصليّ، وهو الحاصل بين المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبّهة؛ ومرفوعها. ينظر: شرح الرضي على الكافيّة: ١/ ٣٢. وبالأوّل تتحصّل الجملة، وبالثاني تتحصّل عبارةٌ لا جملة كعبارةِ (الظالمِ أهلُها) من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾. النساء: ٧٥.

[٤٢] كجملة: (محمدٌ كريمٌ)، أو (كَرُمَ محمّدٌ).

[٤٣] كالجملةِ الواقعةِ خبرا، أو حالا، أو صفةً، أو صلةً، أو جوابَ قسمٍ، أو شرطا، أو جواب شرطٍ. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١/ ٣٢- ٣٣.

[٤٤] شرح الرضي على الكافية: ١/ ٣٣.

[٤٥] المغني: ٥/ ٧- ٨.

مشروطة بالإسناد، أي: إنّ الكلامَ يجب أن يكون جملة، ولا يُشترَط في الجملة أن تكون كلامًا. وفي ضوء هذا تُفهَم عبارةُ الرضيّ: (فكلُّ كلامٍ جملةٌ، ولا ينعكس)" [٤٦]؛ وعبارةُ ابن هشام مائزا "الجملةَ من الكلامِ: (والصواب أنّها أعمُّ منه)" [٤٧]، مع ملاحظة ما يأتي[٤٨]:

١- الجملةُ أعمُّ من الكلامِ "من حيثُ الإفادةُ وعدمُها، فالجملة تكون مفيدةً، وتكونُ غيرَ مفيدةٍ، في حين لا يكون الكلامُ إلّا مفيدا؛ لذا كان أخصَّ من الجملةِ، والجملةُ أعمَّ منه. أمّا من حيثُ الوحداتُ التركيبيّة، فالجملة وحدة تركيبيّة واحدة"[٤٩]، والكلامُ قد "يكون جملةً واحدةً، أي: وحدة تركيبيّة واحدة؛ وقد يكون جملتَيْنِ أو أكثر. ومن هذه الزاوية يكون الكلامُ أعمَّ من الجملةِ؛ إذ يتألّف من جملة أو جملتَيْنِ أو أكثر"[٥٠]. قال أبو عليّ الفارسيّ: "ما ائتلف من هذه الألفاظ الثلاثة[٥١] كان كلامًا مستقلًّا، وهو الذي يُسمِّيه أهلُ العربيّةِ الجُمَلَ"[٥٢]. وقد مرّ معنا قول ابن جنّي: "أمّا الكلامُ فكلُّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسه، مفيدٍ لمعناه، وهو الذي يُسمِّيه النحويّون الجُمَلَ"[٥٣]. وكلامُ الفارسيّ وابن جنّي "صريحٌ في أنّ الكلامَ يتألّف من عددٍ[٥٤] من الجمل"[٥٥]، وأنّه "قد يكون جملةً واحدة[٥٦]. وهذا أقلُّ ما يتألّف منه الكلام"[٥٧]. ومن هذا الوجه "يكون الكلامُ أعمَّ من الجملةِ، فهو قد يكون جملة أو جملتَيْنِ أو أكثر"[٥٨]، أي: إنّه يصدق على وحدة تركيبيّة واحدة، ويصدق على وحدتَيْنِ أو أكثر،

---

(٤٦) ظاهرة الإهمال: ١٣٩- ١٤٠.

(٤٧) ظاهرة الإهمال: ١٤٠.

(٤٨) ينظر: ظاهرة الإهمال: ١٤٠- ١٤١.

(٤٩) ظاهرة الإهمال: ١٤٠.

(٥٠) ظاهرة الإهمال: ١٤٠.

(٥١) يقصد: الاسم، والفعل، والحرف.

(٥٢) المسائل العسكريّات: ٨٣.

(٥٣) الخصائص: ١/ ١٧. ذهب خليل عمايرة إلى أنّ ابن جنّي جعل الكلامَ رديفَ الجملة، على أنّ المتأمّل في نصّ ابن جنّي يجد أنّه لا يحتمل هذا المذهب، فابن جنّي لم يذهب إلى أنّ الكلامَ هو الجملةُ، بل ذهب إلى أنّ الكلامَ هو الجمل. وهذا مذهبٌ إن لم يُحمل على التفريق بين الكلامِ والجملة؛ فلا يمكن حملُه على التسوية بينهما. ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها: ٧٦. وظاهرة الإهمال: ١٤٠، الهامش٣.

(٥٤) بدليل قولهما: "وهو الذي يُسمِّيه أهلُ العربيّة الجملَ"، و: "وهو الذي يُسمِّيه النحويّون الجملَ).

(٥٥) ظاهرة الإهمال: ١٤٠.

(٥٦) بدليل قول ابن جنّي: "فكلُّ لفظ مستقلٍّ بنفسه، مفيدٍ لمعناه".

(٥٧) ظاهرة الإهمال: ١٤٠.

(٥٨) ظاهرة الإهمال: ١٤٠.

في حين لا تصدق الجملة إلّا على وحدة تركيبيّة واحدة، فهي أخصُّ من الكلامِ من هذا الوجه.

٢- أمّا عبارة الرضيّ: (كلُّ كلامٍ جملةٌ)، فغيرُ دقيقةٍ؛ لأنّ "الكلامَ قد يحتوي على غير جملةٍ، فمثلًا نقول: (القرآنُ كلامُ اللهِ)، و(الشعرُ كلامُ العربِ)" [٥٩]، فضلا على أنّها مردودة بالمنقول "عن الفارسيِّ وابنِ جنّي اللذَيْنِ صرَّحا بأنّ الكلامَ جُمَلٌ، لا جملةٌ واحدة"[٦٠].

٣- في ضوء ما سبق "يمكن القول: إنّ الجملة مفهوم نحويٌّ، يشيرُ إلى العلاقةِ الإسناديّة بين فعلٍ وفاعل، أو مبتدأٍ وخبر، أو ما هو في حكم ذلك"[٦١]، سواءٌ أفادتْ أم لم تفد. والكلامُ "مفهومٌ دلاليٌّ شرطُه الإفادة، ولا يكون الكلامُ مفيدًا إلّا بالإسناد. ولهذا يكون الكلامُ جملةً مفيدةً، أو جملتَيْنِ، أو أكثر. فأسلوب الشرط- على سبيل المثال- كلامٌ؛ لأنّه مفيد، وهو مكوّن من جملتَيْنِ. وجملةُ الشرطِ وحدها جملةٌ؛ لأنّها إسنادٌ نحويٌّ بين فعلٍ وفاعل وإن لم تفد. وقولُنا: (محمّدٌ مجتهدٌ)؛ جملةٌ وكلامٌ؛ لأنّه إسنادٌ نحويٌّ بين مبتدأٍ وخبر، وهو مفيد"[٦٢].

وبالنظر إلى "المسند والمسند إليه؛ قسم النحويّون الجملةَ قسمَيْنِ: فعليّة أو اسميّة"[٦٣]. وحدَّ ابن هشام الجملةَ الفعليّةَ بأنّها "التي صدرُها فعلٌ؛ كـ(قامَ زيدٌ)، و(ضُرِبَ اللصُّ)، و(كانَ زيدٌ قائما)، و(ظننتُه قائما)، و(يقومُ زيدٌ)، و(قُمْ)" [٦٤]؛ والجملةَ الاسميّةَ بأنّها "هي التي صدرُها الاسمُ؛ كـ(زيدٌ قائمٌ)، و(هيهاتَ العقيقُ)، و(قائمٌ الزيدانِ) عند مَن جوَّزه، وهم الأخفش والكوفيّون"[٦٥]. ثُمَّ قال: "مرادُنا بصدرِ الجملةِ المسندُ والمسندُ إليه، فلا عبرة بما تقدّم عليها من الحروفِ. فالجملة من نحو: (أقائمٌ الزيدانِ)، و(أزيدٌ أخوك)، و(لعلّ أباك منطلقٌ)، و(ما زيدٌ قائما)؛ اسميّةٌ. ومن نحو: (أقامَ زيدٌ)، و(إنْ قامَ زيدٌ)، و(قد قامَ زيدٌ)، و(هلّا قمتَ)؛ فعليّةٌ"[٦٦]. وقال: "والمعتبرُ- أيضا- ما هو صدرٌ في الأصل. فالجملة من نحو: (كيفَ جاء زيدٌ)، ومن نحو: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ

---

[٥٩] ظاهرة الإهمال: ١٤١.

[٦٠] ظاهرة الإهمال: ١٤١.

[٦١] ظاهرة الإهمال: ١٤١.

[٦٢] ظاهرة الإهمال: ١٤١.

[٦٣] ظاهرة الإهمال: ١٤٣. على المشهور. وذُكِرَ في أنواع الجمل: الظرفيّة والشرطيّة، ومردُّهما إلى الاسميّة والفعليّة. ينظر: المغني: ٥/ ١٣- ١٤.

[٦٤] المغني: ٥/ ١٣.

[٦٥] المغني: ٥/ ١٣.

[٦٦] المغني: ٥/ ١٥.

تُنْكِرُونَ﴾[٦٧]، ومن نحو: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[٦٨]، و﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[٦٩]؛فعليّةٌ، لأنّ هذه الأسماءَ في نيّةِ التأخيرِ. وكذا الجملةُ في نحو: (يا عبدَ اللهِ)، ونحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[٧٠]، ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾[٧١]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾[٧٢]؛ لأنّ صدورَها في الأصلِ أفعالٌ، والتقديرُ: (أدعو زيدًا)، و(إنْ استجارك أحدٌ)، و(خلقَ الأنعامَ)، و(أقسم بالليل)" [٧٣].

يقومُ التصوّر النحويّ السابق "على افتراض أصلٍ مُقدَّر، وتركيبِ ظاهرٍ منطوقٍ أو مكتوبٍ يُحاكَمُ إلى ذلك الأصلِ المقدَّر، من خلال عددٍ من القواعدِ التي تحكم هذه العلاقةَ"[٧٤]، ولا يمكن في ضوء هذا التصوّر قبول "فكرة وجود جملة غير إسناديّة، أو جملة ذات طرف إسناديّ"[٧٥] واحد؛ على مستوى الأصل. أمّا على مستوى الظاهر، فقد يأتي التركيب الظاهر "مطابقًا للأصل المتصوّر"[٧٦]؛ فيذكر في التركيب المسندُ والمسندُ إليه، وقد يأتي بحذف أحدهما، فيلزمُ تقدير المحذوف؛ ليوافق الأصل، وينسجم معناه ومبناه، وقد تكون أصولٌ تركيبيّة لا يجوز استعمالها إلّا مختزَله، فأصولها افتراضيّة لا مستعملة كما هو الحال في النداء.

لقد نظر النحويّون "إلى أسلوب النداء، فوجدوه نمطا مخالفا في استعماله للجملة الأصل، فذهبوا إلى أنّ المنادى منصوبٌ بفعلٍ غيرِ مستعملٍ، أعانهم على ذلك ظهور الفتحةَ في آخر المنادى المعرب، وجعلوا المضموم مبنيّا في محل نصبٍ. وكان ذلك صنيعهم في كلّ العبارات المستعملة التي تخالف نمط الجملة الأصل، كالتحذير والإغراء، والاختصاص"[٧٧]. قال

---

(٦٧) غافر: ٨١.
(٦٨) البقرة: ٨٧.
(٦٩) القمر: ٧.
(٧٠) التوبة: ٦.
(٧١) النحل: ٥.
(٧٢) الليل: ١.
(٧٣) المغني: ٥/ ١٥– ١٦.
(٧٤) من الأنماط التحويليّة في النحو العربيّ: ٥.
(٧٥) ظاهرة الإهمال: ١٤٤. وفي مفهوم الجملة غير الإسناديّة؛ ينظر: دراسات نقديّة في النحو العربيّ: ١٢٩. ويسمّيها برجشتراسر: أشباه الجمل. ينظر: التطوّر النحويّ: ١٢٥، فما بعدها. وفي مفهوم الجملة ذات الطرف الإسناديّ الواحد؛ ينظر: أصول النحو العربيّ: ٢١٧.
(٧٦) ظاهرة الإهمال: ١٤٤.
(٧٧) ظاهرة الإهمال: ١٦٧.

سيبويه: "اعلم أنّ النداءَ: كلُّ اسم مضاف فيه، فهو نصبٌ على إضمار الفعلِ المتروكِ إظهارُه، والمفردُ رفعٌ وهو في موضع اسمٍ منصوب"(٧٨). ومقتضى كلام سيبويه "أنّ النداءَ نمطٌ محوّلٌ من أصلٍ مفترَضٍ هو فعل وفاعل ومفعول"(٧٩)، لكنّ هذ الأصل لا يظهر أبدًا على مستوى الاستعمال.

الاسم أوّل أحواله الابتداء:

قال سيبويه في الباب الذي نحن بشأن التأمّل فيه: "واعلم أنّ الاسمَ أوّلُ أحوالِه الابتداء. وإنّما يدخلُ الناصبُ والرافعُ سوى الابتداء والجارُّ على المبتدأ. ألا ترى أنّ ما كان مبتدأً قد تدخلُ عليه هذه الأشياءُ حتّى يصير غير مبتدأٍ، ولا تصلُ إلى الابتداءِ ما دامَ مع ما ذكرتُ لك، إلّا أن تدعَه. وذلك أنّك إذا قلتَ: (عبدُ اللهِ منطلقٌ)، إنْ شئتَ أدخلتَ (رأيتُ) عليه؛ فقلتَ: (رأيتُ عبدَ اللهِ منطلقًا)، أو قلتَ: (كانَ عبدُ اللهِ منطلقًا)، أو (مررتُ بعبدِ اللهِ منطلقًا). فالمبتدأُ أوّلُ جزءٍ، كما كان الواحدُ أوّلَ العددِ، والنكرةُ قبلَ المعرفةِ"(٨٠).

ولعلّ من مقتضيات هذا النصّ أنّ سمةَ الرفعِ في المبتدأ سمةٌ قبليّة فيه، لغير عاملٍ أحدثها. فالمبتدأ في تصوّر سيبويه عاملٌ في غيره، غيرُ معمولٍ فيه. هكذا تصوّر سيبويه

---

(٧٨) الكتاب: ٢/ ١٨٢.

(٧٩) ظاهرة الإهمال: ١٦٩.

(٨٠) الكتاب: ١/ ٢٣– ٢٤. واستنتج غالب المطّلبيّ من هذا النصّ: "وجود ظاهرة إعرابيّة قبليّة في الأسماء، تكون فيها قبل دخولها في البنية النحويّة، وقبل تعرّضها للعوامل المختلفة". قال: "فقد ذهب سيبويه إلى أنّ الأسماء كانت مشتملةً على مظهر إعرابيّ، وهو أصل فيها قبل أن تدخلَ في البنية النحويّة، وهو الرفع، وهو عنده لا يكون لعاملٍ داخلٍ على تلك الأسماء، بل هو سمةٌ مقوليّة (Categorial Feature) أصليّة فيها". ظاهرة الإعراب: ١٣٧. وهذا استنتاج جديرٌ بالتأمّل، ويشهدُ له أنّ سيبويّه جعلَ أوّليّةَ المبتدأ كأوّليّة الواحد بالنسبة لغير الواحد، وكأوّلية النكرة بالنسبة للمعرفة. ولا شكّ أنّ الواحد قبل الجمع، لإنّ الجمع تصريفٌ، والواحدُ سمةٌ في الاسم قبل التصريف. وكذلك النكرة سمةٌ قبليّة في الاسم قبل التعريف الذي يكون بلاصقة صرفيّة في العربيّة. وكان سيبويه قد ذكر شيئا من السمات القبليّة في الأسماء، في باب آخر من أبواب المقدّمة، فقال: "واعلم أنّ النكرةَ أخفُّ عليهم من المعرفةِ، وهي أشدُّ تمكّنا؛ لأنّ النكرة أوّلُ، ثُمَّ يدخل عليها ما تُعَرَّفُ به. فمِن ثَمَّ أكثرُ الكلامِ ينصرف في النكرة". الكتاب: ١/ ٢٢. وقال: "واعلم أنّ الواحد أشدُّ تمكّنا من الجميع، لأنّ الواحد الأوّل، ومِن ثَمَّ لم يصرفوا ما جاء من الجميع، على مثالٍ ليس يكون للواحد، نحو: (مساجدَ)، و(مصابيحَ)". الكتاب: ١/ ٢٢. وقال: "واعلم أنّ المذكّر أخفُّ عليهم من المؤنّث؛ لأنّ المذكّرَ أوّلُ، وهو أشدُّ تمكّنا. وإنّما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أنّ (الشيء) يقع على كلِّ ما أُخْبِرَ عنه، مِن قَبْلِ أن يُعْلَمَ أذكرٌ هو أو أنثى، والشيءُ ذَكَرٌ". الكتاب: ١/ ٢٢. وهذه السمات هي مظاهر خفّة وأصالة في الاسم؛ لذا قال: "واعلم أنّ بعضَ الكلامِ أثقلُ من بعضٍ، فالأفعال أثقلُ من الأسماءِ؛ لأنّ الأسماء هي الأولى، وهي أشدُّ تمكّنا". الكتاب: ١/ ٢٠.

العوامل الرئيسة، وهي "العواملُ التي تُكَوِّنُ الجملةَ، وتَجْلِبُ عناصرها الأخرى؛ فلا تكون جملةٌ بدون عاملٍ منها. وهذا يشمل الفعل والمبتدأ"[٨١]. وبالفعلِ تتكوّن الجملة الفعليّة، وهي جملة مفتوحة المدى؛ لأنّ الفعل يجلِب عددا كبيرا من المعمولات. وبالمبتدأ تتكوّن الجملة الاسميّة، وهي جملة قصيرة المدى؛ لأنّ المبتدأ لا يجلِب إلّا معمولا واحدا، هو المبنيّ عليه. والعنصر الجالبُ هو العامل، والعنصر المجلوب هو المعمول. وتحتوي الجملةُ على عنصر عامليّ، وعناصرَ أخرى معمولةٍ. ولا يوجد في الجملةِ عنصرٌ هو عاملٌ ومعمول في الآنِ نفسه، إلّا في حال الازدواج الوظيفيّ، كما في: (زيدٌ كاتبٌ رسالةً)، فـ(كاتب) معمول المبتدأ؛ لأنّه مبنيٌّ عليه ومجلوبٌ به، وهو عاملٌ في (رسالة)؛ لأنّها مفعوله، لكنّه لم يعمل فيها من جهة كونه خبرًا، بل من جهةٍ أخرى، هي ما فيه من معنى (يكتبُ). فـ(كاتب)– إذن– معمول من جهةٍ، وعاملٌ من جهةٍ أخرى، وهذا هو الازدواج الوظيفيّ[٨٢].

وهذا يعني أنّ الابتداء في الكتاب لا يضربُ إلى مفهوم العامل المعنويّ الذي شاع في المدوّنات اللاحقة التي تنطلقُ من تصوّر فلسفيّ للعامل[٨٣]، يجعل وظيفتَه النحويّةَ محصورةً "في إحداثِ العلامةِ الإعرابيّةِ حسبُ، إذ لوحظ أنّ المبتدأ مرفوعٌ، معَ أنّه عارٍ من العواملِ اللفظيّة التي يُمكنُ أن يُعزى إليها رفعُه؛ فقيلَ بالعاملِ المعنويّ: الابتداءِ، الذي يُقصَدُ منه: التجرّد عن العوامل اللفظيّة"[٨٤]. فمثلُ هذا التصوّر بعيدٌ عن تصوّراتِ صاحب الكتاب في شأن الابتداء.

إنّ الابتداء يرد في كتاب سيبويه على وفق الاستعمال الآتي[٨٥]:

١- الابتداء: بمعنى "وضعِ الكلمةِ في أوّل الجملة؛ سواء أكانت اسما، أم فعلا، أم حرفا"[٨٦]. قال سيبويه: "فـ(حتّى) تجري مجرى الواو و(ثُمَّ)، وليستْ بمنزلة (أمّا)؛ لأنّها إنّما تكون على الكلام الذي قبلها، ولا تُبْتَدأ"[٨٧]، أي: "لا توضع في أوّلِ الكلامِ"[٨٨]. وقال: "وتقول: (أينَ تُرى عبدَ اللهِ قائما)، و(هل تُرى زيدا ذاهبا)؛ لأنّ (هل) و(أينَ) كأنّك

---

(٨١) نظريّة العامل: ٣٠.

(٨٢) ينظر التفصيل في: نظريّة العامل: ٣١- ٦٨، و١٣٥.

(٨٣) ينظر: ظاهرة الإعراب: ١٤٠.

(٨٤) نظريّة العامل: ٦١. وينظر: الإنصاف: ١/ ٤٦، وشرح الرضي على الكافية: ١/ ٢٢٧.

(٨٥) ينظر: نظريّة العامل: ٦٢- ٦٥.

(٨٦) نظريّة العامل: ٦٢.

(٨٧) الكتاب: ١/ ٩٦.

(٨٨) نظريّة العامل: ٦٢.

لم تذكرهما؛ لأنّ ما بعدهما ابتداءٌ"[89]، أي: لأنّ الفعل (تُرى) مجعولٌ في ابتداء الجملة. وقال: "وكان الأصل فيها أن يُبتَدأ بالفعل قبل الاسم"[90]، أي: "يوضع في أوّل الكلام"[91].

٢- الابتداء: بمعنى "عدِّ الاسم في التحليل الجُمْليِّ؛ مبتدأً اصطلاحيّا. وهذا هو الاستعمال الغالب في الكتاب"[92]. قال سيبويه: "ولا بُدَّ لـ(وَيْحٍ) [93] مع قبحها مِن أن تُحمَل على (تَبٍّ)؛ لأنّها إذا ابتُدِئتْ لم يجز حتّى يُبنى عليها كلامٌ"[94]، أي: "إذا جُعِلَتْ مبتدأً نحويًّا"[95]. وقال: "وممّا يدلُّك- أيضا- على أنّه على الفعلِ نُصِبَ؛ أنّك لم تذكر شيئا من هذه المصادر، لِتَبْنيَ عليه كلاما، كما يُبنى على (عبد الله) إذا جعلتَه مبتدأً"[96]، أي: إذا جعلتَ (عبد الله) في مجال المبتدأ النحويّ[97]. وقال: "وتقول: (أزيدٌ أن يَضْرِبَه عمرٌو أَمْثَلُ أم بِشْرٌ)، كأنّه قال: (أزيدٌ ضَرْبُ عمرٍو إيّاه أمثلُ أم بشرٌ)، فالمصدرُ مبتدأ، و(أمثلُ) مبنيٌّ عليه، ولم يُنْزَلْ منزلةَ (يَفْعلُ)، فكأنّه قال: (أزيدٌ ضاربُه خيرٌ أم بشرٌ)؛ وذلك لأنّك ابتدأتَه، وبنيتِ عليه، فجعلتَه اسما"[98]، أي: لأنّك جعلتَ المصدر المؤوّل (أن يضرب) في مجال المبتدأ النحويّ. وقال: "وإذا قلتَ: (أزيدٌ إن يأتِكَ تضربْه)، فليس تكون الهاءُ إلّا لـ(زيد)، ويكون الفعلُ الآخِرُ جوابا للأوّلِ. ويدلّك على أنّها لا تكون إلّا لـ(زيد)؛ أنّك لو قلتَ: (أزيدٌ إن تأتِكَ أمةُ اللهِ تضربْها)، لم يجز؛ لأنّك ابتدأتَ (زيدا)، ولا بُدَّ من خبرٍ، ولا يكون ما بعده خبرا له حتّى يكون فيه ضميرُه"[99]، أي: "لأنّك جعلتَ (زيدا) مبتدأً نحويّا"[100]، خبرُه جملةٌ؛ فلا بُدَّ أن تشتمل على ضميرٍ عائدٍ على المبتدأ. وقال: "فلما كان قبيحا عندهم؛ أن يذكروا الاسم بعد (أنْ)، ويبتدئوه بعدها؛ كقبح (كي عبدُ اللهِ يقولَ ذاك)؛

---

(89) الكتاب: ١/ ١٢١.

(90) الكتاب: ١/ ١٣٧.

(91) نظريّة العامل: ٦٣.

(92) نظريّة العامل: ٦٣.

(93) إذا قيل: (تبٌّ له وويحٌ).

(94) الكتاب: ١/ ٣٣٤.

(95) نظريّة العامل: ٦٣.

(96) الكتاب: ١/ ٣١٢.

(97) ينظر: نظريّة العامل: ٦٣.

(98) الكتاب: ١/ ١٣١.

(99) الكتاب: ١/ ١٣٥.

(100) نظريّة العامل: ٦٣.

حملوه على الفعل"[١٠١]، أي: "قَبُح أن يُجعَلَ الاسمُ مبتدأً نحويّا بعد (أنْ)" [١٠٢]. وقال: "ولـ(إذا) موضعٌ آخر، يحسُن ابتداءُ الاسمِ بعدها فيه. تقول: (نظرتُ فإذا زيدٌ يضربُه عمرٌو)؛ لأنّك لو قلتَ: (نظرتُ فإذا زيدٌ يذهبُ)، لَحَسُنَ. وأمّا (إذْ)، فيحسُنُ ابتداءُ الاسمِ بعدها. تقولُ: (جئتُ إذْ عبدُ اللهِ قائمٌ)" [١٠٣]، أي: "يحسُنُ جعلُ الاسمِ مبتدأ نحويّا"[١٠٤] بعد (إذا) الفجائيّة، و(إذْ) الظرفيّة.

٣- الابتداء: بمعنى "المبتدأ الاصطلاحيّ نفسه"[١٠٥]. ويضربُ تصوّرُ سيبويه إلى أنّ المبتدأ الاصطلاحيّ عنده؛ هو: عنصرٌ اسميٌّ موضوعٌ "في أوّل الجملةِ، وضعا أوّليّا، لا تحويليّا؛ لينشأ به بناءٌ جُمْليٌّ"[١٠٦]. قال سيبويه: "فهذا كلُّه ينتصبُ انتصابَ (إنّي وزيدًا منطلقانِ)، ومعناهنَّ (معَ)؛ لأنّ (إنّي)- ههنا- بمنزلةِ الابتداء، ليستْ بفعلٍ، ولا اسمٍ بمنزلةِ الفعلِ"[١٠٧]، أي: "(إنّي) بمنزلة المبتدأ النحويّ"[١٠٨]. وقال: "ولا يجوز أن تقول: (زيدًا هل رأيتَ)، إلّا أن تريدَ معنى الهاء على ضعفه. فترفعُ؛ لأنّك قد فصلتَ بين المبتدأ وبين الفعل، فصار الاسمُ مبتدأً، والفعلُ بعد حرف الاستفهامِ. ولو حسُنَ هذا أو جازَ، لقلتَ: (قد علمتُ زيدٌ كم ضُرِبَ)، ولقلتَ: (أرأيتَ زيدٌ كم مرّةً ضُرِبَ)، على الفعل الآخِر. فكما لا تجدُ بُدًّا من إعمالِ الفعلِ الأوّلِ، كذلك لا تجدُ بُدًّا من إعمال الابتداء؛ لأنّك إنّما تجيء بالاستفهام بعد ما تفرُغُ من الابتداء[١٠٩]، أي: "لا بُدَّ من إعمال المبتدأ في الجملة التي تقع بعده متصدِّرةً باستفهام، إذا قيل: (زيدٌ هل رأيتَه)؛ لأنّك إنّما تجيء بالجملة المتصدِّرة بالاستفهام بعد ما تذكر المبتدأ"[١١٠]، وهو طالبٌ المبنيَّ عليه، وهذه الجملة هي المبنيُّ عليه. فمقصودُ سيبويه بالابتداء هنا "المبتدأُ النحويُّ"[١١١]. وقال: "هذا بابٌ لا يكونُ فيه إلّا إلّا الرفعُ: وذلك قولُك: (صوتُه صوتُ حمارٍ)، و(تلويحُه تضميرُك السابقَ)، و(وَجْدي بها

---

[١٠١] الكتاب: ١/ ٢٩٤.
[١٠٢] نظريّة العامل: ٦٣- ٦٤.
[١٠٣] الكتاب: ١/ ١٠٧.
[١٠٤] نظريّة العامل: ٦٤.
[١٠٥] نظريّة العامل: ٦٤.
[١٠٦] نظريّة العامل: ٥٦.
[١٠٧] الكتاب: ١/ ٣٠٢.
[١٠٨] نظريّة العامل: ٦٤.
[١٠٩] الكتاب: ١/ ١٢٧- ١٢٨.
[١١٠] نظريّة العامل: ٦٤.
[١١١] نظريّة العامل: ٦٤.

وَجْدُ الثكلى)؛ لأنّ هذا ابتداءٌ، فالذي يُبنى على الابتداء بمنزلة الابتداء"[١١٢]، أي: لأنّ هذا مبتدأ، و"الذي يُبنى على المبتدأ بمنزلة المبتدأ"[١١٣].

على هذا النحو يجري مفهوم الابتداء "في كتاب سيبويه، فيرد بمعنى وضعِ الكلمة في أوّل الجملة، أو بمعنى عدِّ الاسمِ مبتدأً اصطلاحيّا في التحليل الجُمْليِّ، أو بمعنى المبتدأ الاصطلاحيّ"[١١٤] في تصوّر سيبويه.

وما جاء في الكتاب موهما أنّ الابتداء عاملٌ معنويٌّ رافعٌ للمبتدأ عند سيبويه؛ يمكن "ردُّه بيُسْرٍ إلى واحدٍ من الاستعمالات الثلاثة"[١١٥] المذكورةِ آنفا. من ذلك قولُه: "هذا باب ما ينتصبُ فيه الخبر[١١٦]؛ لأنّه خبرٌ لمعروفٍ يرتفع بالابتداء، قدّمتَه أو أخّرتَه. وذلك قولُك: (فيها عبدُ اللهِ قائما)، و(عبدُ اللهِ فيها قائما). فـ(عبدُ اللهِ) ارتفع بالابتداء"[١١٧]؛ وقولُه: "هذا باب ما يجري ممّا يكون ظرفا هذا المجرى. وذلك قولُك: (يومُ الجمعةِ ألقاكَ فيه)، و(أقلُّ يومٍ لا ألقاكَ فيه)، و(أقلُّ يومٍ لا أصومُ فيه)، و(خطيئةُ يومٍ لا أصيدُ فيه)، و(مكانُكم قمتُ فيه). فصارتْ هذه الأحرفُ ترتفعُ بالابتداء كارتفاعِ (عبد الله)، وصار ما بعدها مبنيّا عليها"[١١٨]؛ وقولُه: "ومِن ثَمَّ قالوا: (حسبُك وزيدًا)، لمّا كانَ فيه معنى (كفاكَ)... كما أنّ (حسبُك) يرتفع بالابتداءِ وفيه معنى (كفاكَ)" [١١٩]؛ وقولُه: " وتقول: (أمّا زيدٌ فسلامٌ عليه)، و(أمّا الكافرُ فلعنةُ الله عليه)؛ لأنّ هذا ارتفع بالابتداءِ"[١٢٠]؛ وقولُه: "وقد يكون في الأمر والنهي أن يُبنى الفعلُ على الاسم. وذلك قولُك: (عبدُ اللهِ اضْرِبْه)، ابتدأتَ (عبد الله)، فرفعتَه بالابتداءِ، ونبّهتَ المخاطَبَ له؛ لِتُعرِّفَه باسمه، ثُمّ بنيتَ الفعلَ عليه كما فعلتَ ذلك في الخبر"[١٢١].

فعباراتُ سيبويه: (يرتفع بالابتداء)، و(ارتفع بالابتداء)، و(ترتفع بالابتداء)، و(رفعتَه بالابتداء)؛ إنّما يُفهَمُ منها أنّ المبتدأ مرفوع من حيثُ كونُه مبتدأً، ولا تضربُ إلى "أنّ الابتداءَ

---

[١١٢] الكتاب: ١/ ٣٦٦.

[١١٣] نظريّة العامل: ٦٤.

[١١٤] نظريّة العامل: ٦٤- ٦٥.

[١١٥] نظريّة العامل: ٦٥.

[١١٦] يقصد بالخبر- هنا- الحال. ويسمّي سيبويه الحالَ حالا إذا كان في وادر تحليل الشكلِ البنائيّ للجملة، وخبرا إذا كان في وادر تحليل محتواها المضمونيّ.

[١١٧] الكتاب: ٢/ ٨٨.

[١١٨] الكتاب: ١/ ٨٤.

[١١٩] الكتاب: ١/ ٣١٠.

[١٢٠] الكتاب: ١/ ١٤٢.

[١٢١] الكتاب: ١/ ١٣٨.

عاملٌ معنويّ، تسلّط على المبتدأ، فأحدث فيه الرفعَ. فالابتداءُ- هنا- ليس ذلك العاملَ المعنويَّ المألوفَ في مدوّنات النحويّين اللاحقين، بل هو المكانُ النحويُّ الخاصُّ بالمبتدأ. فهو- إذن- يَمُتُّ بصلة إلى الاستعمالات الثلاثة السابقة، وبخاصّة ثانيها الذي يعني جعلَ الاسمِ مبتداً نحويًّا بوضعه في مكان الابتداء الخاصِّ به"[١٢٢].

الخاتمة:

إنّ (باب المسندِ والمسند إليه) من أهمّ أبواب مقدّمة الكتاب، فعليه بُنِيَتْ تصوّرات سيبويه في شأن الجملةِ تكوينا، وتكوُّنا، وربطا، وارتباطا. ويقصد سيبويه بالمسند الفعلَ والمبتدأَ، أي: العنصر النحويّ الذي تبدأ به الجملة في أصلها الافتراضيّ، ويكون مسؤولا عن تحديد نوعها (فعليّة أو اسميّة)، ومنوطا به بناؤها؛ لأنّه جالبٌ لغيره من عناصرها الأخرى (المعمولات).

ويقصد بالمسند إليه: مرفوعَ الفعلِ أو الخبرَ، أي: العنصر النحويّ المجلوبُ بالفعل، أو بالمبتدأ.

يظهر من تصوّر سيبويه أنّ المسند والمسند إليه عنصران بنائيّان، يُكشَفُ بهما عن بنية الجملة لا عن محتواها في المقام الأوّل، إذ بهما تتكوّن الجملةُ في أقصر مداها الخطّي: (مبتدأ +مبنيّ عليه)، أو (فعل+ مرفوعه). فهما مفهومان مرتبطان بالربط العامليّ عند سيبويه، لا بالمضمون القضويّ للجملة، إذ المسند هو العامل الذي تبدأ به الجملة، وبه يرتبط المعمول الأساسيّ (المبنيّ عليه أو مرفوع الفعل). لذا نجد سيبويه في مواضع من كتابه يصف المسند فعلا كان أم مبتدأ؛ بأنّه مبتدأ، فضلا على أنّه صرّح بأنّ المبتدأ مسند، والمبنيّ عليه مسندٌ إليه. وعلى هذا الأساس يكون المسند في تصوّر سيبويه مقولة اسميّةً أو فعليّةً، موضوعةً في أوّل الجملة وضعا أوّليًا لا تحويليًا، لينشأ بها بناءٌ جمليّ؛ والمسند إليه مقولة اسميّة بحسب الأصل، تنضمُّ إلى المنسد، وتشكّل معه مقولةَ الجملةِ النواة.

على أنّ الأمر قد اختلف في التصوّر النحويّ السائد بعد سيبويه، فصارت علاقة الإسناد فيه علاقة منطقيّة، لا علاقة ربط عامليّة؛ إذ نُظِرَ إلى الجملة- كما نظر إليها المناطقة- على أنّها تركيب لغويّ يقومُ على ركنَيْنِ أساسيَّيْنِ، هما الموضوعُ والمحمولُ. فصار المسند إليه هو الموضوع، أي: موضوع الكلام المحدَّث عنه، وصار المسند هو المحمول، أي: المحدَّث به عن ذلك الموضوع، وصارتِ العلاقةُ بينهما هي: نُسبة حُكْمٍ إلى اسمٍ إيجابا أو سلبا. وهيمن هذ التصوّر على النحو السائد حتّى ظُنَّ أنّه تصوّرٌ سيبويه، في حين أنّ الفرق بينه وبين تصوّر السيبويه بعيدٌ جدّا.

---

[١٢٢] نظريّة العامل: ٦٥- ٦٦.

يفضي تصوّر سيبويه إلى أن المسند والمسند إليه، من ألزم الضروريّات لبناء الجملة. وعلى الرغمِ من أنّ تصوّر سيبويه يختلف عن تصوّر النحويّين الذين جاؤوا بعده في شأن طبيعة (المسند) و(المسند إليه)؛ وافقوه على حيثيّة أنّه لا جملة ولا كلام بدون مسند ومسند إليه، فهم جميعا لا يتصوّرون جملةً لا إسناد فيها. فإذا انعدم الإسنادُ، فلا جملةَ ولا كلام. وعلى وفق هذا التصوّر جعلوا الكلامَ – الذي يرادف الجملةَ عند كثير منهم – مشروطا بالاستقلالِ بالإفادةِ. ومَنْ ماز الجملة مِن الكلام، جعل شرَطها الإسنادَ، وشرطَه الإسناد والإفادة. ويقومُ هذا التصوّر النحويّ على افتراض أصلٍ مُقدَّر، وتركيبِ ظاهرٍ منطوقٍ أو مكتوبٍ يُحاكَمُ إلى ذلك الأصلِ المقدَّر، من خلال عددٍ من القواعدِ التي تحكم هذه العلاقةَ. ومن المستحيل في ضوء هذا التصوّر قبول فكرة الجملة غير الإسناديّة، أو الجملة ذات طرف إسناديّ واحد؛ على مستوى الأصل. أمّا على مستوى الظاهر، فقد يأتي التركيب الظاهر مطابقًا للأصل المتصوّر؛ فيذكر في التركيب المسندُ والمسندُ إليه، وقد يأتي بحذف أحدهما، فيلزمُ تقدير المحذوف؛ ليوافق الأصل، وينسجم معناه ومبناه، وقد تكون أصولٌ تركيبيّة لا يجوز استعمالها إلّا مختزَله، فأصولها افتراضيّة لا مستعملة كما هو الحال في أسلوب النداء الذي نظر إليه النحويّون، فوجدوه نمطا مخالفا في استعماله للجملة الأصل، فذهبوا إلى أنّ المنادى منصوبٌ بفعلٍ غيرِ مستعملٍ، أعانهم على ذلك ظهور الفتحةَ في آخر المنادى المعرب، وجعلوا المضموم مبنيّا في محل نصبٍ. وكان ذلك صنيعهم في كلّ العبارات المستعملة التي تخالف نمط الجملة الأصل، كالتحذير والإغراء، والاختصاص. ومقتضى كلامهم في هذه الأنماط المختزَلة أنّها محوّلَة من أصلٍ مفترَضٍ هو فعل وفاعل ومفعول، لكنّ هذ الأصل لا يظهر أبدًا على مستوى الاستعمال النحويّ.

يفضي التأمّلُ في تصوّرات سيبويه إلى أنّ الرفع سمةٌ قبليّة في المبتدأ، لغير عاملٍ أحدثها. فالمبتدأ في تصوّر سيبويه عاملٌ في غيره، غيرُ معمولٍ فيه. وعلى هذا، لا يُشيرُ مفهوم (الابتداء) في الكتاب إلى ذلك العامل المعنويّ الذي شاع في المدوّنات اللاحقة التي تنطلقُ من تصوّر فلسفيّ للعامل، يجعل وظيفتَه النحويّةَ محصورةً في إحداثِ العلامةِ الإعرابيّةِ حسبُ، إذ لوحظ أنّ المبتدأ مرفوعٌ، معَ أنّه عارٍ من العواملِ اللفظيّة التي يُمكنُ أن يُعزى إليها رفعُه؛ فقيلَ بالعاملِ المعنويّ: الابتداءِ، الذي يُقصَدُ منه: التجرّد عن العوامل اللفظيّة. فمثلُ هذا التصوّر بعيدٌ عن تصوّراتِ سيبويه في شأن الابتداء؛ لأنّ الابتداء إنّما يرد في الكتاب بمعنى وضعِ الكلمة في أوّل الجملة، أو بمعنى عدِّ الاسمِ مبتدأً اصطلاحيّا في التحليل الجُمْليِّ، أو بمعنى المبتدأ بحسب اصطلاح سيبويه. فليس فيه ما يُشير إلى العامل المعنويّ؛ إذ القولُ بالعوامل المعنويّة متأخّر عن مرحلة سيبويه.

المصادر:

١- الأصول في النحو، ابن السرّاج (٣١٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتليّ، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢- أصول النحو العربيّ في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، الدكتور محمد عيد، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٣م.

٣- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين، أبو البركات الأنباريّ (٥٧٧هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصريّة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤- الإيضاح العضديّ، أبو عليّ الفارسيّ (٣٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٥- بناء الجملة العربيّة، الدكتور محمّد حماسة عبد اللطيف، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٣م.

٦- التطوّر النحويّ للغة العربيّة، برجشتراسر، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التوّاب، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٧- الجملة العربيّة: تأليفها وأقسامها، الدكتور فاضل صالح السامرّائي، عمّان: دار الفكر، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

٨- الجملة في ضوء الدراسات اللغويّة الحديثة، الدكتور نعمة رحيم العزاويّ، في ضمن كتاب المورد (دراسات في اللغة)، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ط١، ١٩٨٦م.

٩- الخصائص، ابن جنّي (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلميّة، عن طبعة دار الكتب المصريّة، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

١٠- دراسات نقديّة في النحو العربيّ، الدكتور عبد الرحمن أيوب، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٥٧م.

١١- شرح الرضي على الكافية، رضيّ الدين الإستراباذيّ (٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قاريونس، ط٢، ١٩٩٦م.

١٢- شرح كتاب سيبويه، السيرافيّ (٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعليّ سيّد عليّ، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٣- ظاهرة الإعراب في العربيّة (مدخل فيلولوجي)، الدكتور غالب فاضل المطّلبي، عمّان: دار كنوز المعرفة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٤- ظاهرة الإهمال في النحو العربيّ، سعيد أحمد طالب البطاطيّ، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصريّة، بغداد، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

١٥- في النحو العربيّ (قواعد وتطبيق)، الدكتور مهدي المخزوميّ، بيروت: دار الرائد العربيّ، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٦- في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، الدكتور خليل أحمد عمايرة، جدّة: عالم المعرفة، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٧- الكتاب، سيبويه (١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٨- الكواكب الدرّيّة على متمّمة الآجروميّة، محمّد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (من أعيان القرن الثالث عشر)، بيروت: مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٩- المسائل العسكريّات في النحو العربيّ، أبو عليّ النحويّ (٣٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور علي جابر المنصوري، بغداد: مطبعة الجامعة، ط٢، ١٩٨٢م.

٢٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (٧٦١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والآداب والفنون، ط١، ٢٠٠٠م.

٢١- المفصّل في علم العربيّة، الزمخشريّ (٥٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور فخر صالح قدارة، عمّان: دار عمّار، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٢- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ)، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م.

٢٣- المقتضب، المبرّد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٤- من الأنماط التحويليّة في النحو العربيّ، الدكتور محمّد حماسة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩٠م.

٢٥- النحو العربيّ والدرس الحديث: بحث في المنهج، الدكتور عبده الراجحي، بيروت: دار النهضة العربيّة، ١٩٧٩م.

٢٦- نظريّة العامل في النحو العربيّ في هدي كتاب سيبويه، الدكتور سعيد أحمد طالب البطاطي، دمشق: نور حوران، ط١، ٢٠٢٠م.

دِيوَانُ ابنِ الخيميِّ (ت ٦٨٥هـ)
نَظَرَاتٌ نَقدِيَّةٌ ... ومُستَدرَكٌ

الأستاذ المساعد الدكتور عباس هاني الچراخ
رئيس تحرير مجلة (المحقِّق)

الملخص:

يَتناولُ هذا البحث بالنقد والاستدراكِ دِيوَانَ ابنِ الخيميِّ (ت ٦٨٥هـ) الذي قام بتَحقِيقِهِ على مخطوطتين الأستاذ هلال ناجِي والدكتور زهير غازي زاهد، وصدرَ عن دَار الوَفَاءِ فِي الاسكندريَّة ٢٠٠٨م.

ويقع في قسمين؛ الأول: نَظَرَاتٌ نَقدِيَّةٌ متنوعة، شملتْ الخَطَأَ في القراءة، وإهمالَ تَرجَمَةِ الأعلام والتعريف بهم، وعَدَمَ ضَبْطِ النُّصوص، والضّعفَ الشَّديد في تخريجِ القِطَعِ على مصادرِ التُّراثِ المَخطوطةِ والمَطبوعَةِ، وبَيَانَ الأَوهام في إثباتِ الأَبيَاتِ، وعدم الإشارة إلى الأبيات المتدافعة مع شعراء غيره، مع التنبيه إلى وجودِ "نسخة ثالثة" مِنَ الدِّيوَانِ فاتتهما، رجعَ إليها الباحثُ وأَفادَ منها، فضلًا عن قضايا نقديَّة أُخَر تمَّ تفصيل الحديث فيها.

والقسم الأخير خاص بـ(مُستَدرَك) مهمٌّ على الدِّيوَانِ، ضَمَّ (١٦) قطعةً في ٤٨ بيتًا، زيادة على قطعتين من (المنسوب).

المقدمة:

شِهَابُ الدِّينِ أَبُو الفَضلِ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ المنعم بنِ محمَّد بنِ يُوسُف الأَنصَاريّ[١]، شَاعِرٌ مَشهورٌ، وُلِدَ في مصر سنة ٦٠٢هـ، وتُوُفِّي فيها سنة ٦٨٥هـ، ونقلَ كثيرٌ من المُؤلِّفينَ في مُصنَّفاتِهِمْ قَصَائدَ ونُتَفًا كَثيرَةً مِن دِيوانِهِ، تَدُلُّ على سَيرورَةِ شِعْرِهِ.

ولديوانهِ مَخطُوطتانِ معروفتان:

الأُولَى: مخطوطة كتبخانة مركزي في طهران بالرقم ١٩٧٨، وتَقَعُ في ٧٩ ورقة، وتوجد نسخةٌ

---

(١) تَرجمتُهُ في: قلائد الجمان ٧/٢٥٣-٢٥٧، ذيل مرآة الزمان ٤/٣٠٠-٣٠٦، (بتحقيقي) ٣/٣٢٤-٣٣٠، العبر ٥/٣٤٥، عيون التواريخ ٢١/٣٧٥-٣٨٦، الوافي بالوفيات ٤/٥٠-٦١،فوات الوفيات ٣/٤١٣ -٤٢٤، عقود الجمان ٢٩٠ ب – ٢٩٣ ب، دُرَّة الأسلاك ٤٤، عقد الجمان ٢/٣٥٦-٣٥٧،تاريخ ابن الفرات ٨/٤٢-٤٦، النجوم الزاهرة ٧/٣٦٩-٣٧٠، البدر السافر ٢/١٢١ ب – ١٣٠ أ،ذيل التقييد ١/١٦٧-١٦٨،المقفَّى الكبير ٦/١٤٣-١٤٤، المنهل الصافي ١٠/١٦٨-١٧٣، حسن المحاضرة ١/٥٦٩، الأعلام ٦/٢٥٠.

مصوَّرةٌ منها في مَعهَدِ المخطوطات العربية في القاهرة بالرقم ١٤٤٧، وقَد تَفَضَّلَ أَخي الدكتور عبد الرازق حويزي بِإرسَالِهَا إليَّ مَشكُورًا، وَهِيَ قَدِيمَةٌ ونَفِيسَةٌ، وفيهَا بَعضُ البَياضَاتِ والخُرُومِ، ومنهَا خَرْمٌ أَتَى على تَاريخِ نَسْخِهَا في نِهَايَتِهَا.

وجاءَ على الوَرَقَةِ الأُولَى مِنها: (ديوان محمد بن عليّ بن عليّ الأديب الكامل مهذب الدين ابن الخِيميّ الحليّ العراقيّ الشَّاعر، المُتَوَفَّى سنة ٦٤٢)، وَهوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ؛ لأَنَّهُ خَاصٌّ بِشَاعِرٍ آخَر[٢]، وقد وَرَدَ على الصَّوَابِ في الوَرَقَةِ الثَّانيَةِ.

الأخيرةُ: مخطوطة تقبعُ في مكتبة Riccardian بمدينة فينيسيا الإيطاليَّةِ، برقم ١٨٦، وتقع في ١٤٥ ورقة، وليس فيها اسمُ النَّاسِخِ ولا تاريخُ النَّسْخِ، وهي مَضبُوطةٌ بِالشَّكلِ، ومُتأخرَةٌ عن الأولَى.

وكانَ أَوَّل مَنِ اهتَمَّ –مشكورًا– بديوان ابن الخيميِّ هو الأستاذ الدكتور حسين عليّ محفوظ (ت ١٤٣٠هـ)، إذْ نَشَرَ مقالًا سنة ١٩٧٠م بعنوانِ (مختارات من ديوان ابن الخيمي)[٣]، مُعتَمِدًا المَخطُوطَةَ الطّهرَانِيَّةَ التي وَقَفَ عليها مباشرةً، ووَصَفهَا وَصفًا دَقيقًا، ومَنْ تَمَلَّكَهَا، ورَجَّحَ أَنَّهَا كُتِبَتْ أَوَاخِرِ القَرنِ السَّابع الهجريّ[٤].

ولم يكُنْ عملُهُ تحقيقًا للدِّيوَانِ –أَو شُرُوعًا بِذلكَ– بلْ كانَ عَرْضًا للمخطوطة الطهرانيَّة التي ظفرَ بها –وظَنَّهَا فَريدَةً– ونَقَلَ منها مَا اختَارهُ مِن قَصَائِدَ ونُتَفٍ للشَّاعِرِ وثلاثةٍ من مُعَاصِريهِ، وأَهمَلَ ضَبطَ الأَبياتِ إهمَالًا تامًّا، وتَرَكَ القِطَعَ التي حَدَثَتْ فيها مُشْكِلاتٌ بِسَبَبِ الخرومِ والسَّقط والرُّطوبَةِ والغُمُوضِ؛ لأنَّ هَمَّهُ انصَرَفَ إلى التَعرِيفِ بالمَخطُوطَةِ فقط.

وكُنتُ قد سَمِعتُ أَكثر مِن مَرَّةٍ في شتاء ١٩٩٨م مِنَ أ . هلال ناجي (ت ١٤٣١هـ) –في الحلَّةِ ومعَ آخرينَ– خَبَرَ حُصُولِهِ على المَخطُوطَةِ الطهرانية مَنسوبةً للحِلِّيِّ، وعَزمَهُ على تَحقيقِها منسوبةً إليهِ، ولكن لمْ يتمّ ذلك، ورُبَّمَا قبلَ أَنْ يُبَاشِرَ في تَحقِيقِهَا رَحِمَهُ اللهُ، أَو يَحصلَ على النسخة الإيطاليةِ التي صَحَّحَتِ النِّسبَةَ.

وفي سنة ٢٠٠٨م صَدَرَ (ديوان ابن الخيميّ) بتحقيق الأستاذ هِلال ناجِي والدكتور

---

[٢] ترجمته في: قلائد الجمان ٣/١٦٠-١٦٣، ٦/٢٧٥-٢٧٨، المختار من تاريخ ابن الجزريّ ١٩٧،تاريخ الإسلام ١٤/٤٢٤ – ٤٢٥، الوافي بالوفيات ٤/١٨١– ١٨٤، فوات الوفيات ٣/٤٤١-٤٤٢، البدر السافر ٢/١٣٢ ب، عقود الجمان (الفاتح) ٢٩٧ ب – ٢٩٨ ب، التاريخ الكبير ٥/٩٣ أ –٩٤ ب، المقفّى الكبير ٦/٣٢٢ –٣٢٤، بغية الوعاة ١/١٨٤-١٨٥، الأعلام ٦/٢٧٢، ومقدمة ديوانه بتحقيقنا.

[٣] مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٣، ١٩٧٠م، ص ١٥٥– ١٨٣.

[٤] يُنظر ما كتبناهُ عنهُ في كتابنا المشترك: نَشْر الشِّعر وتحقيقه في العراق ١٩، وينظر أيضًا كتابنا: معجم الدواوين والمجاميع الشعرية المحققة في العراق ٤٦.

زهير غازي زاهد[4] عن مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشِّعريَّة في الكُوَيت، وطَبَعتْهُ دَارُ الوَفَاءِ فِي الاسكندريَّة، ووَقَعَ في ١٩٦ صَحِيفَةٍ مَعَ ثبتِ مَصَادِرِهِ وفِهْرِسَيْهِ.

وقَد رَجَعَ المُحَقِّقَانِ الكَرِيمَانِ إلى النُّسْخَتَيْنِ الخَطِّيَّتَينِ المَذكُورَتَينِ، وبَذَلَا خِبرَتَهُمَا في التَّحقِيقِ، واعتمدا على النسخَةِ الإيطاليَّةِ أوَّلًا؛ لأَنَّهَا احتوَتْ على قَصَائِدَ سَقَطَتْ مِن بدايةِ النسخة الطِّهرَانِيَّةِ، ثُمَّ عادَا إلى الأخيرة التي ضَمَّتْ قِطَعًا خَلَتْ منها الأُولَى، وأَثبَتَا صُوَرًا للمَخطُوطَتَين، وجهدهما مذكورٌ بِالفَضلِ والعرفان.

وفي ضَوءِ قِرَاءَتِنا للدِّيوان وَقَفنَا على جُملةٍ مِن المَلاحظ النقديَّةِ التي تَخُصُّ الخطأ في قِرَاءَةِ النَّصِّ وضَبْطِهِ، ممَّا أَدَّى إلى أَوهامٍ في إيرادِ الأبيات أَو التعليق عليها، أو إهمال التخريج على المَصادر التي ضَمَّتْ شِعرًا للشَّاعِرِ، والأخطاء في "مستدرك الزيادات"، وأَثبتنا مُستَدركًا مهمًّا ضَمَّ مَا عَثَرنَا عليهِ مِن شِعرِهِ في مصادر مَخطُوطَةٍ ومَطبوعَةٍ.

وقد سلكنا نظراتنا النقديَّة في النقاط الآتية:

مقدمةُ الدِّيوانِ

كَتبَ الأستاذ هلال ناجي – رحمهُ الله – مَقَدِّمَةَ الدِّيوانِ، وهذا وَاضِحٌ عِندِي مِن أُسلُوبِهِ الذي أَعرفُهُ جَيِّدًا – وقَد صَحَّحتُ ستةً مِن كُتُبِهِ – وأَورَدَ المَصَادِرَ التي رَجَعَ إليها في المتن، وليس الهوامش.

قلتُ:

لمْ يَذكُرْ في مَبحَثِ "تلاميذه ومن روى عنه" اثنَين مِنهم، ذَكَرَهُمَا الأدفويّ (ت ٧٤٩هـ)[٥]، وهما:

١- ابن القماح (ت ٧٤١هـ)[٦] .

٢- أبو حيَّان الأَندَلُسِيّ (ت ٧٤٥هـ) [٧].

---

(٥) البدر السافر ١٢٨/٢ ب .

(٦) محمَّد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة القرشيّ المِصريّ. مِن فُقهاءِ الشَّافِعِيَّةِ. وُلد سنة ٦٥٦هـ ، ونَابَ في الحكم بجامع الصالح في القاهرة . لهُ كتابٌ في (تفسير القرآن). ترجمتهُ في: الدرر الكامنة ٢٨/٥-٢٩، الأعلام ٣٢٥/٥ .

(٧) أثير الدين محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حَيَّان الغرناطيّ. وُلِدَ في غرناطة سنة ٦٥٤هـ، ورحل إلى مالقة. تُوُفِّيَ في القاهرة . مِن أَشهَرِ مُؤَلَّفَاتِهِ (البحر المحيط). تَرجمتُهُ في: الوافي بالوفيات ٢٦٧/٥، فوات الوفيات ٧١/٤، الأعلام ١٥٢/٧.

وفَاتَت المُحَقِّقَين الفَاضِلَين نُسخَةٌ ثالثةٌ مِنَ الدِّيوَانِ، رَجَعَ إليها ابنُ مبارك شاه (ت ٨٦٢هـ) فـي كتابِـه الموسـوعِيّ المَخطـُوطِ (السـفينة)، فـي الجـزء المُـرقَّم (١٦٢٠) / الورقـة ٤٤ ب – ٧٢ ب، وجَاءَ في أَوَّلِهِ: "هذا ما اختارهُ مُصنِّفهُ من شعر الفقيه الإمامِ العالم الأَوحد شهاب الدين محمَّد ابن عبد المنعم الخيميّ ".

ووَرَدَ في نِهَايَتِهِ: "انتَهَى مَا اختَرنَاهُ على عَجَلٍ من ديوانِ الشَّيخِ شهاب الدين ابن الخِيمـيِّ الأَنصَاريِّ، ولم نُقابلْ ما كتَبنَاهُ لعدَمِ الفَرَاغِ، وكَثرَةِ الشَّوَاغِلِ".

وسَنُشِيرُ إلى مَوَاضِع الإفادَةِ مِنهُ.

ولم يَقِفْ أَحَدٌ مِنَ المُحَقِّقِينَ أَو البَاحِثِينَ الذين عُنُوا بِابنِ الخِيَمِيِّ على كِتَابِ (السَّفينة) هذا[٨].

ولمْ يتمّ التَّنبيه على الخَطَأ الكبيرِ الوَاقِعِ في النُّسخَةِ الظَّهرَانِيَّةِ في نِسْبَةِ الدِّيوَانِ إلى مُهَذَّبِ الدِّينِ ابن الخِيَمِيِّ الحِلِّيِّ .

الخَطَأُ في القِرَاءَةِ

سنذكرُ هنا الأبيات كَمَا وَرَدَتْ بِصُورَتِهَا المثبَّتة في الديوانِ، وإنْ لمْ تكُنْ مَضبُوطَةً بالشَّكلِ، وكذلكَ نصّ تَعليقاتِ المُحقِّقَينِ في هَوَامشِ التحقيق، ثُمَّ نبسطُ الكلامَ في النَّقدِ.

مِن ذَلِكَ:

– ص ٢٣:

[داء] عـــداه شـــفاؤه مِـــنْ حُبِّهـــا فكفـــاهُ أنَّ الصَّـــبَّ مِـــنْ أســـمائهِ

وعلَّقا: " في أ (دلين) [٩] تحريف ونظن الصواب ما قرأناهُ".

قلتُ: هذِهِ قِرَاءَةٌ غَيرُ صَحِيحَةٍ، بلِ الصَّواب: "ولئن".

– ص ٣٨:

وكنـــت نـــذرت [نـــذرا] يـــوم يشـــفى فكيـــف وفـــاء نـــذري وهـــو عيـــدي

---

[٨] أفدتُ مِنهُ في الاستدراكِ على نَفسي عندَ جَمعي وتَحقيقي (شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبيّ) المنشور في مجلة (المـورد)، المجلَّـد ٣٢، ٢٠٠٥م فـي ثلاثـة أَقسَـامٍ، إذْ حَبَّـرتُ مقـالًا نُشِـرَ فـي المَجَلَّـةِ نَفسِـها، العَـدَد الأَوَّل، ٢٠١٧م، ص ١٧٣–١٩٢، وضَـمَّ ٣٢٧ بيتًـا، فـي ٤١ نصًّـا، أمَّـا (ديـوان يوسـف بـن لؤلـؤ الـذهبي) الكامـلُ فَقَد صَـدَرَ عَـن دَارِ صـادر، بيـروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م . وضَـمَّ ١٠٦٤ بيتًـا، فـي (١٨٤) نصًّـا، وهيَّـأتُ طبعةً جديدةً.

وأفدتُ من هذا المَخطُوطِ أيضًا في أعمال نقدية وتحقيقيَّة أُخرَ، وفي مقالٍ آخر لنا موسوم بـ(استِدرَاكاتٌ ذَاتِيَّةٌ على دَواوين مِن صَنعَتي)، نُشِرَ في مجلة (المورد)، مج ٤٧، ع ٢، ٢٠٢٠م.

[٩] أي: في (د): "لين" .

وفي الهامش: "بياض في النسخة ط فزدنا نذرا فيتفق مع السياق" .

أقولُ: الكلمة هي [صومًا] . السفينة (١٦٢٠) ٣٨ أ، فهذهِ الكلمةُ تُنَاسِبُ المَعنَى، إذْ كيفَ يَصُومُ الشَّاعرُ في العِيدِ ؟

- ص ٤٦:

حبيبٌ لهُ في كُلِّ قلبِ علاقة فكل [هوى] قد فارقتْهُ تقطع

وعلَّقا: "الكلمة غير مقروءة في المخطوط وهكذا اجتهدنا قراءتها".

قُلتُ: الكلمةُ في المَخطُوطِ: "حشًى"، وهوَ مَا يُنَاسِبُ السياق.

وفي الصَّحِيفَةِ نَفسِهَا:

وعهدي به حيّا وناديه [عامر] من الفضل مبذولُ العطاء ممنعُ

وعلَّقا: "الكلمة مطموسة فأثبتنا ما يناسب السياق" .

قلتُ: أَكبَرُ الظَّنِّ أَنَّهَا: "معدن"، وقَد بَقيَ منها حرفا الدَّال والنُّون واضحَينِ جِدًّا. وعبارةُ (معدن الفضل) وَاردَةٌ في كُتُبِ التُّرَاثِ[١٠].

- ص ٢٧:

ولكنني أنعي "تبلُّد" منطقي وسمعي بما في المدحِ من لذَّةِ الذِّكْرِ

وعلَّقا على الكلمةِ دَاخلِ شولاتِ التَّنصِيصِ: "الكلمة مطموسة في النسختين ولعلّها كما أثبتناها".

قلتُ: الكلمةُ المقترَحَةُ ومَا قبلها خَطَأٌ، فَيَكُونُ صَوَابُ الصَّدْرِ، فَضلًا عَن ضَبطِهِ:

ولكِنَّنِي أَبغِي تَثَبُّتَ مَنطقي

- ص ٤٨، قصيدة في الغزل، وَرَدَ فيها هذا البَيتُ هكذا:

ظهرتْ لطايفها ففارق طيبها خبث .... المتقدر

وعلَّقا: "كلمتان قبل القافية مطموستان".

---

[١٠] من ذلك قول الخطيب أبي عبد الله محمد بن عمر الإشبيليّ:

يا معدنَ الفَضلِ وطَودَ الحِجَى لا زلتَ مِن بَحرِ العُلا تَغتَرِفْ

نفح الطيب ٤٧٥/٣ .

قلتُ: تَمَامُ البَيتِ في السفينة (١٦٢٠) ٤١ أ، مَعَ ضَبطِهِ:

ظَهَـــرَتْ لَطَائِفُهَـــا، فَفَـــارَقَ طِيبُهَـــا   خَبَـــثَ الكَنِيـــفِ، وخِسَّـــةَ المُتَقَـــذِّرِ

- ص ١٣٦:

غـــرس المـــولى بـــذهني نُبـــذًا   (...) مـــن كُـــلِّ فضـــلٍ مُحكـــمِ

وفي الهامش: "في الموضع كلمة غير مقروءة بوزن "أخذت" أو "جمعت".

قلتُ: الكلمة هي: "نَبْتُهَا". السفينة (١٦٢٠) ٦٧ ب.

- ص ٤٣:

ويلـــذ لـــي سُـــكْنى الثـــرى إذ صـــر   ت ســـاكنة بـــه والـــدار والســـكان

والصوابُ تدويرًا وضَبطًا:

ويَلَـذُّ لِـي سُـكْنَى الثَّـرَى، إِذْ صِـرْتِ سَـا   كِنَـــةً بـــهِ والـــدَّارِ وَالسُّـــكَّانِ

- ص ١١٣:

قـــد كـــان إذ كـــان لـــه نـــاظرًا   يـــأتي بـــلا نقـــص ولا مـــا

وعلَّقَا على نهاية البيت: "كلمة القافية مطموسة".

قلتُ: كلمة القافية هي: ولا فائدِ"[١١]، وفي السفينة (١٦٢٠) ٦١ ب: "قائد"، بالقاف، تصحيف.

- ص ١٢٦:

والمســـاكين حـــول بابـــك يـــدعون   بخيـــر لا خـــاب فيـــك الـــدعاةُ

والصواب تدويرًا وضبطًا:

وَالمَسَـــاكِينُ حَـــولَ بَابِـــكَ يَـــدعُو   نَ بِخَيْـــرٍ، لا خَـــابَ فِيـــكَ الـــدُّعَاةُ

- ص ١٢٧:

أحالـــــهُ المـــــولى بأنعامـــــه   العـــام علـــى برهانـــه الحسّـــي

والصوابُ تَدوِيرًا وضَبْطًا، وتصحيح الكلمة الثالثة في الصدر:

أَحَالَـــهُ المَـــولَى بِإِنعَامِـــهِ الـــ   ـــعَامِ علـــى بُرهَانِـــهِ الحِسِّـــي

(١١) الفائد، الفَوْد: ذَهَابُ المالِ أَو ثَباتُه، وَالاِسْم الفائِدةُ. تاج العروس (فود) ٨/٥١١.

- ص ١٣٧:

وأريــتُ عــذّالي التــي هــي أحســ . ــن الأشــياء فانــدع العــواذل بــاللتي

ولمْ يَكُنِ التَّدوِيرُ دقيقًا، وفِي العَجزِ خَطأٌ، فَالصَّوَابُ:

وَأَرَيــتُ عُــذَّالي التــي هِــيَ أَحسَــنُ الــ أَشْــيَاء فَانــدَفَعَ العَــوَاذِلُ بِــالَّتي

- ص ١٤٨، ورد البيت ناقصًا هكذا:

(...) مــدح رفــده الــورق بالســجع (م) وأبدتــه البــيض بــالإطواقِ

وعلَّقا: "كلمة مطموسة" .

والصَّحيحُ ما وَرَدَ في السفينة (١٦٢٠) ٧١ أ، وهو:

مــا حَلَــتْ مَــدْحَ وفــدِهِ الــورق بالسجْــ ــعِ، وأبدتــه البــيض بــالأَطواقِ

تَرَاجِمُ الأَعلامِ:

في نهايةِ المقدِّمةِ - ص ٧ - وردَ نقدٌ لمنهجَ الدكتور محفوظ ؛ لكونهِ " لم يعرّف بأي علم من الأعلام ممن وردت أسماؤهم في هذا المختار"،ثُمَّ جَاءَ: "وترجمنا الأعلام الذين وردت أسماؤهم عبر النصوص" .

قلتُ: تَرجَمَ مُحَقِّقَا الطبعة البابطينيَّة لابن خلكان والتيفاشيّ وابن الفارض والحلَّاج فقط، وهم من الأعلام المشهُورين، وتَرَكا تَراجم غيرهم مِنَ الأَعلامِ الآخرين .

ونحنُ نذكرُ تراجمهم هنا:

- ص ٢٢: "الصاحب زين الدين" .

أقول: هو: زين الدين يعقوب بن عبد الرّفيع بن يزيد بن مالك، وزر للملك المظفرِ قطز ثُمَّ للملك الظاهر بيبرس أوَّل دولتِهِ . تُوفِّي سنة ٦٦٨هـ [١٢].

ص ٣٥: جمال الدين بن أبي الربيع

هو: محمد بن سليمان بن عبد الله بن يوسف الهوَّاري المالكي، أديبٌ. تُوُفِّيَ في القاهرة سنة ٦٧٣هـ [١٣].

---

[١٢] ترجمته في: تالي كتاب وفيات الأعيان ١٦٩ -١٧٠،الوافي بالوفيات ٥٠٩/٢٨،عيون التواريخ ٣٩٧/٢٠ .

[١٣] ترجمته في: ذيل مرآة الزمان (بتحقيقي) ٧١/٣، الوافي بالوفيات ١٢٧/٣، فوات الوفيات ٣٧١/٣-٣٧٢، عيون التواريخ ٣٩٧/٢٠-٣٩٨، عقود الجمان ٢٨٠، عقد الجمان ١٥/٢، السلوك ١-٩٨٩/٢.

- ص ٧٨: بدر الدين السنجاري

هو: يُوسُفُ بن الحسن بن عليّ الزرزاريّ . وَلَّاهُ الملكُ المظفرُ القضاءَ في بعلبك ومضافاتها، ثُمَّ انتقلَ إلى سنجار، ولمَّا قَدِمَ الديار المصرية ولي تدريس المدرسة الصَّالحيَّة النَّجميَّة، والقضاء في الوَجهِ القبليّ والبحريّ، وغير ذلك . تُوُفِّيَ سنة ٦٦٣هـ(١٤) .

- ص ٨٢: جمال الدين بن الحافظ، وفي ص ١٥١: جمال الدين أبو المحاسن.

هو: أبو المحاسن يُوسف بن أحمد بن محمود المعروف بالحافظ اليغموريِّ، ولد بدمشق سنة ٦٠٠هـ، وسمع الكثيرَ بِالموصل ودمشق ومصر وغيرها، وصحبَ الأميرَ جمالَ الدِّين بن يَغمُور ولَازَمَهُ وعُرِفَ بِهِ . تُوُفِّيَ سنة ٦٧٣هـ . من أشهر كتبه (نور القبس) (١٥) .

- ص ١٠٢: العماد بن الحنفي

قلت: هو أبو بكر بن هلال بن عباد عماد الدين الحنبليّ الحنفيّ، وُلِدَ سنة ٥٧٥هـ . كانَ معيدًا في المدرسة الشبلية، ومنقطعًا عن الناس. رَوَى عَن ابنِ الزُّبَيديِّ، وروى بالإجازة العامة عن السلفيّ . سنة ٦٧٩هـ (١٦) .

- ص ١٠٧: شهاب الدين السهرورديّ

جَاءَ في الهامش: "اثنان بهذا اللقب وكلاهما من المتصوفة: أحدهما شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش السهروردي المقتول ٥٨٧هـ ... والآخر شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي المتوفى ٦٣٢هـ .."، وهو كلامٌ مُرسَلٌ مِن دُونِ مَصادر، أو تَرجِيجٍ.

قلتُ: مِنَ الوَاضِحِ جِدًّا أَنَّ ابنَ الخِيَميّ المولود سنة ٦٠٢هـ لا يمكن أَنْ يَمدَحَ رَجلًا تُوُفِّيَ قبَل وِلادَتِهِ بربع قرن! وأَقصدُ بِهِ الأَوَّلَ. فالشَّاعِرُ أَرادَ الثاني فقط، وهو عُمر بن محمد بن عبد الله بن عمُّويه(١٧) .

---

(١٤) ترجمته في: ذيل مرآة الزمان (بتحقيقي) ٣٩٤/٢، العبر ١٦٢/٥-١٦٤، تالي كتاب وفيات الأعيان ١٦٨، الوافي بالوفيات ١٨٣/٢٩-١٨٥، عيون التواريخ ٣٢٩/٢٠، مرآة الجنان ١٦٢/٤، النجوم الزاهرة ٢١٩/٧، السلوك ١-٤١١/١-٤١٢، شذرات الذهب ٢١٣/٥.

(١٥) ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١٠٦/٣-٢٠٦، الوافي بالوفيات ٨٧/٢٩ - ٨٩، عيون التواريخ ٦٣/٢١، السلوك ١- ق٢ / ٦١٩، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٧،الأعلام ٨/ ٢١٤.

(١٦) ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١٣٦/٥، العبر ٣٢٥/٥،مرآة الجنان ١٩١/٤.

(١٧) ترجمته في: ذيل الروضتين ١٦٣، مرآة الزمان ٨-٦٧٩/٢-٦٨٠، تاريخ الإسلام ١١٢/٤٦-١١٥، مرآة الجنان ٦٣/٤-٦٥، الوافي بالوفيات ٥٣/٢٣-٥٦.

- ص ١١٧: شرف الدين محمد بن عين الدولة

هو: قَاضِي القُضَاة أَبو المكارم شرف الدِّين مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن بن عَلِيّ الشَّافِعِيّ. وُلِدَ في الاسكندرية سنة ٥٥١هـ، واستَقلَّ بِالقضَاءِ في القَاهِرَةِ، وَولي القَضَاء بالديار المصرية وَبَعض الشامية. تُوُفِّيَ سنة ٦٣٩هـ [١٨].

- ص ١٢١: معين الدِّين ابن شيخ الشُّيوخ

هو: الحسن بن مُحَمَّد بن عمر بن عَلِيّ، الصاحبُ الأَمِيرُ مُقدَّمُ الجُيُوشِ فِي الدولة الكامليَّة. وزرَ للملكِ الصَّالح، وَقَدِمَ دمشقَ بالجيوش المصريَّة وبالخوارزمية وحاصرها وتسلَّمها من الملكِ الصَّالح إسمَاعِيل . تُوُفِّيَ سنة ٦٣٤هـ[١٩].

- ص ١٢٧: القاضي برهان الدين

هو: برهان الدين الخضر بن الحسن بن عليّ السنجاريّ الزّرزاريّ الشّافعيّ. وُلِدَ سنة ٦١٦هـ . ولي القضاء بمصر في دولة الملك الصالح. تُوُفِّيَ بمنزله بالمدرسةِ المعزِّيَّةِ بِمصر سنة ٦٨٦هـ[٢٠].

- ص ١٣١: شمس الدين بن باجل

الصواب: باخل.

وهو: الأمير محمد بن باخل بن عبد الله بن أحمد الهكَّاريّ، مُتَوَلِّي الاسكندريَّة بها، كان نائب السلطنة، وله شِعْرٌ . تُوُفِّيَ سنة ٦٨٣هـ [٢١].

- ص ١٣٤: " ناصر الدين ابن النقيب "

هو: ناصر الدِّين الحسن بن شاور بن طرخان بن حسن الكنانيّ الفُقَيسيّ، نشأ بالفسطاط وعاش بها، وعاصرَ الدولتين الأيوبيَّة والمملوكيَّة، تُوُفِّيَ سنة ٦٨٧هـ [٢٢].

---

[١٨] ترجمتُهُ في: تاريخ الإسلام ٦٤/ ٣٨٨- ٣٩٠، الوافي بالوفيات ٣٥٢/٣-٣٥٣، حسن المحاضرة ١/ ٤١٢، شذرات الذهب ٣١٧/٧-٣١٨ .

[١٩] تَرجَمَتُهُ في: العبر ١٧٥/٥، الوافي بالوفيات ٢٤٦/١٢، النجوم الزاهرة ٣٥٢/٦-٣٥٣.

[٢٠] ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣٣٥/١٣- ٣٣٧، تالي كتاب وفيات الأعيان ٦٩، السلوك ١-٤٧٢/٢، حُسْن المحاضرة ١٦٤/٢-١٦٧.

[٢١] تَرجَمَتُهُ في: الوافي بالوفيات ٢٤٢/٢-٢٤٣،عيون التواريخ ٣٥٠/٢١-٣٥١، تاريخ ابن الفرات ١٥/٨ .

[٢٢] ترجمته في: مسالك الأبصار ١٣٩/١٢، الوافي بالوفيات ٤٤/١٢، فوات الوفيات ٣٢٤/١ - ٣٣١، عيون التَّواريخ ٤٢١/٢١ - ٤٢٨، زبدة الفكرة ٢٦٤ - ٢٦٥، المقتفي على كتاب الروضتين ١٣٤/٢، عقود الجمان تذييل وفيات الأعيان ٩١ب - ٩٣ ب، النجوم الزَّاهرة ٣٦٧/٧، تذكرة النَّبيه ١١٧/١، المُقَفَّى الكبير ٣٢٤/٣-

ملاحظ عامَّة:

منها:

١- عدم ضبط أبيات الديوان: كان الأستاذ هلال ناجي قد أخذ على الدكتور محفوظ في "مختارهِ" أنَّه لمْ يضبط النصوصَ بِالشَّكلِ، إذْ قَالَ في المُقدِّمَة ص ٧: "ومن المتفق عليه عند المحققين أن نشر الشعر القديم يلزم محققه بضبط نصوصه وإلا سقطت القيمة العلمية للنشرة"، وفي ص ٩: "وكان همنا تأكيد الأمانة في نقل النص ثم ضبطه بالشكل فلا قيمة لشعر قديم ينشر دون ضبطه بالحركات".

قلتُ: وهذا مَلحَظٌ ثَمِينٌ، ولكن لا يصحُّ أنْ يُقَاسَ عَمَلٌ منشورٌ في مجلةٍ صدرتْ سنة ١٩٧٠م - وبالإمكانات الطباعيَّة وَقتذاك - بِمَا هُوَ في القَرن الحادي والعشرين، وكان هدفُ الدكتور محفوظ -كما قلنا - التعريفَ بمخطوطةِ دِيوَانِ الشَّاعر لا تحقيقه، وبَينَ الأَمرَينِ فَرقٌ كبيرٌ، والغَريبُ أَنَّ في الدِّيوانِ نَفسِهِ عشرات الأبيات غير المضبوطة بالشّكل، أَو انعدَم فيها وَضْعُ التَّنوينِ أو الشَّدَّةِ أَصلًا، بل كانت القوافي هَمْلًا من تحريك الحرف الأخير فيها، والأَمثلةُ أكثرُ مِن أَنْ تُستَقصَى، فذاكَ الكلامُ يَنطبقُ على عَمَلِهِمَا تمامًا، وسنشيرُ إلى بعضِ الأمثلةِ .

٢- في الدِّيوان أَبياتٌ كُثْرٌ وَرَدَتْ على هيئة النَّثرِ، مِن ذلكَ: القصيدة الرائية من مجزوء الكامل ص ٦٣-٦٤، ونتفة من المجتث ص٩١، وقطعة مِنَ البَحرِ نَفسِهِ ص ٩٩، وفي ص ١٤٦-١٤٨ وَرَدَتْ قَصيدَةٌ طويلةٌ جِدًّا مِنَ البَحرِ الخَفيفِ، ولم يُفصَلْ بَينَ أَشطُرِهَا إلَّا في سِتَّةِ أبياتٍ فقط!

٣- عدم التخريج على المصادر الأُخَر: إذْ مِنَ الضَّروريِّ تخريج النصوص على مصادر التراث المطبوعة المخطوطة توثيقًا لها، ولبيان اختلاف الروايات، ولكنَّ المُحقِّقَين لمْ يَرجِعَا إلى بعضِ المَصَادر المهمَّة، وبخاصةٍ (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمريِّ (ت ٧٤٩هـ) في الجزء

المخطوط ١٣/١٩٢-٢٠٥، الذي يبدو أَنَّ مُصَنِّفَهُ كانَ يَنقُلُ مِن نُسخَةٍ أُخرَى لِدِيوَانِهِ.

نعم! ذَكَرَ نَصًّا مَنقولًا منهُ ص ٤، وخَتَمَهُ بإيراد "مسالك الأَبصَار -مخطوط ج ١٨"، وقَد تبيَّن لي أَنَّهُ لمْ يرجعْ إِليهِ، وإنْ أَورَدَهُ في ثبت المصادر ! والدَّليلُ أَنَّهُ اكتَفَى بِرَقِمِ الجُزءِ مِن الكتاب، ولم يثبتْ رقم الورقة - خِلافًا للمَعهُودِ - وهي ١٩٢، ما عَدَا الخلاف في ألفاظِ النَّصِّ نفسِهِ، زِدْ على ذلكَ وجود بيتين في هذا الكتابِ لمْ يَردا في مَخطُوطَتَي الدِّيوانِ، ولا في أَيِّ مَصدَرٍ آخَر،

٣٢٦، و (٥ /٥٤٠ - ٥٤١)، عَقد الجُمان ٣٦٧/٢ - ٣٧٧، المنهل الصَّافي ٨١/٥ - ٨٣، شذرات الذَّهب ٥/ ٤٠٠، الأعلام ١٩٢/٢- ١٩٣، ومقدمة ديوانه بتحقيقنا في دمشق وبيروت.

أوردناهما في المستدرك هنا.

ومُعظمُ المصادر الثلاثين الوَارِدَةِ في نِهَايَةِ الدِّيوَانِ خَاصَّةٌ بِالمُقَدِّمَةِ، ولمْ تَتمّ الإفادة منها في تَقويم نُصُوصِ الدِّيوَانِ إلَّا في قِطعَتَينِ فقط ص ٣١-٣٢ و ٧١، وتركا قضايا مهمَّةً .

وسَأَذكُرُ مِثالًا وَاحِدًا فقط .

ففي ص ٨٣ جاء البيتان:

أبثّـــك يـــا خليلـــي إنَّ عينـــي غـــدتْ رمـــداء تجـــري مثـــل عـــينِ

حـــــديثًا أنـــــت تعلمـــــهُ يَقينًـــــا لأنـــك قـــد رمـــدتَ وأنـــت عينـــي

فالبيتان على شُهرَتِهِمَا لم نَرَ المُحَقِّقَينِ الفَاضِلَينِ يُخَرِّجَانهما على أيِّ مَصدَرٍ ! وقد خَاطَبَ بِهما صَديقَهُ اليغموريّ، وهوَ أَمْرٌ فَاتَهُمَا أَيضًا.

وهُمَا في: ذيل مرآة الزمان ١٠٧/٣ ومسالك الأبصار ٢٥٠/١٦ والوافي بالوفيات ٨٨/٢٩ وفوات الوفيات ٣٣٤/٤ وريحانة الألبا ١٠٨/١ .

٤- الضعف الشديد في إيراد تراجم الأعلام الواردة في الكتاب، أمَّا الذين تُرجِمَ لهُم فكانَ عن طريق مراجع متأخِّرة لا مصادر قديمة أصيلة، فَمَا مَعنَى أَنْ يُتَرجَمَ ص ٢٥ لابنِ خَلِّكان بالرُّجُوعِ إلى (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان، وهذا المرجعُ نَفسُهُ لترجمة الحلاج ص ٨٣، ثُمَّ ترجمة ابن الفارض ص٤٠ بالاعتماد على كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) لجرجي زيدان، وترجمة التيفاشي ص٦٠ بالرجوع إلى كتاب (ورقات) لحسن حسني عبد الوهاب ومقدمة (سرور النفس) ؟

أَوهامٌ في إثباتِ الأَبيَاتِ:

بَذَلَ المُحقِّقانِ الكريمَانِ خِبرَتهما في قراءةِ مَخطُوطَتَي الديوان، ولكن بدَتْ في قِرَاءَتِهِمَا أَوهَامٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَمِن ذلكَ:

- ص ٢٩:

وكيـف يـا حَيْـرَةُ ذاك الحـي هـل حفظـوا عهـــدا أراعيـــه إن شـــطوا وإن قربـــوا

قلتُ: كذا وَرَدَتْ كلمة "حيرة" بهذا الضَّبط، والصَّوابُ أَنَّهَا كلمَةٌ أُخرَى مُختلفَةٌ، هي: "جيرة" .

وهذِهِ الكلمةُ المَخطُوءَةُ جَاءَتْ مضبوطَةً بِفَتْحِ الحَاءِ في مِصرَاعِ الدُّوبيتِ الأَوَّلِ ص ٦١:

مـــا أشـــوقني بحَيـــرة بالرَّمـــلِ مـــا أســـرع مـــا شـــتت فـــيهم شـــملي

والصحيحُ: "لِجِيرَةٍ"، وقد وَرَدَ هكذا صَوابًا في "مختار" الدكتور محفوظ من قبل! [٢٣]

- ص ٥٩:

أنـــــــــت أفعالُـــــــــكَ لله فـــــــــلا غَـــــروَ إنْ عُـــدتَ فقيـــرا ذا هـــوان

والصَّوَابُ: "غَروَ أنْ"، مع ضرورة تنوين الراء بالفتح في كلمة: (فقيرًا) .

- ص ٣٣: مطلع القصيدة:

ظـنّ صَـحْبي أن بـرق الجِـزع هاجـا شـجَنا كـان ببـرق الثغـر هاجـا

قلتُ: هذهِ القصيدةُ لمْ تردْ في المخطوطَةِ الطَّهرانيَّةِ، ولكنَّني رَأَيتُ صَاحِبَ (منازل الأحباب) ١٧٠-١٧١ يُثبتُ منها اثني عَشَرَ بيتًا، وفي (مسالك الأبصار) - (المخطوط) ١٨/ق١٩٣، و(المطبوع) ١٨/١٩٠، وقد جاء فيهما عجزُ المطلع هنا بصورةٍ مُختلفةٍ تَمَامًا، إذ وَرَدَ:

حـــــين أذكَـــــى بِرُبَـــــى نَجـــــدٍ سِـــــرَاجَا

وفي الصَّحيفَة نَفسِهَا:

وإذا مـــا جـــاءت الـــوادي ضـــحى طَـــرَبَ المـــنهج والـــروض فماجـــا

والصواب: طرب المنهلُ " .

ص ٣٤:

وهـــــواه لـــــولا قـــــدُّه وحديثـــــه لَـــمْ يـــثن عِطفَـــي بانِـــهِ وحِمَـــام

والصواب: بانةٌ وحَمامُ " .

- ص ٣٩:

ولـــئن أكـــن حيـــا عليـــه لأننـــي بـــالموت مـــن أســـف عليـــه ســـهيد

ووَضَعَ المُحَقِّقَانِ رَقمًا للهامش بعدَ " عليه " في صَدرِ البيتِ، وعَلَّقَا: "هنا زيادة "فذاك" وبها ينكسر الوزن" .

وعنيَا بذلكَ مَجيء كلمة "فذاك" بعدَ "عليه" في المخطوطة الطهرانية.

---

[٢٣] مجلة كلية الآداب، العدد ١٣، ص ١٦٠.

ويُنظر: ديوان الدوبيت ٣٠٨.

قلتُ:

١- لا تُوجَدُ كلمة "عليه" في المخطوطة، بل ترد "فذاك" بدلًا عنها، والوزنُ سليمٌ لا غُبارُ عَليهِ.

٢- صوابُ البيتِ بَعدَ إثبَاتِهِ وضَبطِهِ:

وَلَئِنْ أَكُنْ حَيًّا فَذَاكَ لِأَنَّنِي بِالمَوتِ مِنْ أَسَفٍ عليهِ شَهِيدُ

- ص ٤٤:

وبعثت روحك للجِنان فصار لي شوقان للأوطان والسكان

قلتُ: في "مسالك الأبصار" (المخطوط) ١٩٤/١٨، (المطبوع) ١٩١/١٨ وَرَدَ العجزُ بصورةٍ مختلفةٍ هكذا:

مِن أجل ذا شوقانِ للأوطانِ

وهذه الروايةُ تُخَلِّصنا مِنَ الإيطاءِ في كلمَةِ (السُّكَّانِ) قبل بيتين في هذه القصيدة .

- ص ٥٥:

يسطو على ضعفي وذُلِّي ذَاكيًا مِن ضَعفِ جَفنَيهِ بِعِزٍّ حاضِرِ

وفي الهامش: "كلمتان مطموستان رسمهما (ردلي داكما) فاجتهدنا في قراءتهما"، فوضعا: " وذُلِّي ذَاكيًا" .

قلتُ: صواب الثانية: "دائِمَا" .

- ص ٦٣:

ولي بهم رأفةٌ لو أن أيسرها في قلب محتكري الأقوات ما احتكروا

وفي الهامش: "في أ الأحكار فأثبتنا ما في ط" .

قلتُ: في السفينة (١٦٢٠) ٤٣ ب: "الأحكار"، وهو يوافق ما ورد في أ .

- ص ٦٦:

خَدّه الناضر بردٌ تارةً وسلام إنها نار الخلِيل

قلتُ: "تارةً" هنا قلقة، وصوابُ البيت معَ الضَّبطِ:

خَدُّهُ النَّاضِرُ بَرْدٌ نَارُهُ وسَلامٌ، إنَّها نَارُ الخَلِيلِ

- ص ٨٩:

مَـــئَحَ الغـــزال ملاحـــة مـــن لحظـــه وكســـا الغزالـــة خلعَـــةِ مـــن نشـــره

وفي الهامش: "ط: من بشره" .

قُلتُ: مَا وَرَدَ في (ط) هي الروايَةُ الصَّحيحَةُ المناسبَةُ للمعنَى، فيكونُ البيتُ بعدَ ضَبطِهِ:

مَـــنَحَ الغَـــزَالَ مَلاحَـــةً مِـــن لَحظِـــهِ وَكَسَـــا الغَزَالَـــةَ خَلْعَـــةً مِـــن بِشْـــرِهِ

- ص ٩٣:

ومقـدَّمٌ فـي القـوم تُطلـبُ فـي السـرى آثـــاره ولـــد المقـــامِ جـــوارُهُ

الصواب:

ومقـدَّمٌ فـي القَـومِ تُطلَـبُ فـي السُّـرَى آثَـــارُهُ، وَلَـــدَى المَقَـــامِ جِـــوَارُهُ

وقد وَرَدَ هكذا صَوابًا في "مختار" الدكتور محفوظ من قبل! [٢٤] .

- ص ٩٨:

وإذا كـــان الخضـــاب ثـــاني شـــبابٍ فنصـــول الخضـــاب شـــيبٌ ثـــاني

قُلتُ: رواية "الخضاب" في الصدر يختلُّ بها وَزنُ البحرِ الخفيف، والصَّحيحُ " الخَضْبُ" .

- ص ٩١: وردَ بيتان من الطويل، أَوَّلهما:

رأيـــتُ علـــى قـــدٍّ ملـــيحٍ ذوابـــةً فعينـــي غرامـــا بالذؤابـــة تـــدمع

قلت: البيتان في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٢٦٤ ب، وجاء فيهِ الصَّدرُ بِروايةٍ أَجود، هي:

رَأَيـــتُ علـــى قَـــدِّ الملـــيحِ ذُؤَابَـــةً

- ص ١٢٨:

ألا إنَّـــه حكـــم الله بـــالموت شـــاملُ فَجَـــوْرُ المنايـــا فـــي البريـــة عـــادلُ

قُلتُ: والصَّدرُ غَيرُ مُستَقيمِ الوَزنِ، والصَّوابُ: " أَلَا إنَّ " .

- وبعدهُ بأبيات جاء هذا البيت:

ونعمـــل للـــدنيا علـــى ظلمهـــا ومـــا يجـــيء لـــدى ظلـــم غـــدا وهـــو عامـــل

---

[٢٤] مجلة كلية الآداب، العدد ١٣، ص ١٦١.

فَعَلَّقَا: "كذا في الأصلين"، دلالة شكّهما.

قلتُ: هذا بِسَببِ الخَطَأِ في القراءة، فَصَوَابُ العَجزِ:

يَجِـيءُ لِـذِي ظُلْـمٍ غَـدًا، وَهـوَ عَامِـلُ

أي إنَّنَا نَعملُ للدُّنيا برغمِ قَسَاوَتها وظُلْمِ الظالمين فيها، ويأتي الظالمُ يومَ القيامة بعملِهِ، وفي البيتِ توجيهٌ واضحٌ.

– ص ١٤١: ثلاثة أبيات، وَرَدَ الأَوَّلُ والثاني غير مدوَّرين، وجاءَ الأَوَّلُ هكذا:

أعذر الشيب جاء قبل أوان الشيب واسع يا صاح عند اعتذاري

وصوابه:

أعـذرِ الشَّـيبَ جـاءَ قبـلَ أوانِ الشْـ ـشَيبِ، واسْمَعْ يَا صَاحِ عَند اعتذَارِي:

ويُنظر: مسالك الأبصار ١٨/ق ٢٠٢، المطبوع ١٨/١٩٧، عيون التواريخ ٢١/٣٨٠، وفيه: (عنه) بدلًا من (عند).

– ص ١٤٤:

وغيبـةُ مـن يُناسـب صَـيَّرَتني بحضـرة مـن ينافسـني بعيـدا

قُلتُ: "ينافسني"، صوابها "ينافيني"، وهي رواية (ط) التي أنزلها المحققان إلى الهامش، ورواية: عقود الجمان ٢٩٣ ب.

– ص ١٤٦: جاءت قصيدةٌ على هيئةِ نثر، ومنها هذا البيت:

سائق الظعن إن أتيت إلى "المجرتين" في حفظ الواحد الخلاّق

وعلَّقا في الهامش على كلمة "المجرتين": " اسم موضع بمصر" .

قلتُ: هذا خَطَأٌ في قراءةِ البيتِ جَرَّهُمَا إِلى الزَّعْمِ بِوُجُود مَوضِعٍ بهذا الاسمِ، في حِينَ أَنَّ رَسْمَ الكلمةِ وَاضِحٌ في صُورَةِ المَخطُوطة المُثبَّتَةِ في ص ١٦: (المحروس)، وعلى هذا يكونُ صَوَابُ البيت قِرَاءَةً ورَسمًا وَضَبطًا وعَرُوضًا:

سَـائقَ الظَّعـنِ إنْ أَتَيـتَ إلـى المَحـ ـرُوسِ فِـي حِفـظِ الوَاحِـدِ الخَـلَّاقِ

وبعدَ بيتٍ واحدٍ وَرَدَ آخرُ على هيئة نثر أيضًا:

واستطارت بالزجر تطوي الفيافي نحو سير الخضراء حمرُ النياق

قُلتُ: هذا خَطَأٌ في قِرَاءَةِ البيت، ورَسْمِ الكلمة في صورة المخطوطة المثبَّتة في ص ١٦ من الديوان نَفسِهِ، لذا فَصَوابُ البيتِ قِرَاءَةً ورَسْمًا وتدويرًا وضَبطًا:

وَاســـتَطَارَتْ بِـــالزَّجرِ تَطـــوِي الفَيَـــافِي   نَحـــوَ شُـــبرَا الخَضـــرَاءَ حُمْـــرُ النِّيَـــاقِ

و (شبرا) مدينة مشهورة جدًا.

وبَعد هذا وذاك فَالقَصِيدَةُ وَارِدَةٌ في: عيون التواريخ ٣٨٠/٢١، (المخطوط) ١٤٢/٢١ ب، وهما من مصادرهما، لكنَّهما لم يفيدا منه، وتاريخ ابن قاضي شهبة ٢٦٣ . مع العلم أنَّ "سير" وَرَدَ خطأً أيضًا في: السفينة (١٦٢٠) ٧٠ ب، وأمامها كلمة "كذا"، وهو دليلُ شَكٍّ .

وما دامَ الشَّاعِرُ مِصرِيًّا فكانَ مِن الواجب التدقيق في صِحَّةِ اسْمَي هاتين المدينتين المصريتين، بل رَأَيتُ أَنَّهُمَا أَهمَلَا مُحاوَلَةَ التَّعريف بِمُدُنٍ أُخرَى، أَوِ الإشارَةِ إلى ذلكَ في أضعف الإيمان، ومن ذلكَ ورود: الحكر والحسينية والشارع، في ص ٧٨، وهي من ضواحي القاهرة.

وعرَّفَا ص ٢٨ بـ"كاظمة"، وتَمَّ إعادة التعريف ص ٥٣ من المصدرِ نفسِهِ – وهو (لسان العرب) – وليس (معجم البلدان)، كما يقتضي المنهجُ.

وفي ص ٣٢ ورد:

ويـــح المتـــيم شـــام البـــرقَ مـــن أضَـــمٍ   فهـــزه كـــاهتزاز البـــارق الحَـــرَبُ

وكذا جَاءَتْ كلمةُ "أضم"، والصحيح "إضم"، ولم يُعرِّفَا بهذا الموضع، وهوَ وَادٍ بجبالِ تِهَامَةَ[٢٥] .

– ص ١٤٨:

صـــهباء خمـــرٌ قَرْقـــفٌ سلســـلٌج   مدامـــةٌ راحٌ سُـــلافٌ عقـــار

لوجنـــة الســـاقي فـــلا غـــرو أن   تخلـــع إذ يجلـــى عليهـــا العـــذار

وصوابُ أوَّل البيت الثاني: "كَوجنةِ"، والكاف لتشبيه الخمرة، تابعة لمعنى البيت السابق.

– ص ١٥١:

وأحبتـــي مـــا كـــان يجـــ   ـــمع بيننـــا إلا الشـــبابُ

والصَّوَابُ: " وا خيبتي ".

بشأنِ "مستدرك الزيادات":

جاء في ص ١٥٣–١٥٤ "مستدرك الزيادات على ديوان ابن الخيمي"، وضم أربعة أبيات متفرقة تُستدرَكُ على القصيدة البائية ص ٢٨–٢٩، التي مطلعها[٢٦]:

---

(٢٥) معجم البلدان ١٢٤/١.

(٢٦) كان الأستاذ هلال ناجي قد نسبَ – خطأً منه – هذهِ القَصيدَةَ إلى مهذب الدين ابن الخيميّ الحلِّيّ، عند محاولته جَمْع شعره، وذلكَ في مقالِهِ: " أبو طالب محمَّد بن علي بن الخيمي حياته وآثاره وشعره "، مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مج ٨٣، ج ٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٣٥٧.

يا مطلبًا ليس لي في غيره أربُ إليكَ آل التَّقَصِّي وانتهى الطَّلَبُ

فَضلًا عَن بَيتٍ يَتيمٍ يُستَدرَكُ على القَصيدَةِ البائيَّةِ الثَّانيةِ ص٣١، وبيت يتيم آخر يُضافُ إلى القصيدة البائية الثالثة ص ١٥١، ثُمَّ ثلاثة أبيات جديدة على قافية الراء.

قُلتُ: كانَ الأمرُ المنهجيُّ أَنْ تُوضَعَ هذه الأبيات القليلة جدًّا بين عضادتَين داخل القصائد الثلاث على قافية الباء، والإشارة إلى ورودها في المصادر التي ذَكَرَاهَا –وهي قليلة، وتوجد غيرها – بدلًا من تشتيتها ووضعها هنا .

أمَّا بِخُصُوصِ الأبيات الثلاثة الرائية الجديدة فقد وَرَدَتْ في (بدائع البدائه) ٢٤٦، وهي:

أَقسَمَتْ بَغلَةُ الرَّئِيسِ المُفَدَّى حِينَ حَطَّتْ لِعَجزِهَا عَنهُ صَدْرَا

إِنَّمَا رَفَعَتْ يَدَيهَا قُنُوتًا بَعْدَ أَنْ قَبَّلَتْ ثَرَى الأَرضَ عَشْرَا

إِذْ غَدَتْ مِن حِجَاهُ حَامِلَةً طَوْ دًا، ومِنْ جُودِ كَفِّهِ العَذْبِ بَحْرَا

أقولُ:

الأَبياتُ –وقَد أَورَدتُهَا هُنا مَضبُوطةً بِالشَّكلِ، ولمْ تَكُنْ كذلكَ في الديوان – ليستْ لشاعرنا شهاب الدين ابن الخيميّ، بل لمهذَّبِ الدِّينِ ابنِ الخِيَمِيّ الحِلِّيِّ (ت ٦٤٢هـ)، وإثباتها في ديوان الأوَّل لا يَصحُّ على الإطلاق ؛ فَالنَّصُّ الذي يسبق الأبيات في كتاب (بدائع البدائه) هُوَ: " أخبرني الأديب راجح بن إسماعيل الحليّ[٢٧]، قال: خرجنا مع مهذب الدين أبي الحسن عليّ بن نظيف أيام كتابته للملك المعز إسحاق بن عبد الملك الناصر – رحمَهُ اللهُ تعالى – إلى الأهرام للتَّنَزُّهِ، ومَعَهُ الأديب بهاء الدين ابن الساعاتي[٢٨]، والجمال ابن تاج البغدادي والمهذب ابن الخيمي ..... قال ابنُ الخيمي ... " .

فَالمُقَطَّعَةُ لِمُهَذَّبِ الدِّين ابن الخِيَميِّ الحلِّيِّ، بِدليلِ وُرُودِ لَقَبِه (المهذب) في النَّصِّ، ومَجِيءِ أَعلامٍ التَقَوا بِهِ وعرفوهُ ولم يلتقوا بابن الخيميّ المِصريّ بتاتًا، وقد أثبتنا القطعةَ في ديوانِ

---

(٢٧) أبو الوفاء راجح بن إسماعيل الأسديّ . وُلِدَ في الحلة، وانتقل إلى بغداد واتَّصَلَ بِولاتِهَا، وهاجَرَ إلى حلب، وحَظِيَ عند الأيوبيين في دمشق. له ديوان مطبوعٌ . ترجمته في: العبر ١٠٨/٥، فوات الوفيات ٢/٧–١٥، النُّجُوم الزاهرة ٦/ ٢٧٥، شذرات الذهب ٥/ ١٢٣، الأعلام ١٠/٣ .

(٢٨) عليُّ بنُ محمد بنِ رستم بن هردوز، ولد سنة ٥٥٣هـ بدمشق، ونشأ بها، وكان أبوه يعمل الساعات بها، سكن مصر. تُوُفِّيَ بالقاهرة، ولهُ ديوانُ شعر مطبوعٌ، ولنا عليه ملحوظات ومستدرَك. ترجمته في: وفيات الأعيان ٣٩٥/٣، العبر ١١/٥، الوافي بالوفيات ٧/٢٢، شذرات الذهب ١٢/٥، الأعلام ٣٣٠/٤، معجم المؤلفين ٩٢/٧.

ابنِ الخيميِّ الحِلِّيِّ [٢٩] .

المنسوبُ

لم يُشِر مُحَقِّقَا الديوان إلى الأَبياتِ المَنسُوبَةِ إلى الشَّاعِرِ وإلى غيرِهِ، وهذا بعضُهَا:

١- ص ٦٦ القصيدة اللَّاميَّة المكوَّنة من أَحَدَ عَشَرَ بَيتًا، جاءَ منها البيتان:

وعـــــذولي لـــــجَّ فـــــي عـــــذلي إذ   لـم يَـرَ الخـال علـى الخـد الأسـيل

لـــــو رأى وجـــــه حبيبـــــي عـــــاذلي   لتفاصـــــلنا علـــــى وجـــــه جميـــــل

أقول: هُمَا لهُ في: مسالك الأبصار ١٨/١٩٢، كشف الحال ٢٨٠، فوات الوفيات ٣/٤٢١، عيون التواريخ ٢١/٣٨٣، عقود الجمان ٢٩٢ ب، دُرَّة الأَسلاكِ ٤٤ ب، تزيين الأسواق ٢/٢٠٨، مستوفي الدواوين ٢/٢٥٥، صحائف الحسنات ١٣٠، الحواضر ونزهة الخواطر ٣٣٣، رياض الألباب ٨٨.

والثاني فقط له في: تمثال الأمثال ١/٣٨٧، درة الحجال ٢/١٣.

وهُمَا: للطنبغا الجاوليّ (ت ٧٤٤هـ)، في: المنهل الصافي ٣/٧٦، المرج النضر ٤٢ ب.

والثاني من غير عزو في: جوهر الكنز ١١٢، ديوان الصبابة ١٦٧، برواية "وجه مليح" .

وقد ضَمَّنَهُ محمدُ بنُ عليّ بنِ هانئ اللخميُّ السبتيُّ (ت ٧٣٣هـ) في شعرِهِ[٣٠].

٢- ص ٩٠:

ألام علـــــى الخلاعـــــة إذ شـــــبابي   ورونـــــق جـــــدتي ذهبـــــا جميعـــــا

ومـــــن ذهبـــــت بجدتـــــه الليـــــالي   فـــــلا عجبًـــــا إذا أضـــــحى خليعـــــا

قلتُ: هُما لهُ في: البدر السافر ٢/١٣٠ أ، المرج النضر ٤٣ أ، درة الحجال٢/٧.

ولهُ أَيضًا في: عقود الجمان ٢٩٣ ب، وجاءَ قَبلهما: "ويروى للجزار أو للوراق"، أي للشاعرَينِ يحيَى بن عبد العظيم الجزار (ت ٦٧٩هـ)، وسراج الدين عمر الوراق (ت ٦٩٥هـ).

---

[٢٩] ديوان مهذب الدين ابن الخِيَمِيِّ الحِلِّيّ ٩٤، بتحقيقنا.

أما النشرة الدمشقية لديوان مهذب الدين الحليِّ "بتحقيق" ميسم الصواف فهي ضعيفة جدًا ومتهافتة بجميع المقاييس العلمية، وقد كتبنا مقالًا نقديًّا في بيان أوهامها وفواتها، واستدركنا (٦) قطع في (١٣) بيتًا من مصادر مخطوطة ومطبوعة، وقد نُشِرَ المقالُ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٩٠، ج ١، ٢٠١٧م، ص ٢٧-٦١ .

[٣٠] الإحاطة ٣/١٤٦.

ثبت المَصَادِرِ:

ورَدَتْ قائمةُ المصادرِ ص ١٥٥–١٥٧، وتمَّ ترقيمها بأرقام تنتَهِي إلى ٣١، ويُلاحَظ عليها مَا يَأتِي[٣١]:

– ورد الكتابُ رقم ٢ هكذا: "تاريخ ابن الفرات: الجزء الثامن"، فقط.

قلتُ: مِن غَيرِ المُسَوِّغِ ذِكْر أَجزاء الكتاب في قائمَةِ المصادر، وكانَ الأَولَى إثباتَ اسم المؤلِّف وسَنة وَفَاته، واسم المحقِّق، ومكان الطَّبع، وسنته، فهذه الأمورُ أَهَمُّ مِن ذِكْرِ رَقمِ الجُزءِ. فالصحيحُ أنْ يرد هكذا:

– " تاريخ ابن الفرات: محمد بن عبد الرحيم بن عليّ بن الفرات (ت ٨٠٧هـ)، حقَّقهُ وضبطَ نصَّهُ قسطنطين زريق و نجلاء عزّ الدين، الجامعة الأمريكيَّة، بيروت، ١٩٤٢م ".

وقضيَّةُ إيراد رقم الجزء أو المجلَّد نَجدها لازمَةً في المصدر رقم ١٣: (ذيل مرآة الزمان) لليونيني، إذ نجد "المجلد الرابع"، وهذا يَعني أَنَّ المُحقِّقَينِ الفاضلَينِ رَجَعَا إِليهِ فَقط، في حينَ أَنَّنا نَرَى في ص ١٥٤ رجوعهما إِلى المُجَلَّدِ الثَّالثِ .

– ورد رقم ٥ "التشبيهات المشرقية: ابن أبي عون أبو إسحاق إبراهيم بن محمد".

قلت: الصواب "التشبيهات" فقط، ومُؤَلفُهُ تُوُفِّيَ سنة ٣٢٢هـ، وقد عُنِي بتصحيحه محمد عبد المعيد خان.

– رقم ١٢: "ديوان لبيد بن ربيعة العامري: تحقيق الدكتور إحسان عباس" .

الصواب: "شرح ... حققه وقدم له"، ويكون مكانه بعد المصدر رقم ١٦.

– رقم ١٩: (عيون التواريخ)، ج ٢١ "مخطوط، مصورته في خزانة هلال ناجي".

أقول:

١– لم يذكر مكان المخطوط الأصلي، أو المكتبة التي تَضُمُّهُ، فَهَذِهِ المُصَوَّرةُ كانَتْ عَن مكتبةِ متحف طوب قابو سراي (أحمد الثالث)، بالرقم ٢٩٩٢ .

٢– طُبِعَ الكِتابُ في بغداد عام ١٩٨٤م بتحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، لذا كانَ من المناسب الاعتماد على المطبوعِ منهُ فقط، إلَّا إذا استدعَى ذلك وجود حالات من الخَطأِ في المطبوعِ نفسه، فحينئذٍ يكونُ الرّجوع إلى المخطوطِ للمُقَابَلَةِ، ولكن كلّ

[٣١] تكرَّر هذا المنهجُ في (ديوان الجعبري) للمُحَقِّقَينِ أيضًا، الصادر عن الدارِ نفسها، وفي السنةِ عينها، وقد كتبنا مقالًا نقديًّا بِشَأْنِ ذاكَ الدِّيوان، مع مستدركٍ عليهِ، نُشِرَ في مجلَّة (الخزانة) العراقيَّة .

هذا لم يحدث !

– ورد المصدر رقم ٣٠ هكذا:

" وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس" فقط.

وجَاء المصدرُ نَفسُهُ بِالرقم ٣١ – وهو الأَخيرُ – بتفصيلٍ ببلوغرافيٍّ كاملٍ للكتابِ نَفسِهِ، لذا فالمَصدَرُ المُرَقَّمُ ٣٠ زَائِدٌ، ولا ضرورة لهُ.

وأَورَدَ (مسالك الأبصار) للعمريّ، ولم يرجع إليهِ .

وفي الوَقتِ عَينِهِ سَهَا عن إيراد:

– (بدائع البدائه) لابن ظافر الأَزديّ، وخرَّج بِهِ القطعةَ الأَخيرَةَ مِنَ المستدرك ص ١٥٤ – وذكَرَ لقبَهُ خَطأً (الأسدي)! – وأوردَ هناكَ بَيَاناته الببلوغرافية، وهو مكانٌ غيرُ صحيحٍ، بل مكانُهُ في قائمة المصادر فقط.

– (ورقات) لحسن حسني عبد الوهاب، الوارد ص ٦٠.

ملاحظ أخر:

١– لمْ يُشِر المُحقِّقان إلى أنَّ البيتَ السابعَ الوَارِدَ في القَصيدَةِ ص ٥١:

ويــروي حــديثَ الوجــد عنّــي بحبّــه   بمتَّصــل مــن مرســل الــدمع مســندا

وَرَدَ بِحُرُوفِهِ برقم ٢٢ في القَصِيدَةِ الوَارِدَةِ ص ١١٨ .

٢– ص ١٩ رجعا إلى كتاب (التمثيل والمحاضرة) للثعالبيّ في تخريجِ عجزِ بيتٍ مشهورٍ لأبي فراس الحمدانيِّ، وهو:

" وللناسِ فيما يعشقونَ مذاهبُ "

والأمرُ المنهجيُّ أنْ يتمَّ التَّخريجُ على دِيوَانِهِ فقط، وهو فيه ص ٣٠ .

٣– ص ٢٥، وردت "المدرسة الفخرية"، فلم يُعرِّفا بها .

قلت: هي مدرسة للشافعيين، نسبةً إلى الأمير فخر الدين عثمان بن قزل (ت ٦٢٩هـ) [٣٢].

٤– ص ٩٠: "وقال والفرنج على دمياط" – بيتان على قافية الباء، ثم: "وله قد أخذها"– بيتان على قافية القاف.

قلتُ: كانَ مِن المناسِب أنْ يُشَارَ – في هامشٍ ما – إلى وَقْتِ نَظْمِ النُّتفتَين، فَالنُّتفَةُ الأُولَى

---

[٣٢] الدارس في تاريخ المدارس ٣٢٧/١ .

نَظَمَهَا سنة ٦١٥هـ، والثانية في السَّنَةِ التَّالِيَةِ، وذلكَ أَنَّ الفرنجَ نَزَلَوا قبالة دمياط يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأَوَّل سنة ٦١٥هـ، ونزلوا البَرَّ الشَّرقيَّ يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة، وأَخَذَوا الثَّغرَ يومَ الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان سنة ٦١٦هـ[٣٣].

٤- ص ١١٣، ورد البيت:

مــولاي نبّــه عُمــرًا ثــم نَــمْ تُكْــفَ بكــافٍ مفضــلٍ ماجــدِ

قلت: الصدرُ متأثِّرٌ ببيتِ بشار بنِ بُرد المشهور[٣٤]:

إِذا أيقظتــك حُــرُوبُ العِــدَا فَنَبِّــهْ لهــا عُمَــرًا ثُــمَّ نــمْ

٥- وَرَدَت ص ٣٥ مقطعةٌ مِن خمسة أبيات، جاء الأَوَّلان منها:

يــا مــن أياديــه اللطيفــة بــي تتلــو أيــادي الله فــي القــدْر

ودليــل ذلــك قولــه اشــكر لــي ولوالــديك بمحكــم الــذكر

قلت: كذا ورد البيتان – بل المقطعة كلّها – مِن غَيرِ تَشكيلٍ لِلأَبيَاتِ .

ومِن لوازمِ التَّحقيقِ التَّنبيهِ إلى أَنَّ في البيتِ الثاني اقتباسًا نَصِّيًّا مِن سورةِ لقمان، الآية ١٤، لذا وَجبَ أنْ يردَ البيتان بهذه الصورة:

يَــا مَــنْ أَيَادِيــهِ اللطيفَــةُ بــي تَتلُــو أَيَــادِي اللهِ فــي القَــدْرِ

وَدَلِيــلُ ذَلِــكَ قَولُــهُ:{اشْــكُر لــي وَلِوَالِــدَيكَ} بِمُحْكَــمِ الــذِّكْرِ

٦- لم يُفد المحقِّقانِ مِن المَصَادِرِ المَطبُوعَةِ في تَقويمِ نُصُوصِ الدِّيوان وتَخريجها، فَضلًا عن الأبيات الجديدة التي خلتْ منهُ المخطوطتانِ، (وخاصة في: "قلائد الجمان" و"درة الحجال"، و"مسالك الأبصار"، و"سرور النفس"، و"نهاية الأرب")، وإلَّا لَصَنَعَا مِنهَا مُستدركًا بَدلًا من مُستدركِهما الضَّئيلِ في نهايةِ الكتابِ.

٧- ص ٢٠:

فهــا أنــا ضــيف جــايزٌ واجــبُ القِــرى وقلبــي منــدوبٌ بفقــري واجــبُ

قلتُ:

اعتمدَ المُحقِّقان الفَاضلانِ على رَسْمِ النَّاسخ للفِعل "جايز" بتسهيل الهمز[٣٥]، وحقُّهُ أنْ يكونَ

---

[٣٣] وفيات الأعيان ٢٥٨/٦.

[٣٤] ديوان بشار بن برد ١٦٠/٤.

[٣٥] وفَعَلا الأمر نفسه في ص٤٦/ البيت ١٤، حيث كلمة "بطايل"، وصواب إثباتها "بِطَائِلٍ"، وفي ص٥١/ البيت ١٤، إذ أوردا كلمة: "مايلاً"، وصحيحُها: "مَائِلًا".

"جائز"، ثُمَّ لمْ يُفَسِّرَا مَعنَاهُ، وهو: "المارُّ على القومِ حالَةَ كَوْنِه عَطْشَانًا سُقِيَ أَوَّلًا"[٣٦]، والقِرَى: طعام الضَّيف، كما لم يُوضِّحا معنى "مندوب"، و"واجب" في عجز البيت .

٨- ديباجات القطع:

أ- ص ٤٩: " واقترح عليه شخص أن ينظر على ... " .

الصواب: "أَنْ يَنظمَ على"، وقد وَرَدَ هكذا صَوابًا في "مختار" الدكتور محفوظ من قبل! [٣٧]

ب- ص ٥٩، جاء في ديباجة القصيدة النونيَّة: "الفقيه شرف الدين لما عاده في مرضه".

قلتُ: جاء قبلها الفِعلُ "يشكر" في بداية مخطوط "السفينة" (١٦٢٠) ٤٤ ب ؛ وبه يَتُمُّ المَعنَى.

ج- ص ٩١: ورد بيتان من الطويل على قافية العين من غير ديباجة، وهما في: تاريخ ابن قاضي شهبة ٢٦٤ ب، وجاء قبلهما: "وله في مليح طويل الشَّعر" .

الأخطاء الطباعية:

فيما يأتي بعض الأخطاء الطباعية التي وجدناها في الديوان، وبعضها كانت في داخلِ الأبيات نفسها، لكن حَمَلنَاها على أنَّهَا مِن أَخطاءِ الطباعة التي لم تُصحَّحْ، وليسَتْ مِن قبيلِ الأَخطاءِ العلميَّة:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٧	ابن رُشد	ابن رُشَيد
٧	١	المختار من ابن الجزري	المختار من تاريخ ابن الجزريّ
٧	٢	شذار الذهب	شذَرات الذَّهَبِ
٧	٧	عين التواريخ	عيون التواريخ
٨	١٧	الأخ العلام	الأَخ العَلَّامَة
٢٣	١٥	سؤدائه	سودائه
٢٣	الأخير	كُلّ	كُلٌّ
٢٣	هامش ١	دلين	د: لين
٣١	البيت الأخير	وانتبهوا	وانتهبوا
٣١	هامش ٥	لليونيقي	لليونيني

[٣٦] تاج العروس (ج و ز) ٨٠/١٥.

[٣٧] مجلة كلية الآداب، العدد ١٣، ص ١٦٣.

٣٣	٤	ماله	مَا لَهُ
٣٥	٣ من الأسفل	المُضنَي	المُضنَى
٤٣	٣ من الأسفل	مالي	ما لي
٤٦	البيت الأخير	مذبان	مُذْ بَانَ
٦٠	هامش ١	قسطنطينة	قسنطينة
٦٦	٦	حقا	حَقًّا
٧٧	٣	بشيراً	بَشِيرَا
٨٥	١٢	ملاً	مَلَلَا
٨٥	١٣	متّصِلاً	مُتَّصِلَا
٨٧	١٣	من بعي	مَن يَعِي
٨٧	هامش ٣	رضوي	رضوى
٩٠	١٨	لشىء	لشيء
٩٧+٩٢	٣ + ١	شيء	شيء
١٠٠	٩	لمخزون	لِمَحزُونِ
١٠٧	١٥	بمدح الشيخ	يَمدَحُ الشَّيخَ
١٣٨	٧	حيّذا	حَبَّذَا
١٤٦	١٢	بقيلوب	بقليوب
١٥٦	١٣	(ت ٨٤٨هـ)	(ت ٧٤٨هـ)
١٥٨	٧	٥٧	٧٥
١٦٢	١٥	٧١-٧٢	٧١
١٦٢	الأخير	١٠٨	١٢٨
١٦٣	١٣	الفشا	الغشا
١٧٢	١١	طهورها	ظهورها
١٦٦	ما قبل الأخير	السبيط	البسيط



الورقة الاولى من المخطوطة الطهرانية



الورقة الثانية من المخطوطة الطهرانية



بداية المخطوطة الطهرانيَة

المُستَدرَكُ:

[١]

قَالَ: [الرمل]

بَعَثَـتْ فـي طَـيٍّ أَنفَـاسِ الجَنُـوبِ لِـينَ عِطْفَيهَـا لِنعمَـانِ الكَثِيـبِ

التخريج:

دُرَّة الحجال ٢/١٤.

[٢]

قال: [الكامل]

مَـنْ مُبْلِـغٌ عَنِّـي كَـرِيمَ تَحِيَّتِـي قَـومِي بِجَرعَـاءِ العُـذَيبِ وَجِيرَتِـي
الـذَّاهِبِينَ - وَلا اعتِـرَاضَ عَلَـيهِمُ - بِحُشَاشَـتِي والمُـذْهِبِيْنَ بَقِيَّتِـي
قَـومٌ طَـوَالَ الـدَّهْرِ أُشْـهِدُهمْ مَعِـي وهُـمُ بِـأَعلَى حَـاجِرٍ، وَا حَيْرتِـي
أَصـبُو لِعِـزِّ جَمَـالِهِمْ وإلـى لَذِيـذِ وِصَـالِهِمْ، يَـا بُعـدَ مَرمَـى صَـبوتِي
وأَصُـدُّ عَـنهُمْ حَيـثُ كـانَ مُـرَادُهُمْ بُعـدِي، وكُلِّـي نَظـرَةُ المُتَلَفِّـتِ
قَـالُوا دَلالًا حِـينَ قُلْـتُ مِـن الجَفَـا: قَـد مُـتُّ: مُـتْ، فَحَيِيْـتُ إِذْ قَـالُوا: مُـتِ
مَـنْ لِـي بِهِـمْ والـدَّارُ غَيـرُ بَعِيـدَةٍ مِـن دَارِهِـمْ، والشَّـمْلُ غَيـرُ مُشَـتَّتِ
أَ مُطـالبي بِالصَّـبْرِ والسُّـلوَانِ مَـا تَ - لَكَ البقا - صَبري الجَمِيلُ وسَلوَتِي
إِنِّـي مَلِـيٌّ[٣٨] بِـالغَرَامِ، وَلَـيسَ لـي بِالصَّـبرِ عَـن أَحبَابِنَـا مِـن ذِمَّـةِ
اِعْلَـمْ بِـأَنِّي فِـي مَحَبَّـتِهِمْ فَتًـى مَـا حَـالَ عَـنْ عَهْـدِ الغَـرَامِ وَمَـا فَتِـي
وَبِـأَنَّ وَجْـدِي ذَلِـكَ الوَجْـدُ الـذِي تَدرُونَـهُ، وَصَـبَابَتِي تِلْـكَ التِـي
مَـا خَـانَهُمْ كَلَفِـي القَـدِيمِ، ولا وَفَـى صَـبرِي، وَلَـمْ تَتَعـدَّهُمْ أُمنِيَّتِـي
إنْ شِـئتَ تَعـرفُ صَـنعَةَ الحُـبِّ التِـي صَـحَّتْ بهَـا[٣٩] حَـالي، وحَالَـتْ صَـحَّتِي
فَـانظُرْ لِأَحمَـرِ أَدمُعِـي، وَلِأَصـفَرِ مِـنْ وَجنَتِـي، وَلِأَبـيَضٍ مِـنْ لِمَّتِـي
وَاعْلَـمْ عُلُـومَ الوَجْـدِ مِـن حَـالي، وخُـذْ خَبَـرَ الغَـرامِ وَأَهْلِـهِ مِـنْ سِـيرَتِي

(٣٨) كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: "مُعنًّى".

(٣٩) في الأصل: "صحَّت بهِ".

فَيَقِــــلُّ إنْ نَسَــــبُوا إلــــيَّ كُثَيِّــــرًا وتَـــذِلُّ عَـــزَّةُ أنْ تُقَـــاسَ بِعِزَّتِــــي

التخريج:

قلائد الجمان ٧/٢٥٤ .

[٣]

قال: (مجزوء الرمل)

كَتَـــــــبَ الـــــــوَردُ إلينَــــــا فِــــــي قَـــــرَاطِيسِ الخُلُــــــودِ:

يــــا بنــــي اللَّهــــو صِــــلُوني قَـــــد دَنَــــا وَقْــــــتُ وُرُوْدِي

التخريج:

سفينة الفلك ونفيسة الملك ٣٣٦ .

[٤]

قال ابنُ الخِيَمِيّ في ذَمِّ الجَمَاعَة:

[مجزوء الرَّجز]

كـــمْ قَـــد أَقَمـــتُ فِـــي الـــبِلا دِ بُرهَـــــةً وفِــــي القُــــرَى

فَمَـــــا وَجَـــــدتُ مُفلِحًـــــا فِـــي النَّـــاسِ مِـــن هـــذا الـــوَرَى

فَـــــــالأُمَرَاءُ كُلُّهُـــــــمْ أشِـــــــحَّةٌ وَالـــــــوُزَرَا

لا يَعرِفُـــــونَ مَــــا السَّـــــمَا حُ بَيـــــنَهُمْ وَلا القِـــــرَى

والفُقَهَـــــــاءُ وَالقُضَـــــــا ةُ حَيـــــثُ كــــــانُوا فُقَــــرَا

لَيْسَـــــتْ لَهُـــــمْ بِضَـــــاعَةٌ إلاَّ الجِـــــدَالُ والمِـــــرَا

التخريج:

جوهر الكنز ٣٤٢-٣٤٣ .

[٥]

قالَ ابن عبد المنعم الخيميّ:

(الكامل)

يَـــا حَبَّـــذَا الفَـــانُوسُ يَحْمِـــلُ كَلَّـــهُ أَبَـــدًا، وَيُرْسِـــلُ نَفْعَـــهُ للجَـــارِ

فَتَـــرَاهُ يُمْسِـــكُ حَـــرَّهُ ودُخَانَـــهُ فِيهِ،ويبـــذلُ خَـــالِصَ الأَنـــوَارِ

وَحَكَـــى مِـــنَ الـــرَّاووقِ أَكثَـــرَ شَـــكْلِهِ فَكَأَنَّـــــــــهُ رَاوُوقُ نُـــــــورِ النَّـــــــارِ

التخريج:

سرور النفس ٣٩١ .

[٦]

ممَّا يُستدرك على القصيدة ص ٢٧ "الأبيات مطموسة"، وظهر لنا منها:

(الطويل)

بَـــذرتُ بـــذهني الفضـــل فيمـــا بثثتُـــهُ فهـــذا النَّبـــتُ ....

أَتيـــــتُ بِــــنَظمٍ ....

لـــهُ الحُســـنُ نَظمًـــا لاحَ مِـــنْ أُفُـــقِ العُـــلَا فَـــوَدَّتْ لـــهُ الشِّـــعرَى تكـــونُ .... الغُـــرِّ

التخريج:

ديوان ابن الخيميّ، مخطوطة كتبخانة مركزي ٦ ب .

[٧]

قَالَ ابنُ الخِيَمِيِّ:

[الطويل]

وَتَـــأْمُرُني العُـــذَّالُ بِالصَّـــبرِ عَـــنكُمُ ومَن ذا الذى يَرضَـى عَنِ الحُلْوِ بِالصَّبْرِ؟

ومِـــن أَعجَـــبِ الأَشْـــيَاءِ أَنَّ عَـــوَاذِلي يُطِيلُونَ لَوْمِي فِي الهَوَى، وَالهَوَى عُذْرِي

التخريج:

نهاية الأرب ٢٧٢/٢.

[٨]

يُستدركُ هذا البيتُ على القصيدة ص ٦٣-٦٤، ويكونُ بَعدَ البيتِ رقم ١١:

[مجزوء الرجز]

وإنْ ضَـــــــــــمَمْتَ أو فَتَحْـــــــــــــــتَ فهـــــوَ للنَّصـــــبِ وَطَـــــرْ

التخريج:

ديوان ابن الخيميّ، مخطوطة كتبخانة مركزي ٢٦ ب .

[٩]

يُستَدركُ هذا البيتُ على القصيدة الواردة ص ٤٦،ويكون خامسًا:

[الطويل]

لـــهُ سَــلَكَ الأَحبَــابُ قَبلِــي، فَــإِنَّهُمْ بِصِـــدقِهِمُ دُونِـــي إِلـــى اللهِ أَســـرَعُوا

التخريج:

السفينة (١٦٢٠) ٤١ أ .

[١٠]

قَالَ يَرثِي تَيسًا كانَ يَرعَاهُ، ومَاتَ في الرَّبِيعِ:

[الخفيف]

رُبَّ تَـــيسٍ رَعَيتُـــهُ فَرَعَـــاني وَقَلِيــلٌ فــي النَّــاسِ غيــر مُضــيعِ

مَلكتُـــهُ يـــدي هـــلال ربيـــع فأتانـــا فـــي سَـــلْخِهِ بِقَطِيـــعِ

التخريج:

نُزهة الأخبار في محاسن الأخيار ٨٢ ب.

[١١]

قَالَ:

[الطويل]

وتُفَّاحَـــةٍ مِـــن سَوسَـــنٍ صِـــيْغَ نِصـــفُهَا ومِـــن جُلَّنَـــارٍ نِصـــفُهَا وشَـــقَائِقِ

كـأَنَّ الهَـوَى قَـد ضَـمَّ مِـن بَعـدِ فُرقَـةٍ بِهـا خَـدَّ مَعشُـوقٍ إِلـى خَـدِّ عَاشِـقِ

التخريج:

سفينة الفلك ونفيسة الملك ٣٤٤ .

[١٢]

قَالَ:

[البسيط]

تُفَّاحَـــةٌ جَمَعَـــتْ لَـــونَينِ خِلتُهُمَـــا خَــدَّيْ مُحِــبٍّ وَمَحبُــوبٍ قَــدِ التَصَــقَا

تَعَانَقَـــا، فَبَـــدَا وَاشٍ فَرَاعَهُمَـــا فَــاحْمَرَّ ذا خَجَــلًا، وَاصْــفَرَّ ذا فَرَقَــا

التخريج:

سفينة الفلك نفسية الملك ٣٤٤ .

[١٣]

قَالَ:

[الطويل]

بَــدَتْ وجَفَيْنَــا هَكَــذا كُــلُّ مَــن بَــدَا جَفَــاءً، وظَنَّــتْ هكــذا الحُسْــنُ والــدَّلُّ
ومِــنْ أَعجَــبِ الأَشــيَاءِ بَادِيَــةٌ، وَمَــا لَهَــا مِــن قِفَــارِ البِيْــدِ دَارٌ ولا أَهْــلُ

التخريج:

مسالك الأبصار (المخطوط) ١٩٩/١٨،(المطبوع) ١٩٥/١٨ .

[١٤]

يُستَدرَكُ هذا البَيتُ على القَصِيدَةِ الوَارِدَةِ ص ٦٦،ويكون ثامنًا:

[الرمل]

لَحْظُــــهُ فِيهَــــا مُــــدِيْرٌ خَمْــــرَةً مُزِجَــــتْ مِــــن رِيقِــــهِ بِالسَّلسَــــبيلِ

التخريج:

المُغرب في حُلَى المَغرِبِ (القاهرة) ٣٩٠، صرف العين ٤٢٦/٢ .

[١٥]

قَالَ: [الرمل]

زَمَــــانُ الــــوَرِدِ أَعــــلامُ الزَّمَــــانِ وروحُ الــــرَّاحِ رَاحَــــةُ كُــــلِّ عَــــانِ
ومَــــا اجتَمَعَــــتْ هُمُــــومٌ قَــــاتِلاتٌ مَــــعَ الصَّــــهْبَاءِ يَومًــــا فِــــي مَكَــــانِ

التخريج:

حلبة الكميت ٢٣٧، سفينة الفلك ٣٣٦ .

[١٦]

قَالَ يخاطبُ قاضي القضاة شَمْسَ الدِّينِ ابنَ خَلِّكَانَ في عَمَلِ مَحضَرٍ لِأَخَوَينِ مُعسِرَينِ، أَحدهما حسن والآخر حُسين: [الكامل]

يــا ثَــانِيَ القَمَــرَينِ، بــل يــا ثالــثَ الــــعُمَرَينِ، هــذا مَحضَــرُ الحَسَــنَينِ
أخَــوانِ قَــد نَزَفَــتْ دُمُوعُهُمَــا دَمًــا بــالفَقرِ، فــانظُرْ فــي دَمِ الأَخَــوَينِ

التخريج:

تأهيل الغريب ٣٦٣ .

المَنسُوبُ

[١]

ابن الخيميّ: [الوافر]

كـــأَنَّ الشَّـــعرَ يَطلُبُنِـــي بِـــدَيْنٍ فَكَـــمْ يَجفُـــو عَلـــيَّ ويَســـتَطِيلُ

التخريج:

لهُ في: جوهر الكنز ٤٩١ .

* لسيفِ الدِّينِ المُشِدِّ (ت ٦٥٦هـ)، ديوانه ٢٣٤، وقَبلهُ بَيتَانِ.

[٢]

قَالَ ابنُ الخِيَميِّ في مَليحٍ اسمهُ "عليّ":

إلـــى اللهِ أَشـــكُو مِـــن عَلِـــيٍّ فإنَّـــهُ شَـرَحتُ لـهُ وَجـدِي[٤٠] وفَـرْطَ تَـأَلُّمِي

وأَحـــوَجَني لِلغَيـــرِ بَينِـــي وَبَينَـــهُ ويَحتَـــاجُ مَـــنْ يَهـــوَى عَلِيًّـــا لِسُـــلَّمِ

التخريج:

لهُ في: مراتع الغزلان ٤ .

* لشهاب الدين أحمد بن محمد الحاجبي في: أعيان العصر ٣٦٩/١ .

المَصَادِر:

المخطوطة:

– البَدرُ السَّافر في أنس المسافرِ: جعفر بن ثعلب بن جعفر بن عليّ الأدفويّ (ت ٧٤٩هـ)، مكتبة الفاتح باستانبول، بالرقم ٤٢٠١.

– التاريخ الكبير: تقيّ الدين ابن قاضي شُهبة الأسديّ الشَّافعيّ (ت ٨٥١هـ)، مكتبة فيض الله أفندي، تركيا، بالرقم ٤٤٠٣ .

– الحواضر ونزهة الخواطر: عبد الرحمن بن إسماعيل، الملقَّب بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، دار الكتب المصرية، رقم ٦٤٨/ أدب تيمور.

– درة الأسلاك في دولة الأتراك: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩هـ)، مكتبة أيا صوفيا، بالرقم ٢٢٣.

– ديوان ابن الخيمي محمد بن عبد المنعم (ت ٦٨٥هـ)، كتبخانة مركزي في طهران، بالرقم ١٩٧٨.

– ديوان سيف الدين المُشدّ (ت ٦٥٦هـ)، دراسة وتحقيق وتذييل عباس هاني الجرَّاخ، جامعة بابل – كلية التربية، ٢٠٠٠م.

– السَّفينةُ: شهاب الدين أحمد بن محمد بن مبارك شاه المصريّ (ت ٨٦٢هـ)، مكتبة فيض الله أفندي باستانبول، بالرقم ١٦٢٠.

– عقود الجمان ؛ تذييل وفيات الأعيان: محمد بن بهادر الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ)، مكتبة الفاتح، تركيا، الرقم ٤٤٣٥.

– عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤هـ)، متحف طوب قابو سراي (أحمد الثالث)، بالرقم ٢٩٩٢ .

– مراتعُ الغزلان في وصف الحسان من الغلمان: محمد بن حسن النواجي (ت ٨٥٩هـ)، مكتبة الإسكوريال، بالرقم ٣٣٩.

[٤٠] أعيان العصر: "فإنَّني * شرحتُ لهُ شوقي".

– المـرج النضِـر والأرج العطـر: الشـريف صــلاح الـدين محمَّـد بــن أبــي بكـر بـن علــيّ الأسـيوطيّ (ت ٨٥٩هـ)، المركـز الــوطني للمخطوطات، بغداد، بالرقم ٦٢٠٧ .

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: شهاب الدين أحمد بن يَحيَى بن فضل الله العمريّ (ت ٧٤٩هـ)، معهد تاريخ العلوم الإسلامية، جامعة فرانكفورت، إشراف الدكتور فؤاد سزكين، ١٩٨٨م.

– نزهة الأخبار في محاسن الأخيار: محمد بن حسن النواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، جامعة الملك سعود، بالرقم ٢٧٢٩.

المطبوعة:

– الإحاطـة فـي أخبـار غرناطـة: لسـان الـدين ابـن الخطيـب (ت ٧٧٦هـ)، حققـه محمـد عبـد الله عنـان، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

– الأعلام: خير الدين الزركليّ (ت ١٣٩٦هـ)، دار العِلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٧٩م.

– أعيانُ العصـر وأعـوان النصـر: خليـل بـن أَيبك الصـفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيـق الدكتور علـي أبـو زيـد وآخرين، دار الفكـر، دمشـق، ١٩٩٨م.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرَّحمن بن أبـي بكر السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تَحقِيق مُحمَّد أبـو الفضـل إبراهيم، القَاهِرَة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

– تاريخ ابـن الفرات: محمَّد بن عبد الرحيم بن علـيّ بن الفرات (ت ٨٠٧هـ)، حقَّقَهُ وضـبطَ نَصَّـهُ قسطنطين زريق ونجـلاء عزّ الدين، الجامعة الأمريكيَّة، بيروت، ١٩٤٢م .

– تالي كتابِ وفيات الأعيان: فضل الله الصقاعيّ (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق جاكلين سوبله، المطبعة الكاثولكية، بيروت، ١٩٧٤م.

– تأهيل الغريب: أبـو بكر بـن علـيّ بـن عبد الله الحمويّ (ت ٨٣٧هـ)، تحقيـق محمـود حسـن المصـريّ، نـادي المدينـة المنـورة الأدبـي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

– تذكرةُ النبيـه فـي أخبـار المنصـور وبنيـه: الحسـن بـن عمـر ابـن حبيب (ت ٧٧٩هـ)، تحقيـق محمد محمد أمين، دار الكتب المصـرية، ١٩٧٦م.

– تزيينُ الأسواق في أَخبار العشاق: دَاوُد الأَنطاكيّ (ت ١٠٠٨هـ)،تحقيق محمد ألتونجي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣م .

– تمثالُ الأمثالِ: محمد بن عليّ العبدري الشَّيْبِيّ (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق الدكتور أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢م .

– جوهرُ الكنز: أحمد بـن إسماعيل بن الأثير الحلبـيّ (ت ٧٣٧هـ)، تحقيـق الدكتور محمد زغلول سـلام، مُنشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٧م.

– حُسن المحاضرة في تـاريخ مصـر والقـاهرة: جـلال الـدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيـق محمد أبـو الفضـل إبراهيم، القـاهرة،١٩٦٧ – ١٩٦٨م.

– حَلْبَةُ الكُميت في الأدب والنوادر: محمد بن حسن النواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، المطبعة المصرية، مصر، ١٢٢٧هـ/ ١٨٥٩م .

– الدارس فـي تـاريخ المدارس: عبد القادر بـن محمد النعيمـيّ الدِّمشـقيّ (ت ٩٢٧هـ)، تحقيـق إبـراهيم شـمس الـدين، دار الكتب العلميـة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

– دُرَّة الحجـال فـي أسـماءِ الرِّجـال: أحمـد بـن محمـد المكناسـيّ الشـهير بـابن القاضـيّ (ت١٠٥٢هـ)، تحقيـق الـدكتور محمـد الأحمـدي أبو النور، المكتبة العتيقة – تونس، دار التراث، القاهرة،١٣٩١هـ/١٩٧١م.

– الدررُ الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)، حيدر آباد، ١٩٤٥م.

– ديوان ابن النقيب الفقيسيّ (ت ٦٨٧هـ)،جمع وتحقيـق ودراسة الدكتور عباس هاني الـجرَّاخ، دار تموز، دمشق، ٢٠١٢م، دار صـادر، بيروت، ٢٠١٦م.

– ديوان أبي فراس الحمدانيّ، عُنِيَ بجمعهِ ونَشرِهِ وتعليقِ حواشِيهِ ووضعِ فهارسِهِ سامي الدَّهَّان، بيروت، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

– ديوانُ بشَّار بن بُرد، شرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة الشركة التونسيّة، تونس، ١٩٧٦م.

– ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون: صَنَعَهُ وقَدَّمَ لهُ الدكتور كامل مصطفى الشَّيبيّ، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

– ديوان مهذَّب الدين ابن الخيمي (ت ٦٤٢هـ)، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عباس هاني الچرَّاخ، مركز العلّامة الحلّيّ، مطبعة الكفيل، كربلاء، ١٤٣٧هـ /٢٠١٦م.

– ديوان يوسف بن لؤلؤ الذهبيّ (ت ٦٨٠هـ)، جمع وتحقِيق ودراسة الدكتور عبَّاس هاني الچرَّاخ، دار صادر، بيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م .

– ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد: أبو الطيب محمد بن أحمد بن عليّ الفاسيّ (ت ٨٣٢هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

– ذيل الروضتين: أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، نشرهُ عزت العطار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.

– ذيل مرآة الزمان: موسى بن محمَّد اليونيني (ت ٧٢٦هـ)، تحقِيق الدكتور عبَّاس هاني الجراخ، دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، ٢٠١٣م.

– رياض الألباب بمحاسن الآداب: جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار مجدلاوي، عمَّان، ٢٠١٣ –٢٠١٤م.

– ريحانة الألِبَّا وزهرة الحياة الدنيا: شهاب الدين أحمد بن عليّ الخفاجيّ (ت ١٠٦٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة ١٩٦٧م .

– زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة: ركن الدين بيبرس المنصوريّ الدوادار (ت ٧٣٥هـ)، تحقيق دونالد س . ريتشاردز، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

– سرورُ النَّفس بمدارك الحواس الخمس: أحمد بن يوسف التيفاشيّ (ت ٦٥١هـ)، اختصار: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تَحقِيق الدكتور إحسان عَبَّاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

– سفينة الملك ونفيسة الفلك: محمد بن إسماعيل الشافعي (ت ١٢٧٤هـ)، المطبعة الحجرية، مصر، ١٢٧٣هـ.

– السلوكُ لمعرفة دول الملوك: تقيّ الدين المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، نَشَرَهُ محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م .

– شذراتُ الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحيّ بن أحمد بن محمَّد ابن العماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ)، حقَّقَهُ محمود الأرناؤوط، خرَّجَ أحاديثَهُ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

– صَحائفُ الحسناتِ في وَصف الخال: شمس الدين النواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور حسن محمد عبد الهادي، دار الينابيع، عمَّان، ٢٠٠٠م.

– صرف العين: خليل بن أيبك الصّفديّ (ت ٧٦٤هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م .

– العبرُ في خبر مَنْ غبر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٦هـ .

– عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان: بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصريَّة العامة للكتابِ، القاهرة، ١٩٨٨م.

– عيونُ التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)،تحقيق الدكتور فيصل السامر و نبيلة عبد المنعم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م.

- فَوَاتُ الوَفيات والذيلُ عليها: محمد بن شاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
- كشفُ الحالِ في وَصْفِ الخالِ: خليل بن أيبك الصّفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
- المُختارُ مِن تاريخ ابن الجزريِّ، اختيار شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق خضير عبَّاس المنشداويّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- مرآةُ الجنان وعبرةُ اليقظانِ: عبد الله بن أسعد بن علي اليافعيّ (ت ٧٦٨هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدّكن، ١٣٣٨هـ.
- مسالكُ الأبصار في ممالكِ الأمصار: شهاب الدين أحمد بن يحيَى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٠م.
- مستوفي الدَّوَاوين: محمد بن عبد الله الأزهريّ (ت ٨٨٧هـ)، تحقيق زينب القوصيّ و وفاء الأعصر، دار الكتب والوثائق القوميَّة، القاهرة، ٢٠٠٣م – ٢٠٠٤م.
- معجمُ الدَّواوين والمجاميع الشعرية المُحقَّقة في العراق حتى سنة ٢٠١٧م: الدكتور عباس هاني الجراخ، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مطبعة التَّرَقِّي، دمشق، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
- المُغربُ في حُلَى المغربِ (القاهرة): ابن سعيد الأندلسيّ (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق الدكتور حسين نصَّار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- المقتفي على كتاب الروضتين، المعروف بتاريخ البرزاليّ: القاسم بن محمد بن يوسف البرزاليّ الإشبيليّ الدمشقيّ (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- المُقَفَّى الكبيرُ: تقيّ الدين أحمد بن عليّ المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- منازلُ الأحبابِ ومنازهُ الألباب: شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبيّ (ت ٧٢٥هـ)،حقَّقَهُ وقدَّمَ لهُ الدكتور محمَّد الديباجيّ، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م .
- المنهلُ الصَّافي والمستوفي بعد الوافي: جمال الدين يُوسُف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) تحقيق الدكتور محمد محمد أمين و نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ١٩٨٥– ٢٠٠٢م.
- النجومُ الزَّاهرةُ في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)،دار الكتب المصرية،١٩٣٦م .
- نَشْرُ الشعر وتحقيقه في العراق حتى نهاية القرن السابع الهجريّ: الدكتور علي جواد الطاهر و عباس هاني الجراخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠م.
- نهايةُ الأرب في فنونِ الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد النويريّ (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م .
- الوافي بالوَفَيَاتِ: خليل بن أيبك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق جماعة من المحققين العرب والمستشرقين، في سنوات مختلفة.
- وَفَيَاتُ الأعيان وأنباءُ أبناء الزمان: أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

المجلاتُ:

– أبو طالب محمَّد بن علي بن الخيمي حياته وآثاره وشعره: هلال ناجي، مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٣، الجزء ٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

– استدراكاتٌ ذاتيةٌ على دواوين من صنعتي: الدكتور عبَّاس هاني الجراخ، مجلد (المورد) المجلَّد ٤٧، ع ٢، ٢٠٢٠م.

– المختارُ مِن شِعْرِ ابن الخيمي: الدكتور حسين عليّ محفوظ، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٣، ١٩٧٠م .

– المستدركُ على ديوان يوسف بن لؤلؤ الذهبيّ: الدكتور عبَّاس هاني الجراخ، مجلة (المورد)، العدد ١، ٢٠١٧م.

– نظراتٌ نقديَّةٌ في (ديوان ابن الخيمي، ت ٦٤٢هـ) ط. مجمع اللغة العربية بدمشق: الدكتور عبَّاس هاني الچرَّاخ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٩٠، الجزء ١، ٢٠١٧م.

(القرآنيةُ)
قراءةٌ في الاجتراحِ والتصورِ

الأستاذ الدكتور علي كاظم محمد علي المصلاوي
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

من المصطلحات التي أُطلقت لوصف الأخذ والتفاعل مع القرآن الكريم؛ وكانت من مشهورة التداول والشيوع: الاقتباس القرآني، وأثر القرآن أو الأثر القرآني والتوظيف القرآني، والتناص القرآني، ولكلٍّ من هذه المصطلحات متبنون يدافعون عن مصطلحهم الذي وجدوه الأنجع والأوفق في الاستعمال؛ ومن بين هذه المصطلحات أيضا والذي ظهر متأخرا نسبيا مصطلح (القرآنية) الذي سجل حضوره في الساحة النقدية والأدبية، وكان لهذا الاستحداث مبرراته وأسبابه التي عرضها مجترحه الدكتور مشتاق عباس معن ومتبنيه الدكتور احسان حاجم التميمي، وقد استعرضا بشكل مباشر وصريح المصطلحات السابقة الذكر وعللا سبب تركهما لها وايثار مصطلح (القرآنية) عليها مستندين الى القواعد المجمعية التي تبيح لهما اجتراء المصطلح وتقديم تصور جديد له.

وجاء البحث ليقرأ ما قُدم من تصور لهذا المصطلح، وما وجه له من انتقادات، وما عرضه من أسباب ودواع لتبنيه دون المصطلحات الأخرى.

المقدمة:

كان ولم يزل القرآن الكريم معينا للأدباء فيما ينظمون ويكتبون ويدبجون من نصوص فنية وإبداعية، يحدوهم في ذلك إعجابهم بصياغته المعجزة، ومحاولة محاكاتها والنسج على منوالها، ومن ثَمَّ يكاد لا يخلو نص ابداعي ما من الافادة منه بشكل أو بآخر، وهذا ما دأبوا وحرصوا عليه منذ نزول القرآن وحتى يومنا هذا، ووسم النقاد القدماء هذا الأخذ وهذا التفاعل مع النص القرآني بالاقتباس.

وتعددت طرق الإفادة من هذا النص المعجز، من اقتباس مباشر وغير مباشر، وتوزعت الرؤى بين قبول هذا الاقتباس وحلِّيَّته كليًّا، وبين رفضه وحرمته كليًّا، وبين التوسط بين المقبول الكليّ والمرفوض الكليّ مشترطين على الشاعر/ الناثر عدم انتهاك حرمة القرآن بعده نصا مقدسا لا يمكن التلاعب به بالشكل الذي يجعله موهنا ضعيفا في اللفظ والمعنى والسياق الذي جاء به وبخاصة في موضوعات تبتعد عن الاخلاق والقيم الإسلامية كالهجاء والغزل الفاحش وغيرها.

وليس من وكدنا في هذا البحث الاستغراق في هذه الامور المتقدمة ومحاورتها والتدقيق بها، وانما جعلنا وكدنا وهمتنا في المصطلحات التي أُطلقت لوصف هذا الأخذ وهذا التفاعل مع القرآن الكريم؛ فوجدنا مجموعة من المصطلحات صوَّبت نحو هذا الهدف أشهرها في التداول والشيوع: الاقتباس القرآني، وأثر القرآن أو الأثر القرآني والتوظيف القرآني، والتناص القرآني، وأخيرا مصطلح (القرآنية)؛

ولكلٍّ من هذه المصطلحات متبنون يدافعون عن مصطلحهم الذي وجدوه الأنجع والأوفق في الاستعمال؛ ولكن هذه الحماسة والاندفاع لا تجعلنا نرضخ لما يقولون، وانما هناك اشتراطات وضعت من لدن مختصين بعلم المصطلح، يعرض عليها أي مصطلح كان أو سيكون فما وافقت تلك الاشتراطات قُبل المصطلح بقبول حسن وثني عليه، وما لا يوافقها كان من المستبعدين.

ولما كان مصطلح (القرآنية) من المصطلحات المستحدثة أو الحداثوية[١] في الساحة النقدية والأدبية، فلا ريب ان هذا الاستحداث له مبرراته وأسبابه التي عرضها مجترحه ومتبنيه، ومن ثم سنتعرَّض بشكل مباشر وصريح للمصطلحات السابقة الذكر معلِّلة سبب تركها لها وإيثار مصطلح (القرآنية) عليها.

مدخل تاريخي للمصطلح:

لكل علم من العلوم مصطلحات خاصة به، ومن ثمَّ لابدَّ من سؤال أهل ذلك العلم عنها، ((لأنّها هي ما يَصفُ ويُؤسسُ وينقلُ العلوم))[٢]. وعليه فإنَّ الخوض في حركية المصطلح ومتابعة مستجداته وما يطرأ عليه من تغييرات وإضافات واحدة من مهام المختصِّ وواجباته.

لذا سنقف في هذا البحث عند مصطلح نقدي مهم أغنى وجوده مساحة طيبة من التحليل ،وأثار في الوقت نفسه جدلا في أحقية استعماله ألا هو مصطلح (القرآنية).

و(القرآنية) من المفاهيم الإجرائية الجديدة على الساحة الأدبية والنقدية، وقد اجترحه الأستاذ الدكتور مشتاق عباس معن في بحثه ((القرآنية في شعر محمد حسين ال ياسين)) الذي كتبه في نهايات القرن الماضي وتحديدا في سنة ١٩٩٧م،[٣] وضمَّنه فيما بعدُ كتابَهُ ((تأصيلُ النص قراءةٌ في أيديولوجيا التناص)) الصادر عن مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء ٢٠٠٣م.

وجاء اجتراحه ضمن مسوغات ارتآها ناجعة في حلِّ مشكلة عَقَديَّة تمثَّلت فيما طرحته المنظومات الأيديولوجية الأخرى من أنَّ كلَّ نصٍ آخذٌ من غيره ومأخوذٌ منه الامر الذي لا يستقيم مع القرآن الكريم بعده كتابا سماويا منزَّها؛ وإذا لم يحلل هذا الإشكال فانَّه سيسد ((قناة التواصل مع المتلقي الذي تعدُّ استجابته مبتغى الطرح والإنتاج))[٤] بحسب قوله.

وأول من تبنَّى مصطلح (القرآنية) الدكتور احسان حاجم التميمي في رسالته للماجستير الموسومة بـ ((القرآنية في شعر الرواد في العراق)) والمناقَشة في ٢٠٠٠/٦/٧م.[٥] وقد طبعت كتابا بعنوان

---

[١] جاء ذلك في بحث القرآنية في شعر الإمام السّجاد (عليه السلام) للباحثين: الدكتور راسم أحمد الجريّاوي والدكتور مهدي عبد الأمير مفتن المنشور في مجلة القادسية، المجلد العشرون، العدد ١/٢٠١٧م.

[٢] أهمية المصطلح في علم الكلام والعلوم الاخرى، أزهرية السعدي، موقع التفاهم، عدد ٧، ابريل ،٢٠٢٠م.

[٣] ذكر ذلك الأستاذ الدكتور مشتاق عباس معن في مقابلة شخصية معه بتاريخ ٣/ ١/ ٢٠٢٢م.

[٤] تأصيلُ النص قراءة في أيديولوجيا التناص:١٦٨.

[٥] ذهب الباحثان الأستاذ الدكتور محمد الخطيب والباحث علاوي كاظم كشيش الى ان مصطلح القرآنية او النظرية القرآنية كما نعتاها حلَّ في مطلع القرن الواحد والعشرين وهذا الرأي غير دقيق. ينظر: الاقتباس

((القرآنية في شعر الرواد)) وذيَّلَ لتوضيح معنى مصطلح القرآنية وتأكيد حضوره النقدي وإبعاد الغموض واللبس فيه بـ((دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الإبداعي))، وقد أشار في الصحيفة (٢١) هامش رقم (٣) الى أوَّلية طرح المصطلح للدكتور مشتاق عباس في بحثه السابق الذكر.

وسار بعد ذلك عددٌ من الدارسين والباحثين في بحوثهم ودراساتهم للماجستير والدكتوراه على تبني مصطلح القرآنية وتطبيقه على نماذج شعرية أخرى[٦]، وتوسع المجال ليطبَّق على النصوص النثرية.[٧] مما يدلُّ دلالة واضحة على نجاعة المصطلح في التعامل الاجرائي المختلف والجديد في معالجة النصوص الإبداعية الذي انتهجته كثير من الدراسات التي حملت عناوين (أثر القرآن) و(الأثر القرآني) و(الاقتباس القرآني) و(التوظيف القرآني) و(التناص القرآني) وغيرها مما نجده في ساحة النقد.

اشتقاق المصطلح:

على ان الدراسات التي اجترحت و تبنَّت مصطلح القرآنية لم تهتم كثيرا بتوضيح طبيعة اشتقاقه اللغوي، والمشكلة التي لربما يثيرها عليهم متبني المصطلحات الأخرى الذين يرون في مصطلح (القرآنية) فضلة لا داعي لها أمام المصطلحات الأعرق وذات الأصالة في نظرهم كأثر القرآن والأثر القرآني والاقتباس القرآني، ولا يمكن تجاوزها إليه، والمشكلة اللغوية تكمن في ان لفظة القرآن مذكر فلماذا وما الداعي لتأنيثها بإضافة الياء والتاء المربوطة لها، ومن ثمَّ هو ليس بمصطلح جدير بالتداول والاستعمال؟

وحين العودة الى معاجم اللغة بحثا عن لفظ (القرآنية) لم نجده حاضرا فيها، وحتى المعاجم الحديثة كالمعجم الوسيط لم تذكر هذه اللفظة مطلقا، ونجد في المعجم الالكتروني (المعاني الجامع) المتاح على

والتناص والقرآنية نظرة في إشكالية المصطلحات والمفاهيم والتطبيقات، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد الأول من المجلد الثاني – ماي ٢٠٢١م.

[٦] منها على سبيل المثال لا الحصر:((القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي))، الاستاذ المساعد الدكتور علي كاظم محمد علي المصلاوي والمدرس كريمة نوماس محمد المدني، بحث منشور في مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٦، ٢٠٠٨م ، و((القرآنية في مراثي العباس بن علي عليه السلام دراسة تحليلية لفاعلية النص القرآني في مراثي العباس عليه السلام)) م.م مصطفى طارق عبد الامير، بحث منشور في مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٢٠، لسنة ٢٠١٦م. ورسالة الماجستير الموسومة بـ ((القرآنية في شعر الشريف الرضي)) للطالبة (سماح عبد الهادي عبد) بإشراف الاستاذ المساعد الدكتور زهرة خضير عباس ،جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد ٢٠١٧م، وكتاب ((القرآنية مفهومها –موضوعها– معاييرها – اشكالها))، للأستاذ الدكتور رحمن غركان، دار نيبور للطباعة والنشر،٢٠٢١م.

[٧] منها على سبيل المثال لا الحصر: ((القرآنية في دعاء الإمام الحسين في عرفة))، م.م سناء علي حسين الحمداني، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٩ لسنة ٢٠٠٩م ، و((القرآنية في نهج البلاغة))، الاستاذ المساعد الدكتور علي ذياب محيي ،بحث منشور في مجلة العميد، العدد السادس، حزيران ٢٠١٣م.

النت تعبير: مَدْرسَة قُرْآنيّة: يحفَّظ فيها القرآنُ الكريم، ويطلق عليها: كُتَّاب؛ والظاهر انها من الإضافات المعاصرة. ونجد هذا اللفظ في أسماء بعض الكتب الحديثة منها: كتاب ((الظاهرة القرآنية)) للمفكر الإسلامي مالك بن نبي، وكتاب ((المدرسة القرآنية)) للسيد محمد باقر الصدر قدس سره، وكتاب ((القراءات القرآنية تاريخ وتعريف)) لعبد الهادي الفضلي وغيرها، المقصد من هذه المعلومات ان هذه اللفظة معروفة متداولة وليست بغريبة او عجيبة على ذاكرة الدارس والناقد العربي المعاصر، هذا أمر والأمر الآخر انَّها جاءت مضافة ولم تأت برأسها كما جاء بها الدكتور مشتاق وهنا مكمن الإعتبار.

ويمكن القول ابتداء ان هذا اللفظ جاء به مجترحه على وفق صيغة صرفية شاع استعمالها وكثرتها في العصر الحديث دون القديم مثلما سنوضحه.

فالقرآنية يتنازعها عنوانان صرفيان هما: المصدر الصناعي والاسم المنسوب؛ فالمصدر الصناعي: ((هو مصدر قياسي يُطلق على كل لفظ (جامد أو مشتق)، زِيد في آخره حرفان؛ هما: ياء مشدَّدة بعدها تاء تأنيث مربوطة؛ ليصير بعد زيادة الحرفين اسمًا دالًّا على معنى مجرَّد لم يكُن يدل عليه قبل الزيادة، وهذا المعنى المجرد الجديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ ؛ مثل: كلمة "إنسان"، ...، فإذا زِيدَ في آخره الياء المشدَّدة وبعدها تاء التأنيث المربوطة، صارت الكلمة "إنسانية"، وتغيَّرتْ دَلالتُها تغيرًا كبيرًا؛ إذ يُراد منها في وضعها الجديد معنًى مجردٌ يشمَل مجموعة الصفات المختلفة التي يختص بها الإنسان؛ كالشَّفقة، والرَّحمة، والحِلم، والمعاونة، والعمل النافع، والإيثار، ولا يُراد الاقتصارُ على معناها الأول وحدَه، ومثلها: الإشتراك والاشتراكية، والأسد والأسديَّة، والوطن والوطنية، والتقدم والتقدميُّة، والحزب والحزبية، والوحش والوحشية، وهكذا.))[٨] .

أما الاسم المنسوب فهو اسم يضاف إلى آخره ياء مشددة، ويكسر ما قبلها ليدل على نوع من العلاقة بين الاسم المنسوب والمنسوب إليه، فهو وطني وهي وطنية، وذاك استقلالي وتلك استقلالية.

ووقفت مقالات تفرق بين الاثنين ((فمن المعروف أنَّ الاسم المنسوب ينتهي بياء النَّسب المشدَّدة، بينما المصدر الصِّناعيُّ ينتهي بياءٍ مشدَّدةٍ وتاءٍ مربوطةٍ، فإذا أُنِّث الاسم المنسوب، وأُضِيفت إليه التَّاء المربوطة، يحدث عندئذٍ الالتباس بينهما؛ حيث كلاهما في هذه الحالة ينتهي بالياء المشدَّدة والتَّاء المربوطة.

وللتَّفريق بين هذا وذاك اعتاد المعلِّمون، ومؤلِّفو الكتب الخارجيَّة، على القول: إنَّ الاسم المنسوب يُعرَب نعتًا، بينما المصدر الصِّناعيُّ لا يقع نعتًا)).[٩]

وإذا لم يُرَد الوصف فالاسم هو مصدر صناعي، نحو: حافظ على وطنيتك، فالمقصود الوطن وما

---

[٨] وظيفة المصدر الصناعي في صناعة المصطلح، إعداد الباحث عبدالناصر بوعلي جامعة تلمسان/ الجزائر، بحث منشور على النت.

[٩] التَّفريق بين المصدر الصِّناعيِّ والاسم المنسوب – وإعراب المستثنى.. أوهام نحويَّة!!، بقلم الأستاذ/ يسري سلال، مقال منشور على موقع نحو دوت كوم – ومبادرة نَحْوَ نَحْوٍ جَدِيدٍ.

يستلزم من مواقف وحالات، فالكلمة مصدر صناعي.[١٠]

ولذلك حددت بعض القواعد للتفريق بينهما وهي:

- ((المصدر الصِّناعيُّ لا يقع نعتًا، بينما الاسم المنسوب يقع نعتًا في الغالب.
- أنَّ المصدر الصِّناعيَّ لا يمكن أن يعبِّر عن عاقلٍ؛ لأنَّ المصدر الصِّناعيَّ يشير إلى مجموعة (صفاتٍ) تميِّز شيئًا ما، في حين أنَّ الاسم المنسوب قد يعبِّر عن العاقل، وقد يعبِّر عن غير العاقل))[١١].

وبموجب ذلك فـ(القرآنية) هو مصدر صناعي يشير الى مجموعة صفات تميِّز القرآن الكريم من غيره من النصوص والكتابات. ولا يراد بها اسما منسوبا ، ويمكن وضعه في المجال الدال على المصطلحات اللغوية والأدبية.

وأُشير الى انَّ مثل هذه الاستعمالات للمصدر الصناعي قد كثرت في اللغة المعاصرة للدلالة على فاعلية المصدر أو حركيته، وخاصة بعد ترجمة العلوم..[١٢]

وقد دلَّ وجود المصدر الصناعي في اللغة العربية على جدارة هذه اللغة وقدرتها على استيعاب المبتكرات العلمية، وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة، ومواكبة التقدم في مختلف المجالات.[١٣]

تعريف المصطلح عند مجترحه ومتبنيه والقواعد المصطلحية التي أُسس عليها:

ولو عدنا لمجترح المصطلح نجده يحدده بقوله: ((آلية من الآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى والأنساق، بنية وإيقاعاً، بحسب سياق القرآن الكريم))[١٤]، ويذهب متبنيه الدكتور احسان التميمي الى((كونه: نمطا معاصرا يتجلى فيه تعامل الشعراء الرواد مع النص القرآني، اذ يتم بموجبه استحضار النص القرآني أو استضافته في النص الشعري، بهدف إغناء نصوصهم الإبداعية بطريقة (قصدية/ غير قصدية)، (مباشرة/ غير مباشرة) تتشكل من خلالها نصوصهم الإبداعية من جهتي الرؤيا والأنساق (بنية وايقاعا) بحسب ما مرسوم في القرآن الكريم بكونه مرجعا يشحذ تجاربهم الشعرية)).[١٥]

---

[١٠] استقينا هذه المعلومات من مقال: المصدر الصناعي والاسم المنسوب للمؤنث ،لفاروق مواسي، منشور في يوم الأربعاء ٢٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٨ على موقع ديوان العرب.

[١١] التَّفريق بين المصدر الصِّناعيِّ والاسم المنسوب – وإعراب المستثنى.. أوهام نحويَّة!!، بقلم الأستاذ/ يسري سلال ، مقال منشور على موقع نحو دوت كوم – ومبادرة نَحْوَ نَحْوٍ جَدِيدٍ.

[١٢] ينظر: المصدر الصناعي والاسم المنسوب للمؤنث ،لفاروق مواسي، منشور في يوم الأربعاء ٢٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٨ على موقع ديوان العرب.

[١٣] ينظر: وظيفة المصدر الصناعي في صناعة المصطلح ، إعداد الباحث عبدالناصر بوعلي جامعة تلمسان/ الجزائر، بحث منشور على النت.

[١٤] تأصيل النص : ١٧٠ .

[١٥] القرآنية في شعر الرواد :٢١. والتقارب بين العريفين واضح للقارئ.

ولم يغب عن بال مجترحه دكتور مشتاق وكذلك متبنيه دكتور احسان الأصول والقواعد المستلزمة لاجتراح أي مصطلح في أيِّ علمٍ التي أقرَّتها المعاجم العربية، فعمد الاثنان الى محاكمة القرآنية على وفق الشروط التي وضعها المجمع العلمي العراقي لقبول المصطلحات مع مقارنته مع المصطلحات الشائعة أو المشهورة قبالته وهي(أثر القرآن) و(التناص القرآني) وكذلك (التناص الديني) وترجيحه عليها لأسباب عرضها مجترحه دكتور مشتاق بقوله :

أولا :((قررت أغلب المجامع اللغوية – ولا سيما المجمع العلمي العراقي – أن أفضلية المصطلح تتحدد في كمّه، فلو كان أحدهما لفظة والآخر أكثر، فالأفضلية للأول، مع الأخذ بنظر الاهتمام الدقة في دلالة ذلك – الأقل كمًا – على ما صيغ من أجله.. ولو أعدنا النظر في

المصطلحين لوجدناهما أكثر ألفاظا من مصطلحنا المقترح.))[١٦]

وأوضح الدكتور احسان التميمي هذا الامر بطريقة أكثر تفصيلا حين عرضَ لشَرطَةِ المصطلح وهي:((إيثار اللفظة المفردة على المصطلح المركب، أو العبارة لتسهيل النسبة والاضافة ونحو ذلك)). إذ قال: ((تؤكد هذه القاعدة أهمية «الإيجاز» في المصطلح لغرض التسهيل، وهذا ما لا يتحقق في المصطلحين «التناص القرآني» و «التناص الديني» فضلا عن العبارة اللغوية القريبة من الاصطلاح «أثر القرآن»، فالتركيب سمة واضحة في هذين المصطلحين، والعبارة اللغوية، بذا يكون طرحهما عن طاولة التداول أولى، وفقا لهذا الشرط، أما مصطلح القرآنية فينفرد بالقبول، لكونه مصطلحا متشكّلا من لفظ واحد فحسب.))[١٧]

ثانيا:((يدلُّ مصطلح "التناص" على ثنائية مفاهيمه من جهة "الآخذ والمأخوذ"، الأمر الذي يحدثُ لبسًا عند بعض المتلقين لو أضفناه الى " القرآن " إذ يدلل على أن المأخوذ هو القرآن ، كما يصحُّ أن يكون الآخذ أيضا، و لاستحالة الاتفاق مع الفرض الثاني ، أعرضنا عن هذا الاصطلاح وان نستبدل به مصطلحا جديدا .))[١٨]

اما الدكتور احسان التميمي فقدَّم القاعدة المصطلحية وهي: ((تفضيل مصطلحات التراث العلمي على المولدات والمحدثات)). ثم قال معقبا: ((وقد حمل المصطلحان «التناص القرآني» و«التناص الديني» صفة التوليد والإحداث، وذلك لربط مصطلح غربي وهو «التناص» مع «القرآن» أو «الدين»، وقد حافظ مصطلح «القرآنية» على التسمية الموروثة للقران الكريم، ولم يتجنَّ عليها. ناهيك عن القدسية التي يحافظ عليها مصطلح القرآنية أكثر من إضافة مصطلح غربي إلى لفظ مقدس هو «القرآن» قد لا يرضي أكثر القرَّاء، ليكون مصطلح «القرآنية» متفردا بهذا الشرط عن نظيريه.))[١٩]

---

[١٦] تأصيل النص : ١٦٨ .

[١٧] القرآنية في شعر الرواد :٢٣، والقاعدة مقبوسة من: المصطلح النقدي:١٠٥.

[١٨] تأصيل النص: ١٦٨.

[١٩] القرآنية في شعر الرواد:٢٣، والقاعدة مقبوسة من: المصطلح النقدي:١٠٥.

ويمكن القول أن مصطلح (القرآنية) يُفرز عبر استنطاق النصوص الشعرية التي تذعن لهيمنة النص القرآني، وبذا ينتفي مفهوم التداخل الذي يدعو إليه (التناص) بوصفه تداخلا للنصوص أي يكون حالُ القرآن حالَ بقية النصوص المتداخلة وليس له ميزة الهيمنة التي تسعى (القرآنية) الى ترسيخها، ومن ثمَّ لا يفرز فاعلية النص المرجعي بالنص في بنيته السطحية، ولذا يفترق التناص عن القرآنية بهذا المفهوم.

ثالثا:((سعى نقادنا القدامى وجملة من النقاد المحدثين إلى تمييز الأخذ من القرآن الكريم والافادة منه بمصطلحات تدل عليه ،كما اختلف القدامى في تلك الاصطلاحات فبعضهم ميزه بـ(الاقتباس) أو (التضمين) في حين أدخله بعضهم في خانة (السرقة) كـ (أبي محمد عبد الله بن يحيى المعروف بابن كناسة ت ٢٠٧ هـ) الذي ألف كتابا بعنوان (سرقات الكميت من القرآن الكريم و غيره) و جريا على ذاتية التمييز تلك سعينا لاجتراح مصطلح القرآنية لتمييز عملية الأخذ والإفادة من القران من سواها.))[٢٠]

وهذا الأمر واضح من تعريف البلاغيين، فقولهم في الاقتباس بأنه: ((تضمين الكلام نظماً كان أم نثراً شيئاً من القرآن والحديث لا على أنه منه، أي على طريقة أن ذلك الشيء من القرآن والحديث، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه، كما يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا))[٢١] .

ومن خلال التعريف يتضح تداخل أمرين، الأول: الاقتباس والتضمين، والثاني: جعل الحديث النبوي اقتباساً أو تضميناً متداخلاً مع القرآن الكريم، وهذا ما حاول مجترح المصطلح الابتعاد عنه باجتراحه مصطلح القرآنية ذي الخصوصية الواضحة من لفظ المصطلح .

أما فيما يتعلق بابن كناسة ، وجعله الأخذ من القرآن سرقة يعاب عليها الشاعر، فهذه مسألة نادرة في هذا الباب، ولعلَّ مرجعها موقف فقهي ديني، فإننا نجد من العلماء أو الفقهاء من أباحه (أي الاقتباس)، وقيَّده بعض منهم ، وكرَّهه ثالث، وحرمه آخر، وقد((اشتهر عن المالكيَّة تحريمه وتشديد النكير على فاعله))[٢٢]، ولعلَّ هذا الأمر وراء تسمية ابن كناسة الاقتباس والتضمين القرآني بالسرقة ، فالسرقة تعني الأخذ على اختلاف وجوهه من القبول أو الرفض أو الاستهجان أو الطعن وغيرها .

وأما الدكتور احسان التميمي فقدم القاعدة المصطلحية القائلة ((تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد)). فأعقب قائلا: يتقاسم عبارة (أثر القرآن) ومصطلح (القرآنية) وجه القبول من هذا الشرط ، أما مصطلحا (التناص القرآني) و (التناص الديني)، فلا وجه قبول لهما لان الدلالة التي يعززها تركيبهما توحي بأن النص (المطروح) أخذا من القرآن أو الدين، كما يمكن أن يوحي بأنَّ النص (المطروح) مؤخذاً من القرآن أو الدين، أي أن الدلالة الناتجة عنهما دلالة ثنائية لا تعطينا المفهوم المراد، إذ إنَّ مصطلح «التناص» يوزن على صيغة «تفاعل» التي تعني مشاركة النص القرآني

---

[٢٠] تأصيل النص: ١٦٩.

[٢١] مختصر المعاني : ٤٥٠، والإيضاح : ٦ / ١٣٧ .

[٢٢] الإتقان في علوم القرآن : ١ / ١١ .

أو الديني وتداخله مع غيره على هيئة لا تسمح بتمييز الآخذ من المأخوذ منه فضلا عن أن التناص الديني يدخل في ضمنه القرآن وغير القرآن، أي كلّ ما ينضوي تحت سمة الدين، كالعقائد السماوية الإسلامية وغير الإسلامية، والأحاديث النبوية و الروايات بمختلف أنواعها، وغير ذلك.)) [٢٣]

وزاد الدكتور احسان التميمي قاعدة رابعة لتعليل تبنيه مصطلح القرآنية وقد جعلها القاعدة الاولى في دفاعه عنه وهي:

رابعا: ((مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولي اللفظة لغة واصطلاحا لأدنى ملابسة)). وعلق قائلا: ((نجد أن هذا الشرط يتحقق في عبارة (أثر القرآن) ومصطلح (القرآنية) لان دلالتهما واضحة، واقتران معناهما بين الأصل اللغوي والوضع الاصطلاحي واضح للعيان، أما مصطلحا (التناص القرآني) و(التناص الديني)، فنجد دلالتيهما ثنائية ... لذا لا نجد لهما هنا وجها مقبولا.))[٢٤]

وظاهر الأمر تقارب المصطلحين القرآنية وأثر القرآن الا انَّ القواعد الاشتراطية للمصطلح التي عرضها بعدها ، تذهب مع القرآنية لا مع غيرها من المصطلحات الماضية .

خلاصات:

لذلك خلص الدكتور احسان التميمي الى القول: ((نصل من هذه الموازنة إلى أن مصطلح «القرآنية» أكثر انطباقا على شروط المجمع العلمي العراقي، وأدق من جهة الدلالة على المفهوم المراد، مما حدانا الى أن نصطفيه مصطلحا دالا على ما نريد من قراءة تحليلية فاحصة لمجمل النصوص الشعرية التي انتجها الشعراء الرواد. والتي تأثروا فيها بالقران الكريم)).[٢٥]

وكذلك خلص مجترح المصطلح من قبلُ الدكتور مشتاق عباس بعد عرضه للقواعد

المصطلحية الى القول:((أما مصطلحنا(القرآنية) فلا غبار عليه من جهة الكم، فهو عبارة عن لفظة، ومن جهة الصوغ ، فهو مبني على القواعد اللغوية الصحيحة، فضلا على دلالته الذاتية على مفهوم

---

[٢٣] القرآنية في شعر الرواد :٢٢– ٢٣ والقاعدة مقبوسة من : المصطلح النقدي:١٠٤. و ذهب الباحثان الأستاذ الدكتور محمد الخطيب والباحث علاوي كاظم كشيش في بحثهما: الاقتباس والتناص والقرآنية نظرة في إشكالية المصطلحات والمفاهيم والتطبيقات، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد الأول من المجلد الثاني –ماي ٢٠٢١م . الى ((أن ليس من المعيب القول إن القرآن الكريم جمع محصوله من لغة العرب لفظاً وصوراً وعزماً، بل إن ذلك من إعجازه الذي لا يدانيه أي رقي، أو علو لنص بشري ما. فالقرآن الكريم قَبِلَ التناص وهضَمَهُ ، وصيّره نظماً أضحى وحيد نسجه، لا يؤتى مثله... قال تعالى: ((انا أنزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون)). وهذا الرأي يتناقض مع ما ذهب دكتور احسان التميمي الذي أوضح الاشكال المصطلحي من تبني التناص القرآني.

[٢٤] القرآنية في شعر الرواد :٢٢ والقاعدة مقبوسة من : المصطلح النقدي:١٠٤.

[٢٥] القرآنية في شعر الرواد :٢٣.

المصاغ من أجله.))[٢٦]

وزاد الاستاذ الدكتور رحمن غركان من تبريز المصطلح وسبب تبنيه برؤية جديدة حين قال في مقدمة كتابه القرآنية:((... وقد أفاضت الدراسات وطروحاتها في رصد ذلك التأثير تحت اصطلاحات نظرت إلى القرآن نظرة الإضافة إلى المؤثر فيه، على حين يلزمنا أن يلتفت الاصطلاح إلى: عالم المؤثر وكيفية التأثير، وما صار إليه الأثر الأخير بعد ذلك. وهذا التصور يستجيب له مصطلح(القرآنية) أكثر من مصطلحات: (أثر القرآن، الاقتباس، التضمين، التوظيف القرآني، التناص، الإعجاز ...)؛ لأنه جامع مانع في إحاطته بالعناصر الثلاثة التي يلزمنا أن يلتفت إليها المصطلح هنا.))

وزاد على ذلك قائلا: ((ولما كان القرآن مؤثره فاعلا، دائم الحضور والتأثير، فإن المصطلح الدال على ذلك يصدر عنه لفظا ومعنى؛ على نحو من إيجاز دال مكثف، ويتضمن؛ صوتيا وحرفيا، أبعاد ذلك التأثير، بما يكون الوجه اللغوي للمصطلح في اللسان، متماهيا مع الوجه الدلالي المستجد للمصطلح. وهكذا فان (القرآنية) هي فاعلية حضور القرآن؛ في مبنى الاشياء ومعناها))[٢٧].

ونخلص مما سبق ذكره الى القول :ان مصطلح القرآنية أخذ مجراه في حقل الدراسات الاكاديمية وغيرها، ومن ثمَّ لا يمكن الطعن عليه والتظاهر لمجرد التعصب أو الميل الى القديم ،أو التشبث بما جاء به النقد الغربي، وحسر الرؤية النقدية على محددات وأعراف معينة، تاركة خلفها مساحة واسعة أخرى من العمل النقدي فتؤثر في الإحاطة به من مختلف جهاته، فالجديد الملموس في هذا المصطلح يكمن في رصد تحرك القرآنية على مستوى بناء القصيدة الكليِّ، وعلى مستوى الرؤى والأنساق، وهذا الأمر ما لم يلتفت إليه كثيرٌ ممن خاضوا في تجربة دراسة حضور القرآن الكريم وفاعليته في النصوص الابداعية .

واذا ما كان متفق على سلامة اجتراحه التي جاءت – كما ذكرنا – على وفق اشتراطات المجامع اللغوية بوجه عام والمجمع العلمي العراقي بوجه خاص في اجتراح المصطلح ووضعه أرى أن يسعى الى تسجيله فيها اعترافا به وتقبُّلا له وحفظا لحقوق مجترحه ومتبنيه، هذا من جهة ومن جهة أُخرى سيكون مرجعا رئيسا لا يقدح بوجوده لمجرد حداثته على الساحة الأدبية والنقدية أو لأي ادعاء كان.

المصادر:

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٩٥١م .

٢. الاقتباس والتناص والقرآنية نظرة في إشكالية المصطلحات والمفاهيم والتطبيقات ، الأستاذ الدكتور محمد الخطيب والباحث علاوي كاظم كشيش، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، العدد الأول من المجلد الثاني –ماي ٢٠٢١م.

٣. أهمية المصطلح في علم الكلام والعلوم الاخرى، أزهرية السعدي ،موقع التفاهم، عدد ٧ ، ابريل ،٢٠٢٠م.

٤. الايضاح ، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل – بيروت، د. ت.

---

[٢٦] تأصيل النص: ١٦٩.

[٢٧] القرآنية :٩-١٠. وان شاء الله لنا وقفة خاصة على هذا الكتاب المهم.

٥. تأصيلُ النص قراءة في أيديولوجيا التناص، الدكتور مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء ٢٠٠٣م.

٦. التَّفريق بين المصدر الصِّناعيِّ والاسم المنسوب – وإعراب المستثنى.. أوهام نحويَّة!!، بقلم الأستاذ/ يسري سلال ، مقال منشور على موقع نحو دوت كوم – ومبادرة نَحْوَ نَحْوٍ جَدِيدٍ .

٧. القرآنية في دعاء الإمام الحسين في عرفة، م.م سناء علي حسين الحمداني، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٩ لسنة ٢٠٠٩م .

٨. القرآنية في شعر الإمام السّجاد (عليه السلام) ، الدكتور راسم أحمد الجريّاوي والدكتور مهدي عبد الأمير مفتن ، مجلة القادسية ، المجلد العشرون، العدد ٢٠١٧/١م.

٩. القرآنية في شعر الرواد ، الدكتور احسان الشيخ حاجم التميمي، دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الإبداعي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ٢٠١٣م.

١٠. القرآنية في شعر الشريف الرضي،(رسالة ماجستير) للطالبة (سماح عبد الهادي عبد) بأشراف الاستاذ المساعد الدكتور زهرة خضير عباس، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد ٢٠١٧م.

١١. القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي، الاستاذ المساعد الدكتور علي كاظم محمد علي المصلاوي والمدرس كريمة نوماس محمد المدني، بحث منشور في مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٦، ٢٠٠٨م

١٢. القرآنية في مراثي العباس بن علي عليه السلام دراسة تحليلية لفاعلية النص القرآني في مراثي العباس عليه السلام، م.م مصطفى طارق عبد الامير، بحث منشور في مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، العدد ٢٠، لسنة ٢٠١٦م.

١٣. القرآنية في نهج البلاغة ،الاستاذ المساعد الدكتور علي ذياب محيي ،بحث منشور في مجلة العميد ،العدد السادس ، حزيران ٢٠١٣م.

١٤. القرآنية مفهومها –موضوعها– معاييرها – اشكالها، للأستاذ الدكتور رحمن غركان ، دار نيبور للطباعة والنشر،٢٠٢١م.

١٥. مختصر المعاني ، سعد الدين التفتازاني، مطبعة عبد الله أفندي ، القاهرة ، ١٣٠٧هـ ، د.ط .

١٦. المصدر الصناعي والاسم المنسوب للمؤنث ،لفاروق مواسي، مقال منشور في يوم الأربعاء ٢٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٨ على موقع ديوان العرب.

١٧. المصطلح النقدي، الدكتور أحمد مطلوب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٨،ج٤، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

١٨. وظيفة المصدر الصناعي في صناعة المصطلح ، إعداد الباحث عبدالناصر بوعلي جامعة تلمسان/ الجزائر، بحث منشور على النت.

أثر التحول الدلالي في خروج الأدوات النحوية
عن أصل وضعها في العمل

الأستاذ الدكتور أثير طارق نعمان
جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة أثر التحول الدلالي في وظيفة الأدوات النحوية المستعملة في اللغة العربية ضمن نصوص معتمدة من النحاة، إذ يأخذ البحث بكل ما رصده المتقدمون من التغييرات التي حدثت نتيجة التحول في دلالة الأدوات النحوية وأثرها في فكرة ما كان يُعرف بالعامل؛ لأننا في اللغة العربية نُعنَى بوظيفة الأدوات النحوية، إذ يعّد عمل الأداة أو إهمالها من الركائز الأساس لفهم كيفية تحقيق الارتباط بين أجزاء الجملة العربية، وهو ما يساعدنا على أن ننسج كلامنا على طريقة أهل هذه اللغة بما لا يتعدى وجه الصحة فيها، فمجال البحث يقوم على رصد التغيير في عمل الأداة النحوية أو إهمالها بحثا عن تفسير لها في ضوء دلالاتها وهذا يظهر لنا فقط بنيويا ولفظيا، وقد عملت للبحث خطة تضمنت مقدمة تطرقت فيها لمصطلح التحول الدلالي، ثم عرضت الأدوات النحوية التي تغيرت دلالاتها وفقًا للترتيب الهجائي وصولا إلى استنتاج مفاده: إنّ معنى الكلمة مرتبط بالسياق الذي تقع فيه، فقد يختلف معنى الكلمة الواحدة بحسب تعدد السياق، كما أوضحنا عن طريق تحليل بعض الأدلة أنه من الممكن لأداة ما أن تؤدي العمل الذي تقوم به الأداة الأخرى بسبب التحويل الدلالي الذي غير عمل الأداة بسبب تغيير دلالاتها.

الكلمات المفتاحية:

التحول الدلالي، الأدوات النحوية، الشواهد، استخدام الأدوات.

المقدمة:

تأسست فكرة هذا البحث على أساسين:

الأول: إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية يجري عليها ما يجري على سائر الظواهر الاجتماعية من تغيرات وتطورات وتحولات.

الثاني: إن التّحوّلات التي تعتري دلالات الألفاظ والتراكيب من أهم قضايا الدراسات اللغوية القديمة والحديثة على السواء، وهي حقيقة جوهرية في اللغة، خصّيصة من خصائصها، ولها شواهد كثيرة تدعمها.

وبناء على ذلك هدف البحث إلى الوقوف على ظاهرة التحولات الدلالية التي تعتري مجموعة

من الأدوات النحوية وما يفرضه عليها هذا التحول من مقتضيات تفضي إلى تغير في الوظيفة النحوية للأداة.

فمدار البحث قائم على رصد تغير عمل الأداة النحوية أو إهمالها باحثا عن تفسير لها في ضوء الدلالة، ولا يظهر لنا ذلك إلا بنيوياً ولفظياً؛ لأنّ العامل بمجمله هو عبارة عن ذلك القانون في عالم التصور تكشف عن وجوده بعض الآثار من الرفع والنصب والجر والجزم، وينصب عليها علامات؛ للدلالة على ترتبها، الذي له مدخلية في تنظيم علاقات المفردات في التراكيب العربية، لذا نولي ما للأدوات من وظائف نحوية عنايةً خاصةً؛ لأن عمل الأداة أو إهمالها من الركائز الأساس لفهم كيفية تحقق الربط بين أجزاء المركب اللغوي، وهو بعد يعيننا إذا نسجنا على منوال أهل هذه اللغة الشريفة بما لا نتخطى به وجه الصحة فيما نعبر عنه.

ولا يخفى أن عنونة هذا البحث بـ **(أثر التحول الدلالي في خروج الأدوات النحوية عن أصل وضعها في العمل)** جاء على أساس أن بعض الأدوات، تكون عاملة، فيطرأ تحول في دلالتها فيتأثر عملها إما تغيرا أو إهمالا، وبعضها تكون مهملة فتعمل للسبب السابق، فالبحث بمجمله يأخذ بما رصده المتقدمون من تغيرات حدثت جراء التحول في الدلالة وأثره في فكرة ما كان يعرف بالعامل، وبما رشحت به أقلامهم وبذلوا الجهود الجبارة لاستكناهه بحسب ما تمليه الوظيفة النحوية من البحث لنخلص إلى نتيجة عنوانها: بيان ما طرأ على الوظائف التي تؤديها الأدوات النحوية داخل النّص وصولا إلى الغرض الأسمى وهو صون اللسان عن الوقوع في الخطأ.

خطة البحث:

وضعت للبحث خطة تضمنت تمهيدًا عرضت فيه لتعريف مصطلح التحول الدلالي، ثم أردفت ذلك بعرض للأدوات النحوية التي طرأ تغير في دلالتها على وفق الترتيب الألف بائي، ثم اتبعت ذلك بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

تمهيد: قراءة في مفهوم مصطلح التحول الدلالي:

يتحول معنى الألفاظ في علم الدلالة، والسبب هو دخولها في نظام مفاهيمي يتكون في شبكة معقدة ومركبة من جملة من السياقات النصية واللغوية والكلامية، ويركز دراسة التحول الدلالي على السياقات النصية التي ترد فيها الألفاظ، ويقارنها مع سياقات كلامية أخرى استعملت فيها هذه الألفاظ باعتبار الكلامية أوسع امتدادا من اللغوية، إذن فعملية التحول الدلالي لا تركز على الألفاظ بمفردها، كما أنَّ الألفاظ ليست بمفردها هي المسؤولة عن هذه التحولات في المعاني، بل بسبب اقترانها بعلاقة جديدة وتكميلية على مستوى المعنى.

إن ما سنعرض له في إطار مصطلح التحول الدلالي يجمع حالات متنوعة فتح سيبويه لها الباب بقوله: "وقد يقع الشيء موقع الشيء وليس إعرابه كإعرابه"(١)، وعبّر كثير من النحويين القدماء عنها بمصطلحات وألفاظ مختلفة، منها التضمين، والتقارض، والنيابة، والحمل على المعنى، وكذلك وصفة هذه الظاهرة عندهم بالقول: إقامة أداة مقام أخرى إذا كانت بمعناها، ونحو ذلك(٢)، ولكن لما كانت الدراسات اللغوية تتخذ من اللغة وسيلة لدراسة تركيب اللغة النحوي، وتتخذ من المعنى أساساً للوصف اللغوي، يضاف إلى عدِّ الدلالة غاية يحققها اللفظ عن طريق الوظيفة التي يؤديها ضمن إطار النظام اللغوي، كان لابد من أن تُمثل الدلالة موقع الصدارة في التحليل اللغوي، وهو الأمر الذي دفعنا إلى التركيز على تركيب اللغة النحوي للوصول إلى المفهوم الدلالي الناجم عن هذا التركيب، الذي يمكننا من تفسير علاقات المكونات الأساسية في الجملة على أساس أنّها وظائف، يؤديها كل مكون بحسب ارتباطه بما بعده وما قبله.

من هذا المنطلق آثرنا اختيار مصطلح التحول الدلالي عنوانا للاستعمالات المعروضة في بحثنا هذا والذي يمكن وصفه في أبسط صوره بأنّه باب من أبواب التكافؤ يجمع كل العناصر التي يمكن أن يستبدل بعضها ببعض في سياق معين على أساس أن العلاقات الاستدلالية هي علائق قياسية فما يقع في سياق يأخذ حكما واحدا، وإن تعددت صوره(٣).

أولا: تحول دلالة (إذا) إلى دلالة (متى):

إذا ظرف لما يستقبل من الزمان وهي أداة شرط غير جازمة(٤)، واقرَّ سيبويه الجزم بـ (إذا) في ضرورة الشعر إذا وردت بدلالة (متى) ، وذكر من الشواهد على الجزم بها في الشعر قول قيس اِبن الخطيم الأنصاري:

"إذا قَصُرَتْ أَسْيافُنا كان وَصْلُها   خُطانَا إلى أَعْدائنا فنُضارِبِ"

وقول الآخر:

"إِذَا لَمْ تَزَلْ في كلِّ دَارٍ عَرَفْتَهَا   لَهَا وَاكِفٌ مِنْ دَمْعِ عَيْنِكَ يَسْجُمِ"(٥)

واشترط الرضي لإعمالها شرطين، أحدهما: أنْ تكون في الشعر، والآخر: أنْ تكون بمعنى (متى)(٦).

(١) الكتاب: ١٣٢/٢.

(٢) ينظر: ظاهرة التقارض في الدرس النحوي: ١٢-١٤.

(٣) ينظر: الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في النحو العربي: ١٤٠.

(٤) ينظر: مغني اللبيب: ١٢٧.

(٥) ينظر: الكتاب: ٦١/٣-٦٢.

(٦) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب: ٢٦٨/٣.

ويرى الفراء أنّ في الأمر سعةً، فذهب إلى جواز الجزم بها مطلقاً إذا وردت بدلالة (متى)[٧]، وعدَّ الجزم بها في النثر استعمال فصيح، بينما النحاة من البصريين قيدوا الجزم بـ (إذا) بالضرورة الشعرية.

والأصل في الكلام أنْ لا تجزم، إلا أنَّها تحولت في دلالتها إلى (متى)، والذي يُؤذن لها بذلك شبهها بـ (متى) الجازمة من جهة كونهما ظرفا زمان يفيدان المستقبل، وفي كل واحدةٍ منهما معنى الشرط، فحُكِم لها من أجل ذلك بحكم (متى) بدلاً من حكمها المعروف[٨].

ومن شواهد ورودها بدلالة (متى) في النثر قوله ﷺ لعلي وفاطمة (رضي الله عنهما): "إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ وَتُسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاَثِينَ وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ"[٩]. بجزم (تُكَبِّرَا) والقياس أن يقال: (تُكَبِّرَانِ)، والحجة لمن أجاز الجزم بها أنَّ الحدث الواقع فيها مقطوع به في أصل الوضع، إذا يُجازى بها الواجب الوجود كقولك: إذا طلعت الشمسُ خرجتُ، وفيما عُلم على الجملة أنَّه كائنٌ لا محالة[١٠]، ثم إن سياق الحديث استعمالها بدلالة (متى) فرسخ فيها معنى (متى) الدالة على الغرض والتقدير، بدلالة أن نومهما أمر محتمل وقوعه فقد يصرفه قيام الليلة أو نحوه من الأفعال، فأصبحت عارضاً يشرف على الزوال فلهذا جزم الفعل بعدها فصار (تُكَبِّرَا) وهذا الصنيع كثير في الشعر نادر في النثر[١١].

وفي تقديري فإنَّ تخصيص سيبويه ومن تبعه هذا الاستعمال بالشعر فقط مع ثبوته نصاً في النثر فيه نظر، وما انتهى إليه الفراء أوجه، وفيه ما يوسع ضيقاً، ولكن من دون تحقيق الشهرة في الاستعمال.

ثانيا. تحول دلالة (إلاَّ) إلى دلالة (لكنْ):

حكم المستثنى بـ (إلاَّ) من كلام تام مثبت النصب سواء أكان الاستثناء متصلاً نحو: جاء الطلابُ إلا زيداً، أم منفصلاً نحو حضرت النساءُ إلا زيدًا، (مسمّى لرجل)، ويشاركه هذا الحكم ما وقع بعد نفي أو شبههُ، وكان المستثنى ليس بعضاً مما قبله نحو: ما حضرت الطالباتُ إلا زيدا، فالقياس فيه النصب كذلك[١٢]، وعامل النصب في زيد هو دلالة (إلا) على الفعل (استثني)، فكأنك قلت في جميع ما ذكرنا: أستثني زيدًا[١٣]، وخالفت (إلا) القياس المعروف في

---

[٧] معاني القرآن: ٢٥٨/٣.

[٨] ينظر: الكتاب: ٦١/٣.

[٩] صحيح البخاري: ١٩/٥ (٣٧٠٥).

[١٠] ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١١١٩/٢.

[١١] ينظر: شرح التسهيل: ٤٠٠/٣.

[١٢] ينظر: شرح الكافية الشافية: ٧٠٣/٢.

[١٣] ينظر: المقتضب: ٣٩٦/٤.

عملها فوقع الاسم بعدها مرفوعا في قوله تعالى: "فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ"[١٤]. في قراءة ابن كثير، وأبي عمرو برفع (امْرَأَتُكَ)[١٥]، وليس من المظنون أنْ تكون (امْرَأَتُكَ) بدلاً من (أَحَد)؛ لأنَّها لم تسرِ معهم حتى يتضمنها دليل المخاطبين بدليل قراءة النصب، فإنَّها أخرجتها من سائر أهله الذين أُمر أنْ يسرِ بهم[١٦]، والوجه في توجيه هذه المخالفة أنَّ (إلاَّ) في هذه الآية تحولت إلى دلالة (لكن)، فجاء المستثنى بـ (إلا) مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر أو محذوفه[١٧]، وتحول دلالتها شرط لإجازة رفع ما بعدها المستحق للنصب[١٨]، ومثل ذلك قوله ﷺ: "مَا لِلشَّيْطَانِ مِنْ سِلاحٍ أَبْلَغُ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ النِّسَاءِ إِلاَّ الْمُتَزَوِّجُونَ"[١٩]. فرفع المتزوجون على الاستئناف والاستثناء المنقطع، أي: لكن المتزوجون مطهرون فجاءت إلا بدلالة لكن فرفع ما بعدها[٢٠].

ولأبي عبيدة[٢١]، والأخفش[٢٢] وجهة نظر مغايرة عما مرَّ، فـ (إلا) في تقديرهم حرف عطف بمنزلة (الواو) العاطفة، وما بعدها معطوف على ما قبلها وهما متخالفان، وبذلك تأولا قوله تعالى: "لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا"[٢٣]. أي: (ولا الَّذِينَ ظَلَمُوا)[٢٤].

ولم يستفصح الفرّاء هذا التوجيه بقوله: "قد قال بعض النحويين: (إلاَّ) في هذا الموضع بمنزلة (الواو)؛ كأنَّه قال: (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ولا الَّذِينَ ظَلَمُوا) فهذا صواب في التفسير خطأ في العربية"[٢٥]. ومنع البصريون تحول دلالة (إلاَّ) إلى دلالة (الواو) العاطفة؛ لاختلاف المعنى؛ لأنَّ (إلاَّ) في أصل دلالتها تقتضي إخراج الثاني مما دخل فيه الأول، و(الواو) تقتضي مشاركة الثاني للأول، فلا يمكن أن تقوم أحدهما مقام الأخرى[٢٦].

---

(١٤) سورة هود: من الآية (٨١).

(١٥) ينظر: السبعة في القراءات: ٣٣٨.

(١٦) ينظر: شواهد التوضيح: ٩٥.

(١٧) ينظر: الكتاب: ٣٤٢/٢.

(١٨) ينظر: المسائل المشكلة: ٤٩٤.

(١٩) مسند أحمد: ٣٥٥/٣٥ (٢١٤٥٠).

(٢٠) ينظر: إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث: ٦٧.

(٢١) ينظر: مجاز القرآن: ٦٠/١.

(٢٢) ينظر: معاني القرآن، الأخفش: ١٥٢/١.

(٢٣) سورة البقرة: من الآية (١٥٠).

(٢٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٤٢/١-٤٤٣.

(٢٥) معاني القرآن، الفراء: ٨٩/١.

(٢٦) البيان في غريب إعراب القرآن: ٢١٩/٢.

وبهذا أخلص إلى أنَّ مجيء (إلاَّ) بمعنى (الواو) العاطفة لا يسعفه السَّماع، ولا القياس[٢٧]، والصحيح في توجيه الاسم المرفوع بعد (إلا) من كلام تام بأنَّها جاءت بدلالة (لكن)؛ لبعدها عن التمحل في التأويل، كما أنَّ له ما يعضده من الشواهد الفصيحة.

ثالثا: تحول دلالة (أَنْ) المصدرية إلى دلالة (ما) المصدرية:

الأصلُ في (أَنْ) المصدرية إذا دخلت على الفعل المضارع أنْ تنصبه، وتؤول هي والفعل الداخلة عليه بمصدر نحو قوله تعالى: "وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ"[٢٨]. أي: (صِيامُكُم خَيْرٌ لَكُمْ)، ومثلها (ما) المصدرية، بيد أنَّ الفارق بينهما في العمل أنَّ الأخيرة لا تعمل النصب في الفعل المضارع خلافاً للأولى[٢٩]. وعلى نقيض القاعدة المنصرمة جاء تعالى: "لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ"[٣٠]. في قراءة مجاهد برفع (يُتِمُّ)[٣١]، وتوجيه هذه القراءة أنَّ (أنْ) أهملت تشبيها لها في الدلالة بنظيرتها (ما) فوقع الفعل المضارع بعدها مرفوعاً ووليها جملة ابتدائية كما تلي (ما)؛ قال الزمخشري معلّقاً على هذه القراءة: "أَنْ يُتِمُّ برفع الفعل تشبيها لأَنْ بما لتآخيهما في التأويل"[٣٢]. فأن وما بعدها مصدر يدل على الزمن الماضي أو المستقبل على حسب الفعل الواقع بعدها، وما مع الفعل الذي يليها مصدر يدل على الحال، وسياق الآية يتطلب أن يدل المصدر المنسبك من أن والفعل على الحال، لا على المضي أو الاستقبال؛ لأنه مرتبط بقرار وقف الإرضاع أو الاستمرار المؤقت بحاجة الطفل إلى اللبن، وبقطع التنازع بين الزوجين إذا تنازعا في مدة الإرضاع، فقدر الله ذلك بالحولين حتى يكون مرجعا عند وقوع التنازع بينهما، أما إذا اجتمعا على أن يفطما الولد قبل تمام الحولين فلهما ذلك[٣٣].

والذي سوّغ ذلك الاستعمال أنَّها تكون مع الفعل الذي يليها بمنزلة المصدر كما أنَّ (ما) تكون مع الفعل الذي يليها بمنزلة المصدر، فقولك: (يعجبني أنْ تفعل)، كما تقول: (يعجبني ما تفعل)، ويكون التقدير في كلتا الجملتين (يعجبني فعلك)، فلما أشبهتها من هذا الوجه شُبّهت بها في ترك العمل[٣٤]. وهذا التوجيه تحقق عند نحاة البصرة[٣٥]، ولم تكن شواهد البصريين على

---

[٢٧] ينظر: الأشباه والنظائر: ٢٣٨/٤.
[٢٨] سورة البقرة: من الآية (١٨٤).
[٢٩] ينظر: شرح التصريح: ٣٦٢/٢.
[٣٠] سورة البقرة: من الآية (٢٣٣).
[٣١] ينظر: البحر المحيط: ٢٢٣/٢.
[٣٢] الكشاف: ٣٠٧/١.
[٣٣] ينظر: التفسير الكبير: ٤٥٩/٦.
[٣٤] ينظر: الإنصاف: ٩٤/٢.
[٣٥] ينظر: ارتشاف الضرب: ١٦٤٢/٤.

إعطاء (أنْ) حكم (ما) في الإهمال مقتصرة على الشاهد القرآني حسب، بل تعدّى ذلك إلى الشاهد الشعري فمن ذلك "قول الشاعر:

عَلِمُوا أَنْ يُؤَمَّلُونَ فَجَادوا قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوا بأَعْظَمِ سُؤْلِ

وقول الآخر:

أَنْ تَقْرَآنِ على أَسْمَاءَ وَيْحَكُمَا مِنِّي السَّلامَ وأَنْ لا تُخْبِرا أَحَدا

وقول الشاعر:

"أَنْ تَهْبِطِيْنَ بَلادَ قَوْ مٍ يَرْتَعُونَ مِنْ الطِّلاحِ"[٣٦]

وقد أغرب الفراء حين عدّ (أنْ) فيما سلف من الشواهد مخففة من الثقيلة شذَّ اتصالها بالفعل المضارع[٣٧]، ولعل الذي حمله على ذلك أنَّ (أنْ) المصدرية، و(أنْ) المخففة شديدتا الشبه، فكل واحدة منهما تكون مع صلتها في تأويل مصدر[٣٨]، فتكونان عندئذٍ معمولتين لما قبلهما فنقول: (أعجبني أنْ تقوم)، أي: قيامك، وأما المخففة كقوله تعالى: "وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ"[٣٩]. أي: (آخر دعواهم حمد الله)، ووجه آخر للشبه هو (أنَّ) المشددة إذا خففت فإنَّ اسمها يكون مضمراً، ويجب في خبرها أنْ يكون جملة، وعندئذٍ تكون مشابهة لـ (أنْ) المصدرية لفظاً ومعنًى، وتشابههما من حيث المعنى هو كونهما حرفي مصدر[٤٠]، ويمكن نقض رأيه بما يأتي:

١- إنَّ النحاة فرّقوا بين (أن) المصدرية و(أن) المخففة وحددوا شروط استعمال كل واحدة منهما على النحو الآتي:

أ- إنَّ (أنْ) المصدرية لا تليها إلاَّ جملة فعلية فعلها مضارع، ولا يفصل بينها وبين فعلها؛ لأنَّها تكون معه في تأويل مصدر، أما (أنْ) المخففة من الثقيلة فصلتها تكون جملة اسمية أو فعلية، فإنْ كانت اسمية فلا لبس بينها وبين المصدرية؛ لأنَّ المصدرية لا تدخل على الجملة الاسمية أبداً[٤١].

ب- إنْ كانت الجملة التي بعدها فعلية وكان فعلها مضارعا فإنَّ التباسها بالمصدرية يكون

---

[٣٦] شرح التسهيل: ٤٢٥/١.
[٣٧] ينظر: معاني القرآن: ١٣٥/١-١٣٦.
[٣٨] ينظر: شرح ابن الناظم: ٤٧٥.
[٣٩] سورة يونس: الآية (١٠).
[٤٠] ينظر: شرح كافية ابن الحاجب: ٢٦/٤-٢٧.
[٤١] ينظر: أوضح المسالك: ٣٦٥/١.

أكثر، ولاسيما حين تُسبق بفعل دال على الرجحان، إذ لا يكون العامل في أن المخففة من الثقيلة فعلاً دالاً على التحقيق نحو: (علم، وتبين، وتيقن) وغيرها[٤٢]، وعندئذٍ لابد من أنْ ننظر في نوع الفعل الواقع بعدها، فان كان جامداً، أو دعاءً فإنَّه لا يحتاج إلى تفرقة بين المصدرية والمخففة، ولا لبس عندئذٍ؛ لأنَّ المصدرية لا يقع بعدها فعل جامد أو دعاء؛ لأنَّها تقدّر مع فعلها بمصدر، ولا مصدر للفعل الجامد[٤٣].

ت- إنْ كان الفعل غير جامد ولا دعاء فيجب أنْ يفصل بين (أنْ) والفعل بفاصل يكون علامة للتفرقة بين (أنْ) المصدرية والمخففة، كما يكون عوضاً عمّا حُذف من (أنَّ) بعد تخفيفها، وهو اسمها الذي يكون بعد تخفيفها ضمير الشأن مضمراً في الغالب، كما يكون الفاصل عوضاً عمّا حذف منها من التثقيل، فيكون الفاصل عوضا عن هذين الحذفين، ويكون الفاصل واحداً من الحروف الآتية: (قد) أو (السين) أو (سوف) أو (حرف نفي) أو (لو)[٤٤].

ولو أخذنا هذه الشروط ووضعناها قيد التطبيق على القراءة القرآنية شاهد هذه المسألة فإنّه يمكننا القول إنَّ (أنْ) فيهما ليست مخففة من الثقيلة، لأنَّها لم تقع بعد فعل دالٍّ على علم أو ظن.

٢- إنَّ النحوي الكوفي المعروف بثعلب أجاز إهمال (أنْ) تشبيها لها في الدلالة بـ(ما) أختها، وذلك في تعليقه على أول الشاهدين الشعريين السابقين[٤٥].

٣- إنَّ (أنْ) في الشاهد الشعري الأول ليست مخففة من الثقيلة بدليل (أنْ) المعطوفة عليها في قوله: (وأَنْ لا تُخْبِرا) ، ولو كانت مغايرة لها لما عطفت عليها[٤٦]؛ بدليل أنه لا يعطف على الشيء قياساً إلاَّ ما يجوز أنْ يحلَّ محله[٤٧].

ونخلص مما مرَّ أنَّ قول البصريين أولى بالقبول، ومفاده إهمال (أنْ) لتحول دلالتها إلى دلالة نظيرتها (ما) وجهٌ جائز وردت به بعض القراءات ونُظم به فصيح الشعر؛ لأن (أن) المخففة من الثقيلة غالبا ما تقع بعد علم أو ظن، وهي لم تقع بعدهما فيما مثلنا به من الشواهد فلا محل لاعتراضهم.

---

[٤٢] ينظر: شرح ابن الناظم: ٤٧٦.

[٤٣] ينظر: شرح كافية ابن الحاجب: ٢٨/٤.

[٤٤] ينظر: شرح ابن عقيل: ٣٤٣/١-٣٤٤.

[٤٥] ينظر: مجالس ثعلب: ٣٢٢/١.

[٤٦] ينظر: حاشية الصبان: ٤٢١/٣.

[٤٧] ينظر: شرح التسهيل: ٩٢/٤.

رابعا: تحول دلالة (أو) إلى دلالة (حتى) الناصبة:

أو حرف عطف تشرك في الإعراب اتفاقا، ولا تشرك في المعنى على خلاف بين النحويين[٤٨]، وذهب الفراء إلى أنه تحول في دلالته إلى دلالة حتى فنصب الفعل المضارع بعده في قراءة أُبي: يُسْلِمُوا[٤٩]، لقوله تعالى: "تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُون"[٥٠]، والمعنى عنده تقاتلونهم حتى يسلموا، وناظرها بقول الشاعر:

لَا أَسْتَطِيعُ نُزُوعًا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَوْ يَصْنَعَ الْحُبُّ بِي غَيْرَ الَّذِي صَنَعَا[٥١]

وتابعه المبرد مبِّينا أنها كذلك في مصحف أُبي، ومثّل لها بقولنا: لألزَمَنّكَ أَو تُقضيني أَيَ حَتَّى تقضيني، وهي عنده ناصبة بأن مضمرة[٥٢]، وتحتمل دلالة أو في هذه القراءة أن تكون بمعنى إلا أن عند البصريين[٥٣]، وينبغي أن لا يغفل أن للتراكيب خصوصيات مختلفة على أساس اختلاف كون العمل بها أو بغيرها، فإنه لو كان المراد الاستثناء والحصر فإنه سيؤدي حتما إلى أن هناك قيودا تقيّدت بها النسبة داخل التركيب العربي، فأضفت عليه بعض الخصوصيات، بحسب اختلاف المعاني المرادة للمتكلمين، وأرى أن احتمالها دلالة حتى في الآية الكريمة محل الاستشهاد لهذه المسألة يجعلها أوسع في الاستعمال، فأو للتنويع وحتى غاية تقتضي أنه لا ينقطع القتال بغير الإسلام، فتفيد السعة، وإلا أن تفيد الحصر، وفيه قصر بلا احتمال عطفه على تقاتلون فهو أشبه بقولك: لَأَلْزَمَنَّكَ أَوْ تَقْضِينِي حَقِّي، فإنه يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الزَّمَانَ انْحَصَرَ فِي قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَكُونُ فِيهِ الْمُلَازَمَةُ، وَقِسْمٌ يَكُونُ فِيهِ قَضَاءُ الْحَقُّ، وَهَذَا مَا يُضْعِفُ الرأي القائل أن أو تفيد إلا أن بدلالة أن هناك أقواما يُقِرّونِ بِالْجِزْيَةِ، فَالحذر منهم يمتد إلى حين دخولهم الْإِسْلَامِ[٥٤].

خامسا: تحول دلالة (لَمْ) إلى دلالة (لا) النافية:

حق (لم) أنْ تجزم الفعل المضارع بعدها وتصرف معناه إلى المضي[٥٥]، بيد أنَّها غادرت هذا العمل فأُهملت وارتفع الفعل بعدها في قول قوله النبي (صلى الله عليه وسلّم) لأهل المدينة

---

(٤٨) ينظر: الجنى الداني: ٢٢٧.

(٤٩) ينظر: الكشاف: ٣٣٨/٤.

(٥٠) سورة الفتح: من الآية (١٦).

(٥١) ينظر: معاني القرآن: ٧١/٢.

(٥٢) المقتضب: ٢٨/٢.

(٥٣) ينظر: الأصول في النحو: ١٥٥/٢.

(٥٤) ينظر: التفسير الكبير: ٧٧/٢٨-٧٨.

(٥٥) ينظر: شرح المفصل: ٣٥/٥.

عندما سمعوا صوتاً ففزعوا: "لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا"[٥٦]. وقول الشاعر:

" لَوْلاَ فَوَارِسُ مِنْ ذُهْلٍ وَأُسْرَتُهُمْ   يَوْمَ الْصّلَيْفَاء لَمْ يُوْفُون بِالْجَارِ "[٥٧]

ويمكن تعليل هذه المخالفة بما يأتي:

الأول: إنَّ (لم) أهملت؛ لتحول دلالتها إلى دلالة (لا) النافية[٥٨]، ويعضِّده أنَّ المعنى كذلك عليه؛ لأنَّ (لا) للاستقبال، أي: لا يكون منكم الروع أو الخوف، ولا يستقيم هذا المعنى في تقدير المضي[٥٩].

الثاني: هي لهجة قوم من العرب[٦٠].

وآخر الأقوال: إنَّها ضرورة[٦١].

وأرى أنَّ الادعاء بأنَّ تركَ الجزم بـ (لم) ضرورةٌ قد يصدق إلى حدٍّ ما مع الشواهد الشعرية لما يقتضيه نظام الشعر العربي من بناء معين كما هو معروف، غير أنَّه لا ينسجم مع الحديث النبوي الذي مثّلنا به، إذ لا أوزان في النثر تدفع إلى الخروج عن أصل الاستعمال، ويعضده أنَّ ظاهر كلام ابن مالك يدل على جواز ذلك، وأنَّه لا يختص بضرورة الشعر إذ قال: "وقد تلغى (لم) حملاً على (لا) النافية فيرفع الفعل بعدها"[٦٢].

وبناءً على قوله فإنَّه إذا صح النقل عن بعض العرب أنَّ (لم) تُعامل معاملة (لا) النافية في العمل اذا تحولت في دلالتها من المضي إلى الاستقبال فلا يمنع عندئذٍ أنْ يكون هذا التوجيه صواباً بوصفه لهجة نطقت بها قبيلة من العرب، لكنه يبقى في حدود المسموع لعدم تحقق الشهرة في الاستعمال.

سادسا: تحول دلالة (لمَّا) إلى دلالة (إلاَّ):

(لمَّا) عند الجمهور أداة مركبة من (لم)، ضمت إليها (ما) ، ووظيفتها الرئيسة أنّ تدخل على الفعل المضارع فتجزمه وتحول دلالته إلى المضي[٦٣]، ويظهر أنَّها قد فارقت وظيفتها

---

[٥٦] صحيح البخاري: ٣٩/٤ (٢٩٠٨).

[٥٧] بلا نسبة في الخصائص: ٣٨٨/١.

[٥٨] ينظر: شرح التسهيل: ٣٨٥/٣.

[٥٩] ينظر: الكواكب الدراري: ٧٦/١.

[٦٠] ينظر: الجنى الداني: ٢٦١.

[٦١] ينظر: ضرائر الشعر: ٣١٠.

[٦٢] شرح التسهيل: ٣٨٥/٣.

[٦٣] ينظر: ارتشاف الضرب: ١٨٥٩/٤.

المتعارف في قوله تعالى: "وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ"[٦٤]. وقوله تعالى: "وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"[٦٥].

وتحول (لمَّا) إلى دلالة (إلاَّ) التي للاستثناء حكاه سيبويه عن الخليل[٦٦]، وهي عند الفرّاء لهجة فصيحة مشهورة عند العرب تعود إلى هُذيل[٦٧].

وأنكر الجوهري مجيء (لَمَّا) بمعنى (إلاَّ)، وعدّ هذا التحول في دلالة (لمّا) غير معروف في اللغة[٦٨]، وردّه ابن هشام ذاكرا أنّ (لَمَّا) قد تتحول في دلالتها، فتكون حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى: "إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ"[٦٩]. وعلى الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى نحو: (أنشدُكَ الله لَمَّا فعلتَ)؛ أي: ما أسألك إلا فعلك[٧٠].

ورصد بعض النحاة في جواز حمل (لمَّا) على معنى (إلاَّ) تركيبين، واقتصروا عليهما وهما:

الأول: بعد النفي ظاهراً أو مقدّراً[٧١]، والشائع في وروده أنْ يأتي كما في الآيات الكريمة السالفة الذكر (إنْ كلٌّ)، وتكون (إنْ) نافية بمعنى (ما) و(كل) مبتدأ مرفوع[٧٢]، وشرطه أنْ يصحَّ تأويل (لمَّا) بـ (إلاَّ) فإن لم يسغْ تأويلها بها لم يجزْ حملها عليها[٧٣].

الثاني: بعد القسم أو ما يقوم مقامه نحو: (أقسمت عليك لمَّا فعلت)، أو: (سألتك الله لمَّا فعلت)؛ أو (أنشدُك الله لَمَّا فعلتَ)، ومعناهما (إلاَّ فعلت)[٧٤]. وينبغي بناء على ما مرّ أن يقتصر فيها، على التركيبين في أعلاه، ولا يتوسع فيها تحقيقا لما ورد في كلام العرب.

وحاصل المسألة في مجيء لمّا بمعنى إلا ثلاثة أقوال:

الأول: إثبات مجيء لمّا بمعنى إلا.

الثاني: إنكار وقوعها موقعها مطلقا.

---

[٦٤] سورة يس: الآية: (٣٢).

[٦٥] سورة الزخرف: من الآية (٣٥).

[٦٦] ينظر: الكتاب: ٣/١٠٥-١٠٦.

[٦٧] ينظر: معاني القرآن: ٣/٢٥٤.

[٦٨] ينظر: الصحاح، مادة (لمم): ٥/٢٠٣٣.

[٦٩] سورة الطارق: الآية (٤).

[٧٠] ينظر: مغني اللبيب: ٣٧٠-٣٧١.

[٧١] ينظر: شرح كافية ابن الحاجب: ٢/١٧٢.

[٧٢] ينظر: الاستثناء في القرآن الكريم: ١٤٥.

[٧٣] ينظر: المسائل المشكلة: ٣٨٣

[٧٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣١١.

الثالث: إجازة ذلك في القسم.

وبعد تدقيق النظر في الآراء المنصرمة يمكن أن نرجح منها القول الأول اعتمادا على ما يأتي:

أ- نقل العلماء الثقات أمثال الخليل وسيبويه.

ب- في قوله تعالى: "إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ"[٧٥]. قرأها ابن مسعود: (إِنْ كُلٌّ لمّا كَذَّبَ الرُّسُلَ)[٧٦]. والمعنى في القراءتين واحد فلما بمعنى إلا[٧٧].

ت- القول بأن جوزا مجيء لمّا بمعنى يلزمنا أن نقول: ما قام القوم لما زيدًا، وقام القوم لما زيدًا، بمعنى إلا زيدًا وهذا غير وارد في اللغة[٧٨]، يرده أن "كون العرب خصصت مجيئها ببعض التراكيب لا يقدح ولا يلزم اطرادها في باب الاستثناء ، فكم من شيء خُصّ بتركيب دون ما أشبهه"[٧٩].

سابعا: تحول دلالة (لنْ) إلى دلالة (لَمْ):

نصَّ النحويون على أنَّ (لن) حرف يُنصب الفعلُ المضارعُ بعدها، وهي مختصة بنفي المستقبل[٨٠]، ولكنها قد تأتي جازمة، ويبدو أنَّ ذلك يصدق على ما يأتي الشواهد "كقول كثير عزة:

لَنْ يَخِبِ الآنَ مِنْ رَجَائِكَ مَنْ   حَرَّكَ مِنْ دُوْنِ بَابِكَ الْحَلَقَهْ

وقول الشاعر:

أَيَادِي سَبَا يَا عَزُّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ   فَلَنْ يَحْلَ لِلْعَيْنَيْنِ بَعْدَكِ مَنْظَرُ "[٨١]

ومثل هذين الشاهدين حديث ابن عمر (رضي الله عنه): "فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَعْ"[٨٢].

وتطرق النحاة إلى مسألة الجزم بـ (لن) في كتبهم وكانت لهم فيها آراء مختلفة نوجزها

---

[٧٥] سورة ص: من الآية (٣٨).

[٧٦] ينظر: جامع البيان: ١٦٠/٢١.

[٧٧] ينظر: تهذيب اللغة: ٣٠٧/١٥.

[٧٨] ينظر: الإنصاف: ١٦٠/١.

[٧٩] البحر المحيط: ٢٦٨/٥.

[٨٠] ينظر: شرح المفصل: ٣٧/٥.

[٨١] مغني اللبيب: ٣٧٥.

[٨٢] مسند أحمد: ٤٠٧/١٠ (٦٣٣٠).

على النحو الآتي:

الأول: إنَّ (لنْ) قد تجزم الفعل المضارع إذا استعملت بدلالة (لم) أجاز ذلك الخليل إذ عقد له في كتاب (الجمل في النحو) المنسوب له فصلاً بعنوان (الجزم بـ (لنْ) وأخواتها)[٨٣]، فيما ذكر المالقي أنَّ الجزم بـ (لن) لهجة قوم من العرب، تشبيهاً لها في الدلالة بـ (لم)؛ لأنَّها للنفي مثلها[٨٤].

الثاني: تعرض ابن مالك للجزم بلن، وذلك في معرض حديثه عن قول ابن عمر السالف ويرى فيه إشكالا ظاهرا؛ لأنَّ (لن) يجب أن ينتصب الفعل المضارع بها، وقد وليها في هذا الكلام بصورةِ المجزوم، وتوجيهه أنْ تكون عين (**تُرَاع**) سكنت للوقف، ثم شبهت بسكون الجزم فحذفت الألف التي قبله لألتقاء الساكنين كما تحذف قبل سكون المجزوم[٨٥].

الثالث: ذكر بعض النحاة في بيت كُثِّير عزَّة أنَّ النصب على الأصل باقٍ في إعمال (لنْ) ولكن

حُذف حرف (الألف) للضرورة واجتُزِئ بـ (الفتحة) قبل الحرف المحذوف؛ لأنّها تدلُّ عليه[٨٦].

ونختم الكلام هنا بالإشارة إلى أن العرض السابق ينتهي بنا إلى أمور تأخذ أمكنتها بالتتابع وهي:

أولا: إن توجيه ابن مالك وإن كان متسقا مع الناحية الصوتية للّغة؛ إلاَّ أنَّه يصدق على حديث ابن عمر فقط محل استشهاده، لكن مع البيتين الشعريين أجد أنَّ تطبيقه محال، إذ لا يلزم الوقف فيهما كما هو ظاهر من نصوصها، يُزاد إلى ذلك أنه يناقض السماع عن لهجة مسموعة عن العرب كانت تستعمل (لن) محل (لم) في الوصل والوقف كما أُثر عنهم.

ثانيا: القول باجتزاء بالحركة بدل الحرف يوهنه أنَّ الاجتزاء بالحركة بدل الحرف في المفتوح قليل؛ لخفة الألف[٨٧]، كما أنَّه تعليل ناقص إذ اقتصر على بيت كُثَّير عزَّة ولم يتطرق إلى سائر الشواهد من هذا الوجه خلافاً للرأي الأول فإنَّه يدخل تحته كل ما ورد على هذه الشاكلة، وفضلا على ذلك أنَّه لا ضرورة في الحديث تقتضي حذف الحرف.

---

[٨٣] الجمل في النحو: ٢٠٧.

[٨٤] ينظر: رصف المباني: ٣٥٧.

[٨٥] ينظر: شواهد التوضيح: ٢١٧.

[٨٦] ينظر: حاشية الخضري: ٢/٢٥٢.

[٨٧] ينظر: الخصائص: ٣/١٣٦.

ثالثا: يبدو لي أنَّ (لَنْ) تحولت في دلالتها من دلالة امتداد معنى النفي فيها إلى المستقبل إلى دلالة لم التي يجوز انقطاع نفي منفيها[٨٨]؛ إذ ليس المراد أنه لن يقع له فزع، بل إن الفَزع منه لم يستمرّ، فكأنه لم يفزع، وفيه مبالغة أخرى من وجه آخر بدلالته على المضي، وعلى هذا لا يمتنع مع (لن) أن تخرج عن أصل استعمالها اللغوي وهو نصب الفعل المضارع بفعل تحول دلالتها فتكون جازمةً على جريا على (لم)، وما بين أيدينا من نصوص يعضّد بعضها بعضا لمَن نطق بهذا الوجه، ولكن يبقى ذلك الاستعمال في حدود النادر القليل.

ثامنا: تحول دلالة (ليس) إلى دلالة (لا العاطفة):

الأصل في استعمال ليس أن تعمل عمل كان، فترفع المبتدأ اسما لها، وتنصب خبره خبرا لها، ولكن قد تتحول في دلالتها إلى دلالة لا العاطفة، فلا يكون لها اسما مرفوعا ولا خبرا منصوبا، أثبت ذَلِك الْكُوفِيُّونَ[٨٩]، "وَاسْتَدَلُّوا بقَوْل الشاعر:

أينَ المَفرُّ؟ وَالإِلهُ الطَّالِبُ وَالأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغالِبُ"[٩٠]

أَي لَا الْغَالِب، ومن أحسن ما احتجوا به قول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه): "بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهٌ بعلي"[٩١]. هكذا ثبت في صحيح البخاري برفع شبيه، أي: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي، وذكر ابن منظور أن (ليس) تتحول في دلالتها فتكون بمنزلة (لا) العاطفة، فلك أن تقول: جَاءَنِي عَمْرٌو لَيْس زَيْدٌ[٩٢]، ولهذين الشاهدين توجيه آخر عند البصريين، وهو أن في ليس ضمير شأنٍ هو اسمها، وما بعده هو الخبر فتكون (ليس) جارية على استعمالها المشهور، فلا تحول في دلالتها، ويكون التقدير في البيت ليسه الغالب، وكذلك يقدر قول أبي بكر رضي الله عنه: ليسه شبيه بعلي، فيجعل شبيه اسم ليس، والهاء خبرها محذوفا، واستغنى بنيته عن لفظه[٩٣].

وفي تحرير رأي الكوفيين يرى أبو حيان "في الحقيقة ليست (ليس) عندهم أداة عطف؛ لأنهم أضمروا الخبر في قولهم: قام زيد ليس عمرو، وفي النصب والجر جعلوا الاسم ضميرًا لمجهول، وأضمروا الفعل بعدها، وذلك الفعل المضمر في موضع خبر ليس، هذا تحرير مذهبهم، فليس

---

[٨٨] ينظر: أوضح المسالك: ٤/٢٠٢.
[٨٩] ينظر: ارتشاف الضرب: ٤/١٩٧٧.
[٩٠] الجنى الداني: ٤٩٨.
[٩١] صحيح البخاري: ٥/٢٦ (٣٧٥٠).
[٩٢] ينظر: لسان العرب: ٦/٢١١.
[٩٣] ينظر: شرح التسهيل: ٣/٢٠٥.

يعطف مفردًا على مفرد على ما يفهم من كلام ابن عصفور، وابن مالك، وهشام، وابن كيسان أعرف بتقدير مذهب الكوفيين منهما"[٩٤].

وتعقبهم السيوطي بعد أن استشهد بقول أبي بكر في أعلاه رادا على من أنكر تحول دلالة ليس إلى (لا) العاطفة ذاكرا بأن حذف الخبر في باب كان وأخواتها ضرورة شعرية، وأن الشافعي (رحمه الله) وهو حجَّة فِي اللُّغَة نطق بليس يريد بها لا العاطفة، في قوله عن إحدى المسائل: "لأن الطهارات كلها إنما جعلت على ما يظهر ليس على الأجواف"[٩٥]، أَي لَا، وَلَا يَصح أَن يكون اسْمها مستترا؛ لوُجُوب تَأْنِيث الْفِعْل حِينَئِذٍ[٩٦].

ويبدو لي وجاهة قول الكوفيين لما يأتي:

١ – قوة الحديث النبوي الذي استشهدوا به.

٢ – تعضيد رأيهم بقول الإمام الشافعي الذي لا يمكن تأويله على إضمار ضمير الشأن في ليس إلا شذوذا.

٣ – عدّ جمهور النحويين ليس حرف نفي بمنزلة ما النافية ينتقض نفيها بإلا، وذلك فيما حكوه عن العرب: ليس الطيبُ إلا المسكُ، ولم يحملوها ضميرا وهو رأي له ما يرجحه[٩٧]، فإذا جاز لها أن تتحول في دلالتها إلى ما النافية فما المانع من أن تتحول في دلالتها إلى لا العاطفة.

٤ – إصرار البصرين على عدّهم ليس في حديث أبي بكر فعلا ناقصا وتقديرهم خبرها ضميرا محذوفا قياسا على حذفه في باب كان يرده أن حذف الخبر في باب كان يُعدّ ضرورة شعرية[٩٨]، ولا ضرورة في الحديث تقتضي حذفه.

تاسعا: تحول دلالة (لو) إلى دلالة (إنْ الجازمة):

يتحرر الخلاف فيما إذا وقع بعدها مجزوم، وأما في غير هذا المورد، فهناك اتفاق على أنها مهملة، حتى قال الرماني "إنها من الحروف الهوامل"[٩٩]، وقد أطلق في عبارته، وأما في هذا المورد، فقد نقل صاحب كتاب الجنى الداني، أَن قوما زعموا أن الجزم بها لغة مطّردة، قال:

---

[٩٤] ارتشاف الضرب: ١٩٧٨/٤.

[٩٥] الأم للشافعي: ٤٥٩/٢.

[٩٦] ينظر: همع الهوامع: ٢١٧/٣.

[٩٧] ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢٨٥/١.

[٩٨] ينظر: تمهيد القواعد: ٩٠٦/٢.

[٩٩] معاني الحروف: ١٠١.

"ذهب قوم منهم ابن الشجري إلى انه يجوز الجزم بها في الشعر واستدلوا بقول الشاعر علقمة بن عبدة الفحل:

لو يشأ طارَ بهِ ذو ميعةٍ لاحقُ الأطال نَهْدٌ ذو خصلْ

وبقول لقيط بن زرارة:

تامتْ فؤادك لو يحزنْكَ ما صنعتْ إحدى نساءِ بني ذهلِ بنِ شيبانا"[١٠٠]

وقد خرّج ابن مالك البيت الأول على أن يشأ جاء على لغة قوم من العرب، يقولون: جا، يجي، وشا، يشا، بترك الهمزة فيمكن أن يكون قائل هذا البيت من لغته ترك الهمزة من يشاء، فقال (يشا) ثم أبدل الألف همزة، فصار (يشأ) كما قيل في عالم: عألم، وخاتم: خأتم، وأما البيت الثاني فقد خرّجه على أنه من تسكين ضمة الإعراب تخفيفا[١٠١].

والسر وراء إعمال لو هو في تحول دلالتها إلى دلالة إن الجازمة، قال المبرِّد: "لَوْ أصلُها في الكلام أنْ تَدُلَّ على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتني لأعْطَيْتُكَ، ولو كان زيدٌ هناك لضربتُهُ، ثم تتسع فتصير في معنى (إنْ) الواقعة للجزاء تقول: أنت لا تُكْرِمُنِي ولو أكْرَمْتُكَ، تريد وإنْ"[١٠٢]. وقال ابن عصفور: "وقد تخرج عن بابها وتكون بمعنى (إن) الشرطية فيكون الفعل بعدها مستقبلا لفظا ومعنى أو معنى لا لفظا، وعليه قول الأخطل:

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرَهْم دونَ النساءِ ولو باتتْ بأطهار"[١٠٣]

وأوضح من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ"[١٠٤]. فالمشهور في دلالة لو أنَّها حرف "لما كان سيقع لوقوع غيره"[١٠٥]. فبمقتضى إفادتها الامتناع يصح في كل موضع استعملت فيه أنْ تعقبه بحرف الاستدراك داخلاً على فعل الشرط منفياً لفظاً أو معنى كأن تقول: لو حضر لأكرمته ولكنه لم يحضرْ مما يدلك على أنَّ لو في هذا الحديث الشريف تحولت إلى دلالة إنْ أننا لو أوّلناها جريا على ما مرّ لكان تقدير الحديث عندئذٍ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ، ولكنك لم تُحْسِن، ولا يستقيم هذا التأويل مع ظاهر الحديث؛ لأنَّه لما فقدت المناسبة لم تنتفِ السببية، إذ ليس إحسان الزوج علةً لسخط النساء، وإنّما هو معللٌ بأمر آخر وهو الطبع.

---

(١٠٠) الجنى الداني: ٢٨٦–٢٨٧.

(١٠١) ينظر: شرح الكافية الشافية: ١٦٣٣/٣–١٦٣٤.

(١٠٢) الكامل: ٢٢٠/١.

(١٠٣) شرح جمل الزجاجي: ٤٤١/٢.

(١٠٤) صحيح البخاري: ١٥/١ (٢٩).

(١٠٥) الكتاب: ٢٤٤/٤.

الخاتمة

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها الباحث بالنقاط الآتية:

١- إن مصطلح التحول الدلالي يقصد بها التغير في المعنى، والدلالات المختلفة التي يعطيها اللفظ داخل السياق.

٢- إن معنى الكلمة يرتبط بالسياق الذي ترد فيه، فقد يتعدد المعنى للكلمة الواحدة بتعدد السياق.

٣- تبين لنا من تحليل بعض الشواهد أنه من المكن أن تقوم أداة بالعمل الذي تؤديه الأداة الأخرى، بفعل التحول الدلالي الذي غيّر عمل الأداة بسبب تغير دلالتها.

٤- إن عدم استيعاب ما كانت تحمله بعض الأدوات من معانٍ كان مأنوسا بين المتقدمين، ولهذا لم يحسن المتأخرون استعمالاتها.

٥- بعض شواهد ظاهرة التحول الدلالي في الأدوات وتأثيره في عملها يقتصر فيها على السماع، والآخر يمكن القياس عليه.

٦- ضرورة عدم التمحل في التأويل مما يتيح الفرصة أمام التطور اللغوي الذي ينسجم مع روح العربية وقابليتها للتفاعل في كل زمان.

المصادر :

١. القرآن الكريم.
٢. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ط/١، ١٩٩٦م.
٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/١، ١٩٩٨م.
٤. الاستثناء في القرآن الكريم نوعه، حكمه، إعرابه، حسن طه حسن، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، ١٩٩٠م.
٥. الأشباه والنَّظائر في النحو، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
٦. الأصول في النحو، ابن السرّاج، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٤، ١٩٩٩م.
٧. إعراب الحديث النبوي، العكبري، تحقيق: عبد الاله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط/٢، ٢٠٠٨م.
٨. الأم، الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، المنصورة، ط/١، ٢٠٠١م.
٩. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٨م.
١٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، تحقيق الدكتور بركات يوسف، دار ابن كثير، دمشق، ط/١، ٢٠٠٥م.
١١. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وأخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٣م.
١٢. البيان في غريب إعراب القرآن، الأنباري، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد طه، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٣. التفسير الكبير، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٣، ٢٠٠٠م.
١٤. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ابن ناظر الجيش تحقيق: محمد علي فاخر وأخرينَ، دار السلام، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٧م.
١٥. تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
١٧. الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في النحو العربي، رابح أبو معزة، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، ط/١، ٢٠٠٨م.

١٨. الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٢م.
١٩. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، الخضري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٨م.
٢٠. حاشية الصبان على شرح الأشموني، الصبان، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٢م.
٢١. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط/٤، ١٩٩٠م.
٢٢. رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالَقي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، ط/٣، . ٢٠٠٢م.
٢٣. السَّبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٠م.
٢٤. شرح ابن عقيل، ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٥. شرح ابن الناظم، محمد بن مالك، تحقيق: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠٠م.
٢٦. شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا – طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
٢٧. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط/٢، ٢٠٠٦م.
٢٨. شرح جمل الزجاجي: لابن عصفور، تحقيق: صاحب أبو جناح، مديرية دار الكتب والطباعة والنشر – جامعة الموصل، ١٩٨٠م.
٢٩. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٩م.
٣٠. شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق: علي محمد عوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠٠م.
٣١. شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
٣٢. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك، تحقيق: طه محسن، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م.
٣٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، ١٩٩٠م.
٣٤. صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط/١، ٢٠٠١م.
٣٥. ضرائر الشعر، ابن عصفور، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت، ط/١، ١٩٨٠م.
٣٦. ظاهرة التقارض في الدرس النحوي، عبد الله جاد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٢م.
٣٧. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٣، ١٩٧٧م؟
٣٨. الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٣، ١٩٩٦م.
٣٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي –بيروت، ط/٣، ١٩٨٦م.
٤٠. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٢، ١٩٨١م.
٤١. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/٣، ١٩٩٤م.
٤٢. مجاز القرآن، أبو عبيدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩٨١م.
٤٣. مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط/٥، ١٩٨٧م.
٤٤. المساعد في تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تحقيق: الدكتور محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م.
٤٥. المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبو علي الفارسي، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.
٤٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ٢٠٠١م.
٤٧. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٩٨٨م.
٤٨. معاني القرآن، الأخفش الأوسط، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٢، ٢٠١٠م.
٤٩. معاني القرآن، الفرّاء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرَين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٠م.
٥٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، وآخرَين، دار الفكر، بيروت، ط/٦، ١٩٨٥م.
٥١. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، ١٩٨٢م.
٥٢. المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٩٩٤م.
٥٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ط/١، ٢٠٠٩م.

نقد العبارة لغويًّا عند أبي حيان الأندلسي
في البحر المحيط

الأستاذ الدكتور شعلان عبدعلي سلطان
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص :

تعاطى البحث مع العبارات التي سلّط عليها أبو حيان الأندلسي نقده لطبيعة تركيبها، التي وردت في كلام من سبقه من المفسرين ولاسيما الزمخشري في كشافه وابن عطية في محرره، فقد كان لأبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط وقفة على طبيعة التركيب لبعض عبارات من سبقه مبينا الخطأ اللغوي فيها، وهذا ما أطلقنا عليه (نقد العبارة) وهو لون من ألوان التصويب اللغوي شاع عند المتأخرين، وهو نتاج طبيعي لما آلت إليه المصنفات من الشروح والحواشي التي تقتضي أن يتابع المصنف عبارة النص المشروح متابعة دقيقة توضيحًا وتفصيلاً وتدقيقًا وتصويبًا إذا ما صادف عبارة فيها خلل في التركيب أو مخالفة لقواعد اللغة العربية، ولكن الطريف أن نلحظ ذلك في تفسير من تفاسير القرآن الكريم. وقد عمدت إلى جمع ما وجدته من هذه النقود؛ عارضًا وموضحًا إشكال أبي حيان الأندلسي، ووجه رفضه للعبارات ثم بيان مدى صحة موقفه أو عدمه بالرجوع إلى مصنفات النحويين واللغويين أو غير ذلك مما يسعف البحث ويوصله إلى بيان الصواب من الآراء .

وقد كان مما خلص إليه البحث أن كثيرًا من العبارات التي وجّه إليها أبو حيان سهام نقده لم تخرج عن دائرة الصحة اللغوية تماما، بل هي عبارات مختلف في صحتها عند النحاة، فبعضهم يجيزها وآخرون يضعفونها أو يقبلونها ولكن هي دون الأخرى فصاحةً. وقد يلمس المطَّلع أنّ هناك نزعة نقدية متحاملة عند أبي حيان بسبب العبارات التي يصف بها عبارات الزمخشري وابن عطية منها: (تركيب غير عربي، أو أعجمي، ...) والغريب أني وجدت في موضعين مما أحصيت تراكيب قد ورد عند أبي حيان الأندلسي وآخذ فيها غيره عليها. وهذا يدل على تشدد وتحامل في الانتقاد طبع نقود العبارة لأبي حيان في تفسيره .

الكلمات المفتاحية: نقد العبارة، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، التصويب اللغوي.

المقدمة:

ضمّت المصنفات اللغوية بمجالاتها المختلفة إشارات تصويبية لمعالجة الأخطاء اللغوية والانحراف عن سنن العربية وقواعدها في الاستعمال الصحيح من التعبير، وقد ظهرت حركة

التصويب اللغوي منذ وقت مبكر بل إن علوم العربية كان الباعث عليها والدافع إليها تصحيحيًا؛ لتحري العربية السليمة والتنبيه على الأغاليط التي دبّت على ألسنة العامة أو الخاصة .

وكتب التفسير التي تعنى بلغة القرآن الكريم والتوجيه الصحيح للتركيب اللغوي، فيها الكثير من الإشارات إلى التراكيب الممتنعة والأساليب الركيكة والاستعمالات التي لا وجه لها في العربية، وقد شاع في العصور المتأخرة تأليف الشروح والحواشي التي يقتضي منهجها تتبع عبارة النص المشروح والتعليق عليها إيضاحًا وتفصيلاً وتعقيبًا، ومما يرد في الشروح تعقب عبارة النص من الناحية اللغوية وبيان ما فيها من خلل وانحراف.

وأبو حيان الأندلسي من العلماء المتأخرين الذين ينتمون إلى هذا العصر الذي كثرت فيه الشروح والحواشي، ويعد تفسيره من أوسع التفاسير وأوعبها، تعقب فيه آراء المفسرين السابقين ولاسيما الزمخشري وابن عطية، وكان مما تعقبه عباراتهما من الناحية اللغوية وبيان ما فيها من بُعدٍ عن العربية . وهذا هو موضوع بحثنا (نقد العبارة لغويًا عند أبي حيان الأندلسي في البحر المحيط)، وطرافة هذا البحث تكمن في تلمس حركة التصويب اللغوي في تفسير القرآن الكريم، فقد تتبعت مواضع في تفسير أبي حيان الأندلسي أشار فيها إلى لحن في عبارة من تقدمه من المفسرين ولاسيما الزمخشري وابن عطية، وحاولت الرجوع إلى المدوَّنة النحوية لبحث المسائل النحوية وما فيها من آراء لنحتكم اليها في صحة ما أشار إليه أبو حيان أو عدم صحته، فضلا عن الرجوع إلى كتب التفسير الأخرى التي تعقبت آراء أبي حيان؛ لأخلص بعد كل مسألة إلى رأي يوافق أبا حيان أو يخالفه في نقده، وقد اكتفيت بتسع مسائل لتقديم صورة واضحة عن موقف أبي حيان الأندلسي في تتبع عبارات السابقين ومدى دقة النقد ووجاهته . وسأعرض تلك المسائل على النحو الآتي:

أولا : مجيء أنّ ومعموليها بعد عسى

مما أشار إليه أبو حيان الأندلسي على أنه خطأ لغوي وانحراف عن سنن العرب في كلامهم قول ابن عطية الأندلسي حين فسر قوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾(سورة الإسراء: ٥١)، إذ يقول: " فكان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) يقول لهم في هذه الآيات: عسى أن الساعة قريبة، يوم تدعون فيقومون بخلاف ما تعتقدون الآن"[١] فقوله: (عسى أنّ الساعة قريبة) تركيب تأباه العربية ولا مثيل له في كلام العرب، يقول أبو حيان الأندلسي في ذلك " وَوَقَعَ فِي لَفْظِ ابْنِ عَطِيَّةَ حِينَ قَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ: عَسَى أَنَّ السَّاعَةَ قَرِيبَةٌ وَهُوَ تَرْكِيبٌ لَا يَجُوزُ، لَا تَقُولُ عَسَى أَنَّ زَيْدًا

[١] المحرر الوجيز: ٣/ ٤٦٣ .

قَائِمٌ بِخِلَافِ عَسَى أَنْ يَقُومَ زَيْدٌ. [٢] "

وعسى من أفعال المقاربة، وهي من الأفعال الناقصة التي ترفع مبتدأ وتنصب خبرا، كما قرر النحويون ذلك، يقول أبو البركات الأنباري: "عسى ترفع الاسم وتنصب الخبر مثل كان "[٣] ولكن أفعال المقاربة تختص بخصوصية هي أن خبرها لا يكون إلا جملة فعلية فعلها مضارع " ولا يكون الخبر إلا فعلاً مستقبلاً مشفوعًا بـ (أن) الناصبة للفعل "[٤] وقد يكون الفعل المضارع مشفوعًا بأن أو خاليًا منها، وفصلوا حكم كل فعل، فمنها ما يلزم أنْ،ومنها ما يخلو منها، ومنها ما يغلب خلوه من أن، ومنها ما يغلب اقترانه بأن[٥] وعسى من النوع الأخير، يقول الرضي : " وحذف (أنْ) مع عسى قليل". [٦]

وندر مجيء خبر عسى اسما مفردًا ؛ واستشهدوا بقول الشاعر:[٧]

أكثرتَ في العذلِ مُلحًّا دائما لا تُكثرنْ إني عسيتُ صائما

وقولهم: عسى الغوير أبوسا [٨]

وعلل النحويون ذلك بأنه تنبيه على الأصل، يقول الأنباري: " والذي يدل على أنها تنصب خبرا قوله : عسى الغوير أبوسا وكان القياس أن يقال : عسى الغوير أن يبأس إلا أنهم رجعوا إلى الأصل المتروك"[٩]، و "من عادة العرب في بعض ما له أصل متروك، وقد استمر الاستعمال بخلافه، أن ينبهوا على ذلك الأصل، لئلا يجهل، فمن ذلك جعل بعض العرب خبر كاد وعسى مفردا منصوبا"[١٠]

وذكر أنها قد تسند إلى ضمير الشأن ويكون خبرها جملة اسمية بما حكاه أبو عمر الزاهد عن ثعلب قول العرب : عسى زيد قائم .[١١]

نخلص أن ما قرره النحويون من أحكام لـ (عسى) هو أنها تدخل على جملة فعلية فعلها

---

[٢] البحر المحيط: ٧/ ٦٤

[٣] أسرار العربية ١٠٩/١، وينظر همع الهوامع ٤٧٥/١

[٤] شرح المفصل ٤/ ٣٧٣

[٥] ينظر: أوضح المسالك: ١/ ٢٧٩- ٣٠١، وشرح التسهيل: ١/ ٣٨٩ .

[٦] شرح الرضي ٤/ ٢١٩ ، وينظر همع الهوامع ٤٧٦/١

[٧] مجموع اشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج: ١٨٥

[٨] ينظر: جمهرة الامثال: ٢/ ٥٠

[٩] أسرار العربية ١/ ١٠٩

[١٠] شرح التسهيل ٣٩٣/١

[١١] ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٣٤ .

مضارع مقترن بأن ويقل حذفها، وقد ترفع اسما وتنصب خبرا وهذه لغة، أما أن تدخل (عسى) على جملة اسمية مسبوقة بأنّ فلم يرد له ذكر في مصنفات النحويين حتى على نحو القلة والشذوذ، نعم يمكن أن نؤول العبارة بناء على ما ذكر من مجيء اسم عسى ضمير شأن وخبره جملة اسمية، فيكون المصدر المؤول خبر عسى والاسم ضمير شأن محذوفًا تقديره: عسى الشأن والأمر قرب الساعة، وهذا احتمال بعيد ضعيف ؛ لذا فإن عبارة ابن عطية ليس لها مثيل في كلام العرب وتخرج عن سنن العربية وقواعدها.

ثانيًا: تعدي الفعل (نظر) بلا واسطة

ومن عبارات الزمخشري التي تعقبها أبو حيان الأندلسي، قول الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦): "يقال للإنسان: لمَ سمعت ما لم يحل لك سماعه، ولم نظرت ما لم يحل لك النظر إليه، ولمَ عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه؟ "[١٢] إذ عدّ تعدية الفعل (نظر) إلى مفعوله مباشرة خطأ في الاستعمال ومخالفة لما جرى عليه اللسان العربي؛ لأنّ الفعل (نظر) بمعنى (بصر) يتعدى بالحرف (إلى) لا بنفسه، يقول: " وقول الزمخشري : ولم نظرت ما لم يحل لك أسقط (إلى)، وهو لا يجوز إلاّ إن جاء في ضرورة شعر لأن نظر يتعدّى بإلى فكان التركيب، ولم نظرت إلى ما لم يحل لك، كما قال: (النظر إليه) عداه بإلى" .[١٣]

وتعدية الفعل ولزومه من المسائل التي دار فيها كلام كثير، واضطربت الآراء وتعددت في أي الأفعال لازمة وأيها متعدية ؟ وهل يجوز حذف حرف الجر وتعدية الفعل، ومتى يكون قياسيًا ومتى يكون سماعيًا ؟ وماذا يعرب الاسم الواقع بعد حرف الجر بعد حذفه ؟

فقد ذكر النحاة أن هناك أفعالاً متعدية وأنّ هناك أفعالا لازمة، والفعل اللازم إذا تعدى بالحرف لا يحذف حرف الجر منه قياسيا إلا إذا دخل على (أن وأنّ) المصدريتين، يقول الزمخشري : " وتحذف مع أن وأنّ كثيرا مستمرا "[١٤] ويقول أبو حيان : " واطرد حذف حرف الجر المتعين مع أنّ وأن ... فإن أتيت بصريح المصدر لم يجز الحذف " [١٥] أي إذا كان

---

[١٢] تفسير الكشاف: ٦٦٧/٢، راجعت ثلاث طبعات مختلفة لتفسير الكشاف فوجدت فيها الفعل معدّى بـ(إلى) ولكنني تناولت المسألة بناء على ما ذكر أبو حيان الأندلسي، والطبعات هي: طبعة دار المعرفة، بعناية وضبط خليل مأمون شيحا: ٥٩٧، وطبعة دار الكتاب العربي، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي: ٤٩١/١، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بتحقيق عبد الرزاق المهدي: ٦٢٤/٢.

[١٣] البحر المحيط: ٧/ ٣٤٦ .

[١٤] المفصل في صنعة الإعراب ١/ ٣٨٩ .

[١٥] ارتشاف الضرب ٢٠٨٨ .

المجرور اسما صريحا لم يجز حذف حرف الجر، ولكن قد يكثر استعمال الفعل محذوفا منه حرف الجر حتى يصح القياس عليه كالفعل (دخل) فأقول: دخلت إلى البيت ودخلت البيت، أما إذا ورد على قلة فيحفظ ولا يقاس عليه، يقول السيوطي: " وقد يكثر حذف الحرف، لكثرة الاستعمال نحو دخلت الدار فيقاس عليه دخلت البلد والبيت بخلاف ما لم يكثر نحو ذهبت الشام وتوجهت مكة فيسمع ولا يقاس" [١٦] وما عدا ذلك يكون الحذف شذوذا، وقد أجاز الأخفش الصغير حذف حرف الجر إذا تعين وتعين مكانه[١٧]، وهناك أفعال تأتي لازمة ومتعدية، عندما يشتهر الاستعمالان للفعل، يقول ابن مالك : " وإذا استعمل الفعل متعديا بنفسه تارة وبحرف جر تارة، ولم يكن أحد الاستعمالين مشهورا قيل فيه متعد بوجهين. ولم يحكم بتقدير الحرف عند سقوطه ولا بزيادة عند ثبوته نحو شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له" [١٨] وقد عدّ أبو حيان هذا النوع قسمًا قائما برأسه فقال: " لما تساويا في الاستعمال صار أصلا بنفسه" .[١٩]

وقد عدت إلى استعمال الفعل (نظر) بالمعنى الذي ورد عليه كلام الزمخشري، في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وعبارات علماء العربية، فوجدته يستعمل لازما يتعدى بحرف الجر (إلى) ولكن لم نعدم عبارات قليلة جاء فيها متعديا بنفسه، ففي مصنف ابن أبي شيبة : "عن مغيرة عن إبراهيم قال إذا كان حين يزكي الرجل ماله نظر ما للناس عليه فيعزله" [٢٠]، وعن تميم الداري عن النبي (صلى الله عليه وآله) : "ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما إنه لم يمنعني أن أباشر أنا بنفسي إلا أني نظرت ما عندكم فإن عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذ أجزأتم عنه فأنا له ذخر عند الصراط والميزان"[٢١]، وفي تفسير الماوردي (ت٤٥٠هـ): " وفيه وجهان أحدهما: نظرت ما لم ينظروه قاله أبو عبيدة " . [٢٢]

فهل الفعل (نظر) لازم حذف منه حرف الجر، وهل هذا الحذف لكثرة الاستعمال يكون قياسيا كالفعل (دخل)، أو أنه ليس كذلك بل هو كالفعل (ذهب)، أو هذا الفعل من الأفعال التي تأتي لازمة ومتعدية كشكر له وشكرته، أو أن الزمخشري أخطأ في الاستعمال ؟

إذا عدنا إلى المعجمات وهي المعين الذي نفزع إليه إذا ما أردنا معرفة دلالة الكلمات

---

[١٦] همع الهوامع ٣/ ٨ .

[١٧] ينظر: ارتشاف الضرب: ٢٠٩٢ وهمع الهوامع: ٣/ ١١ .

[١٨] شرح التسهيل: ٢/ ١٤٩ .

[١٩] التذييل والتكميل ٧/ ٤ .

[٢٠] ٢/١٤٤

[٢١] اتحاف الخيرة المهرة ٢/ ١٣٣

[٢٢] النكت والعيون ٣/ ٤٢٢ .

وطبيعة استعمالها، نجد أنهم يقرون للفعل (نظر) معاني مختلفة، فهو بمعنى المعاينة والإبصار بالعين والقلب إذا تعدى بـ(إلى) " يقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينته " [٢٣] والمعنى الآخر التفكر والتدبر عندما يتعدى بالحرف (في) : نظرت في الأمر[٢٤] والمعنى الثالث هو الانتظار والترقب يقال: نظرت فلانا أي انتظرته [٢٥]. هذا هو المشهور في كتب المعجمات

ولكن هل المعنى الأول لا يأتي إلا إذا تعدى الفعل بالحرف (إلى) ؟ وجدت في بعض المعجمات إشارة إلى استعمال آخر ففي لسان العرب: " النظر حسّ العين، نظره ينظره نظرًا ومنظرا ومنظرة ونظر إليه" [٢٦] وفي المصباح المنير: " نظرته أنظره نظرًا ونظرت إليه أيضا: أبصرته" [٢٧] نلحظ أن الفعل نظره ونظر إليه بمعنى أبصر، وهناك إشارة صريحة إلى ذلك وردت وردت عند ابن سيده، يقول: " نَظَرته أَنْظُره نَظَراً ونَظَرت إليه، قال أبو علي، قال أبو الحسن: نَظَرته ونَظَرت إليه لغتان كقولك: كِلْته وكِلْت له وليست نَظَرته مُعَدَّاة بحرف الوَسيط على نحو اخْتَرت الرِّجالَ زيداً وأما قول امرئ القيس:

فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرانُ في الآل دُونَهم   نَظَرتَ فلم تَنْظُر بعينَيْك مَنْظَرا

فقد يكونُ المَنْظَر ههُنا المصدرَ ويكون المنظور كما ذهب إليه الخليل في الخَلْق حين قال يكون المَصْدَر ويكون المَخْلوق فإن أردت بالمَنْظَر ههنا النظرَ فهو على نحو ما حكاه سيبويه من قولهم: تَكَلَّمت ولم تَكَلَّم، أي كأنَّك لم تنظر لسُرْعة ارتداد طَرْفك وقِلَّة اسْتِمْتاعك بالنظر إليهم وإن عنيت بالنظر المنظور فإنه أراد فلم تنظر بعيْنَيْك منْظُورًا يَرُوقُك أي لم تَرَ شيئًا حين لم تر صُورةَ من تَهْواه " [٢٨] ففي هذا النص يحكم على الفعل (نظر) بأنه من الأفعال المتعدية اللازمة أي تأتي لازمة ومتعدية على لغتين، وينفي أن يكون من الأفعال اللازمة التي حذف منها حرف الجر فعدِّيت، مستدلين ببيت امرئ القيس الذي يحتمل أن يكون (منظرا) فيه مصدرا بمعنى المنظور فيكون مفعولا به وعندئذ يكون الفعل متعديا مفعوله (منظرا) ويحتمل أن يكون لازما فيكون (منظرا) مصدرا فيعرب مفعولا مطلقا وحينئذ لا استدلال فيه .

ويبدو لي بعد التتبع أن الفعل (نظر) الذي بمعنى البصر هو فعل لازم يتعدى بـ(إلى) هذا هو الكثير المشهور، ولكن هذا لا يمنع من صحة استعماله متعديا بنفسه بعدما ورد متعديا وإن

---

[٢٣] مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ١٩٩ .

[٢٤] تهذيب اللغة: ١٤/ ٢٦٤، وتاج العروس ١٤/ ٢٤٤

[٢٥] العين ٨/ ١٥٦

[٢٦] لسان العرب: ٥/ ٢١٥

[٢٧] ٩/٣٥٥

[٢٨] المخصص: ١/ ٦٩، وينظر المصباح المنير: ٩/ ٣٥٥ . والبيت ينظر: ديوان امرئ القيس: ٩٥ .

كان ذلك أقل وأندر. وقد عدّها صاحب كتاب معجم الأفعال المتعدية بحرف من الأفعال التي تستعمل متعدية ولازمة، فقال: " نظرت إليه ونظرته " [٢٩] واستشهد بقول الشاعر:

ظاهرات الجمال والسّرْوِ ينظر   نَ كما ينظر الأراكَ الظباءُ .[٣٠]

ولا داعي لحمل الأبيات التي ورد فيها الفعل (نظر) متعديا على الضرورة الشعرية، كما ذهب أبو حيان إلى أن الأفعال اللازمة قد يحذف منها الحرف فتتعدى في الشعر للضرورة .

ثالثًا : نيابة أنّ المصدرية ومعموليها عن مفعولي أعطى

من العبارات التي تعقّبها أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط، عبارة لأبي محمد ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز يقول فيها: "هذه الآية تعطي أن الله تعالى أغنى الإنسان بنعمه هذه عن كل مخلوق[٣١]" وتعقّبها أبو حيان قائلاً : " وقول أبي محمد (تعطي أن الله أغنى الإنسان)، خطأ في التركيب، لأن أعطى لا تنوب أنّ ومعمولاها مناب مفعوليها، بخلاف ظن، فإنها تنوب مناب مفعوليها، ولذلك ذكر في علم العربية " .[٣٢]

ولتوضيح اعتراض أبي حيان على عبارة ابن عطية، نقول : الأفعال المتعدية إلى مفعولين يقسمها النحاة على قسمين، الأول: ما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا، وهي الأفعال الدالة على الإعطاء والمنح كأعطى وكسا ومنح ومنع، وهي كثيرة [٣٣]، والثاني ما ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وهذه الأفعال تقسم على قسمين أفعال القلوب وأفعال التحويل، وتتصف هذه الأفعال بأن مفعوليها يصلحان لتكوين جملة اسمية عند حذف الفعل وفاعله، يقول الرضي: " المتعدي إلى اثنين على ضربين : إما أن لا يكون مفعولاه في الأصل مبتدأ وخبرا كأعطيت زيدًا درهما ولا حصر لهذا النوع من الأفعال، وإما أن يكونا في الأصل مبتدأ وخبرًا كعلمت زيدًا قائمًا"[٣٤]. وإنما لزمت هذه الأفعال الدخول على جملة " أنها أفعال أُتي بها لتفيد معنى في الجملة، فتركها دون الجملة رجوع عن المقصود ولا يجوز كما لا يجوز حذف ما أُتِي به لمعنى" [٣٥] وقد عُدّت هذه الأفعال من النواسخ؛ لأنها تنصب ما كان أصله مبتدأ وخبرا، وتمتاز أفعال القلوب بأنها قد يسبق مفعوليها أنّ الناصبة فتسدّ مع معموليها مسدّ مفعولي أفعال

---

(٢٩) معجم الأفعال المتعدية بحرف: ٣٨٩ .

(٣٠) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: ٨٨ .

(٣١) المحرر الوجيز: ١/ ١٠٦

(٣٢) البحر المحيط: ١/ ١١٨

(٣٣) ينظر: الإيضاح العضدي: ٣٠١/٤، شرح المفصل لابن يعيش: ٣٠١/٤، أمالي ابن الحاجب: ٦٧٨/٢ .

(٣٤) شرح الرضي على الكافية: ٤/ ١٤١

(٣٥) التذييل والتكميل ٦/ ١٣

القلوب، ولا تدخل على غيرها. يقول الرضي: " ومن خواصها أيضًا – أي أفعال القلوب –، جواز دخول (أنّ) المفتوحة على الجملة المنصوبة الجزأين، نحو علمت أنّ زيدًا قائم، ولا يجوز: أعطيت أن زيدًا درهم وذلك لأن مفعولها في الحقيقة على ما تقدم غير مرة، هو مصدر الخبر مضاف إلى المبتدأ، وأن المفتوحة موضوعة لهذا المعنى "[36] وظاهر عبارة ابن عطية أنه أدخل على مفعولي (أعطى) (أنّ) وهذا لا تجيزه قواعد اللغة العربية كما يظهر صراحة في نص الرضي السابق، فنحن نقول: أعطيت عليًّا كتابًا، ولا نقول أعطيت أن عليًّا كتاب، فهذا لا يصح مطلقا، ولكن إذا نظرنا إلى عبارة ابن عطية (يعطي أن الله أغنى الإنسان) فيبدو أن أبا حيان افترض أنّ معمولي أعطى هو لفظ الجلالة (الله) وجملة (أغنى الإنسان) خبر وقد دخلت عليهما (أنّ) .

وقد تتبعت هذا الأسلوب في التعبير فوجدته ورد عند مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)[37]، وقد شاع استخدامه من عند ابن عطية في تفسيره في مواضع كثيرة[38]، وكثر لدى المتأخرين ممن جاؤوا بعده وهم كثر كالعكبري(٦١٦هـ)، والقرطبي (٦٧١هـ)، والرضي الإسترابادي(٦٨٨هـ)، والثعالبي (٨٧٥هـ).[39]

ويبدو لي أن الأداة(أنّ) ومعموليها لم ينوبا مناب مفعولي (أعطى) فهذان الاسمان لا يصلحان أن يكونا معمولين بعد حذف (أنّ) كما هو متعارف مع المصدر النائب عن مفعولي الفعل، والفعل أعطى باق على دلالته، وبقاؤه يلزم أن تبقى الحالة التركيبية على وضعها، فالتعدي واللزوم والتعدي إلى مفعول واحد أو أكثر كل ذلك تابع إلى المعنى الذي يحمله الفعل فهو الذي يوجه الهيأة التركيبية للفعل، والفعل أعطى في استعمال ابن عطية لم يخرج عن دلالة الأخذ والمناولة وهي دلالة هذه المادة كما يقول ابن فارس: " العين والطاء والحرف المعتل أصل واحد صحيح يدل على أخذ ومناولة ولا يخرج الباب عنهما" [40] والأفضل أن يخرج على أن المصدر المؤول ناب مناب مفعول (أعطى) وليس مفعوليها، أي هذه الآية تعطي هذا المعنى، والفعل أعطى ورد متعديا إلى اثنين وإلى واحد كقوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

---

(٣٦) شرح الرضي: ١٧١/٤ .

(٣٧) الهداية إلى بلوغ النهاية: ١٠/ ٦٥٩٧

(٣٨) ينظر قوله: "ولفظ أحباؤه إنما يعطي أن الله يحبهم" ١/ ٤٢٢، وقوله "واشتقاق اللفظة في اللغة يعطي أن تقع على جميع الناس" ١/ ٤٢٣، وينظر: ١/ ٢٣٧، ٣/ ١٠٦/١،٤٣٢، ١/ ١٠٧ .

(٣٩) ينظر على سبيل التمثيل: إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث الشريف للعكبري: ١١٨/١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٧١، ١٣/ ١٨٧، ١٣/ ١٨٨، ١٤/ ١٨٢، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ٤١٨، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي: ٣٧٨/١، ٢/ ١٨٢، ٣/ ٣٣٤، ٥/ ١٩١

(٤٠) مقاييس اللغة: ٤/ ٢٨٧

وورد من دون مفعول به كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، وإذا أردنا تقدير مفعول به آخر يمكن أن يقدر، هذه الآية تعطيك أن الله أغنى الإنسان، فيكون الكاف مفعولا أول، والمصدر المؤول مفعولا ثانيا . وهذا لا يمنع منه مانع ؛ لأن حذف مفعول أعطى أمر وارد في العربية .

يبقى أن نقول إن هذا الاستعمال هو نتاج تطور في استعمال الفعل ولكن هذا التطور لا تمنعه قواعد اللغة، بل تستوعبه وتقره، فلا موجب لتخطئة ابن عطية.

رابعًا : مجيء جملة عسى صلة للموصول

أقر النحويون في مصنفاتهم أن شرط صلة الموصول أن تكون معهودة لدى السامع، يقول الجرجاني: " لا تصل (الذي) إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وأمر قد عرفه له نحو أن ترى عنده رجلاً يُنشده شعرًا فتقول له من غدٍ : ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر ؟ "[٤١]، وهذا يقتضي أن تكون جملة خبرية[٤٢] يقول الرضي: " يجب أن تكون الصلة جملة خبرية، لما ذكرنا أنه يجب أن يكون مضمون الصلة حكمًا معلوم الوقوع للمخاطب قبل الخطاب، والجمل الإنشائية والطلبية، كما ذكرنا في باب الوصف، لا يعرف مضمونها إلا بعد إيراد صيغها " [٤٣]، لكن منهم من أجاز بعض الجمل التي تقدم فائدة للسامع وإن كانت إنشائية في لفظها أو لفظها ومعناها .[٤٤]

وجملة (عسى) جملة إنشائية وليست خبرية ؛لأنها تفيد ما تفيده (لعل) من معنى الطمع والترجي، يقول سيبويه: " عسى طمع وإشفاق" [٤٥]، ويقول الراغب: " عسى طمع وترجٍّ" [٤٦] فلا تقع صلة للموصول بحسب قاعدة النحويين، ويقول أبو حيان: " والمشهور أن "عسى" إنشاء، لأنه ترجٍ، فهي نظيرة "لعل"، ولذلك لا يجوز وصل الموصول بها ". [٤٧]

وقد ورد في عبارات الزمخشري مجيء جملة (عسى) صلة لـ (من) الموصولة في أكثر من

---

[٤١] دلائل الإعجاز: ٢٠٠

[٤٢] معنى خبرية أنه يصح أن يحكم عليها بصدق أو كذب، بصرف النظر عن قائلها، وأما الجملة الإنشائية والتي لا يصح الحكم عليها بصدق أنه كذب وهي الطلبية أو التي ينشأ بها العقد أو العقود، فهذه جمل إنشائية لا يمكن الحكم عليها بصدق أو كذب، فلا تقع صلة. شرح قطر الندى ١٣/١

[٤٣] شرح الرضي ١٠/٣، وينظر: نتائج التحصيل ١/ ٧١١

[٤٤] ينظر: توضيح المقاصد ٤٤٥/١، التذييل والتكميل ٣/ ٧-١٦، حاشية الخضري ١/ ١٨٢-١٨٣ .

[٤٥] كتاب سيبويه: ٢٣٣/٤ .

[٤٦] المفردات في غريب القرآن:٤٤٠/١

[٤٧] ارتشاف الضرب: وينظر: نتائج التحصيل: ٧٠٦، المرتجل ١٢٨ .

موضع[٤٨]، وهذا دعا أبا حيان الأندلسي إلى تعقب هذه العبارات والإشارة إلى عدم صوابها، من ذلك قوله معقبًا على عبارة الزمخشري: "وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَثْبُتُ لِلْمُنَافِقِ عَمَلٌ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْهِ الْإِحْبَاطُ؟ قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ تَعْلِيمٌ لِمَنْ عَسَى يَظُنُّ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ إِيمَانٌ، وَإِنْ لَمْ يُوَاطِئْهُ الْقَلْبُ وَأَنَّ مَا يَعْمَلُهُ الْمُنَافِقُ مِنَ الْأَعْمَالِ يُجْزَى عَلَيْهِ. فَبَيَّنَ أَنَّ إِيمَانَهُ لَيْسَ بِإِيمَانٍ، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يُوجَدُ مِنْهُ بَاطِلٌ. انْتَهَى، وَفِي كَلَامِهِ اسْتِعْمَالُ عَسَى صِلَةً لِمَنْ، وَهُوَ لَا يَجُوز" [٤٩] وفي موضع آخر أشار أبو حيان الأندلسي إلى ذلك أيضا، يقول : "وفائدة المجيء بثم، وإن كان الحكم ثابتاً، إن تزوجت وطلقت على الفور، ولمن تأخر طلاقها . قال الزمخشري : نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها، وهي قريبة العهد من النكاح، وبين أن يبعد عهدها بالنكاح، وتتراخى بها المدة في حيالة الزوج ثم يطلقها . انتهى . واستعمل صلة لمن عسى، وهو لا يجوز". [٥٠]

وعند الرجوع إلى مصنفات النحو العربي نجد خلافا نحويا وتفاصيل كثيرة في مسألة جملة الصلة، فقد أجاز الكسائي أن تأتي صلة الموصول إنشائية، وأجاز المازني أن تكون جملة الدعاء صلة[٥١] ؛لأنها خبرية لفظاً إنشائية معنى[٥٢]، وأجاز ابن هشام أن تقع لعل وليت وعسى في جملة الصلة[٥٣]، إذن هناك من أجاز وقوع عسى في جملة الصلة، وساقوا لذلك جملة من الأدلة نعرض لها : [٥٤]

---

[٤٨] من هذه المواضع قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة البقرة:١٥: "فان قلت: أى نكتة في إضافته اليهم؟ قلت: فيها أن الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم، وأن اللّه بريء منه ردّاً لاعتقاد الكفرة القائلين: لو شاء اللّه ما أشركنا، ونفياً لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المدّ إلى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ليميط الشبه ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته" الكشاف ١/ ٦٨ . ٦٩، وقوله في تفسير قوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ سورة الإنسان ٧، يقول: " يُوفُونَ جواب من عسى، يقول: ما لهم يرزقون ذلك" الكشاف ١/ ٦٨٦ .

[٤٩] البحر المحيط: ٨/ ٤٦٥

[٥٠] ينظر البحر المحيط ٨/ ٤٨٩ . وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٤٩)

[٥١] ينظر: شرح المفصل: ٣٨٨/٢، همع الهوامع ٣٣٤/١، حاشية الخضري: ١/ ١٨٢، حاشية الصبان: ٢٣٦/١

[٥٢] حاشية الخضري: ١/ ١٨٣

[٥٣] ينظر: شرح الاشموني، وحاشية الصبان ١/ ٢٣٦، وارتشاف الضرب ٧٩٧/٢، والنحو الوافي: ١/ ٣٧٤

[٥٤] ينظر: نتائج التحصيل: ١/ ٧٠٥-٧٠٦، همع الهوامع: ١/ ٣٣٤، حاشية الخضري: ١/ ١٨٢-١٨٣، توضيح المقاصد: ١/ ٤٤٥، ارتشاف الضرب: ٧٩٨.٧٩٧/٢

١- قول الشاعر: - وإني لرام نظرة قبل التي لعلي وإن شطت نواها أزورها [٥٥]

فجاءت جملة (لعلي ...) صلة

وهي جملة طلبية تفيد الترجي . وهذا ما اعتذر به السمين الحلبي لجواز عبارة الزمخشري رادًّا على أبي حيان الأندلسي، يقول: " قال الشيخ «واستعمل عَسَى صلةً لـ مَنْ وهو لا يجوز». قلتُ: يُخَرَّجُ قولُه على ما خُرِّجَ عليه قولُ الشاعر:

وإني لَرامٍ نَظْرَةً قِبَلَ التي لَعَلِّي وإنْ شَطَّتْ نَواها أَزورها

وهو إضمارُ القول" .[٥٦]

وكذلك شهاب الدين الخفاجي، فقد ذهب إلى صحة عبارة الزمخشري ولكن على جعل (عسى) زائدة مقحمة يقول : " وعسى مقحمة هنا وقد وقع مثله في عبارة الكشاف كقوله: فإن عسى كان ذاك وخطأه أبو حيان فيه. وقال: إنه تركيب أعجمي "[٥٧]

٢- قوله تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ (سورة محمد : ٢٢) ؛ لأن حرف الاستفهام لا يدخل إلا على الجملة الخبرية، فدلَّ ذلك أن جملة (عسى) هنا خبرية، يقول الصبان: " قوله (فهل عسيتم) استدل به بعضهم على أن عسى خبر؛ لأن الاستفهام لا يدخل على الإنشاء والجواب أنه محمول على المعنى كما قال الزمخشري والمعنى هل قاربتم أن تفسدوا في الأرض بمعنى أتوقع إفسادكم فأدخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده والاستفهام للتقرير وإثبات أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كذا في يس. وحاصله أن المراد من عسى مجرد المقاربة فهي في معنى الخبر" [٥٨]

٣- قول الشاعر: وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا: إنني لك عاشق[٥٩]

وقول الآخر:

وماذا عسى الحجاجُ يبلغُ جهدُه إذا نحن خلّفنا حفير زياد[٦٠]

---

[٥٥] ديوان الفرزدق:٢/ ١٠٦، وفيه: وإني لرام رمية قبل التي لعلّ وإن شقت عليّ أنالها

[٥٦]((الدر المصون ١٣١/٩

[٥٧] حاشية الشها ب: ٦/ ٣٧٤، وينظر عبارة الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٤٤ .

[٥٨] حاشية الصبان: ١/ ٥٣١ ، وينظر: الكشاف ٤/ ٣٦٩، وينظر: حاشية الخضري: ١٨٣/١، التذييل والتكميل: ٣/ ٧. ١٦،

[٥٩] ديوان جميل بثينة: ٩٥ .

[٦٠] ديوان الفرزدق: ١/ ١٦٠

إذ يحتمل أن تكون "عسى" صلة لـ"ذا" المراد به "الذي" على أحد محتملات "ذا" [٦١]

٤ – ومما يستدل به على ذلك صحة مجيء جملة (عسى) خبرا لـ (إنّ)، وذلك في قول الراجز:

أكثرت في العذل ملحًا دائما   لا تلحني إني عسيت صائما

فجملة (عسيت صائما) خبر لـ(أنّ) ؛ فدل ذلك على أنها جملة خبرية لا إنشائية .

وقد رجعت إلى الأحاديث النبوية فوجدت عسى مسبوقة بحرف استفهام، وهذا دليل على أن جملة عسى خبرية في هذه المواضع، ففي حَدِيث جَابر بن سَمُرَة :(قَالُوا يَا رَسُول الله :من يحمل رَايَتك يَوْم الْقِيَامَة؟ قَالَ: من عَسى أَن يحملهَا يَوْم الْقِيَامَة إلاَّ من كَانَ يحملهَا فِي الدُّنْيَا؟ عَليّ بن أبي طَالب؟) [٦٢]

وعن موسى بن عُلي بن رباح، عن أبيه، عن جدّه: أنَّ النَّبيَّ (صلى الله عليه وآله) قال لجدّه: ((يا فلان، ما وُلِدَ لك؟)) قالَ: يا رسول الله، وما عسى أن يُولَدَ لي؟ إمّا غلامٌ وإمّا جاريةٌ، قالَ: ((فمن يشبهُ؟)) قال: مَنْ عسى أنْ يُشبه؟ يشبه أمه أو أباه، قال: فقال النَّبيُّ (صلى الله عليه وآله): ((لا تقولن كذا، إنَّ النطفة إذا استقرتْ في الرحم، أحضرها الله كلّ نسب بينها وبينَ آدم، أَمَا قرأت هذه الآية: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، قال: سلككَ)) [٦٣]

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ –عليه السلام– فِي هَذِهِ الْآيَةِ: " بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا قَالَ بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ قُلْتُ مَنْ هُمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا غَيْرَنَا" [٦٤]

وَعَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ:" قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ –عليه السلام– : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) مَا الْمُؤْمِنُونَ؟ قَالَ: مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا صَاحِبَكَ "[٦٥]

والغريب أن أبا حيان نفسه في تفسيره ورد عنده هذا الاستعمال، منها قوله : "وكان قد تقدّم في تفسير قوله : (فإن فاؤوا)، ما نصه: فإن فاؤوا في الأشهر، بدليل قراءة عبد الله، (فإن فاؤوا

---

[٦١] ينظر: التذييل والتكميل:١٦/٣، حاشية الصبان: ٢٣٨/١

[٦٢] عمدة القارئ ١٦/ ٢١٦

[٦٣] جامع العلوم والحكم ١/ ١٥٨ .

[٦٤] الكافي: ٢١٤/١

[٦٥] وسائل الشيعة١٦/ ١٤٤

فيهنّ فإن الله غفور رحيم)، يغفر للمؤمنين ما عسى يقدّمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء، وهو الغالب، وإن كان يجوز أن يكون على رضى منهن، خوفاً من طلب ضرار النساء بالإيلاء، وهو الغالب ".[٦٦]

وقوله: " وَنَصَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى أَشَدِّهَا ضَرَرًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ: مُوَالَاتُهُمُ الْكُفَّارَ، وَاطِّرَاحُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَبَّهَ عَلَى فَسَادِ ذَلِكَ لِيَدَعَهُ مَنْ عَسَى أَنْ يَقَعَ فِي نَوْعٍ مِنْهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَفْلَةً أَوْ جَهَالَةً أَوْ مُسَامَحَةً" .[٦٧]

وإن أبا حيان ذكر رأي الجمهور في مجيء جملة الصلة خبرية لا إنشائية، وذكر الأدلة السماعية التي ذكرناها سابقا في مقام توضيح أدلة جواز مجيء جملة (عسى) صلة، ثم ذكر أنها تؤول بتقدير محذوف لتعود جملا خبرية ، يقول : " ومن منع ذلك تأول هذا السماع، وقد تأولوا قوله "قبل التي لعلي" على إضمار القول بعد "التي"، أي: قبل التي أقول لعلي " [٦٨] . وهنا نقول: إن عبارة الزمخشري إن لم تصح من دون تأويل، فهي صحيحة ممكنة بالتأويل، فلماذا هذا الرفض القاطع والتأويل ممكن ؟!!

ويمكن أن نلخص الأوجه التي أشار لها العلماء في صحة مجيء (عسى) صلة وهي:

١. يصح مجيء عسى صلة بناءً على تأويل ما ورد من السماع، بتقدير فعل يحول الإنشاء إلى خبر وهكذا تأولوا الأبيات الواردة سابقًا، يقول ابن هشام في تخريج قول الشاعر :

وإني لَرامٍ نَظْرَةً قِبَلَ التي ... لَعَلِّي وإنْ شَطَّتْ نَواها أَزورها، " وتخريجه على إضمار القول، أي : قبل التي أقول لعلي ... " [٦٩]

٢. إن (عسى) مقحمة زائدة، وأشار إلى ذلك ابن هشام في أحد التخريجين للبيت السابق، فقد جعل جملة (لعلي وإن شطت نواها) جملة معترضة بين الموصول والصلة، وخبر (لعل) محذوفا أي لعلي أفعل ذلك، وتكون جملة أوزرها هي الصلة[٧٠]، وصحح شهاب الدين الخفاجي عبارة البيضاوي في استعمال عسى صلة لـ(ما) :" وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها " [٧١]. يقول: " وعسى مقحمة بين

---

[٦٦] البحر المحيط: ٢/ ٣٨٥

[٦٧] البحر المحيط: ١٠١/٤

[٦٨] التذييل والتكميل: ١٠/٣

[٦٩] مغني اللبيب: ١/ ٧٦١، وينظر اللباب علل البناء والاعراب:١١٨/٢

[٧٠] مغني اللبيب: ١/ ٥١١

[٧١] تفسير البيضاوي: ٢/ ٣٨٠

الموصول وصلته وكون عسى تقحم بين الشرط والجملة الشرطية، والموصول وصلته، كثير في كلام المصنفين، وقد وقع في مواضع من الكشاف والهداية " [٧٢] وزيادتها هنا اما تشبيها لها بكان أو من دون حاجة إلى تشبيه، فقد ذكر السيوطي أن الفراء ذهب إلى إمكانية زيادة أفعال هذا الباب، يقول السيوطي " أجاز الفراء زيادة أفعال هذا الباب وكل فعل لازم من غير هذا الباب إذا لم ينقص المعنى". [٧٣]

٣. يصح مجيء عسى صلة حملا على معنى المقاربة الذي تدل عليه وهو خبر لا إنشاء .

وهنا نقول: إن عسى فعل من أفعال المقاربة التي تدل على: " ما وضع لدنو الخبر رجاء أو حصولاً " فهي تدل على مقاربة حصول الخبر، أو مقاربة رجاء حصوله. " [٧٤]، "وهي فعل ماضٍ في اللّفظ والمعنى؛ لأنّه طمع قد حصل في شيء يستقبل، وقال قوم: هو ماضٍ في اللّفظ مستقبل في المعنى؛ لأنّه أخبر بطمع يريد أن يقع، ومعناه المقاربة"[٧٥]،. فمعنى عسى زيد أن يقوم، أي قارب القيام، وذكر صاحب كشف المشكل: " أن معناها جميعا مقاربة الفعل واستدناء وقوعه" [٧٦] ومعنى المقاربة هنا خبري " اعلم أن عسى فعل ماضٍ غير متصرف ومعناه المقاربة " [٧٧]، وفيها معنى الطمع وهو الإنشاء وهو معنى حاصل في النفس أيضا قبل وقت الكلام" وأفعال هذا الباب ملازمة للفظ المضي ... وعلله ابن عصفور بأن معناها لا يكون إلا ماضيا إذ لا تخبر عن الرجاء إلا وقد استقر في نفسك "[٧٨] ؛ لذا فإن مجيء عسى صلة للموصول ملحوظ فيه المعنى الخبري: المقاربة، فضلا عن أن معنى الرجاء لا يبتعد كثيرا عن الخبرية" قال بعض المحققين: المشهور أن عسى إنشاء لكن دخول الاستفهام عليها نحو: "فهل عسيتم" ووقوعها خبرًا ل (إن) نحو إني عسيت صائمًا دليل على أنه فعل خبري، وإذا ثبت كونها خبرًا فينبغي أن يجوز وقوعها صلة بلا خلاف ". [٧٩]

وظهر أن من أجاز(عسى) صلة أجازها مع إبقائها إنشائية كما هو رأي الكسائي، أو إبقائها إنشائية مع تأويل حذف لتكون صلة عسى خبرية أو بجعلها مقحمة كما هو حال ابن هشام

---

[٧٢] حاشية الشهاب٤/ ٢٦٤

[٧٣] همع الهوامع ٤٣٨/١

[٧٤] الكافية في علم النحو: ٤٨/١.

[٧٥] البديع في العربية : ١/ ٤٧٩ .

[٧٦] كشف المشكل ٧٩ .

[٧٧] اللمع في العربية: ١/ ١٤٤

[٧٨] همع الهوامع: ٤٧١/١

[٧٩] حاشية الصبان: ١/ ٢٣٧ .

ووافقه عباس حسن. والذي أميل إليه هو أن الفعل (عسى) يدل على طمع مشوب بمقاربة ودنو فمن جعلها صلة نظر إلى المعنى الخبري الكامن في معنى المقاربة، أما دلالة الطمع أو الإشفاق وهي دلالة الجملة الإنشائية غير الطلبية التي تدل على حصول معناها مقارنا لحصول لفظها، فدلالتها زمن الحال فهو قريب من زمن الماضي وليس كالجملة الطلبية الأمرية أو الاستفهامية التي لم يقل مضمونها بعد، إن قرب دلالة الإنشاء من الخبر في عسى هو الذي يجعل الذهن يلمس المعنى الخبري المصحح لوقوعها صلة : " وإذا ثبت أن فعلها خبري جاز وقوعها صلة بلا خلاف ". [٨٠]

تحصل أن ما تعقبه أبو حيان ورفضه له ما يؤيده، ونلحظ أن الزمخشري جرد خبر عسى من (أن) والمعروف أن الكثير دخول (أن) على خبر عسى، وهذا ما اعترضه عليه أبو حيان، وأجد أن الزمخشري كان دقيقا في ذلك، لأن المعنى هنا هو المقاربة لا الطمع والترجي الذي يقتضي الاستقبال فتدخل أن، فلما خلت من هذا المعنى أسقط (أن) ، يقول ابن بابشاذ: «عسى» من بين هذه الأفعال تدخل على خبرها «أن» مثل قوله سبحانه: (فعسى الله أن يأتي بالفتح). و (عسى ربكم أن يرحمكم). وإنما خالفت أخواتها لأن معناها الطمع والترجي، وهذا المعنى يكون فيما يستقبل، و «أن» تصرف الفعل إلى معنى الاستقبال. وليس كذلك معنى «كاد» وأخواتها لأنها بمعنى الحال ومقاربة الفعل فلم يحتج في أخبارها إلى أن" [٨١]

فالزمخشري كان دقيقا في استعماله، عارفا بأسرار اللغة، محيطا بطرائق استعمال أدواته وألفاظه، ولم يتجاوز الصواب في استعماله لـ (عسى) .

خامسًا : حذف موصوف (أي) الكمالية، ووصف ما أضيف إليها

فسَّر الزمخشري قوله تعالى: ﴿فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٩) بالقول: " وخيرًا كثيرًا : تنكيرُ تعظيم كأنّه قال: فقد أوتي أيّ خيرٍ كثير [٨٢]"، وتعقب أبو حيان هذه العبارة قائلاً: " وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ يَسْتَدْعِي أَنَّ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ تَنْكِيرَ تَعْظِيمٍ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الدَّلِيلِ عَلَى ثُبُوتِهِ، وَتَقْدِيره: أَيَّ خَيْرٍ كَثِيرٍ، إِنَّمَا هُوَ على أن يجعل (خير) صِفَةً لِخَيْرٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا، أَيَّ خَيْرٍ كَثِيرٍ. وَيَحْتَاجُ إِلَى إِثْبَاتِ مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَحْفُوظَ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ بِأَيٍّ، فَإِنَّمَا تُضَافُ لِلَفْظٍ مِثْلِ الْمَوْصُوفِ، تَقُولُ: مررت برجل أي رجل كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

---

[٨٠] حاشية الصبان ١/ ٢٣٧ .

[٨١] المقدمة المحسبة ٢/ ٣٥٢ .

[٨٢] الكشاف: ١/ ٣١٦

دَعَوْتُ امْرَأً، أَيَّ امْرِئٍ، فَأَجَابَنِي وَكُنْتُ وَإِيَّاهُ مَلَاذًا وَمَوْئِلَا

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، فَهَلْ يَجُوزُ وَصْفُ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ؟ أَيْ: إِذَا كَانَتْ صِفَةً، فَتَقُولُ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيِّ رَجُلٍ كَرِيمٍ، أَوْ لَا يَجُوزُ؟ يَحْتَاجُ جَوَابُ ذَلِكَ إِلَى دَلِيلٍ سَمْعِيٍّ، وَأَيْضًا فَفِي تَقْدِيرِهِ: أَيَّ خَيْرٍ كَثِيرٍ، حَذْفُ الْمَوْصُوفِ وَإِقَامَةُ أَيَّ الصِّفَةِ مقَامَهُ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا فِي ندورٍ، لَا تَقُولُ: رَأَيْتُ أَيَّ رَجُلٍ، تُرِيدُ رَجُلًا، أَيَّ رَجُلٍ إِلَّا فِي ندورٍ. نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا حَارَبَ الْحَجَّاجُ أَيَّ مُنَافِقٍ عَلَاهُ بِسَيْفٍ كُلَّمَا هُزَّ يَقْطَعُ

يُرِيدُ: مُنَافِقًا، أَيَّ مُنَافِقٍ، وَأَيْضًا: فَفِي تَقْدِيرِهِ: خَيْرًا كَثِيرًا أيّ كَثِيرٍ، حَذَفَ أَيَّ الصِّفَةَ،

وَإِقَامَةُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مقَامَهَا، وَقَدْ حَذَفَ الْمَوْصُوفَ بِهِ، أَيْ: فَاجْتَمَعَ حَذْفُ الْمَوْصُوفِ بِهِ وَحَذْفُ الصِّفَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَحْتَاجُ فِي إِثْبَاتِهِ إِلَى دَلِيلٍ".[٨٣]

ويبدو من نص أبي حيان أن اعتراضه قائم على أمرين:

الأمر الأول: إذا نظرنا إلى عبارة الزمخشري: " وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال: فقد أوتي أيّ خير كثير " بوصفها نصًّا تفسيريًّا للآية، نجد مؤاخذة أبي حيان الزمخشريَّ من جانبين:

الأول: إنّ (أي) الكمالية لا يحذف معها موصوفها إلا نادرا، فلا نقول في : رأيت رجلاً أيَّ رجلٍ، رأيت أيَّ رجلٍ، وما ورد في بيت الفرزدق فهو نادر لا يقاس عليه [٨٤]، وقد علل ذلك أبو حيان الأندلسي قائلا: "فارقت أي سائر الصفات في أنه لا يجوز حذف الموصوف وإقامتها مقامه، نقول : مررت بأي رجل وذلك لأن المقصود بالوصف بـ(أي) إنما هو التعظيم والتأكيد والحذف يناقض ذلك " [٨٥]، في حين جّوز ابن مالك الحذف، إذ جعل ذكر موصوف (أي) غالبا [٨٦]، يقول أبو حيان: " وظاهر كلام ابن مالك جواز حذف موصوفها". [٨٧]

وقد جّوز السمين الحلبي عبارة الزمخشري حاملا ذلك على جواز حذف الموصوف مستدلا بالبيت السابق للفرزدق، قائلا : " وقد تقدَّم أَنَّ تقديرَ الزمخشري كذلك، أعني كونَه حَذَفَ موصوفَ أيّ". [٨٨]

---

[٨٣] البحر المحيط: ٢/٦٨٥–٦٨٦، والبيت الأول غير منسوب، ينظر: معجم الشواهد: ٢٦٥، شرح التسهيل ١/ ٢٢١، والتذييل والتكميل ٣/ ١٤٠، والبيت الثاني للفرزدق، ينظر: ديوانه: ٤١٧/١ .

[٨٤] ينظر: التذييل والتكميل ١٠٣٧/٢، وهمع الهوامع: ٣٥٦/١

[٨٥] التذييل والتكميل: ٣/ ١٤٢ .

[٨٦] ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٣٢٤ .

[٨٧] ارتشاف الضرب: ١٠٣٦/٢ .

[٨٨] الدر المصون: ٢/ ٦٠٦ .

ومن المحدثين الذين أجازوا حذف موصوف (أيّ) الأستاذ عباس حسن، واستشهد بالبيت السابق للفرزدق وما روي عن أمير المؤمنين علي . (عليه السلام) . : " اِصحب الناس بأيّ خلق شئت يصحبوك بمثله"[٨٩]، أي : " بخلق أي خلق وهي لا تصلح هنا أن تكون موصولة ؛ لأن الموصولة لا تضاف عند الجمهور إلى نكرة كما لا تصلح نوعًا آخر، فورود موصوفها محذوفا في الشعر، وفي نثر الإمام علي أفصح البلغاء يبيح استعمالها مع حذفه ولو كان هذا الاستعمال قليلا بالنسبة للرأي الآخر وفوق هذا كله نجد الضوابط العامة لا تمنع حذفه "[٩٠]

الثاني: وصف ما أُضيف إلى (أي)، فهل يجوز وصف المضاف إليه في قوله : رأيت رجلاً أيَّ رجلٍ؟ وهذا بحسب قول أبي حيان يحتاج إثباته إلى سماع.

وقد رجعت إلى مصنّفات النحويين فوجدت أنهم يذكرون أنّ (أيّ) تضاف إلى نكرة، ولا يجوز أن تضاف إلى معرفة[٩١]، ولكن وصف النكرة بالنكرة في قوله "أي خيرٍ كثيرٍ" لا يخرج (خير) عن التنكير، بل تبقى نكرة لكنها مخصصة، نعم لم أجد إشارة وتفصيلا في هذا الشأن عند النحاة، لذا نجد أن أبا حيان تعقب هذا بأنه يحتاج إلى سماع .

أما الأمر الثاني: فهو يلحظ في قوله: "وَأَيْضًا: فَفِي تَقْدِيرِهِ: خَيْرًا كَثِيرًا أيّ كَثِيرٍ، حَذَفَ أَيَّ الصِّفَةَ، وَإِقَامَةُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مقَامَهَا، وَقَدْ حَذَفَ الْمَوْصُوفَ بِهِ، أَيْ: فَاجْتَمَعَ حَذْفُ الْمَوْصُوفِ بِهِ وَحَذْفُ الصِّفَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَحْتَاجُ فِي إِثْبَاتِهِ إِلَى دَلِيلٍ" كأنه جعل من تفسير الزمخشري تقدير إعراب لقوله تعالى: (خيرا كثيرا) وليس تفسير معنى، وحاكم عبارته على أنها تقدير لابد من أن يطابق قواعد الصنعة النحوية، فأصل (فقد أوتي خيرا كثيرا) هو (فقد أوتي خيرا أيَّ خيرٍ كثيرٍ) فحذفت الصفة (أي) وأقيم المضاف إليه (خير كثير) مقامها، ثم حذف موصوف أي (خيرا) فآلت العبارة إلى (فقد أوتي خيرا كثيرا)، وهذا التقدير يقتضي جواز حذف الصفة والموصوف معا، وهذا لا دليل عليه .

أقول: القارئ لنص الزمخشري يرى أنه لم يقصد تقدير الإعراب مطلقا إنما قصد تفسير المعنى، ولا موجب لما ذكره أبو حيان، ويبدو أن أبا حيان قد تعقب عبارة الزمخشري على أنها تقدير إعراب في أكثر من موضع، الأمر ما جعل السمين الحلبي يستغرب ذلك في موضع آخر قائلا: " ولم أَدْرِ كيف يُؤاخَذُ مَنْ فسَّر معنى بلفظٍ لم يَدَّعِ أن ذلك اللفظَ هو أصل الكلام المفسَّر، بل قال: معناه كيت وكيت، فكيف يَلزمه أن يكون ذلك الكلام الذي فسَّر به هو أصل

---

[٨٩] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٩/٢٠.

[٩٠] النحو الوافي: ٣٦٧/١ .

[٩١] ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ٦٥، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: ١١٧/٤ .

ذلك المفسَّر؟ "[٩٢]

نخلص مما سبق أن محاكمة عبارة الزمخشري على أنها تقدير إعراب لا موجب له وهو في غايةٌ في البعد، فلم يرد الزمخشري إلا محصّلَ المعنى، أما نقد تركيب العبارة لما فيها من ندرة، فالندرة لا تعني عدم الصحة، وهذا الاستعمال صححه بعض النحويين كما وضّحنا.

سادسًا: مجيء (أو) بدلاً من (أم) مع (سواء)

أورد الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٦١)، هذه العبارة: " وسواء قدّموا الحطة على دخول الباب أو أخّروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهم"[٩٣] وقد نقد أبو حيان تركيب هذه العبارة ورماه بالبعد عن العربية، فقال: "وَأَمَّا التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ فِي وَقُولُوا وَادْخُلُوا، فَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: سَوَاءٌ قَدَّمُوا الْحِطَّةَ عَلَى دُخُولِ الْبَابِ أَوَ أَخَّرُوهَا فَهُمْ جَامِعُونَ فِي الْإِيجَادِ بَيْنَهُمَا انْتَهَى، وَقَوْلُهُ: سواء قدّموا أو أخّروه تَرْكِيبٌ غَيْرُ عَرَبِيٍّ وَإِصْلَاحُهُ سَوَاءٌ أَقَدَّمُوا أَمْ أَخَّرُوهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: (سَواءٌ عَلَيْنا أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا)"[٩٤]

ويبدو من التركيب الذي ذكره أبو حيان بديلاً من تركيب الزمخشري ليتصف بالصحة والاستقامة، يبدو أن نقده منصب على أمرين:

الأول: حذف همزة الاستفهام في عبارة الزمخشري، وهذا ما لم يرتضه أبو حيان، وهو رأي قال به بعض النحاة، إذ يذكر المرادي :"ذهب قوم إلى أن حذف همزة الاستفهام، لأمن اللبس، من ضرورات الشعر، ولو كانت قبل أم المتصلة. وهو ظاهر كلام سيبويه. وذهب الأخفش إلى جواز حذفها في الاختيار، وإن لم يكن بعدها أم" ثم يقول: "والمختار أن حذفها مطرد إذا كان بعدها أم المتصلة، لكثرته نظماً ونثراً. فمن النظم قول الشاعر:

لعمرك، ما أدري، وإن كنت دارياً بسبع، رمين الجمر، أم بثماني؟

وأبيات أخر، لا حاجة إلى التطويل بإنشادها. ومن النثر قراءة ابن محيصن " سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم " بهمزة واحدة" .[٩٥]

والذي عليه أكثر النحاة أن حذفها جائز إن دلَّ عليها دليل[٩٦] بل نص أبو حيان نفسه

---

[٩٢] الدر المصون: ٤/ ٥٢٨

[٩٣] الكشاف: ٢/ ١٧٠

[٩٤] البحر المحيط: ٥/ ٢٠١

[٩٥] الجنى الداني: ٤/١، والبيت الشعري لـ عمر بن أبي ربيعة، ينظر ديوانه: ٣٩١، وتنظر قراءة ابن محيصن في: المحتسب لابن جني: ٢٠٥/٢ .

[٩٦] المفصل: ٣٢٦، شرح التسهيل: ٣/ ٣١٦ ، توضيح المقاصد: ٢/ ١٠٠٣، تمهيد القواعد: ٧/ ٣٤٥٠، همع الهوامع: ١٩٨/٣

على ذلك، فقال: " وقد تحذف الهمزة وتنوي نحو: ما أدري زيد قام أم عمرو أي أزيد، وقرأ ابن محيصن «سواء عليهم أنذرتهم» بهمزة واحدة، يريد: أأنذرتهم" .[٩٧]

نخلص إلى أن حذف الهمزة منهم من جعله من ضرورات الشعر، ولكن أكثر النحويين أجازوا ذلك إذا أُمن اللبس، وهذا هو مذهب الزمخشري الذي صرّح به في المفصل قائلا: " وتحذف الهمزة إذا دل عليها دليل " [٩٨] بل ذهب الرضي في هذا التركيب إلى أنه لا يجوز المجيء بالهمزة فقال : " ولا تجيء الهمزة قبل أو فلا تقل : لا أبالي أقمت أو قعدت " وقال: " وإنما غلب في سواء وما أبالي : الهمزة وأم المتصلة .... " [٩٩] فهذا النص دليل على أن المجيء بالهمزة هو الغالب مع أم، أما مع (أو) فلا تأتي الهمزة . وبهذا يكون حذف الهمزة في عبارة الزمخشري على هذا الرأي واجباً ؛ لأنه استبدل بأم أو .

أما الأمر الثاني: وهو المجيء بـ(أو) بدلا من (أم)، فهو مخالف للقياس عند الفارسي[١٠٠]، وقد رصد ابن هشام هذا الاستعمال عند الفقهاء ورماهم بالخطأ، ووصف قراءة ابن محيصن التي جاءت عليه بالشذوذ، يقول: " إذا عطفت بعد الهمزة بأو فإن كانت همزة التسوية لم يجز قياسا وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا سواء كان كذا أو كذا وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا والصواب العطف في الأول بأم وفي الثاني بالواو وفي الصحاح :تقول: سواء عليّ قمت أو قعدت انتهى ولم يذكر غير ذلك وهو سهو وفي كامل الهذلي أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفراني (سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم) وهذا من الشذوذ بمكان " [١٠١] والغريب أن ابن هشام يمنع المجيء بأو بعد همزة التسوية ويأتي بمثال ليس فيه همزة التسوية، وكأنه يساوي بين وجودها لفظا وتقديرها في المعنى، فسواء ذكرت أو لم تذكر فالمجيء بأو ممتنع. ولعل السبب في رفض مجيء (أو) ما ذكره الرضي: " وقال أبو علي: لا يجوز (أو) بعد سواء، فلا تقول : سواء عليّ قمت أو قعدت، قال: لأنه يكون المعنى سواء عليّ أحدهما "[١٠٢]، أي إن أو " لأحد الشيئين أو الأشياء، والتسوية تقتضي شيئين فصاعدا، فلا يقال: سواء كان كذا أو كذا " [١٠٣] وقد ردّ الرضي ذلك أن (أم) هي لأحد الشيئين أو الأشياء كذلك. [١٠٤]

---

(٩٧) ارتشاف الضرب: ٤/ ٢٠٠٧ .

(٩٨) المفصل: ٣٢٦

(٩٩) شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٤١٤

(١٠٠) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤١٣/٤

(١٠١) مغني اللبيب: ١/ ٦٣. ٦٤

(١٠٢) شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٤١٣

(١٠٣) همع الهوامع ٢٠٧/٣، المنصف في الكلام للشمني: ٩٢/١ .

(١٠٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤١٣/٤

ولعلّ استقامة معنى التسوية التي تقتضي شيئين مع كون (أو) و(أم) . على رأي الرضي . لأحد الشيئين أو الأشياء[١٠٥]، يخضع للتوجيه النحوي لهذا التركيب، يقول الرضي: " وإنما لزمه ذلك في (أو) وفي (أم)؛ لأنه جعل سواء خبرًا مقدما وما بعده مبتدأ والوجه كما ذكرنا أن يكون (سواء) خبر مبتدأ محذوف سادّ مسدّ جواب الشرط " [١٠٦] أي يكون التقدير: الأمران سواء علي: إن قمت أو قعدت . وعلى هذا فإن إعرابهم لمثل: (سواء عليّ أقمت أم قعدت) على أنه مبتدأ والجملة بعده خبر، أو على أن (سواء) خبر مقدم، وما بعده مبتدأ مؤخر، أو على أن (سواء) بمعنى: (مُستوٍ)، وما بعدها فاعل. هذه الأعاريب على التقدير السابق ليست دقيقة[١٠٧]، وإن تصور المنافاة بين التسوية وأو مدفوع بحمل التركيب على الشرطية توجيها، وهو ما أشار إليه السيرافي بقوله: " وأما (أو) فدخلت في الفعلين لما فيهما من معنى المجازاة فإذا قلت :سواء عليّ قمت أو قعدت فتقديره : إن قمت أو قعدت فهما على سواء" .[١٠٨]

ويفرِّق سيبويه بين تركيب (سواء) الذي يشتمل على همزة الاستفهام، وبين التركيب الخالي منها، فيقول: "إذا كان بعد سواء ألف الاستفهام فلا بد من (أم) اسمين كانا أو فعلين، تقول: سواء عليّ أزيد في الدار أم عمرو، وسواء عليّ أقمت أم قعدت فإذا كان بعدها فعلان بغير ألف الاستفهام عطف الثاني بأو تقول سواء عليّ قمت أو قعدت وإن كانا اسمين بلا ألف عطف الثاني بالواو " [١٠٩] وهو ما صرّح به السيرافي في شرحه أيضا، يقول: "(سواء) إذا أدخلت بعدها ألف الاستفهام لزمت " أم " بعدها. كقولك:

" سواء على أقمت أم قعدت "،.... وإذا كان بعد " سواء " فعلان بغير استفهام كأن عطف أحدهما على الآخر " بأو " كقولك: سواء علي قمت أو قعدت." [١١٠] فهو يوجب المجيء بـ(أو) إذا خلا التركيب من همزة الاستفهام، وقد حكم أبو العلاء المعري على قول الشاعر:

فاسلَم لَهُم فَإِذا سَلِمتَ فَإِنَّهُم   تَحتَ السَلامَةِ أَتهَمُوا أَم أَنجَدُوا[١١١]

---

(١٠٥) سواء تقتضي التعدد فتنافي دلالة (ام) التي هي لأحد الشيئين، لكنها انسلخت عن معناها وجردت للعطف والتشريك، أما (أو) فلم تنسلخ من تلك الدلالة لذا يمتنع مجيؤها مع سواء. إلا إذا قلنا بانسلاخها عن معناها أيضا، ينظر حاشية الخضري: ٢/ ١٥٦، والنحو الوافي ٤٥٨/٣، وفي رأي الرضي في هذا التوجيه يسقط التعارض أو التنافي بين سواء وكل من أم وأو

(١٠٦) شرح الرضي على الكافية: ٤١٣/٤

(١٠٧) ينظر: حاشية الصبان: ١٤٤/١ .

(١٠٨) شرح كتاب سيبويه: ٣/ ٤٣٦.

(١٠٩) كتاب سيبويه: ١٧٠/٣، وينظر البديع في علم العربية: ٣٧٣/١

(١١٠) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٣/ ٤٣٥.٤٣٤

(١١١) ديوان ابن أبي حصينة: ١/ ٢٠٥

بأنه ليس بالجيد قال: " ويجوز : (أو أنجدوا)، و هو أسوغ في العربية من(أم)؛ لأن دخولها يدل على أن الألف محذوفة ، كأنه قال :(أتهموا أم أنجدوا)" .(١١٢)

ويعلل الرضي لزوم مجيء الهمزة مع أم، وتركها مع أو فيقول: " ولا تجئ بالهمزة قبل (أو)، فلا تقل: لا أبالي أقمت أو قعدت، ولا: لأضربنه أقام أو قعد، لأنك إنما جئت بالهمزة مع (أم) وإن لم يكن فيها معنى الاستفهام، لما فيها من معنى التسوية ههنا، وليس في الهمزة مع (أو) معنى التسوية ".(١١٣)

وقد رفض الشمني التفريق بين التركيبين بلحاظ وجود الهمزة وعدمها، جاعلا الحكم واحدا في الحالين، قال: " لا فرق بين همزة التسوية والتسوية بلا همزة" (١١٤)، وعزا الصبان التفرقة إلى المعنى فقال: " وكأن من فرّق رأى التسوية مع الهمزة أقوى" .(١١٥)

وذهب الخضري إلى صحة مجيء (أو) مع سواء مطلقا سواء أ حذف الاستفهام أم ذكر، بناء على أنّ التسوية مستفادة من سواء ولا صلة لها بالهمزة، يقول:" فلا وجه لقصر جوازها على عدم الهمزة؛ إذ المقدر كالثابت. على أن التسوية كما قاله المصنف مستفادة من "سواء" لا من الهمزة. وإنما سميت همزة التسوية لوقوعها بعد ما يدل عليها، وحينئذ فالإشكال في اجتماع: "أو" مع "سواء" لا الهمزة" ".(١١٦)

وتابعهم في هذا التوسع بعض المحدثين، فقد ورد في مجلة المجمع القاهري،" وهذا الأسلوب كثير الاستعمال في عصرنا الحاضر، فهو جارٍ على ألسنة المتحدثين، وأقلام الكتّاب. ومن هذا نرى أن استعمال " أم " المتصلة عاطفة له أساليب كثيرة، كلها صحيح فصيح، فيجوز أن تذكر قبلها كلمة "سواء" أو يذكر ما يدل عليها، وأن تكون قبلها همزة التسوية، وألا تذكر، وأن تذكر قبلها جملة وأن يذكر مفرد، وأنه عند عدم ذكر الهمزة يجوز استعمال أم، ويجوز استعمال أو ." (١١٧)

إذن هناك من تشدد فلم يجز مجيء (أو) مع سواء في هذا التركيب مطلقا، ويمثل هذا الفارسي وابن هشام وأبو حيان الأندلسي(١١٨) ومنهم من أجاز المجيء بأو شرط غياب همزة

---

(١١٢) المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة ١/ ٩٠

(١١٣) شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٤١٤

(١١٤) المنصف من الكلام:

(١١٥) حاشية الصبان: ٤/ ١٩٥ .

(١١٦) حاشية الخضري : ١٥٦/٢، وينظر النحو الوافي: ٤٥٨/٣ .

(١١٧) مجلة المجمع العلمي في القاهرة: ١٥/ ٥-٦

(١١٨) ينظر التذييل والتكميل: ١٠٩/١٣

الاستفهام، ويمثل هذا الاتجاه سيبويه والسيرافي والرضي، ومنهم من أجاز ذلك مطلقا، ويمثل هذا الاتجاه الخضري وما ذهب إليه مجمع اللغة العربية في القاهرة، ولم يخالف الزمخشري في تركيبه الفريق الثاني والثالث، ورأيهما رأي راكز يعتدُّ به أيّدته القراءة القرآنية، فأي عربية أعظم من عربية كتاب الله ؟! وأنى يرمى تركيب ورد على منوال قراءة بالبعد عن العربية ؟!

وزيادة على القراءة القرآنية، فقد ورد في الحديث الشريف هذا التركيب، ففي صحيح البخاري: " قَالَ رَسُولُ اللهَ (صلى الله عليه وسلم): "لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيْ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ؟ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ". قَالَ أَبُو النَّضْرِ: لا أَدْرِي، قَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَو سَنَةً" (١١٩)

وذكر صاحب كتاب العدة بعد ذكره هذا الحديث:" قلت: وهذا الحديث جاء بـ "أو" فهي تقوّي ما قاله صاحب "الصّحاح"، وجاء في الحديث بعد هذا في الصيد: "فَإِنّ أَحَدكُم لَا يَدْرِي الْمَاءُ قَتَلَهُ أَو سَهْمُكَ".(١٢٠)

وفي الحديث حُجّة من وجهين، أحدهما: حذف "همزة" التسوية. والثاني: كون المعادل لها "أو". والله أعلم."(١٢١)

نخلص مما سبق أن مجيء (أو) بدلا من (أم) في تركيب سواء جائز في العربية عند كثير من النحاة، فقد أجاز ذلك سيبويه، والجوهري والسيرافي والرضي والدماميني وغيرهم بل يفهم من كلام السيرافي وجوب المجيء بأو إذا خلا التركيب من همزة الاستفهام، وعلى هذا جاء تركيب الزمخشري، فلا بعد فيه عن العربية، ولذا نجد من المفسرين من انتصر للزمخشري في هذه المسألة، يقول السمين الحلبي: " وقد تقدم أن ذلك جائزٌ وإن كان الكثيرُ ما ذكره، وأنه قد قرئ {سواء عليهم أنذرتهم أو لم تُنْذِرْهم} والردُّ بمثل هذا غيرُ طائلٍ "(١٢٢) فهو يحكم على التركيب

(١١٩) صحيح البخاري: ٢/ ٣٢٣ .

(١٢٠) ينظر الحديث في صحيح مسلم: ٦٣/١٠، ونصه: " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الصَّيْدِ قَالَ إِذَا رَمَيْتَ سَهْمَكَ فَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فَإِنْ وَجَدْتَهُ قَدْ قَتَلَ فَكُلْ إِلَّا أَنْ تَجِدَهُ قَدْ وَقَعَ فِي مَاءٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي الْمَاءُ قَتَلَهُ أَوْ سَهْمُكَ " .

(١٢١) العدة في إعراب العمدة: ٦١٤/١، وصاحب الصحاح هو الجوهري الذي أجاز المجيء بأو كما ذكرنا سابقا في نص ابن هشام الانصاري .

"لا أدري": هو أَحَد الأربعَة التي تقع بعدها "همزة" التسوية غالبًا، وهذا الوضع جاء خليًّا عن "الهمزة" في اللفظ. والأربعَة: "لا أدري"، و "لا أبالي"، و"ليت شعري"، و"سواء". وأما همزة التسوية وأم التسوية، فهما اللتان تليان قولهم سواء وقولهم لا أبالي، ومتصرفاته، ينظر الرضي ٤/ ٤٠٩

(١٢٢) الدر المصون: ٥/ ٤٩٠ .

الذي التزمه أبو حيان بالكثرة ولكن هذا لا يمنع من ورود التركيب الآخر وإجازته، لذا حكم عليه بأنه القياس والغالب[١٢٣]، ولعل القارئ يستغرب من جزم أبي حيان في مثل هذه المسائل التي كان للنحويين فيها خلاف، فلو جاء بما يدل على إجازة بعض النحاة ذلك ولم يستعمل هذه العبارة (غير عربي) لكان ذلك أمرا مقبولا، أما الجزم على هذا النحو في كلام أورده الزمخشري فلا يمكن حمله إلا على النزعة النقدية المتحاملة على الزمخشري التي يلحظها القارئ لتفسير البحر المحيط بوضوح .

سابعًا : إضافة (حيث) إلى جملة متصدرة بالظرف .

ومن المواضع التي تعقب فيها أبو حيان عبارات المفسرين المتقدمين بالنقد، ما ذكره ناقدًا عبارة الزمخشري التي وردت في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ[١٢٤]﴾ فقد وردت قراءة أخرى في الآية هي (مصرخيِّ) بكسر الياء[١٢٥] فعلق الزمخشري على هذه القراءة قائلاً : "وقرئ: بمصرخيِّ، بكسر الياء وهي ضعيفة ... وكأنه قدّر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة، فحرّكها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صحيح، لأنَّ ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة، حيثُ قبلها ألفٌ في نحو عصاي، فما بالها وقبلها ياء؟"[١٢٦] وتعقب أبو حيان عبارة الزمخشري " لأنَّ ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة، حيث قبلها ألف في نحو عصاي " ولم يرتض مجيء الجملة التي أضيفت لها (حيث) متصدرة بالظرف، وادعى أن هذا التركيب يحتاج إلى سماع، قائلا : "وَأَمَّا قَوْلُهُ، فِي غُضُونِ كَلَامِهِ: حَيْثُ قَبْلَهَا أَلِفٌ، فَلَا أَعْلَمُ حَيْثُ يُضَافُ إِلَى الْجُمْلَةِ الْمُصَدَّرَةِ بِالظَّرْفِ نَحْوَ: قَعَدَ زَيْدٌ حَيْثُ أَمَامَ عمرٍو بَكْرٌ، فَيَحْتَاجُ هَذَا التَّرْكِيبُ إِلَى سَمَاعٍ " .[١٢٧]

وبالعودة إلى ما أشارت إليه المدوّنة النحوية في استعمال (حيث) نجد أنهم يذكرون أنها ظرف مكان وتستعمل ظرف زمان على قلة [١٢٨]، وهي تضاف إلى جملة فعلية في الأكثر وقد تضاف إلى اسمية، يقول ابن هشام : " وتلزم (حيث) الإضافة إلى جملة اسمية كانت أو فعلية، وإضافتها إلى الفعلية أكثر"[١٢٩] وذكر ذلك أيضا أبو حيان الأندلسي نفسه في كتابه التذييل

---

[١٢٣] ينظر: شرح الرضي: ٤/٤١٣

[١٢٤] سورة إبراهيم: ٢٢

[١٢٥] ينظر: السبعة في القراءات: ١/ ٣٦٢، والنشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٩٩ .

[١٢٦] الكشاف: ٢/ ٥٥١ .

[١٢٧] البحر المحيط: ٦/ ٤٢٩

[١٢٨] ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١١٦

[١٢٩] مغني اللبيب: ١/ ١١٦

والتكميل: " والجملة التي تضاف إليها حيث، شرطها أن تكون خبرية اسمية أو فعلية" [١٣٠]، ولم أجد القيد الذي ذكره أبو حيان عنده في مصنفاته النحوية ولا عند غيره، فسواء أكان خبر الجملة الاسمية شبه جملة ظرفية أم مفردا، وسواء أ تقدم الخبر أم تأخر، ولا أدري ما الذي دفع أبا حيان إلى القول باحتياج السماع في هذا الموضع، بعد أن أقرَّ النحويون القاعدة العامة للجملة المضافة إليها (حيث)، وقد أجاد السمين الحلبي في ردّ هذا الاعتراض بقوله: " قلت: إطلاق النحاة قوله: إنها تضاف إلى الجمل كاف في هذا، ولا يحتاج إلى تتبُّع كل فردٍ ، مع إطلاقهم القوانين الكلية "[١٣١] وإيجاب السماع في هذا الموضع هو تكلف في الركون إلى السماع بلا مسوغ، وإبطال لوظيفة القياس في استنباط الأحكام النحوية إذ القياس، هو " حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه" [١٣٢]

أما المثال المصنوع الذي عضّد به أبو حيان كلامه مقاربًا به تركيب كلام الزمخشري، فهو مثال لا يمنعه مانع، فما الذي يحول دون صحة قول أحدنا : (قعد زيد حيث أمام عمرو بكرٌ) أي قعد في المحل الذي يكون بكر أمام عمرو، فهو مثال مستقيم من حيث الدلالة ولا يرفضه التقعيد النحوي، ولو جيء بمثال آخر تكون المقاربة التركيبية فيه أوضح دلالة وأقرب إلى أن يعقلها المتلقي وهو (قعد زيد حيث أمامه بكر)، فهذا المثال أقرب إلى تركيب جملة الزمخشري إذ الظرف مضاف إلى ضمير وليس إلى اسم ظاهر، فيكون المعنى قعد زيد في المكان الذي يكون فيه بكر أمامه . فلا يوجد ما يمنع من صحة هذا المثال من حيث المعنى ولا من حيث موافقة القواعد النحوية.

ثامنًا: مجيء الفاء في جواب لما

ومن العبارات التي انصبّ عليها نقد أبي حيان الأندلسي راميًا تركيبها بالعجمة والبعد عن سنن العربية ما ورد في قول الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة غافر: ٢-٣): إذ رجح إعراب (غافر، وقابل، وشديد، وذي الطول) أبدالاً؛ لأن إعراب هذه الكلمات صفات للفظ الجلالة إلا (شديد العقاب) بدلا لأنها نكرة، فيه نبو وضياع المشاكلة التركيبية، يقول الزمخشري" والوجه أن يقال: لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة، فقد آذنت بأنّ كلها أبدال غير أوصاف[١٣٣]"، فآخذ أبو حيان الزمخشري

---

[١٣٠] : ٦٦/٨.

[١٣١] الدر المصون: ١/ ٢٧٠٥ .

[١٣٢] الاقتراح في أصول النحو: ٧٩ .

[١٣٣] الكشاف: ١٤٩/٤ .

بجعل جواب (لما) مقترنا بالفاء (لما صودف ... فقد آذنت) قائلا: " وَقَوْلُهُ: فَقَدْ آذَنَتْ بِأَنَّ كُلَّهَا أَبْدَالُ تَرْكِيب غَيْر عَرَبِيٍّ، لِأَنَّهُ جَعَلَ فَقَدْ آذَنَتْ جَوَابَ لَمَّا، وَلَيْسَ مِنَ كَلَامِهِمْ: لَمَّا قَامَ زَيْدٌ فَقَدْ قَامَ عَمْرٌو ". (١٣٤)

فهل مجيء جواب (لمّا)(١٣٥) مسبوقا بالفاء تركيب غير عربي، ولم يرد في كلامهم ؟ وإذا رجعنا إلى المدونة النحوية نجد أن جمهور النحويين يذهبون إلى جواب (لما) الشرطية يكون فعلاً ماضيا غير مقترن بالفاء (١٣٦)، وهذا هو المشهور الغالب في كلام العرب(١٣٧)؛ لذا رفض جمهور جمهور النحويين مجيء جواب لما مقترنا بالفاء سواء أ كان جملة فعلية فعلها ماض أم اسمية أو غير ذلك، ولم يشفع ما ورد في كلام العرب والقرآن الكريم من شواهد لمجيء الجواب مقترنا بالفاء في إقرار ذلك(١٣٨) بل تأولوا ذلك لمجاراة الغالب المشهور، في حين أجاز ابن مالك مجيئها ماضية مقترنة بالفاء، يقول: "وجوابها فعل ماض لفظا ومعنى، أو جملة اسمية مع إذا المفاجأة أو الفاء، وربما كان ماضيا مقرونا بالفاء، وقد يكون مضارعا. " (١٣٩) ونلحظ في عبارة ابن مالك (وربما كان) في إشارة دقيقة منه إلى ورود ذلك على نحو القلة، وفي الكليات يقول الكفوي: " والمتعارف أن جواب (لما) فعل ماض لفظا أو معنى بدون فاء وقد يدخل الفاء على قلة لما في (لما) من معنى الشرط" (١٤٠)

---

(١٣٤) البحر المحيط: ٩/ ٢٣٣ .

(١٣٥) لما في العربية ثلاثة أقسام: لما الجازمة الداخلة على المضارع، ولما التي تأتي بمعنى إلا حرف استثناء كما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)﴾ سورة يس، لما التعليقية التي تقتضي جملتين تربط بينهما بعلاقة السببية، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧)﴾ الإسراء، وهذا النوع الثالث هو المقصود في هذه المسألة وهي حرف عند سيبويه ورجحه ابو حيان، وذهب ابن السراج وابن جني والفارسي إلى أنها ظرفية . ينظر: ارتشاف الضرب ١٨٩٦، الجنى الداني ١/ ١٠١-١٠٢، وهمع الهوامع ٢٢/٢، ومغني اللبيب ١/ ١٠٥

(١٣٦) ينظر: الجنى الداني ١٠٢/١، مغني اللبيب: ١/ ١٠٥، وارتشاف الضرب ١٨٩٦ .

(١٣٧) ينظر: مغني اللبيب: ٢٠٢/١، والكليات: ١/ ١٥٩٦، والنحو الوافي ٢٩٨/٢ .

(١٣٨) ورد جوابها جملة اسمية مقترنة بالفاء: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢) لقمان، وود جملة اسمية مسبوقة بإذا كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ سورة العنكبوت (٦٥)،﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢) سورة الأنبياء ١٢، وجملة فعلية فعلها مضارع كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤)﴾ سورة هود (٧٤)، وقد تأول النحويون هذه الآيات لتأتي متوافقة مع ما أقروه من قواعد .

(١٣٩) شرح التسهيل: ٤/ ١٠١، وتابعه من المحدثين الشيخ مصطفى الغلاييني في جامع الدروس العربية ١/ ٨٢، وعباس حسن في النحو الوافي: ٢٩٧/٢-٢٩٨ .

(١٤٠) الكليات ١٥٩٦/١ .

وقد استدل على جواز اقترانه بالفاء بقول الشاعر :[١٤١]

لما اتّقى بيدٍ عظيمٍ جِرمها فتركتُ ضاحيَ جلدِها يتذبذبُ

وقول الشاعر : [١٤٢]

ولما رأى الرحمن أن ليس فيهم رشيد ولا ناه أخاه عن الغدر

أمال عليهم تغلب ابنة وائل فكانوا عليكم مثل راغية البكر

ففي البيتين السابقين جاء جواب (لما) فعلا ماضيا مقترنا بالفاء وهو (فتركت) و(فصب)

وورد جوابها مقترنا بالفاء في القرآن الكريم لكنه جملة اسمية وليس فعلية، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾(سورة لقمان:٣٢)

وقد تأول النحويون ذلك على نحوين :

الأول : جعل الجواب محذوفا فتكون الفاء عاطفة على جملة الجواب، والتقدير : ضربتها فتركت، وفي البيت الثاني انتقم منكم فصب عليكم[١٤٣]،وفي الآية الكريمة انقسموا قسمين فمنهم مقتصد ...[١٤٤]

الثاني : الفاء زائدة في البيتين السابقين [١٤٥]

والغريب أن أبا حيان يرد على ابن مالك رأيه قائلا: " لم يقم دليل واضح على ما ادعاه"[١٤٦] ولا أدري أي دليل أقوى من كتاب الله تعالى وما ورد من أبيات شعرية، والأغرب أني رصدت هذا التركيب عنده، فقد استعمله في أكثر من موضع في البحر المحيط ، مثلا قوله: "وجه الاستدراك هنا هو أنه لما قسم الناس إلى مدفوع به ومدفوع، وأنه بدفعه بعضهم ببعض امتنع فساد أرض،

---

[١٤١] البيت مجهول القائل، ينظر: معجم الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية: ١٤٥/١، وقد ورد أيضا في كتب الحديث الشريف ذلك، ففي حديث عائشة، قَالَتْ: " لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَأُذِّنَ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ....." . صحيح البخاري ٥٨/٣، وفي صحيح مسلم ": مَّا بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارًا، وَالْحَسَنَ إِلَى الْكُوفَةِ لِيَسْتَنْفِرَاهُمْ، (فَخَطَبَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَلَاكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ إِيَّاهَا ". مسند أحمد ٢٧٤/٣٠

[١٤٢] ديوان الأخطل ١/ ٤٤٢-٤٤٣ .

[١٤٣] ينظر: المساعد ٣/ ٢٠٠،شرح التسهيل: ١٠٠/١، همع الهوامع ٢٢٢/٢

[١٤٤] ينظر: مغني اللبيب ٢٢١/١

[١٤٥] ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٨٠، المساعد ٣/ ٢٠٠

[١٤٦] ارتشاف الضرب: ١٨٩٨/١

فيهجس في نفس من غلب وقهر عن ما يريد من الفساد في الأرض أن الله تعالى غير متفضل عليه ". [١٤٧]

وكذلك قوله : "ولكن لما كانت لفظة المفاعلة تقتضي الاشتراك غالباً، فصار المعنى: ليقع منك رعي لنا ومنا رعي لك "[١٤٨]

وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾، يقول: " سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري، عن البراء بن عازب قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً . ... " [١٤٩]

ونخلص مما سبق إلى مجيء جواب (لما) مقترنا بالفاء وارد في كلام العرب لكن على نحو القلة لا الكثرة، وأن جمهور النحويين تأولوا الشواهد القليلة بما ينسجم مع القواعد التي أقروها ؛ لذا فإن التركيب الذي استعمله الزمخشري عربي ولا يخالف سنن العربية سواء أ قلنا بجواز التركيب بتأويل أو بجوازه من دون تأويل كما ذهب ابن مالك، وما أروع ما ذكره عباس حسن في هذا الصدد، إذ يقول: " وإذا كنا نقبل التأول في القرآن فلم لا نقبله في كلام من يحاكي القرآن؟ نعم نقبل محاكاته، وندع التأول لمن يتخذه شرطًا للقبول؛ فالنتيجة الأخيرة واحدة، هي صحة الاستعمال، وصحة تأليف الأسلوب على نسق القرآن" [١٥٠] فسواء أقلنا بوجوب التأويل أم لم نقل، فالنتيجة واحدة أن هذا الاستعمال وارد صحيح في الحالين .

تاسعًا : تركيب جملة (شتان)

وليت أبا حيان الأندلسي قال في مثل تلك المواضع السابقة ما قاله في قبول استعمال (شتان)، إذ علق أبو حيان على عبارة " وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد"[١٥١] التي وردت عند الزمخشري، قائلا : " وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ فِعْلِ الْعَبْدِ وَفِعْلِ السَّيِّدِ، تَرْكِيبٌ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، فَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنَعَهُ، وَالصَّحِيحُ جَوَازُهُ". [١٥٢]

---

[١٤٧] البحر المحيط: ٢/ ٤٩٨

[١٤٨] البحر المحيط ٤٤١/١

[١٤٩] البحر المحيط ٢/ ٤٨، وينظر في البحر المحيط مواضع أخر نحو: ١٣٥/٢، ٢٢٣/٢، ٤٩٨/٢، ٣/ ٤٠٧ .

[١٥٠] النحو الوافي: ٢/ ٢٩٨ .

[١٥١] تفسير الكشاف: ٣٨٨/٣ .

[١٥٢] البحر المحيط: ٨/ ٢٧٥ .

فإذا كان هذا تركيبا مختلفا فيه، فالتركيب في المسألة السابقة أيضا مختلف فيه، وهناك من أجازه، مثلما أن هذا التركيب هناك من رفضه. فكان الأحرى أن يصف استعمال الزمخشري له بما وصف به هذا التركيب.

وفي هذا الموضع نجد أبا حيان قد وافق الزمخشري في صحة التركيب، وقد صرح أيضا بصحته لورود السماع من العرب فيه(١٥٣)، في حين ذهب الأصمعي إلى عدم جواز قولنا: شتان ما بين زيد وعمرو، وصحح استعمال التركيبين : شتان ما زيد وعمرو، وشتان زيد وعمرو(١٥٤) واستشهد بقول الأعشى:

شتّان ما يومي على كورها   ويوم حيّان أخي جابر (١٥٥)

وقول الشاعر:

شتّان هذا والعناق والنّوم   والمشرب البارد في الظلّ الدّوم(١٥٦)

أما قول ربيعة الرقي :

لشتّان ما بين اليزيدين في النّدى   يزيد سليم والأغرّ بن حاتم (١٥٧)

الذي يستشهد به لصحة تركيب (شتان ما بين فلان وفلان)، فلا يعده الأصمعي حجة ؛لأن الشاعر من المولدين . (١٥٨)

وقد ذكر النحويون وجهين لرفض الأصمعي هذا التركيب(١٥٩)، الأول: أن (شتان): اسم فعل بمعنى تباعد وافترق، وهما "من الأفعال التي تقتضي فاعلَيْن؛ لأن التفرّق لا يحصل من واحد" (١٦٠) ففي قولنا :(شتان زيد وعمرو أو شتان الرجلان) يكون الفاعل مثنى بالصيغة أو العطف، وفي التركيب الثاني: شتان ما زيد وعمرو، تكون (ما) زائدة والفاعل (زيد)، والتثنية متحققة بالعطف، أما التركيب (شتان ما بين زيد وعمرو) فـ(ما) إذا كانت زائدة، فلا تكون (بين)

(١٥٣) ينظر: ارتشاف الضرب: ٢٣٠٤/٥

(١٥٤) ينظر: شرح كتاب سيبويه ١/ ١٠٢، وترتيب اصلاح المنطق: ١/ ٢٠٨- ٢٠٩، خير الكلام في التقصي عن اغلاط العوام: ١/ ٣٨ .

(١٥٥) ديوان الأعشى الكبير: ١٤٧

(١٥٦) شعر لقيط بن زرارة التميمي: ٢٢٩ .

(١٥٧) شعر ربيعة الرقي: ٦٠

(١٥٨) ينظر: شرح كتاب سيبويه للسرافي: ١/ ١٠٣، والبديع في علم العربية: ٥٣٠/١ .

(١٥٩) ينظر: شرح الرضي ١٠٣/٣

(١٦٠) شرح المفصل: ٢٣/٣ .

فاعلا، وإذا كانت موصولة فلا يتحقق ما تقتضيه (شتان) من فاعلين. يقول ابن يعيش: "ووجه إنكاره أنّ "شتّان" يقتضي اسمَيْن و"ما" ها هنا إن جعلتَها موصولةً، كان ما بعدها اسمًا واحدًا بمنزلةِ "شَتانَ زيدٌ"، وذلك لا يجوز، ولذلك قالوا: لو قيل: "شتّان زيدٌ أو عمرو" من غيرِ ذكرِ اثنين، لم يجز؛ لأنّ "أوْ" لأحدِ الشيئَيْن، وإن جعلتَها صلةً، لم يبق معك ما يصلح أن يكون فاعلاً ". (١٦١)

وفي رد هذا الاعتراض يقول ابن يعيش: " والقياسُ لا يأباه من جهة المعنى؛ لأنه إذا تَباعد ما بينهما، فقد تباعد كل واحد منهما من الآخَر"(١٦٢) فتكون (ما) موصولة فاعلاً بشتان، كأنك قلت: بَعُد ما بينهما، وهي بمعنى: الذي والظرف الذي بعدها: صلتها(١٦٣). أو تكون (ما) زائدة و(بين) هي الفاعل .(١٦٤)

ومنهم من جعل (شتان) اسم فعل بمعنى (بعد)، وحينئذ لا يرد هذا الإشكال أيضا، "فكما يجوز :بعد ما بين زيد وعمرو، كذلك يجوز : شتان ما بين زيد وعمرو"(١٦٥) فهو لا يستلزم اثنين و(ما)كناية عن المسافة أو البون أي بعد ما بينهما من المسافة(١٦٦) .

والثاني : أن شتان اسم مثنى لـ (شت) وهو المتفرق كـ(سيّان) وما أوهم ذلك أن (شتان) قد وردت عند بعض مكسورة النون (١٦٧)، فتكون خبرا وما بعده مبتدأ فلا بد من التطابق بينهما تثنية. (١٦٨)

وقد ردّ هذا الرأي بأن نون (شتان) مفتوحة في اللغة الفصحى، ولو كان (شتان) خبرا وما بعده مبتدأ لجاز فيه التقديم، فنقول: زيد وعمرو شتان، ولم يقل أحد بذلك .(١٦٩)

إذن الجمهور يجوِّز هذا التركيب (١٧٠)، بل تجد تضاربا أحيانا في نسبة الرفض إلى الأصمعي، فقد نسب بعضهم إلى الأصمعي قبول هذا التركيب، ونسب الرفض إلى غيره (١٧١)

---

(١٦١) شرح المفصل:٧٤/٣ .

(١٦٢) المصدر نفسه ٣/ ٢٣

(١٦٣) ينظر: شرح الفصيح ٢٢٧/١ .

(١٦٤) ينظر: شرح الرضي ١٠٣/٣ .

(١٦٥) تمهيد القواعد بشرح تسهيل القواعد ٣٨٧٧/٨ .

(١٦٦) ينظر: شرح الرضي ١٠٣/٣، وحاشية الصبان: ٥/ ١٤٤ .

(١٦٧) ينظر: شرح الفصيح: ٢٢٧/١ ، شرح الرضي ١٠٣/٣

(١٦٨)ينظر: ارتشاف الضرب ٢٣٠٤/٥ ، حاشية الصبان:١٤٥/١ .

(١٦٩) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٣٨٧٧/٨، حاشية الصبان:١٤٥/١ .

(١٧٠) ينظر: شرح الفصيح ٢٢٦/١

(١٧١) ينظر: الأصول في النحو ٤٥٧/١، واللباب في علل الإعراب ٤٥٧/١، وارتشاف الضرب ٢٣٠٤/٥

ويبدو أن تركيب (شتان ما بينهما) وارد في العربية يكفي لإثبات صحة وروده عن العرب ما ذكره ابْنُ بَرِّيٍّ من أبيات كثيرة جاءت في أشعار العرب اشتملت على هذا التركيب، يقول: "وَقَوْلُ الأَصمعي: لَا أَقول شَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، لَيْسَ بشيءٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ جَاءَ فِي أَشعار الفُصَحاء مِنَ الْعَرَبِ؛ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ:

فإِنْ أَعْفُ، يَوْمًا، عَنْ ذُنُوبٍ وتَعْتَدِي — فإِنَّ العَصا كانتْ لِغَيْرِكَ تُقْرَعُ

وشَتَّانَ مَا بَيْنِي وبينَكَ، إِنَّنِي — عَلَى كلِّ حالٍ، أَسْتَقِيمُ، وتَظْلَعُ[172]

قَالَ: وَمِثْلُهُ قولُ البَعِيثِ:

وشَتَّانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ابنِ خالدٍ — أُمَيَّةَ، فِي الرِّزْق الَّذِي يَتَقَسَّمُ [173]

....

وَقَالَ الأَحْوَصُ:

شَتَّانَ، حينَ يَنِثُّ الناسُ فِعْلَهُما — مَا بَيْنَ ذِي الذَّمِّ، والمحمودِ إِن حُمِدا "[174]

نعم إنّ تركيب (شتان ما هما) هو الأفصح، أما تركيب: شتان ما بينهما، فدونه في الفصاحة[175]. فالتركيبان مقبولان ويفرق بينهما من حيث مستوى الأداء اللغوي، فالأول أفصح من الثاني. وهذا يوقفنا عند أمر مهم كان له أثر كبير في الفوضى التي أصابت حركة التصحيح اللغوي، إذ تفاوت مستويات الأداء اللغوي والاقتصار على مستوى الفصحى وعدم الاعتداد بالفصيح الوراد عن العرب سبب تخطئة كثير من العبارات الصحيحة[176]، يقول البطليوسي: "وقد أنكر الأصمعي أشياء كثيرة كلها صحيح "[177]. فالأصمعي كان من أكثر علماء اللغة تشدداً ؛فلا عجب في رفضه هذا التركيب لقلته وشيوع التركيب الآخر.

الخاتمة:

١- نقد العبارة ينضوي تحت حركة التصحيح اللغوي، التي توزعتها مصنفات مختلفة وضمتها كتب لها مجالات معرفية مختلفة من كتب نحو ولغة، وشروح ومعجمات، ومنها كتب

---

(١٧٢) ديوان أبي الأسود الدؤلي:١١٨ .

(١٧٣) شعر البعيث المجاشعي: ٨٤

(١٧٤) لسان العرب: ٢/ ٤٩، وتاج العروس ٥٧/٤، وبيت الأحوص: ينظر ديوان الاحوص تح إبراهيم السامرائي: ٧٦ .

(١٧٥) مقاييس اللغة: ٨٣/٣، وينظر: شرح الرضي: ٣/ ١٠٤

(١٧٦) ينظر: حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث:١٨١ .

(١٧٧) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٢٢٢/٢ .

التفسير، وهو نقد يسلط على تركيب عبارات أوردها بعض المتقدمين لبيان ما وقع فيها صاحبها من لحن وبعد عن سنن العربية .

٢- جزم أبو حيان في مواضع بخطأ عبارة الزمخشري أو ابن عطية ورماها بالبعد عن العربية أو وصفها بالعجمة على الرغم من أنها مختلف فيها عند النحاة، أو أنها فصيحة لكنها دون غيرها في الفصاحة فهي لم تخرج من دائرة الصحة اللغوية .

٣- تشدد أبو حيان الأندلسي في الحكم على الاستعمال التركيبي لبعض العبارات ووصم أصحابها بالعجمة والبعد عن العربية، وهي نزعة نقدية متحاملة يلحظها القارئ بوضوح .

٤- وجدت عبارات انتقدها أبو حيان الأندلسي ولم يقبلها ورماها بالعجمة، قد استعملها في تفسيره، وجاءت في عباراته .

المصادر :

📖 اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ) تح: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط/ ١، ١٩٩٩ .

📖 ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/ ١، ١٩٩٨ .

📖 أسرار العربية، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم ط/١، ١٩٩٩م .

📖الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تح الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان –بيروت.

📖إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، لأبي البقاء العكبري البغدادي محب الدين (ت ٦١٦هـ)، تح الدكتور عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع –القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٩ .

📖الاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) حققه وشرحه: الدكتور محمود فجال،، دار القلم، دمشق، ط/ ١، ١٩٨٩ .

📖الاقتضاب في شرح ادب الكتاب، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوسي (ت ٥٢١ هـ)، تح الأستاذ مصطفى السقا - الدكتور حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦ .

📖 امالي ابن الحاجب، لأبي عمرو جمال الدين ابن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار - الأردن، دار الجيل –بيروت، ١٩٨٩ .

📖أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تح محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط/١،١٤١٨ هـ

📖 أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله الأنصاري(ت ٧٦١ هـ)، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

📖الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسيّ (٣٧٧ هـ)، تح الدكتور حسن شاذلي فرهود ، ط/١، ١٩٦٩.

📖 البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، تح صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت، ١٤٢٠ هـ.

📖 البديع في علم العربية، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ.

📖تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، (د.ت).

📖 التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تح الدكتور حسن هنداوي، ط/١، دار القلم –دمشق، (د.ت) .

📖 ترتيب اصلاح المنطق لابن السكيت(ت٢٤٤هـ)، رتبه وقدم له الشيخ محمد حسن بكائي، مركز التراث، (د.ت) .

📖 تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر القاهرة - ط/١، ١٤٢٨ هـ .

📖تهذيب اللغة، المؤلف : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت ط/١، ٢٠٠١م

📖 توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المصري (ت : ٧٤٩هـ)، تح : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط/ ١، ٢٠٠٨م.

📖جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ط/١، ١٩٩٣ .

📖جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد السَلامي، البغدادي(ت ٧٩٥هـ)، تح : الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط/٢، ٢٠٠٤ م .

📖 الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تح هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣ م.

📖جمهرة الامثال، أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر ، ط/ ٢، ١٩٨٨.

📖جنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تح د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩٢ .

📖 الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تح الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط/ ١، ١٤١٨ هـ.

📖 حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، محمد بن مصطفى الخضري (ت ١٢٨٧هـ) تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر (د.ت) .

📖 حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر –بيروت .

📖 حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، محمد بن علي الصبان الشافعي(١٣٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٩٩٧م .

📖حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، د محمد ضاري حمادي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ م.

📖 خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام، علي بن بالي القسطنطني الحنفي (ت ٩٩٢هـ)، تح الدكتور حاتم صالح الضامن، عالم الكتب -بيروت، ١٩٨٧م .

📖 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تح د أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق .

📖 دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح :محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط/٣، ١٩٩٢م

📖 ديوان ابن أبي حصينة لأبي الفتح الحسن بن عبدالله المشهور بابن أبي حصينة السلمي(٤٥٧هـ)، تح محمد أسعد اطلس، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٩٥٦ .

📖 ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه: أبو سعيد الحسن السكري (ت ٢٩٠ هـ)، تح: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط/٢ ١٩٩٨ م .

📖ديوان الاخطل، شرح راجي الأسمر، دار الكتاب العربي .

📖ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية،

📖ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٤ .

📖ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة –بيروت، ط/٢، ٢٠٠٤ م

📖ديوان جميل بثينة، دار صادر بيروت .

📖ديوان عبيد الله بن قيس الراقيات، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر -بيروت .

📖 ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح وتحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور عبد العزيز شرف، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر .

📖السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، تح الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط/٢، ١٤٠٠هـ.

📖سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح : الدكتور حسن هنداوي، دار القلم –دمشق، ط/١، ١٩٨٥ .

📖شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر -دمشق، ط/٢، ١٩٨٥ .

📖 شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، ط/١، ١٩٩٨م.

📖 شرح تسهيل الفوائد، جمال الدين ابن مالك الطائي (ت ٦٧٢هـ)، تح الدكتور عبد الرحمن السيد، الدكتور محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط/١، ١٩٩٠م.

📖شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي(ت٦٨٦هـ)، تح يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، ط/٢ ، (د.ت).

📖شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ٢٠٠٧ م .

📖 شرح الفصيح، ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ)، تح الدكتور مهدي عبيد جاسم، ط/١، ١٩٨٨ م .

📖 شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش، المعروف بابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠١ م .

📖شرح كتاب سيبويه ،لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ)، تح أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ٢٠٠٨ م .

📖شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المدائني (ت٦٥٦هـ)، تح محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١، ١٩٩٨م .

📖شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مط/ النعمان النجف الأشرف، ١٩٦٩.

شعر البعيث المجاشعي، جمع وتحقيق : الدكتور عدنان محمد أحمد ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠١٠.
ديوان الأعشى الكبير، تح الدكتور محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية .
شعر ربيعة الرقي، صنعه زكي ذاكر العاني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دار إحياء التراث، دمشق، ١٩٨٠ .
شعر لقيط بن زرارة التميمي، جمع وتحقيق ودراسة، الدكتور عبدالعظيم فيصل صالح، مجلة سر من رأى، مجلد ١٣، عدد ٤٨، ٢٠١٧ م.
صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تح محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط/١، ١٤٢٢هـ
صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
العُدّة في إعراب العُمدَة، أبي عبد الله محمد بن فرحون المدني (ت٧٦٩هـ)، مكتب الهدي لتحقيق التراث، دار الإمام البخاري – الدوحة، ط/١ (د.ت).
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي (ت٨٥٥هـ)، ضبطه عبدالله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت .
العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥هـ)، تح الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
الكافي، ثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، دار الكتب الإسلامية طهران، ط/٤ .
الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري (ت ٦٤٦ هـ)، تح الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة، ط/١، ٢٠١٠ م
كتاب سيبويه،،لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ) تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري(٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج احاديثه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، ط٣ ٢٠٠٩
الكشاف، الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان .
الكشاف، الزمخشري، ضبط وتوثيق أبي عبدالله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠٦
كشف المشكل في النحو، لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني (ت٥٩٩هـ) تح الدكتور هادي عطية مطر، مطبعة الارشاد، بغداد، ط/١، ١٩٨٦م .
الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تح عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٩٨م.
اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، تح: الدكتور عبد الإله النبهان، دار الفكر –دمشق، ط/١، ١٩٩٥م
لسان العرب لابن منظور، تح عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة .
مجلة المجمع العلمي في القاهرة
مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه، وليم بن الورد البروسيّ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر، الكويت .
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط/١ ١٩٩٣م
المخصص : لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨ه)، تح خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١، ١٩٩٦م
المرتجل في شرح الجمل، لأبي محمد عبد الله ابن الخشاب(٥٦٧ هـ)، تح: علي حيدر، دمشق،١٩٧٢ م
المسائل النحوية والصرفية في شرح أبي العلاء المعري على ديوان ابن أبي حصينة (رسالة ماجستير)، هاني محمد عبد الرازق القزاز، جامعة الأزهر - كلية الدراسات الإسلامية
مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تح شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/١،٢٠٠١ م
المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل النحوي (ت٧٦٩هـ)، تح الدكتور محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، ط/١، ١٤٠٥ هـ
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت .
مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي(٢٣٥هـ)، تح كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط/١، ١٤٠٩هـ .
معجم الأفعال المتعدية بحرف، موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي، دار العلم للملايين، بيروت.
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تح: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر - بيروت، ط/٦، ١٩٨٥
المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط/١، ١٤١٢ هـ .

المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح الدكتور علي بو ملحم، مكتبة الهلال –بيروت، ط/١، ١٩٩٣

المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)،لأبي إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠ هـ) تح مجموعة من المحققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى -مكة المكرمة، ط/١، ٢٠٠٧ م.

مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تح عبد السلام محمد هارون، تح دار الفكر، ١٩٧٩م.

شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩ هـ)، تح خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية – الكويت، ط/١، ١٩٧٧م .

المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، تقي الدين احمد بن محمد الشمني (ت٨٧٢هـ)، تح محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت) .

نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، محمد بن أبي بكر المرابط الدلائي (ت ١٠٨٩هـ)، تح الدكتور محمد الصادق العربي، مطابع الثورة، بنغازي - ليبيا .

النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط/١٥ .

النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري(ت ٨٣٣ هـ)، تح علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى .

النكت والعيون(تفسير الماوردى)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري(ت٤٥٠هـ)، تح السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

الهداية في بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)،تح مجموعة من الباحثين، ط/ ١، جامعة الشارقة .

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر .

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث –قم، ط/١ ١٤٠٩هـ

" مؤتمر المجمع وأوراقه البحثية"

أقام المجمع العلمي مؤتمره السنوي الدولي الثاني بيوم العربيّة العالمي تحت عنوان: (العربيّة هويتنا .. رسالتنا الإنسانية) يومي الجمعة والسبت ٢٤، و٢٥/١٢/٢٠٢١م، وكانت جلسة الافتتاح التي عُقدت في قاعة المجمع العلمي بحضور نوعي كبير للأساتذة والباحثين وعشاق العربيّة وشداة اللغة قد شهدت بعد كلمتي رئيس المجمع وكلمة اللجنة التحضيرية عرض فلم وثائقي عن مسيرة المجمع العلمي العراقي، وكانت أولى جلسات المؤتمر حضورية وباقي جلساته الأربعة افتراضية وقد شارك في إثراء هذه الجلسات البحثية أربعة عشر باحثاً من العراق والدول العربيّة، من المجامع اللغوية والجامعات والمؤسسات العلمية المختلفة سوى رؤساء الجلسات ومقرريها الأربعة، وتوصيات المؤتمر في ختامه، فكان مؤتمراً يستحق أن نفخر بإقامته ونعتز بإنجازه وبمشاركة الأسماء العلمية اللامعة من العراقيين وأشقائهم العرب.

وكان المشاركون الأفاضل قد قرأوا أوراقهم البحثية الملخصة من بحوثهم الموسعة المقدمة للمؤتمر على النهج المتبع في المؤتمرات الدولية والمحلية التي تحدد للمشارك مدة لا تستوعب البحث الكبير فيقدم الباحث خلاصة وافية تسدّ المدّة المفروضة له، فاستمع مئات الحاضرين عبر الموقع الافتراضي الذي كان يبث فعاليات المؤتمر وجلساته بثاً مباشراً إلى هذه الأوراق البحثية التي تناولت العربية من جوانب مختلفة تجتمع على فكرة صونها وإثرائها ورفدها بالجديد الذي ينهض بها لتستشرف مستقبلها بكل ما يحمل من جديد في العلم والمعرفة.

ولما كانت هذه الأوراق البحثية المقدمة في المؤتمر كنزاً معرفياً غزير النفع كثير الفائدة، مع ما ورد إلى المجمع ولجانه من الأوساط العلمية والجامعية، ومن الحاضرين الذين استمعوا إلى هذه الأوراق البحثية وتلقوا زادها العلمي الثر، من رغبة في الوقوف عليها منشورة في كتاب أو في مجلّة المجمع لتتم الفائدة ويكمل النفع، فوجودها بين يدي محبي العربية وطلابها يقدم باقة فواحة تضم ألوانا من الآراء والمناهج والموضوعات التي لا غنى للباحثين في شأن العربيّة عنها. فحين نظرنا في نشرها مجتمعة في كتاب أو في المجلّة رجح نشرها في المجلّة لسببين: الأول أن الكتاب قد يتأخر صدوره لضعف التخصيص المالي للمجمع الذي أوقف نشر الكتب فيه من سنين. والثاني أن توزيع المجلّة وتداولها ووصولها إلى أيدٍ لا يصل إليها الكتاب كفيل بسعة النفع والفائدة المرجوَّين من نشر هذه الأوراق البحثية العلمية، فكان هذا الملف الكبير الذي يضمه هذا العدد الثاني من المجلد التاسع والستين من مجلّة المجمع العلمي العراقي العريقة، التي ولدت

بصدور عددها الأول سنة ١٩٥٠ وما تزال تصدر وهاهي تحتفل بالعيد الماسي للمجمع هذا العام.

وإذا كان لي أن أشكر، فأبدأ بشكر أحبتي العلماء الذين استجابوا لدعوة مجمعنا في المشاركة بالمؤتمر، ثم بارسال أوراقهم البحثية فلهم امتناني أولاً وآخرا، وأشكر الإخوة الأساتذة الأفاضل في لجنتي المجمع " لجنة اللغة والأدب" و" لجنة العلوم الإنسانية" وأبنائي وبناتي منتسبي المجمع من الذين كان لجهدهم المبذول وحرصهم على الإجادة في العمل والسعي إلى النجاح الأثر الكبير في وصول مؤتمرنا إلى هذا المستوى اللائق بالمجمع العلمي العراقي، الذي لم يكن خلال عمره المضيء إلا منارة للاشعاع الحضاري والتنوير الفكري والتطوير المعرفي، وإلا صرحاً للعربية الكريمة لغة القرآن الكريم والتراث الخالد.

الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين
رئيس المجمع العلمي العراقي – رئيس التحرير

المساعي اللغوية في العراق: مصطفى جواد مثالاً

الأستاذة الدكتورة نادية هناوي

كلية التربية/الجامعة المستنصرية

شهد العراق منذ مطلع القرن العشرين حركةً لغويةً واضحةً تمثلت في الاهتمام بشؤون اللغة العربية. وتزايدت هذه الحركة مع ظهور علماء هم أئمة لغويون وأساتذة بارعون عملوا على إشاعة الصحيح والفصيح من اللغة العربية والحفاظ عليها مما صار يفد إليها من مصطلحات أجنبية ساهم فيها التطور العلمي الهائل الذي شهده العالم منذ الثورة الصناعية كما أن ما اسند إليها من قواعد ليست فيها أو ما كان يُتزمت في الامتثال إلى قواعد جمدتها بدل أن تطورها، كان قد حفَّز على المضي في خدمة هذه اللغة.

وكانت أهم خطوة في هذه الحركة الدؤوبة ما حصل عام ١٩٤٧ حين قررت وزارة التربية أو ما كان يُعرف سابقاً بوزارة المعارف إنشاء المجمع العلمي العراقي الذي كان له دور كبير في الإسهام في تنشيط الحركة اللغوية، فعمل منذ تأسيسه على تعريب المصطلحات من خلال وضع المعجمات والبحث في قضايا اللغة أو تقديم الخبرات اللغوية التي تحتاجها مختلف المؤسسات أو تيسير القواعد اللغوية وتسهيل المعتمد منها في مناهج الدراسة على اختلاف المراحل التعليمية.

بيد أن أمر هذه الحركة العلمية أخذ بالخفوت والتراجع نسبياً وبشكل تدريجي منذ نهاية ثمانينيات القرن العشرين، وغدتْ فاعلية المجمع العراقي اعتبارية أكثر منها عملية.

لا تخفى الأسباب التي تقف وراء هذا التراجع، وليست اللغة العربية واحدة منها، وإنما هو النقص في الموارد الذي جعل الزمن مُساءً استعمالُه. فتباطأت الفاعلية العلمية في مجال دراسات اللغة وتطوير مباحثها التي غدت تسير على وتيرة بطيئة ولاسيما في العقدين الأخيرين. فلم يعد المجمع ذلك الصرح الذي طالما أُوكلت إليه مهام علمية ولغوية جسيمة من عمل المعاجم إلى الرقابة والإشراف والفحص والتعريب.

ولم تعد الهيئات والمؤسسات تضع للمجمع أي اعتبار في استعمالاتها اللغوية ذات الصلة بمجالات عملها في العلوم الصرفة والإنسانية. وكان من نتائج تخلي المجمع عن أداء أدواره المعهودة أن غاب التخطيط اللغوي وصارت المصطلحات العلمية الأجنبية الدخيلة تشيع على الألسن وهي في منأى عن أي تعريب كما أن ما يجري على مستوى مناهج الدراسة ومقررات تدريس اللغة العربية هو الآخر ظلّ في منأى عن التوجيه والضبط. وصار يتدخل في إقرارها في الكتب الدراسية مَن هو غير متخصص فيها عبر لجان غير كفوءة، وبعضٌ منها تُضم في عضويتها أناساً لا يحسنون نطق العربية ولا كتابتها.

وإذا كان للمجمع خلال هذين العقدين المنصرمين من دور، فإنه لا يتعدّى الفعالية أو الفعاليتين في السنة. ومحصلة هذا كله أن تحول المجمع العلمي العراقي إلى صرح يحمل الاسم حسب من دون أدنى أثر، وهو الذي كان مشهوداً له بالفاعلية على المستويين الإقليمي والعربي.

ولا سبيل لاستعادة ماضي المجمع ووضعه على طريق الأهداف التي أنشئ من أجلها وعمل مؤسسوه بوفاء على تحقيقها سوى الإخلاص للغة العربية كمهمة أولى، وبعدها تأتي المهام العلمية الأخرى التي بها يدشن طور لغوي جديد، يضاف إلى الأطوار التي شهدها المجمع في عقود ماضية إهتداء بما فعله من قبل الحريصون على اللغة العربية أو في ما ابتكروه من تقاليد وأعراف أعطت للحركة العلمية مزيداً من الدفق وكثيراً من التوجيه.

ويُخطئ من يظن أن اللغة العربية اليوم لا تحتاج إلى حماية وأنها في غنى عن خبرة ذوي العلم أو أنها اكتفت بما نالته من لدن السابقين من رعاية واهتمام كما لا يجوز بأي حال من الأحوال التعذر بأن لا أيادي لنا تجعلنا قادرين على الوقوف بوجه كل هذا التطور الحضاري السريع والمتنامي ومن ثم لا قدرة لنا على مسايرة ركب التطور، تاركين اللغة العربية تواجه مصيرها بنفسها وتحمي نفسها من تلقاء نفسها وكيفما اتفق، بل اللغة في تطورها وتجددها تظل بحاجة إلى إشاعة الصحيح وتعريب المصطلحات كي لا تغزو لغتنا المفردات الأعجمية الناجمة عن تسارع عجلة العلم بالاختراعات والصناعات والإبداعات.

وأمر التواني عن المحافظة على اللغة غير مقبول في عصرنا الذي سمته التخطيط والإحصاء وأساسه البرمجة والتنظيم والإعداد للرؤى المستقبلية مما كان قد أدركه قبلنا ثلة من أئمة اللغة في مطلع القرن العشرين إلى ما بعد منتصفه، فانبروا يضعون الخطط ويؤلفون ويحصون، تشهد بذلك المعجمات والكتب والأبحاث والدوريات القيّمة التي أَسَست بمجموعها واقعا لغويا رصينا بلجان وقرارات غاياتها إشاعة اللغة العربية على ألسنة الناطقين بها وبصور فاعلة وحيوية على مختلف الأصعدة العلمية والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والطبية والرياضية والصناعية وغيرها.

وإذا عُدنا إلى عهود الازدهار العلمي في العصور العباسية الغابرة لأدركنا أن ما جرى في القرن العشرين من إخلاص للغة العربية كان امتداداً لحركة البحث اللغوي التي كانت قائمة على قدم وساق آنذاك حتى أن لا ناقد أو أديب أو فيلسوف إلا له في اللغة باع واعتبار.

ونظرة إحصائية عامة على المباحث اللغوية والمساعي التعريبية التي بُذلت في العصر

الحديث ستكشف أن الغالب عليها كان اشتراكها في هدف واحد هو الحفاظ على اللغة العربية خشية أن تتسرب إليها الألفاظ الدخيلة التي بكثرتها تقف حجر عثرة أمام تطورها وحيوية دورها ككائن متجدد ومرن لا يعرف الجمود.

ولا جرم أن أداء المجمع لمهامه التي أنشئ من أجلها يتوقف على طبيعة لجانه ونوعية أعضائه ومدى فاعليتهم العلمية في ابتكار وتأليف كل ما من شأنه أن يحل الإشكاليات أو بعضاً منها، مما كان

قد تراكم منها عبر العقود المنصرمة التي خبا فيها نجم المجمع وتلاشت أهميته. وفي مقدمة تلك الإشكاليات توقفه عن أداء دوره المطلوب في التعريب للمصطلحات الوافدة إلى اللغة العربية وجمود فاعليته في الاشتقاق والنحت اللذين هما سمة خاصة ينبغي الإفادة منهما في تطوير لغتنا من داخلها لتغدو أكثر حياةً ونمواً.

وليس من أسف على هذا الحال الذي وصل إليه المجمع العلمي سوى أسفنا على إهدار الزمن خلال العقود الثلاثة الأخيرة التي ضاعت سدى، فما من مباحث لغوية يُشار إليها بالبنان ولا من جهود فردية أو جماعية يمكن أن نتأكد نجاعتها على الصعيدين المعاشي والعلمي.

وكانت من تبعات هذا الإهدار في الزمن أن تعطل المجمع عن أداء ما ينبغي له أداؤه في خدمة اللغة العربية. والدليل ما يأتي:

١) انقضاض ظهر اللغة العربية بما استجد من مناهج ومقررات دراسية أشرفت عليها لجان وزارية ثلاث أرباع أعضائها ليس لهم أية مساع لغوية سابقة أو بالأحرى لا علاقة لهم بالبحث اللغوي، إنما هي العلاقات الإخوانية والحزبية التي استقدمتهم فضلا عن النزوع الذاتي نحو انتهاز الفرص بغية الظفر بمستحقات إشغال عضوية مثل هذه اللجان.

٢) تفشٍ خطير للكلمات الأجنبية في المواقع الالكترونية والمخاطبات الرسمية والكتابات العلمية والصحفية والأدبية حتى تزايد عدد كلمات اللغات الأجنبية الدخيلة إلى ألفاظنا وغزت واجهات الأبنية الخاصة والحكومية والمحال والأسواق وغيرها من المرافق والميادين والمنابر الرسمية وغير الرسمية.

٣) انعدام أية مبادرات جماعية لوضع برامج لغوية أو رسم خطط بحثية تردم هوة غياب التخطيط اللغوي حتى غدا التداول للمصطلحات يحصل كيفما اتفق وبالمجان وبعشوائية لم يشهدها أي طور من أطوار النمو الحضاري للغة العربية.

٤) غياب الجهود الاشتقاقية والتعريبية فضلا عن ندرة البحوث الأصيلة اللغوية والقرآنية وهو ما طوّح بحيوية البحث اللغوي وجعل الجمود واضحا في التعامل النمطي والتقليدي مع قواعد النحو ومسائل الصرف دراسة وتدريسا.

٥) قلة الاعتماد على منابع اللغة وفي مقدمتها القرآن الكريم من ناحية ملاحقة الصحيح من المفردات المستجدة في اللغة وإحصائها والإبداع في مسائل النحو والصرف.

٦) تضاؤل النزعة العلمية في وضع معاجم متخصصة على وفق سياسات بحثية مدروسة، لها صلة بمجالات تدريس اللغة وتعريب المصطلحات.

٧) خفوت جذوة الإحصاء والفهرسة مع غياب الجهود الجماعية في مجال عمل الموسوعات ودوائر المعارف على اختلاف أشكالها وأبعادها.

٦) تنامي ظاهرة الأغلاط الإملائية في الأوساط المتخصصة وغير المتخصصة مع التقصير في

التصدي لها أو تقييدها بقصد الحد منها والتنبيه على الصحيح في كتابتها فضلا عن الابتعاد عن متابعة ما يجري من تنامٍ لهذه الظاهرة على صعيد الفنون والعلوم.

٧) غياب أية مبادرات لإحياء جهود اللغويين العرب القدماء منهم والمحدثين أو استذكار ما فعله الأوائل من جهود لغوية كجهود الخوارزمي والسيد الجرجاني والتهانوي والجواليقي أو ما قام به علماء العربية وأدباؤها في العصر الحديث من مساع فردية وإسهامات جماعية تجلّت في شكل معاجم وموسوعات ومباحث لغوية تحافظ على سلامة اللغة العربية بدءاً من أواخر القرن التاسع عشر على يد أبي الثناء الالوسي ومروراً بجهود اللغوي والأديب الأب انستاس ماري الكرملي والأعلام: مصطفى جواد ومهدي المخزومي ومحمد بهجت الأثري ووصولا إلى أساتذة جامعيين مشهود لهم لغوياً كالدكتور فاضل السامرائي ومحمد حسن آل ياسين أو جهود الباحثين المرموقين غير الجامعيين كعبد الحميد العلوجي وجلال الحنفي وزهير أحمد القيسي وعبد الصاحب شكر وغيرهم.

وسنفصل القول في هذه المحصلة الأخيرة متخذين من جهود الدكتور مصطفى جواد مثالاً، به ندلل على المساعي اللغوية الطليعية التي بذلها هذا العلّامة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية والجهود الحثيثة التي قّدمها وتجلّت في شكل كتب ومعجمات وبرامج ومحاضرات، هي برهان على ما لهذه الشخصية البحثية من جدارة تجعلها مثالاً يُحتذى عند أي تخطيط مستقبلي يراهن على سلامة اللغة ويتبصر في المحافظة عليها.

مساعي الدكتور مصطفى جواد اللغوية /

لعلّ أهم مزية تمتع بها الدكتور مصطفى جواد وتميز بسببها عن اللغويين المجايلين له، أنه لم يكن يرتكن إلى الجاهز من قواعد اللغة وتصاريف ألفاظها ولا يقتنع بما توصل إليه اللغويون في أزمان بعيدة إلا بعد تمحيصها واختبار صحتها، فكان شديد الممارسة للتفكير اللغوي بقصد اختبار نجاعة القواعد والأصول وتمحيص حقيقها من عدمه. فاكتشف كثيرا من المناحي الصرفية والمسائل النحوية التي فيها يمكن للناطق باللغة العربية أن يختار ما يلائم عصره أو ما يتسم بالمرونة والسهولة بعيداً عن التكلف والتنطع أو أن يطور استعمالات بأعيانها على وفق قواعد لها مساس بالمستجد نطقاً وكتابةً، أسماءً وأفعالاً ومصادرَ، سواء أكان هذا المستجد آتياً من لغة أخرى أم هو متحصل من اللهجة العامية. وهو أمر تحتاجه كل لغة حية ومتجددة مثل اللغة العربية.

وقد مكَّنه هذا التلاقي بين العامية والفصيحة من الاجتهاد في كثير من مسائل الصرف والنحو والبلاغة ومنها مباحثه في الأسماء الموصولة وتعدي الأفعال ولزومها وإدماج علم المعاني بعلم النحو بوصفه الباب الذي ينبغي تجديده والإسهام فيه.

وحدد مصطفى جواد المباحث اللغوية بأنها(تختص بالمفردات من حيث معانيها الأصلية وترجمتها ونقلها إلى لغة غير العربية ونقل مفردات غير عربية إليها على سبيل الإصلاح)[١]

---

[١] المباحث اللغوية في العراق محاضرات ألقاها الدكتور مصطفى جواد على طلبة الدراسات الأدبية واللغوية عام ١٩٥٤، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ص٥٠.

ومن الفرضيات التي آمن بها وعمل بموجبها هي أن التجديد في اللغة يكون باستقراء الشواهد ثم وضع القواعد، وأن مصير من يأخذ بمذهب واحد من مذاهب النحو والصرف ويلتزم بما قاله النحويون البصريون أو الكوفيون هو تجميد لحيوية اللغة. وهذا التجميد هو السبب الرئيس في استصعاب الدراسة النحوية والصرفية كما أنه من البواعث على النفور من اللغة العربية[٢].

وعلى الرغم من حرص الدكتور مصطفى جواد على ضرورة استعمال اللفظ الصحيح في مكانه المناسب له، فانه أيضا كان من الدعاة إلى تسهيل النحو الذي هو ميزان تأليف الكلام، آخذاً على مؤلفي النحو المعاصرين أنهم لم يأتوا بشيء جديد في تسهيل هذا العلم، والمثال الذي ضربه على ذلك كتاب مدرسي ومقرر تعليمي هو (النحو الواضح).

وكان شديد النقد لمن يعبث بالقواعد النحوية بدعوى العلم بها ولاسيما من اللغويين المصريين، فلم يكن يتوانى عن انتقاد المجمع اللغوي في مصر واسند إلى باحثين مصريين أخطاء كثيرة ودخل معهم في جدل علمي عميق، من قبيل رأيه في المشتق الذي(سموه المصدر الصناعي باستعمال ياء النسب وتاء التأنيث) وعّده من أكثر المشتقات الصرفية التي فشت في كتب الصرف في العالم العربي الحاضر وهي مغلوطة، منتقداً المجمع اللغوي بمصر أنه أيد هذه التسمية. ورأى أن الصحيح هو أن المشتق ليس بمصدر وإنما هو قياس صناعي لا يعمل عمل فعله كما في كلمتي الإنسانية والجاهلية. آخذاً على (كُتّاب العصر أنهم لا يميزون بين المضاف والمنسوب لظنهم إياهما متساويين في القوة وليس ذلك بصواب، فالمضاف الجنسي يؤدي جميع معنى المنسوب، والمنسوب لا يؤدي جميع معنى المضاف)[٣].

ووجد المشكلة مع قواعد الصرف أشد تعقيداً من مشكلة النحو وأكثر تفريطا في حق اللغة العربية. والسبب إتباع المذهب البصري الذي وجده مذهبا منافيا لطبيعة اللغات، وأن ما قاله البصريون عن المصدر وأنه أصل المشتقات هو ضرب من العبث ويجب حذفه من كتب الصرف في مدارس العالم العربي وإحلال رأي الكوفيين محله[٤].

ومما أخذه على الصرفيين قولهم: إن أكثر أوزان أسماء الآلة استعمالا بالقياس هو مفعل ومفعال ومفعلة بينما الصحيح هو استعمال وزن فعّال لخفته وسهولته كما أن العربية في العصر الحاضر أحوج ما تكون إلى وزن فعّال[٥] كما أخذ على أهل الصرف القول بالمطاوعة التي يشيع ذكرها في كتب الصرف ووصفها بأنها خرافة عجيبة؛ لأن أثر الفعل يظل قائما سواء أكان متعديا أم لازما ويظلّ المطاوع هو المفعول به الذي يصير فاعلا مثل قولنا(باعدت زيدا فتباعد)، فالمطاوعة هنا هي زيد[٦].

ولا جرم أن يكون الدكتور مصطفى جواد جريئاً وهو يجاهر بما يراه صحيحاً لغوياً غير متوانٍ عن

---

[٢] المصدر السابق، ص٩

[٣] المصدر السابق، ص١٣

[٤] ينظر: المصدر السابق، ص١٣

[٥] ينظر: المصدر السابق، ص٢٠

[٦] ينظر: المصدر السابق، ص١٧

فضح من يُشيع الخطأ اللغوي والمتهافت من القول متصوراً أنه على صواب. وشبّه مصطفى جواد الكلام المتهافت لركته بالجبة التي كَثُرَ الترقيعُ فيها حتى ذهب شكل نسيجها الأول.

ولأنه شديد الاهتمام بما يلقن من علوم العربية في المدارس وما يدَّرس من قواعدها الصرفية كشف عن كثير من المسائل الصرفية التي جلبت ضرراً إلى اللغة العربية، ومنها مسألة النسبة إلى وزن فعيلة كالطبيعة التي يشترط مع العلمية توافر الشهرة كربيعة وبجيلة.

وأيّد جعل الجمع دالا على المفرد مثل فلان الحقوقي والشعوبي والملوكي؛ لأن المراد النسبة إلى الجمع لا المفرد.

ولأن البحث اللغوي هو غايته جعل اللغة وسيلته التي بها تصبح حججه دامغة، ومن ذلك قوله: (إن اللغة وسيلة لا غاية فما ظنك بأن تكون الغاية باطلة واهية)[٧] وهو رأي معاصر يرتقي الى ما تنادي به الدراسات التوليدية واللسانية

ومن غاياته الأثيرة التي كرس لها جزءاً مهماً من مساعيه البحثية مسألة الإحصاء والفهرسة المتمثلة بالمعجمات التي وجد أن الحاجة إليها ماسة وبها تُحلُّ المشكلة الأساسية عن الفصيح وغير الفصيح، مدللا على أهمية تبويب المفردات وتنسيقها، فبها نعرف المولد من المستعرب والمشتق من القياسي والكلمات المعربة من الانكليزية أو الفرنسية. وفي إطار هذا الاهتمام بالمعجمات كان سعي الدكتور مصطفى جواد متوجها نحو إعادة الاهتمام بدراسة القرآن لغويا ونحويا مع جعل الإحصاء المعجمي غير مقتصر على المفردات وإنما يشمل الجمل أيضا.

ومن شدة اهتمامه بالعمل المعجمي وإحساسه بفائدته الكبيرة ومردوداته الايجابية على اللغة العربية، كان هذا التعداد الوافي للمباحث اللغوية التي عرفها عصر النهضة الأدبية واللغوية منذ نهايات القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العالمية الثانية، وهي على النحو الآتي:

١) أبو الثناء الالوسي في كتابه(كشف الطرة عن الغرة) وعدّه مصطفى جواد أول المباحث اللغوية التي تكلمت في المصطلحات العلمية بالعراق.

٢) الأب انستاس ماري الكرملي في مجلته التي أسسها واسمها(لغة العرب) وكان أول صدورها ببغداد عام ١٩١١ وتوقفت عام ١٩١٤ بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ثم عاودت الصدور حتى العام ١٩٣١ وفيه توقفت عن الصدور فكان عدد مجلداتها تسعة[٨]. و(فيها من أفانين الكلام على المفردات والمصطلحات العامية والفنية والتراكيب والنقد الأدبي فضلا عن المباحث الأخرى في التاريخ العام والتاريخ الخاص تاريخ العراق والسيرة الاجتماعية ونشر الرسائل المخطوطة والنصوص المكتوبة

---

[٧] المصدر السابق، ص٢٥

[٨] المجلد في المتداول اسم مذكر لكن مصطفى جواد استعمل مجلدة، مؤكدا أن العرب استعملتها مؤنثة ومن ثم يجب القول (مجلدات تسع)

والنوادر ولاسيما الخفية في عدة فنون)[٩] وتابع العمل بعد الأب انستاس الدكتور أمين المعلوف كما شارك الدكتور مصطفى جواد في الكتابة فيها منذ عام ١٩٢٨ إلى أن توقف صدورها. وجدير بالذكر أن للكرملي مجلة أخرى اسمها (دار السلام) صدر أول عدد منها عام ١٩١٧ ولكن وجهتها كانت سياسية.

٣) رزوق عيسى في كتابه(المنحوت العامي واللفظ الدخيل في لغة بغداد) ووصفه مصطفى جواد بالمعلم الباحث وعدّه أول من سار على أثر الكرملي. ولعيسى أيضا كتاب(عوام العراق) وهو كتاب تأسيسي، لأنه أول من أكد أهمية العامية وضرورة عدم إهمالها؛ لأنها متصلة بالفصيحة، وهو ما داوم مصطفى جواد على تأكيده فـ(الصلة بين الفصيحة والعامية لم تتقطع في زمان من الأزمنة، ولان العامية تعين أحيانا على دراسة أسرار الفصيحة ومظاهرها.)[١٠]

علما أن رزوق عيسى هو أول قاص نشر قصة في مجلة وكان عنوانها(فتاة بغداد) في العام ١٩١٠ سابقا بذلك محمود تيمور وميخائيل نعيمة (وهذا ما أثبتناه في كتابنا المعنون " قصة القصة.." الصادر عام ٢٠٢٠). وستتخذ قاصة عراقية هي حربية محمد من عنوان هذه القصة اسما أدبيا لها، وبه تنشر قصصها في المجلات والجرائد ثم فيما بعد تخلت عن هذا الاسم وصارت تنشر باسمها الحقيقي لاسيما بعد صدرت مجموعتها القصصية الأولى(جريمة رجل) عام ١٩٥٣.

٤) معروف الرصافي في كتابه(دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة) عام ١٩٢١ وفيه تناول ما دخل إلى الكلام من ألفاظ تركية وله كتاب آخر عنوانه(دفع المراق في كلام أهل العراق) وفيه عالج صرف اللغة العراقية العامية وأساليب التعبير بها. ومثله كان الأب انستاس الذي أدرك أهمية العامية في توطيد الفصيحة فأتم العمل الذي قام به الرصافي في كتابه أعلاه بأن جمع حكايات شعبية بغدادية وعددها أربع وخمسون حكاية في كتابه(ديوان التفتاف).

٥) الدكتور أمين المعلوف في معجمه العسكري وفيه اقتراحات لمصطلحات عربية تقابل المصطلحات العسكرية الانكليزية في الرتب والفنون الحربية وقد استعملها الجيش العراقي و(كان من أصحاب الملك فيصل الأول انتقل معه إلى سورية ثم العراق)[١١] ولم يقبل الدكتور مصطفى جواد استعمال كلمة الإيعاز من الوعز للدلالة على الأمر العسكري العملي. ورأى أن الأفضل استعمال الوزع فهو مستعمل عند العرب وخاص وليس عاماً كالإيعاز.

٦) أبو قيس عز الدين علم الدين التنوخي السوري ومعجمه للمصطلحات العلمية عام ١٩٢٤ وفيه ترجم الألواح التشريحية لكتاب الطبيعيات للفرنسي فرنان وسمّاه (مبادئ الفيزياء) حملا على كيمياء. ورأى الدكتور مصطفى جواد أن بالإمكان استعمال فيزيك. وكان الكرملي قد اعترض على فيزياء ورأى أن الأحسن هو فوزيقى على وزن موسيقى كما رفض مبادئ وفضّل بدلها مجموعة معارف

---

[٩] المصدر السابق، ص٧٦

[١٠] المصدر السابق، ص٥٨

[١١] المصدر السابق، ص٧٦

أولية وهو ما لم يوافقه عليه مصطفى جواد؛ إذ إنّ هناك أكثر من عشرين كتابا مطبوعة باسم مبادئ مثل مبادئ التصريف للزنجاني ومبادئ السالكين ومبادئ اللغة وغيرها[١٢].

٧) ساطع الحصري الذي كان أول الأمر عضوا في المجمع اللغوي الذي أنشاه النادي الأدبي[١٣] الذي تأسس عام ١٩٢٥ وتكوّن من مجموعة من رجال العلم والأدب ومنهم الشاعران الزهاوي والرصافي وتوفيق السويدي وعبد اللطيف ثنيان وثابت عبد النور. وحين تولى الحصري منصب مدير عام المعارف ـ الذي هو نفسه وزير التربية اليوم ـ أنشأ عام ١٩٢٦ مجمعا لغويا وباعتماد مالي وتكليف رسمي للأب انستاس والرصافي أن يتوليا انتخاب الأعضاء وخلال شهرين اكتمل عدد الأعضاء الثمانية وهم طه الراوي وعز الدين علم الدين التنوخي وأمين المعلوف وأمين كسباني وتوفيق السويدي ورستم حيدر. وانتخب رفائيل بطي سكرتيرا للجنة وتم في ٧ تشرين الأول ١٩٢٦ عقد أول اجتماع للمجمع اللغوي ووضعوا خلاله منهجا للعمل سموه تعليمات لجنة الاصطلاحات العلمية في وزارة المعارف.

وللحصري رأي مهم في النحت بوصفه وسيلة لغوية مثله مثل الاشتقاق والتعريب اللذين لا يكفيان لتوليد الكلمات؛ لذا يكون النحت مهماً في تكوين المفردات ومنه تكوّنت أغلب الأفعال الرباعية والخماسية[١٤] وأحصى الحصري عدد الكلمات المنحوتة فوجدها ثلاثين، مؤكداً أن لا مسوغ للتخوف من النحت في إشارة إلى الكرملي الذي رفض النحت بحجة أن لغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت فعدد المنحوتات عندنا عشرات وعندهم بالألوف. وقد وافقه مصطفى جواد الرأي خشية من التفريط في الأسماء.

٨) الدكتور مصطفى جواد في كتاب (نشوء اللغة ونموها واكتمالها) الصادر عام ١٩٣٨ وفيه مقالات كثيرة فيها دافع جواد عن الكرملي وكتابه(أغلاط اللغويين الأقدمين) وأصدره عام ١٩٣٣ وأحدث ضجة كبيرة في العالم العربي. وأرّخ أعمال المجمع اللغوي ولاسيما جهود ساطع الحصري اللغوية.

وللدكتور مصطفى جواد بحث لغوي نشره في مجلة "عالم الغد" عام ١٩٤٣ بعنوان(قل ولا تقل) ورتب المفردات على حروف المعجم. وفيه يذكر الفصيح ويشفعه بالغلط والضعيف. ثم كتابه (المباحث اللغوية في العراق) وهو عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية عام ١٩٥٤ وفيه ذكر جهود باحثين مغمورين لكنهم كانوا رياديين منهم الدكتور داود الجلبي الموصلي صاحب كتاب(الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية) ١٩٣٥ ومنهم أيضا محمود شكري الالوسي الذي ألّف عام ١٩٣١ كتاب(الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر) وعبد المسيح ثروت الذي زاد على الاصطلاحات العسكرية مما وضعه أمين المعلوف لتسهيل تعليم الجيش العراقي بالعربية والسيد محمد

---

[١٢] ينظر: المصدر السابق، ص٧٧

[١٣] تأسس النادي الأدبي عام ١٩٢١ ومن اقتراحاته إقامة سوق عكاظ ببغداد عام ١٩٢٢ وتعليم الأميين وترجمة الكتب وتعريب الكلمات للاصطلاحات العلمية.

[١٤] ينظر: المصدر السابق، ص٩٢

اكبر خان وهو بيطار هندي كان ضابطا ببغداد فألف(الاقرباذي البيطري) عام ١٩٢٦ ذكر فيه ما يخص الطب البيطري الانجليزي بالعربية وساعده أمين المعلوف ورتبه على حروف المعجم.

ونقل مصطفى جواد عن مصطفى الشهابي أنه نشر في عام ١٩٥١ في المجلد الرابع من مجلة المقتطف (أن العراق أول من سنَّ تشريعا بأن تكتب لوحات المتاجر باللغة العربية فوق أي لغة أجنبية وهو أول من لبى دعوة حكومة مصر إلى عقد مؤتمرات لتوحيد الثقافة في الأقطار العربية)[١٥] ومما اهتم مصطفى جواد بذكره من آراء في كتابه(المباحث اللغوية في العراق) ما يأتي:

أ- إن الاشتقاق قياسي في اللغة مطلقا، وأنه ضروري في أسماء الأحداث ولا بد منه، إذ (قلّما يعجزه أداء مصطلح من الاصطلاحات الغربية الاشتقاقية على الضد من اللغوي الغربي فانه يلجأ غالبا إلى التركيب المزجي والنحت أو الكسع (التصدير))[١٦] ورأى في اللغة العربية مقدارا كبيرا من الاشتقاقات التي أهملتها المعجمات اللغوية.

ب . إذا كان الاشتقاق غير ممكن فبالتصريف على أن تكون الكلمات مأنوسة ولا وحشية كما أن السماع ليس شرطا فقد تكون العرب نطقت ولكن فات الرواة نقله.

ج . استحسان تغيير المعّرب الذي لا يرد إلى وزن من أوزان الكلمات العربية بأن يكون قريباً من اللهجة العامية إن أمكن كما في شهنشاه المغيرة من شاه نشاه وإذا كان في التعريب نفور غيرت اللفظة مثل اتومبيل التي غيّرها الرصافي إلى تومبيل.

د ـ استعمال العامة أكثر اعتبارا من وضع الخاصة فيما عدا المصطلحات العلمية فالأمر فيها بالعكس[١٧].

وبسبب اهتمامه بالاشتقاق عمل في لجنة ترجمة معجم في العلوم الطبيعية اعتمد فيها الاقيسة الاشتقاقية المطردة التي وصفها بأنها(عروق نابضة في اللغة العربية) وكان رافضا التحجر في اللغة لكنه لم يكن من دعاة التساهل الكثير كما كان يرى كثيرا من الاستعمالات اللغوية تحتاج إلى التأنيث الذي هو كثير الاستعمال في لغتنا ومنها كلمة عضو التي عدّها الزيات مذكرة، وخالفه الدكتور مصطفى جواد وأجاز تأنيثها، فالعرب يقولون كوكب وكوكبة وبياض وبياضة وعجوز وعجوزة[١٨].

ومن كتبه الأخرى كتاب المعجم المستدرك وكتاب الصبح النذير للمصباح المنير وكتاب قل ولا تقل في السُنة على الفصيح والصحيح والمليح وكتاب فقه اللغة العربية وكتاب نهج السداد في كلام النقاد وكتاب معجم الجمل العربية الفرنسية وغيرها.

---

[١٥] المصدر السابق، ص١٠٤

[١٦] المصدر السابق، ص١٠٩

[١٧] ينظر: المصدر السابق، ص٨٣ .٨٤

[١٨] المصدر السابق، ص١٢٥

ولأن الأب انستاس ماري الكرملي هو أكثر الكتّاب اهتماما وأوسعهم نتاجا في مجال المباحث اللغوية، استفاض الدكتور مصطفى جواد في تعداد جهوده اللغوية، واصفاً إياه بأنه أعلم اللغويين بالمصطلحات العلمية والفنية، وهو فيها أكثر علما من علمه بالنحو والصرف العربيين[١٩] مؤكدا أن آراء الكرملي في المصطلحات كلها صواب، وأنه كان يصدر كل سنة مجموعة منها وينشرها في مجلته.

بيد أن الدكتور مصطفى جواد آخذ الكرملي على تخطئة جرجي زيدان في استعمال الفعل تعاصر في كتابه(تاريخ آداب العرب) ووجد أن هذه التخطئة غير صحيحة، لأن تعاصر من القياس على مفاعلة بمعنى مشاركة التي تؤدي غالبا إلى التفاعل وأن لا تفاعل بلا مفاعلة. واستشهد بنصوص من كتب الأقدمين كابن خلكان والقفطي والسخاوي تدلل على أنهم استعملوا الفعل تعاصر بالقياس على تفاعل ومفاعلة وهم (أدباء مشهورون استعملوا التعاصر منذ العصور الإسلامية القديمة. وفي استعمالهم دليل عمل إثبات القياس فكيف يصح قول الأب انستاس ؟)[٢٠].

وخطّأ الدكتور مصطفى جواد الكرملي أيضا في استعماله(معلمة) تعريباً لكلمة انسكلوبيديا الفرنسية وفضّل استعمال دائرة المعارف كما فضّل استعمال دار الكتب بدلا من خزانة الكتب لكنه وافق الكرملي استعمال العلواء لتسمية القصة الملحمية.

ختاما.. فإن البون يصبح أكثر اتساعاً كلما قارنا بين ما كان يجري من نشاط لغوي في مطلع القرن العشرين إلى منتصفه وبين ما جرى ويجري من خمود في النشاط اللغوي في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين. وكأن تعمقنا في المساعي اللغوية الماضية يجعلنا أكثر اصطداماً بما لا جذوة له حاضراً. وها هو نشاط علم واحد من أعلام العربية في العصر الحديث يُعادل نشاط مجمع بكامله في الزمان المعاصر.. فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل والمنتهى.

---

(١٩) ينظر: المصدر السابق، ص٥٨

(٢٠) المصدر نفسه.

الهوية الروحية للغة العربية

الأستاذ الدكتور حسن منديل حسن العكيلي
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

المقدمـة:

يتناول البحث الهوية الإسلامية الروحية للغة العربية والناطقين بها والعلماء القدماء الذين بذلوا الجهود المخلصة في خدمتها ووضعوا علومها، ويتجاوز الموضوع ما اعتاد عليه الدارسون المعاصرون في كتب اللغة والنحو التعليمية، ليخوض في أعماق اللغة الكريمة وهويتها الاسلامية الروحية التي اختارها الله تعالى؛ لنزول كتابه الكريم.

ولا شكّ في أنّ مثل هذا الاتجاه من البحوث ضرورة في ظلّ الحضارة المادية المعاصرة التي أهملت الجانب الآخر من حياتنا: الجانب الروحي، ولا سيما في اللغة العربية التي ارتبطت بالقرآن الكريم والإسلام ارتباطاً روحياً لا انفصام له، إذ لا يقوم أحدها بدون الآخر. هذه الصلة الروحية بين الإسلام والعربية حتمية أقرها المستشرقون قبل العرب[١]. وإن نشأة علوم اللغة العربية في ظل الأجواء الروحية الإسلامية جعلت علماء العربية والناطقين بها يتأثرون بتلك الأجواء الروحية السائدة بين المسلمين ولا سيما لدى الطوائف الأولى من علماء العربية، ولدى الصوفية فيما بعد.

وقد استوى البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة، تناول **التمهيد دلالة الروح والروحية، وتناول المبحث الأول: الهوية الروحية للعلوم العربية، والمبحث الثاني تناول: النظرة القدسية للغة العربية، والمبحث الثالث: تناول الدلالات الروحية للغة العربية.**

وخرج البحث بنتائج منها أنّ ثمّة صلة روحية بين اللغة العربية والناطقين بها؛ لارتباطها بالدين والقرآن الكريم وعقيدة المسلمين. وهذا ما لمسناه لدى علماء العربية القدماء في دراساتهم في علوم العربية المختلفة.

التمهيد:

الروح والهوية الروحية:

الرُّوح، والرَّوح، والنَّفس في اللغة واحد [٢]، وفي الفلسفة: ما يقابل المادّة [٣]، وقد استأثر الله

---

[١] ينظر: القرآن والقراءة ١٠١.

[٢] ينظر: اللسان ١/١٢٥ ، ومعجم ألفاظ القرآن ٣٦٩.

[٣] ينظر: الوسيط ٣٨١.

نفسه بعلمها، قال تعالى: ((ويسألونك عن الروح قل الرُّوح من أمر ربي)) [٤]؛ لذلك أثارت طبيعتها ومصيرها نقاشاً طويلاً بين المفكّرين. ولم يتفقوا على حدِّها وتفسيرها[٥]، ويرى أكثر الفلاسفة أنّ العقل يعجز عن ادراك كنهها[٦].

وإنّ دلالة الروح في القرآن الكريم مثلها مثل كثير من الألفاظ التي ترد بدلالات مختلفة بحسب السياق، وذكرتها كتب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، بلغت لدى عدد منهم أكثر من عشر دلالات منها: القرآن الكريم، والرحمة، وملك عظيم من الملائكة، والوحي، وأمر النبوة، وجبرائيل (عليه السلام)، وعيسى (عليه السلام)، والحياة، وغير ذلك[٧].

وقد اتصف عصرنا الحضاري بالمادية، إذ غلب الجانب المادي على الجانب الروحي المهم في حياة الإنسان؛ لاعتماد العصر على الآلة والتقانة والصروح الدنيوية وقد تأثرنا نحن المسلمين بهذه الحياة المادية الغربية.

إنّ الجهل بالجانب الروحي لدى الإنسان لا يعني نفي وجوده، وإن الجانب العقلي ليس نقيضاً للجانب الروحي وأنما النقيض له هو الجانب المادي. ولاسيما إنه شرط أساس لعقيدة التوحيد في الإسلام[٨].

لقد أخذ غيرُ واحد من الدارسين على عصرنا المادي وأهله خضوعهم للمنفعة المادية والصروح الدنيوية. وجهلهم بأهمية الحياة الروحية، وقد دعا إليها الأنبياء والصالحون، لما تنطوي عليه من معاني الحق والخير والجمال، وكلها مثل عليا لابد منها للإنسان الذي ينشد حياةً سعيدة. هذهِ الحياة التي كان يحياها أجدادنا ومنهم علماء القرآن الكريم واللغة العربية. وقد بدأت لدى رسول الله (صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم)، وأخذها الصحابة (رضوان الله عليهم)، فالتابعون العلماء، الأولياء، تمثلت أولاً بالزهد والورع والتقشف والإقبال على الله والإعراض عن

---

(٤) الآية ٨٥ من سورة الإسراء.

(٥) ينظر كشاف اصطلاح الفنون ١٨/٣. والموسوعة العربية الميسرة ٨٤١/١.

(٦) ينظر كشاف اصطلاح الفنون ١٨/١– ٢٧.

(٧) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي (١٥٠ هـ)، ص ١٦١، وقد ذكر خمسة وجوه لها. والوجوه والنظائر، لهارون بن موسى ص ١٥٤ وقد ذكر العدد نفسه ومعجم مفردات القرآن للراغب ١٦١، وتحصيل نظائر القرآن الكريم للحكيم الترمذي ص١٤١، ومنتخب قرة عيون النظائر والوجوه لإبن الجوزي ١٣٠، وقد ذكر ثمانية وجوه. وبصائر ذوي التمييز في لطائف القرآن العزيز للفيروز أبادي ٢/ وقد ذكر سبعة وجوه. وكشاف اصطلاح الفنون ٢٧/٣ وقد ذكر وجوهاً كثيرة. والكليات لأبي البقاء الكفوي ومعجم غريب القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي ٧٥، وينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تاريخ وتطّور، رسالة ماجستير، عبد الرحمن مطلك الجبوري ٢٩٢.

(٨) ينظر: الغيب اللآلهي، شاكر عبد الجبار ٦، ١١.

الدنيا والعكوف على العبادة [٩].

وجاء في مقدمة تحقيق كتاب (كشاف اصطلاح الفنون) للتهانوي: ((إنّ هذا الجانب الروحي كان أخْصَب نواحي التراث الإسلامي، وأكثرها دلالة على ما سمّاه ابن خلدون بكثرة العمران))[١٠]. العمران))[١٠]. وهذا الجانب الأساس في حياة المسلمين انعكس في لغتهم فنجد كثيرا من القيم الروحية التي تضمنتها اللغة العربية وتناولها البحث.

الهوية لغة واصطلاحا:

" إن المعاجم العربية القديمة تخلو منها من هذا اللفظ، وقد وضعه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من الضمير (هو)"[١١]. وثمة فرق دلالي بين (الهَوية– بفتح الهاء وضمها)، وكما جاء في (لسان العرب)، الهَوية (بفتح الهاء):"البئر بعيدة المهوان، والهُوّة، البئر أو الحفرة البعيدة القعر"[١٢]. أما كلمة (الهُوية) (بضم الهاء). فهي كلمة جديدة، مع ذلك فإنها قد استقرت كاصطلاح له تعريفاته التي تعكس مفهوم المعرفين له.

إن هوية الإنسان هي حقيقته التي تميزه من إنسان آخر، وهي التي يحددها إنتماؤه، لذا بعض التعاريف تربط بين الهوية والإنتماء مما يجعل الهوية محصلة الإنتماءات.

وعرفت الهوية بأنها، (منظومة من الخصائص والعناصر المادية والمعنوية المكونة لوجود شيء ما والتي تميزه من الأشياء الأخرى بصورة عامة على الرغم من وجود عناصر وخصائص متشابهة). وعرفت ب (كل ما يحدد وجود الإنسان وكينونته من العناصر والخصائص المادية والمعنوية).

وهوية الجماعة هي كل ما يحدد وجود الجماعة البشرية وكينونتها من العناصر والخصائص المادية والمعنوية التي تتفرد بها عن سائر الجماعات الأخرى على الرغم من وجود التشابه الجزئي بين الجماعات البشرية. شريطة أن يصاحبه وعي الجماعة بهذه الخصائص والعناصر

---

[٩] ينظر: الحياة الروحية في الإسلام ٣-٢٤.

[١٠] ينظر: كشاف اصطلاح الفنون ١/هـ.

[١١] جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج٢،م س ذ ، ص٥٣٠. وينظر أيضا ما يؤيد هذا الراي في كل من : ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة، ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ٢٠٠٤، ص٣٨٤. ؛ عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٩١١؛ محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، ج٢، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦، ص١٧٤٥-١٧٤٦؛ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ص٦٥٤.

[١٢] ابن منظور، لسان العرب، المجلد ١٥، ط٣، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص١١٦-١١٧.

المكونة لذاتها وإدراكها لها...التي هي موضع الاعتزاز. وإذاً فإن الهوية تبنى على أساس الصورة التي تراها الجماعة لنفسها وتنال اعتراف الآخرين بهذه الصورة عن الذات، وهنا تبرز أهمية ودور الآخر في مسألة الهوية.

وفي كل أنواع الهويات الجماعية تتعلق الهوية بالشعور بالانتماء المشترك بين أعضاء المجتمع الواحد إلى شيء يعدونه مشتركاً بينهم. سواء أكان هذا المشترك أرضاً (إقليماً جغرافياً)، أم ثقافة أم لغة، أم وطن، والرغبة في التفاني والتضحية في سبيله، فمسألة الهوية تنطوي في الأساس على **معانٍ رمزية وروحية وحضارية جماعية، تمنح الفرد إحساساً بالإنتماء إلى جسم أكبر، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الأكبر**(١٣).

المبحث الأول:

الهوية الروحية للعلوم العربية:

ينظر جل علماء العربية القدماء إلى اللغة العربية نظرة قدسية روحية، تحمل بين طياتها كثيراً من السمات الروحية والقيم؛ لارتباطها بالقرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف، وكان هذا من أهم بواعث عنايتهم بها.

يرى أحد المستشرقين: وجود رابط عضوي بين الوحي الاسلامي واللغة العربية أما الكتب السماوية الأخرى فيقول عنها : ((لا يوجد أي رابط عضوي مدعى بين هذه الدعوة (دعوة عيسى (عليه السلام) في الإنجيل وألواح موسى (عليه السلام) وبين اللغة المستعملة))(١٤) ذلك إن عيسى (عليه السلام) كان يعيش في وسط لساني شديد الاختلاط. وكذلك لم يجد هذا الترابط بين ألواح موسى (عليه السلام) وبين لغة معينة وهو أمر مسكوت عنه.

أما الصوفية فيرون معجزة العربية روحية خالصة، إذ خلف كل حرف روح، وأن الكلمة تعبر عن (الحقيقة المحمدية) لا عن صورتها، في العقل الأول وهي المبدأ العقلي الكوني، وهي أصدق التجليات الإلهية في صورة الإنسان الكامل. ولهم في ذلك أُطروحات فلسفية لا يقبلها الظاهريون، إذ إن اللغة عندهم توازي الأشياء وهي حقيقة الحقائق، سابقة على وجود العالم وعنها يصدر العالم، وإنها مستودع الأسرار(١٥).

إن الباحث اللغوي الذي يضع ذلك نصب عينيه، ويأخذ بأهداف واضعي علوم العربية ومناهجهم وطرائق تفكيرهم، ويحمل إيمانهم يكون قريبا من طريقة فهم مصنفاتهم وأطروحاتهم في دراسة اللغة. قد يكون هذا خافياً على كثير من الباحثين المعاصرين وبواعث ما بلغه القدامى من

---

(١٣) تعريف الهوية لغة واصطلاحا (bouhoot.blogspot.com).

(١٤) القرآن وعلم القراءة ، جاك بيرك ١٠١.

(١٥) تراث الإسلام ٢/١١٤.

دراسات خالدة ونتائج عظيمة. لذلك نوصي بالعودة إلى المتقدمين ونظرتهم القدسية الروحية الى اللغة العربية.

وقديماً أخذ ابن الجوزي على أهل اللغة الذين لا يحملون هذه الأهداف، ورأى أنّ الشيطان قد لَبَسَ عليهم، وذكر روايات لبعض النحاة المادية الدنيوية[١٦].

وقد كرّم الله تعالى علماء العربية الذين خدموها مخلصين لله في ذلك، فكانوا أولياءه حتى المتأخرين منهم كالسيوطي فقد ذكر ابن العماد من كراماته الكثير[١٧]، وأبي حيان الذي انقطع عن الدنيا إلى الله تعالى وترك الأهل والبلد والولد[١٨].

إن الناظر في كتاب ((غاية النهاية في طبقات القرّاء)) لابن الجزري، لا يكاد يجد نحوياً أو لغوياً غير متخصص بالقرآن الكريم. فالرعيل الأول الذين وضعوا علوم العربية، كان باعثهم نظرتهم القدسية لها، وصلتهم الروحية في لغة القرآن الكريم. لا يشذّ أحدٌ عن هذه القاعدة إلى زمن متأخر في القرن الثامن للهجرة ذكرهم ابن الجزري في بلدان مختلفة: منهم: أبو الأسود الدؤلي وتلامذته، أبو عمرو إبن العلاء والخليل والرؤاسي والأخفشان الكبير والصغير والأصمعي والزجّاج وابن النحاس وثعلب وابن الأنباري ونفطويه والعكبري وابن بابشاذ والادفوي وابن عقيل والواحدي وابن خالويه وابن الخشاب وابن خروف وابن الدهان وابن أبي الربيع والسمين النحوي والسهيلي وابن عدلان والمبرّد والمازني وابن الحاجب وأبو اليمن الكندي وأبو حيان[١٩]، وغيرهم الكثير.

إن التعرف على الصلة الروحية بين العربية وعلمائها والناطقين بها، يفيدنا في فهم نتاجهم العلمي الذي لابدّ من أنه مرتبط بشخصهم وبأخلاقهم وبزهدهم وانقطاعهم إلى الله:

((قال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: قدم أبو عمرو بن العلاء يوماً ليصلي بالناس وما كان يؤم فيقدم اضطراراً، فلما تقدّم ، قال للناس: استووا، فغشى عليه، فلم يفق إلا بالغد، فقيل له في ذلك، فقال: وقت ما قلت لكم: استووا، وقع في قلبي خاطر من الله تعالى كأنه يقول لي: يا عبدي هل استويت لي قط طرفة عين حتى تقول لخلقي استووا ؟))[٢٠]. أما الخليل بن أحمد الفراهيدي – رحمه الله – فقد بلغ الغاية في هذا الجانب، كيف لا ؟ وهو الذي قالوا فيه: إنه خُلق من المسك

---

(١٦) تلبيس إبليس ١٢٦.

(١٧) ينظر : شذرات الذهب ٧٩/٨.

(١٨) ينظر : مقدمة البحر المحيط الجزء الأول.

(١٩) ينظر أرقام التراجم ٣٧٦٢ ، ٢٩٩٦ ، ١٤٩٣ ، ١٩٦٥ ، ٣٣٧٣ ، ٣٢٤٠ ، ١٧٩٨ ، ٢٦٨٠ ، ١٩٩٧، ٣٥٥٥ ، ٢١٨٩ ، ١٠٨٣ ، ٣٢٧٢ ، ٢٥٠ ، ١٥٧٩ ، ٦٩٢ ، ٣٢٧٢ ، ٣٤٥٥ ، ٢١٠٤ ، ١٢٨٣ ، ٢٥٤٣، ٣٥٣٨ ، ١٣٠٨ . وغيرهم الكثير.

(٢٠) التعرف ١١٤ ، ذكر ذلك بعنوان : (تنبيه الله إياهم بالخواطر).

والذهب، وكانت الدنيا تأكل بعلمه وهو في خصّ لا يُشعر به. وهو ولي من أولياء الله تعالى، وهو الذي استوت على يديهِ جميع علوم اللغة العربية.

وقالوا في دين وورع القاسم بن سلام: ((كان يقسِّم الليل أثلاثاً : فيصلِّي ثلثه، وينام ثلثه ، ويصنع الكتب ثلثه)) وقالوا: ((كان فاضلاً في دينه وعلمه ربّانياً مغنياً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار، حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمره ودينه))(٢١).

وهذا أبو حاتم الرازي صنّف كتاباً(٢٢)، واضح الهدف الروحي الإسلامي فيه كشف عن الهوية الروحية للعربية وصرّح بذلك مراراً، وعدّها لغة مقدّسة وفضّلها على سائر اللغات ومنها لغته الفارسية، وهذا ما جعل محقق الكتاب يرجّح أن يكون أبو حاتم الرازي من أصل عربي ((ذلك أن حماسه للعربية وفضل العرب ولغتهم ... لا يمكن أن يأتي إلا من إنسان يتصل أصلاً بهذه الأمة))(٢٣).

والذي أراه أنّ المحقق أغفل أن الحضارة الإسلامية قامت على صلة هؤلاء العلماء الروحية بالعربية، لإيمانهم بأنها لغة مباركة، مقدسة، اختارها الله، وأحاطها بالعناية والقدسية، وإن كانوا من أصلٍ غير عربي. والأمثلة على ذلك كثيرة كسيبويه وابن جني وابن فارس وغيرهم...

قال الدكتور مازن المبارك: ((لقد شدّ الإسلام أقواماً غير عرب إلى لغة العرب، ونشر اللغة العربية في بلاد لم يكن لها فيها نصير، ولا للعرب فيها سلطان ... وما زال للإسلام أثره في نشر العربية والحفاظ عليها في البلاد غير العربية، وهو أثر يفوق آثار المراكز الثقافية التي نراها اليوم منتشرة في بلدان العالم للسهر على رعاية لغات معينة كالفرنسية أو الإنكليزية ... ينفقون الملايين في سبيل الدعاية لمراكزهم وثقافاتهم، ونشر لغتهم، على حين أنّ الإسلام يجعل من البلاد التي ينتشر فيها شعوباً راغبة في تعلم لغته، وما أكثر ما نسمع أصواتاً ترتفع في تلك البلاد مطالبة بإرسال المدرسين العرب لتعليم اللغة العربية، أو مطالبين بقبول أبنائها في مدارس البلاد العربية وجامعاتها ليتعلموا اللغة العربية))(٢٤). الا للصلة الروحية بين المسلمين واللغة العربية.

وكان علماء اللغة العربية يؤمنون بقدسية اللغة العربية وفضلها على سائر اللغات ومنها

---

(٢١) صفة الصفوة ١٣٠/٤.

(٢٢) هو كتاب: (الزينة في كلمات الناس ومعانيها)، تحقيق: الأستاذ خسين بن فيض الله الحمداني.

(٢٣) نشر هذا القسم الدكتور عبد الله سلوم السامرائي في آخر كتابه: (الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية) ٢٢٩-٣١٢.

(٢٤) نحو وعي لغوي ١٢٩.

لغات أقوامهم المختلفة، ثم يزدادوا إيماناً راسخا بذلك بعد دراساتها منهم: سيبويه وأبو علي الفارسي وابن جني وابن فارس والزمخشري ... وغيرهم...

قال ابن جني، وهو رومي الأصل، يقول: ((لو أحسّ العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة، وما فيها من الغموض والرقة، لاعتذرت من اعترافها بلغتها))[٢٥]. وقال: ((اعلم أنني على تقادم الوقت دائم التنقير عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري، وذلك إنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك عليّ جانب الفكر حتى يكاد يطمح به إمام غلوة السحر))[٢٦]. وقال الزمخشري: ((اللهَ أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية))[٢٧].

وقد أفرد ابن الجوزي كتاباً كبيراً، ذكر فيه أخبار العاملين بالعلم، الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة)) الذين بنوا الحضارة الإسلامية وكان بينهم الكثير ممن اسهموا في العلوم العربية، الذين أخذوا علمهم من التابعين والصحابة حتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، المعلم الأول[٢٨].

فثمة رابط روحي بين اللغة العربية وعلمائها وهوية روحية للناطقين بها، وقد لا يُحسن التصنيف فيها من يجهل هذا، لهذا لا يمكننا فهم علومهم الفهم الدقيق، وتصانيفهم ما لم نتصوّر طبيعة حياتهم الروحية هذه، وتفكيرهم وهدفهم الأسمى وإيمانهم بقدسية اللغة العربية، فإذا فصلنا ذلك عن أطروحاتهم، قد لا ندركها كما ينبغي. وكان العلماء لا يبتغون بعلمهم عرض الحياة الدنيا، أو الحياة المادية بل الروحية فكثير من كتبهم المعتمدة اليوم كانوا يدعون الله فيها التوفيق وبعضهم يجاورون بيته الحرام في تأليف كتبهم كما فعل الزمخشري في تفسيره الكشاف.

المبحث الثاني:

النظرة القدسية للغة العربية:

يرى كثير من الدارسين القدماء[٢٩]، أن اللغة العربية ليس من وضع البشر، ألهمها الله تعالى للنبي إسماعيل (عليه السلام)، قال ابن قتيبة: ((تعلم اسماعيل العربية من اليمن من ولد يَعْرُب بن قحطان. وكان يعرب أوّل من تكلّم بالعربية حين تبلْبلَتْ الألسن ببابل، وسار حتى ترك

(٢٥) الخصائص ٢٤٢/١ ، وينظر: ٥/٢.

(٢٦) نفسه ٤٧/١

(٢٧) مقدمة المفصل.

(٢٨) في كتابه : (صفة الصفوة) ، ٤ مجلدات ، ذكر ألوفا من العلماء والعبّاد .

(٢٩) الزينة ١٥٠ وفقه اللغة، وينظر: عبد الراجحي ٧٧ – ٩٩.

اليمن في ولده ومن اتبعه من أهل بيته، ثم نطق بعده عاد بلسانه وشخص حتى نزل الشِّحْر [٣٠]، ثم جَديس ثم عِمْليق ثم طَسْم ثم جُرْهُمْ))[٣١].

وهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان، وكانت أنبياؤهم عَرَباً، هود وصالح وشعيب عليهم السلام. قال: ((ولما بَوَّأَ الله لإسماعيل الحرم وهو طفل، وأنْبَطَ له زَمْزَم مرّت به رفقة من جُرْهم فرأوا ما لم يكونوا يعهدونه، وأخبرتهم هاجَر بنسب الصبي وحاله وما أمر الله عز وجل به أباه فيه وفيها، بالمكان فنزلوه، وضَمّوا إليهم إسماعيل عليه السلام فنشأ معهم، وتبع ولدانهم، ثم أنكحوه، فتكلم بلسانهم فقيل نطق بالعربية أي بلسان يَعْرُب...)) [٣٢].

وعن محمد بن علي بن الحسين[٣٣] (رض) أنه قال خلاف ما رواه ابن قتيبة ان يعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية، إذ قال: ((أوّل من تكلّم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام))[٣٤]. وقد أكدت المصادر اليهودية أن إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام من هاجر، جعله الله رأس أمة أخرى[٣٥].

إن البحث اللغوي المعاصر لا يأخذ بهذه الأقوال والآراء، ذلك أن اللغة كالكائن الحي تولد وتنمو وتتفرع ثم تموت. وفي علم اللغة التاريخي ما ينافي هذا أيضاً. لكنها روايات تدلّ دلالة واضحة على نظرة التقديس للعربية وصلة العلماء الروحية بها. ويرون أيضا أن علوم العربية نشأت نشأة روحية.

ويعدّ ابن أبي الحديد الامام عليّاً واضع النحو ويرى ذلك من المعجزات ((لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط))[٣٦]، قال الإمام علي عليه السلام: ((كلام العرب كالميزان الذي يُعْرَف به الزيادة والنقصان، وهو أعذب من الماء وأرق من الهواء، إنْ فسّرته بذاته استصعب، وإن فسّرته بغير معناه استحال، فالعرب أشجار، وكلامهم ثمار، يُثمرون والناس يحتفون بقولهم يقولون، وإلى علمهم يصيرون))[٣٧]. يدلّ على عنايته باللغة وفهمه الدقيق لها وعلى الصلة الروحية بين الإسلام والعربية ووصفه لكلام العرب هذا الوصف لا يبلغه إلا كبار علماء اللغة.

---

(٣٠) مكان بين عمان وعدن ، ساحل ، ينظر: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والاصداع ٢/ ٧٨٥.

(٣١) الزينة ١٤٨.

(٣٢) الزينة ١٥١.

(٣٣) ينظر طبقات ابن سلام ٣٧، والزينة ١٤٨.

(٣٤) نفسه ١٥١.

(٣٥) موسوعة الكتاب المقدس ٣٢٩ – ٣٤٦.

(٣٦) ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١/٨.

(٣٧) الزينة ٧٤.

قال أحمد بن فارس (٣٩٥هـ): ((فإن قال قائل : فقد توافرت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع العربية، وأن الخليل أول من تكلّم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول أن هذين العلمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام، وقلاّ في أيدي الناس ثم جددهما هذان الإمامان...))[٣٨].

وقال أبو حاتم في كتابه (الزينة): ((سمعت بعض أهل العلم يذكر أن الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب محمد بن علي أو من أصحاب علي بن الحسين (رضي الله عنهما) فوضع له أصولاً وقسّم الشعر ضروباً وسمّاه بها. وجعل لتلك الأقسام دوائر وأسطراً وبناه على الساكن والمتحرك))[٣٩].

ورأى بعضهم أن طريقة التقليبات التي وضعها الخليل (رحمه الله)؛ لإحصاء جذور العربية وأصولها، هي طريقة قريبة من طرائق الروحانيين المستخدمة لديهم لاستنباط قوى روحية من الحروف والكلمات. ومهما يكن من أمر فأن الخليل (رحمه الله) ليس بعيداً عن الدائرة الروحية الإسلامية التي كان يحياها علماء الإسلام.

وثمّة روايات كثيرة مشابهة، مشتتة في المصادر القديمة، ولاسيما كتب الطوائف والفرق الإسلامية والفلسفية كالصوفية [٤٠]، والمعتزلة [٤١]، والإسماعيلية [٤٢]، وغيرهم، تكشف عن الأصول الروحية التي انطلق منها العلماء في دراساتهم اللغوية.

إلا أننا نجد من المعاصرين، كما نجد من القدماء أيضا. من يطعن في ذلك ويعدّه من قبيل الخرافة، أو نوعاً من العصبية والعنصرية، أو جموداً أمام ما افترضوه من قداسة في اللغة.

من هؤلاء الدكتور لويس عوض وهو يناقش موقع لهجة قريش في العربية، إذ أرجعه إلى العصبية والعنصرية المستمديّن من عقيدة الإسلام التي تضم في طياتها نظام العنصرية والطبقية، وهو زعم باطل يتنافى مع مبادئ البحث العلمي الموضوعي.

لقد حاول الدكتور لويس أن يرسم العصبية المتمثلة في لهجة قريش؛ لأنهم آل النبي وفيهم نشأ، فنشأ الشرف معهم لهذه القبيلة، وتمشّى الشرف وتسرّب إلى لهجتهم فجعلت أفصح اللهجات جميعاً. وزعم أن الفرق الإسلامية كالخوارج والمعتزلة والشيعة كلها كانت ثورات مضادة لهذا

---

(٣٨) الصاحبي في فقه اللغة ١٠.

(٣٩) ص٩١.

(٤٠) مثل: نوادر الاصول والفتوحات المكية والانسان الكامل.

(٤١) مثل كتب أبي حاتم الرازي: الزينة، وأعلام النبوة وغيرهما. ينظر: مقدمة تحقيق كتاب الزينة.

(٤٢) مثل كتب السلطان الخطاب، ينظر: السلطان الخطاب، حياته وشعره ٦٩.

الشرف وتلك السيادة التي زعمت للعرب وبخاصة قريش[٤٣]، ولا يخفى على القارئ ما ذكرناه في أثناء البحث ما يردّ زعمه، بالرجوع إلى كتبهم للكشف عن صلتهم الروحية باللغة العربية ونظرتهم القدسية لها؛ وهم أنفسهم الذين فضلوا لغة العرب على لغاتهم الأصلية كابن فارس وابن جني وغيرهما[٤٤]. ناهيك عن أن قريشا كانوا أشدّ الناس عداء للرسول الكريم (صلَى الله عليه وآاه وسلّم)، وأكثرهم رفضا للقرآن الكريم. وقد تتبع الدكتور عبد الغفار حامد هلال آراءه واحداً واحداً وردّ دعواه فيها، ولاسيما في تسفيهه لأقوال العلماء في أن العربية أفضل اللغات.

فقد قالوا عن ابن فارس وهو من كبار علماء العربية . لم يعش في بيئة عربية، وقد خدم العربية خدمة جليلة وكان يرى أن الله تعالى قد خصّ اللسان العربي بالبيان دون سائر اللغات، وهي ((قاصرة عنه وواقعة دونه))[٤٥] أي سائر اللغات . ولم يقل هذا عرضاً فقد دافع عن رأيه بقوة، فهو يفترض معارضاً فيجيبه جواباً علمياً، ويدعم قوله بالأدلة[٤٦].

وعن أبي عبيد القاسم بن سلام قال : إن للعرب في كلامها علامات لا يُشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه منها إدخالهم الألف واللام في أول الاسم وإلزامهم إياه الإعراب. وذكر أمثلة كثيرة[٤٧].

واستدل أبو حاتم الرازي على ذلك بأن ((ألفاظاً كثيرة لا تُنقل عن لغة العرب إلى سائر اللغات ولا توجد لها ترجمة))[٤٨]، وقد تناول الموضوع بمزيد من الإيضاح.

كان هؤلاء العلماء يرون أن في لغة العرب جانبا روحيا وأسراراً غيبية، وإنها لا يحيط بها إلا نبي. قال الأزهري: ((لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، وما نعلم أحداً يحيط بجميعها غيرَ نبي، ولكنها لا يذهب منها شيء على عامّتها حتى لا يكون موجوداً فيها))[٤٩].

قال أبو حاتم الرازي: ((فعلى هذا لغة العرب متمكنة على سائر اللغات. واللغات كلها منقادة لها وأقبلت الأمم كلها إليها يتعلمونها رغبة فيها، وحرصاً عليها، ومحبة لها وفضلاً أبانه الله

---

[٤٣] ينظر : مقدمة في فقه اللغة العربية ، الدكتور لويس عوض٦٧ ، وأصل العرب ولغتهم، الدكتور عبد الغفار حامد هلال٦٤.

[٤٤] الصاحبي ٤٠.

[٤٥] أصل العرب ولغتهم ٦٥.

[٤٦] الصاحبي٤١.

[٤٧] للمزيد ، ينظر : فقه اللغة ، عبده الراجحي ١٠٠.

[٤٨] الزينة ٧٤.

[٤٩] ينظر مقدمة تهذيب اللغة.

تعالى فيها للناس ليبين لهم فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء صلى الله عليهم ...))[٥٠].

فقد كانوا لا يفصلون بين العربية والدين الإسلامي، فلا يكون أحدهما بدون الآخر. فالصلة بينهما روحية إذ أنتخبها الله تعالى لنول القرآن الكريم ولشريعة الإسلام.

قال الأستاذ زكي مبارك : ((إن لغتنا العربية ليست مجرد أداة للتفاهم بين الناس، يسهل الاستغناء عنها، أو استبدال غيرها بها. إن الذين خدعهم تعريف بعض اللغويين للغة حين قالوا: إن اللغة أداة يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، يجب أن يدركوا أن لغتنا لم تعد مجرّد رموز نشير بها إلى المسميات، ولا مجرّد وسيلة للتعبير عن الأغراض، وإنما هي عندنا أعلى من ذلك وأغلى أنها لغة عاشت حياة أمتنا منذ أن تبلبلت بحروفها ألسن العرب إلى يومنا هذا، فنجد بينها وبين المخلصين من الناطقين بها ما يشبه أن يكون صلة العضو بالعضو، أو صلة الروح بالروح ... إن ألفاظ العربية اليوم ليست مجرد قوالب جافة للأفكار، وإنما هي الصور الناطقة لتلك الأفكار، ولقد أدرك الواعون من العلماء في القديم والحديث هذه الصلة الروحية العميقة بين اللغة والناطقين بها فكأنما نبّهوا عليه أن لغة المرء عادة تؤثر في عقله وخلقه))[٥١].

المبحث الثالث:

الدلالات الروحية للغة العربية:

إن كثيراً من الباحثين يؤكدون على الصلة الروحية بين العربية والناطقين بها، فهي ليست مجرد أصوات يعبر بها عن حاجاتنا، ففي العربية جانب يتجاوز الدلالة الحقيقية بل والمجاز، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولاسيما في لغة القرآن الكريم والعبارات والألفاظ الإسلامية مثل الاستعاذة والبسملة وكلمة التقوى والحوقلة ... وغيرها، ذلك إن العربية والإسلام لا انفصام بينهما، وقد اختارها الله تعالى لهذا الدين الروحي الحنيف، ولولا ذلك لما كان للشعائر الاسلامية والأدعية والذكر وغيرها من العبادات كالصلاة والحج قيم، إذ تكون اللغة الصلة الروحية بين العبد والخالق، فهي توصل الإنسان بخالقه تبارك وتعالى.

لقد تناول الصوفية (البسملة) تناولاً روحياً غيبياً، يستعينون أحياناً بكلام اللغويين والنحويين، وأحياناً يذكرون كلاماً عسير الفهم ما لم نرجع إلى أسس علم التصوف وأصوله ومصطلحاته ومبادئه وفلسفاته كوحدة الوجود والإشراق وغيرها، ومع ذلك يبقى من الغموض ما لا يمكن فهمه ثم قبوله، وقد يرفضون أقوال اللغويين والنحاة ولاسيما تعليلاتهم، وإنما يفعل الله ما يشاء،

---

(٥٠) الزينة ٧٤.

(٥١) نحو وعي لغوي ١٤٠.

يرفع من يشاء ويمنع[٥٢].

فهم لا يرون مثلا علّة لحذف ألف الوصل من (بسم الله) وإسقاطها كما يعلل النحاة واللغويون لكثرة الاستعمال [٥٣]. يقول الشيخ القشيري: ((إن الإثبات والإسقاط بلا علّه... فإن قيل قيل في إسقاط الألف من (بسم الله) كثرة الاستعمال...)) فيرد أقوال النحاة وتعليلاتهم، ثم يقول: ((فلم يبق إلا أن الإثبات والنفي ليس لهما علة، يرفع من يشاء ويمنع من يشاء)) [٥٤] ، والمدهش أن تفسير القشيري للبسملة يختلف من سورة إلى أخرى وهو بهذا يتابع أصحابه الصوفية.

إذ يرون أن البسملة آية في القرآن الكريم، ولا يرون تكراراً في القرآن الكريم، بل يرون أن لكل بسملة دلالة لها صلة وثيقة بدلالة السورة العام. يقول القشيري في تفسير بسملة (سورة الحجر): ((سقطت ألف الوصل من كتابه (بسم الله) وليس لإسقاطها علة، وزيد في شكل الباء من بسم الله وليس لزيادتها علة، ليُعْلَم أن الإثبات والإسقاط بلا علة... يرفع من يشاء ويمنع من يشاء)) [٥٥]، ويقول في تفسير بسملة سورة (النحل): ((ألف الوصل في (بسم الله) لم يكن لها في الحقيقة أصل جُلِبَتْ للحاجة إليها للتوصل بها إلى النطق بالساكن، وإذا وقع ذلك آنفاً عنها أسقطت في الإدراج، ولكن كان لها بقاء في الخط وإن لم يكن لها ظهور في اللفظ، فما صارت إلى (بسم الله) أسقطت من الخط كذلك... وكذلك من ازدادت صحبته استأخرت رتبته. ويقال أي استحقاق لواو عمرو حتى ثبتت في الخط؟ وأي استحقاق إلى الألف في قولهم قتلوا وفعلوا؟ وأيُّ موجب لحذف الألف من السموات؟ طاحت العلل في الفروق، وليس إلا اتفاق الوضع.. كذلك الإشارة في أرباب الرَّد والقبول، قال تعالى[٥٦]: (إن ربك فعّال لما يريد)...))[٥٧].

ويرى الشيخ ابن عربي أن الباء مصاحبة للموجودات ((بدل من همزة الوصل التي كانت في الاسم قبل دخول الباء، واحتيج إليها إذ لا ينطق الساكن فجلبت الهمزة المعبر عنها بالقدر محرّكة عبارة عن الوجود ليتوصل بها إلى النطق الذي هو الإيجاز من إبداع وخلق بالساكن الذي هو العدم، وهو أوان وجود المحدث بعد أن لم يكن وهو السين فدخل في الملك بالميم، (الست بربكم) قالوا بلى فصارت الباء والألف الواصلة فإن الألف تعطي الذات والباء تعطي الصفة، ولذلك كانت العين لإيجاد حق من الألف بالنقطة التي تحتها وهي الموجودات فصار في

---

[٥٢] ينظر : لطائف الاشارات ١/ ٢٦.

[٥٣] الزينة ١٧٠-١٧١ وينظر معاني القرآن ١/ ١-٢.

[٥٤] لطائف الإشارات ٢٦/١ ، وينظر : الفتوحات المكية ١٠٢/١.

[٥٥] لطائف الاشارات ٢٨٤/٢.

[٥٦] هود ١٠٧.

[٥٧] لطائف الاشارات ٢/ ٢٣٤.

الباء الأنواع الثلاثة : شكل الباء والنقطة والحركة، والعوالم الثلاثة، فكما في العالم الوسط توهم، كذلك في نقطة الباء ملكوتية والنقطة جبروتية والحركة شهادية ملكية، والألف المحذوفة التي هي بدل منها هي حقيقة القائم بالكل تعالى واحتجب رحمة منه بالنقطة التي تحت الباء ...))[٥٨].

وهكذا يأتي بمباحث فلسفية غيبية تفصيلية، وتعليلات غريبة، وأفكار روحية غامضة. لا يمكن أن يقبلها الدرس النحوي القديم ولا الحديث على السواء. ثم يقول:

((هذه الباء والسين والميم العالم كله ثم عمل الباء في الميم الخفض من طريقة الشبه بالحدوث إذ الميم مقام الملك وهو العبودية وخفضها الباء عرفتها بنفسها وأوقفتها على حقيقتها فمهما وجدت الباء وجدت الميم في مقام الإسلام فإن زادت الباء يوماً ما لسبب طارئ وهو ترقي الميم إلى مقام الإيمان فتح في عالم الجبروت بسم وأشباهه فأم بتنزيه المحل لتجلي المثل فقيل له: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[٥٩])) الذي هو مغذيك بالمواد الالهية فهو ربك بفتح الميم وجاء الالف ظاهرة زالت الباء لأن الأمر توجه عليها بالتسبيح ولا طاقة لها على ذلك، والباء محدثة مثلها، والمحدث من باب الحقائق لا فعل له ولا بدّ لها من امتثال الأمر، فلا بدّ من ظهور الألف الذي هو الفاعل القديم فما ظهر فعلت القدرة في الميم التسبيح...))[٦٠].

فهو يكثر من التعليلات الروحية لاختلاف رؤيته عن رؤية اللغويين إلى الحروف التي هي مجرّد أصوات لا دلالة إلا بتركيبها، وإنما لها دلالات روحية، بل هي أرواح قبل تركيبها ولا يقف عند هذا الحدّ فهو يرى لنقطة الباء دلالة لا يراها النحاة واللغويون.

كلمة التقوى (لا إله إلا الله):

لهذه الكلمة أهمية روحية كبيرة لدى المسلمين، لأنها تدل على الحقيقة المطلقة، وهذا يفسر لنا كثرة أسمائها لدى المسلمين، منها: كلمة التقوى، وكلمة التوحيد، والإخلاص، والإحسان، والعدل، والباقية، والطيبة والعليا والنجاة والحق وغيرها[٦١].

عن ابن عباس (رض) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ما من الكلام أحبّ إلى الله عز وجل من قول: (لا إله إلا الله)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((خير العبادة قول : (لا إله إلا الله))[٦٢]، فيا لها من لغة شريفة، بضع كلمات منها تحوي خير العبادة، ذلك إن دلالتها الحق. وقد ذكروا فضائل كثيرة لهذه الكلمة منها يحتاج إلى تحقيق ودراسة، إذ لا يوافق

---

[٥٨] الفتوحات المكية ٥٠/١.
[٥٩] الفتوحات المكية ٥١/١.
[٦٠] المصدر نفسه.
[٦١] ينظر: اسرار التنزيل ٥٨-٨٠.
[٦٢] مكارم الأخلاق ٢٩٦.

العقل. ومنها ما يوافقه بتأويل أو دون تأويل، أو بذكاء وإيمان وفطنة. منها: إن كل طاعة فإنه يصعد الملك بها، أما قول: (لا إله إلا الله) فإنه يصعد بنفسه دليله قوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب)[٦٣]، وقد ذكرت المصادر من فضائلها ما يؤيد القول بأن لها قوة روحية وتأثيراً روحياً عجيباً، كأنها شفرات تفكّ الغيب.

قال الحكيم الترمذي وهو من الأولياء الذين يحللون مثل هذه العبارات تحليلا روحياً: ((إنما سمّيت كلمة التقوى لأن العبد إذا نطق بها فإنما ينطق عن نور التوحيد الذي في قلبه، فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك النور له وقاية من النار... فكلمة (لا إله إلا الله) أولها نفي الشرك وآخرها تعلق بالله فلا يقدر العبد أن يتعلق بالله حتى يلزمه الله))[٦٤] . فهي وقاية من الشرك، وإقرار لحقّ الله تعالى خالق كلّ شيء. ثم يفسّرها تفسيراً روحياً على طريقة الصوفيّة وعلم الحروف [٦٥].

وأما لفظ الجلالة (الله) فهو أربعة أحرف، والاسم منها في الألف والألفين اسمان أحدهما فحفي بالتحقيق وهو (الله) اسم ربنا، والآخر مستعار مسترق متحول مختلف، والهاءان علما الوهية إلى المنسوب إليه الألف وهو الاسم في قوله (إله) وقوله (الله) . وأحدهما التحقيق والآخر مستعار، فإذا قلت: (لا اله...) فلا النافي للألف الإله لأنه الاسم المستعار فيه وهو اسم الصنم، وإذا قلت: (إلا الله). فألف إلا هو المثبت لألف الله، لأن الاسم المستحق فيه وهو اسم ربنا جل وعز، وأما لا فهو عماد الألف هاهنا. لأن الألف لا يمكن عبارته باللسان دون اللام ، إذ هو علمه، وكذلك اللام لا يمكن استعماله إلا مع الألف ، وإن استعمل دون الألف ذهب المعنى وتلاشى المراد وبطل المبتغى وصار كلاماً آخر يؤدي إلى معنى آخر ...))[٦٦].

الخاتمة

تناول البحث الهوية الإسلامية الروحية التي نشأت في ظلها علوم العربية، والوقوف على الصلة الروحية بين العربية والناطقين بها، ولا شك في أنّ مثل هذا الاتجاه من البحوث ضرورة في ظل الحضارة المادية المعاصرة التي أهملت الجانب الآخر من حياتنا: الجانب الروحي، ولا سيما في اللغة العربية التي ارتبطت بالإسلام ارتباطاً روحياً لا يمكن فصله.

وثمة حقائق أو نتائج أشرنا إليها تارة بإجمال وأخرى بتفصيل ، منها:

إنّ ثمة صلة روحية حتمية بين اللغة العربية والناطقين بها، وكذلك تتجلى هذه الصلة

---

[٦٣] فاطر ١٠.

[٦٤] نوادر الأصول ٣٣٦.

[٦٥] غور الامور ٦٦.

[٦٦] غور الأمور ٦٦ وينظر : نوادر الأصول ٤١٦.

الروحية بعلومها المختلفة التي انطلقت من الأسس الروحية لعلماء اللغة العربية ونظرتهم القدسية للعربيـة، لارتباطهـا بالـدين والقرآن الكـريم وعقيـدة المسـلمين. وهـذا مـا لمسـناه لـدى علمـاء اللغـة العربية القدماء في دراساتهم في علوم العربية المختلفة.

إنّ علوم اللغة العربية نشأت في ظل الجو الإسلامي الروحي الذي كان سائداً لدى الطوائف الأولى من رجال الدين والقرآن. وقد دلّت الدراسات اللغوية المتقدمة أن اللغة العربية لغة مقدسـة، مرتبطـة بالإسـلام ارتباطـاً روحيـاً لا انفصـام لـه، إذ لا يوجـد أحـدهما بـدون الآخـر، وإن العنايـة الإلهية هي التي بلغت بالعربية إلى هذه الرتبة العالية من القوة والوضوح، وذلك لـ (نزول القرآن الكريم) بها.

وإن للتصـوف الإسـلامي نظـرة إلـى اللغـة العربيـة فلسـفية روحيـة، وقـد بذلوا جهداً مفرّقاً فـي مصـنفاتهم لخدمــة اللغــة العربيــة، ولهــم أطروحــات قــد تتقــاطع ظــاهراً مــع البحــث الأكــاديمي المعاصر، غيبيـة، وغريبـة، ومغرقـة فـي الفلسـفة، وإن اسـتعانوا بـالنحو وعلـم اللغـة إلا إن كلامهـم عسير الفهم، غامض ما لم نرجع إلى أسس علم التصوف ومبادئه ومصطلحاته وفلسفيته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، الشيخ عبد الكريم الجيلي مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة (د.ت).
- البحـر المحـيط فـي التفسير، أبـو حيـان الأندلسـي (٧٥٤هـ)، تحقيـق: صـدقي محمـد جميـل، دار الفكر للطباعـة والنشـر، بيـروت ١٩٩٤.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، القاهرة ١٣٨٣هـ.
- تحصيل نظائر القرآن الكريم، الحكيم الترمذي ، تحقيق: حسن نصر زيدان، ط١، مطبعة السعادة ١٩٦٩.
- تراث الإسـلام، شـاخت وبـوزورث، ترجمـة: الـدكتور حسين مـؤنس وإحسـان صـدقي العمـر، عـالم المعرفـة رقم (١٢)، ط٢، الكويـت كانون الاول ١٩٨٨.
- التعرف لمذاهب أهل التصوّف، أبـو بكـر محمـد الكلابـاذي (٣٨٠هـ) ، تحقيـق: الـدكتور يوحنـا الحبيـب، ط١، دار صـادر ، بيـروت ٢٠٠١.
- تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، مكتبة الشرق الجديد بغداد، دار العلوم الحديثة، بيروت .
- تهذيب اللغة، أبـو منصـور الأزهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق: لجنـة مـن المحققين، الدار المصرية للتـأليف والنشر، مطابع سجل العرب، القاهرة (د.ت).
- ختم الأولياء، الحكيم الترمذي ، تحقيق: عثمان إسماعيل يحيى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (د.ت).
- الحيـاة الروحيـة فـي الإسـلام، الـدكتور محمـد مصـطفى حلمـي، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، عيسـى البـابي الحلبـي وشـركاؤه، مصـر ١٩٤٥.
- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، طبعة طهران.
- رسائل ابن عربي، تقديم محمود الغراب، ضبط محمد شهاب الدين العربي، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٧.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، أبو القاسم القشيري (٤٦٥هـ)، دار التربية ، مطبعة اوفسيت منير، بغداد (د.ت).
- الزينـة فـي الكلمـات الإسلامية العربيـة، الشيخ أبـو حـاتم أحمد بن حمـدان الرازي (٣٢٢هـ)، تحقيق: حسين بـن فيض الله الهمداني، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٦٤.
- شرح مشكلات الفتوحات المكية، عبد الكريم الحبلي، تحقيق: الدكتور يوسف زيدان، ط١، مصر ١٩٩٩.

- الفتوحات المكية، الشيخ محي الدين بن عربي (٦٧٨هـ)، دار صادر، بيروت (د.ت).
- القرآن وعلم القراءة، جاك بيرك، ترجمة الدكتور منذر عياشي، ط١، دار التنوير، بيروت ١٩٩٦.
- كتاب الرياضة وأدب النفس ، الحكيم الترمذي ، تحقيق: الدكتور أ.ج.أربري ، البابي الحلبي بمصر ١٩٤٧.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم، جار الله الزمخشري (٥٨٣هـ)، ط١، دار الفكر ١٩٧٧.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨.
- لسان العرب، ابن منظور، المجلد ١٥، ط٣، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص١١٦-١١٧.
- لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق: الدكتور إبراهيم بسيوني، ط٢، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٨١.
- المدهش، أبو الفرج ابن الجوزي (٥٩٢هـ) ، تصحيح: الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت ، (د.ت).
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (٦٠٤هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨١.
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان اداوودي، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ١٩٩٦.
- المقصد الأسنى في شرح معاني اسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: فضلة شحادة، ط٢، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.
- معجم غريب القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت.)
- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، ج٢، م س ذ.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٧.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، ج٢، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦.
- موسوعة علم السياسة، ط١، ناظم عبد الواحد الجاسور، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.
- نحو القلوب، الإمام أبو القاسم القشيري (٤٦٥هـ)، تحقيق: مرسي محمد علي، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ ، الحكيم الترمذي ، دار صارد، بيروت ، (د.ت).
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم تاريخ وتطور، عبد الرحمن مطلك الجبوري، رسالة ماجستير ، آداب ، بغداد ١٩٨٦.

الموقع الالكتروني: تعريف الهوية لغة واصطلاحا (bouhoot.blogspot.com).

"عَبقريّة العربيّة في توظيف النَّظم خِدمةً للعلوم والتقنيّة"[١]

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر

الديباجة:

شكرا لكم السادة رؤساء هذه الجلسة المجمعية؛

سعادةَ الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين، رئيسَ المجمع العلمي العراقي الموقّر؛

السّادةَ الأساتيذَ الأفاضل، أعضاء المجمع العلمي العراقي الموقّر؛

حضراتِ المشاركين الأجلّاء، كُلٌّ باسمه وجميلِ وَسمه، مع حِفظ الألقاب والرُّتَب؛

المتابعين لجلَسَاتنا العلميّة هذه؛

السّلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته؛

آثِر ذي أثير؛ يُشرّفني أن أتقدّم إلى المجمع العلميّ العراقيّ الموقّر رئيسًا وأعضاءً، وإلى اللّجنة العلميّة، بجزيل الشّكر، وجميلِ العِرفان، باسمي واسم العاملين معي في المجلس الأعلى للغة العربية؛ على تنظيم النسخة الثانية من المؤتمر العلمي الدُّوَلي الافتراضي، وإتاحة هذه السّانحة، لنتهادى محاسن لغة القرآن الكريم التي شُرّفنا بأن نكون من أهلها، ونَفخَر بالانتساب إليها.

وَيَجمعُنا – إِذَا اختَلَفَت بِلادٌ –　　　بَيانٌ غَيرُ مُختَلِفٍ ونُطقُ

لقد أعددت لمَحفَلكُمُ المَهيب هذا، ورقةً بحثيّةً وثيقةَ الصّلةِ بشعار مُلتقانا (العربيّة، هُوِيّتنا، رسالتنا الإنسانية)، الغرض منها التّنويه ببعض فضائل وأفضال العربية على أهلها، وعلى الإنسانية جمعاء، مُذ سطعت بها أنوار الرسالة في حِراء، لتُعلِن "اقرأ" بلسان أُمّةٍ الجمُّ الغفير من أهلها أمِّيٌّ لا يَحسُب ولا يقرأ ولا يكتُب، وهم في غيرهم من الأمم المتحضِّرة يومَها كالخردلة تقع بين طَبقَي الرّحا، فلا الطّحنُ يَنالُها، ولا سَلامتُها يُعتدُّ بها. لقد كانت الكلمات العربيّة الأولى التي نطق بها مَلَك السّماء مُشعِرةً بأنَّ عهدا جديدا لهذا اللسان قد بدأ، وأنَّ فجرا لهذه الأمَّة قد أشرق، وأنّ البشريَّةَ ستُفتحُ دونَها مَغاليق عُلوم لا حَصرَ لها، عُدّتها فيها القراءة، وقيد ذاك الصيد المعرفيّ فيها الكتابة.

وقد صدَّقت الأيّام ذلك كُلّه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

---

[١] كلمة رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة في المؤتمر العلمي الدولي الافتراضي الثّاني الذي نظّمه المجمع العلميّ العراقيّ، بمناسبة احتفائية "اليوم العالمي للغة العربية"، بتاريخ ٢٤–٢٥ ديسمبر ٢٠٢١.

أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ فمنذ تلك اللحظة وإلى يوم الناس هذا؛ لم يَزلْ مَعين هذا اللسان ثَرًّا، ويده سَحَّاء لم تَغِض أصواتَه إنشادات الشعراء ولا قراءات التالين، ولم يُنضِب حروفه مِدادُ الكَتَبة ولا أوراق المتعلّمين، فبكتابه رب العباد يُفرَد ويوحّد، وبألفاظه يُسجد له ويُتعبّد، وبأصواته يُرتّل القرآن ويُجوّد، وبحججه يُنسَف الباطل ويُفنّد. وها هي ذي البشريّة عن بَكرة أبيها إشادةً بفضله له تتجنَّد، ووفاءً ببعض حقّه، رافعةً شِعار (اللغة العربية والتواصل الحضاري).

أيها الحفل الكريم؛

لقد ارتأيت أن نتدارس وإيّاكم موضوعا أراه من الأهمية بمكان، قَمِنًا بالكشف عن بعضٍ من جوانب العبقريّة التي توشّحت بها لغتنا الكريمة؛ إنه ذاك التراث الزاخر الذي يَعُدُّ المِئين من المنظومات العلميّة التي دبّجتها أقلام الجِلّة من عُلمائنا على امتداد قرون من الزمان في مختلَف الفنون، وقد اخترت مجالات علمية طريفة تَشي باقتدار علمائنا على تضمين منظومهم دقيق المصطلحات العلمية، وإخلاصهم في نفع الإنسانية بلا استثناء؛ ويتعلق الأمر بمجال الفيزياء النوويّة، والفلاحة، والتغذية، والطبخ، والفراسة.

المنظومات العلمية

١ – **الفيزياء النوويّة:** من روائع مكرُمات العربية التي أهدتها إلى البشرية في هذا العلم ما جادت به قريحة أحد أبنائها، وخطّه بحروفها شاعر الحكماء وحكيم الشعراء أبو الحسن علي بن موسى الأنصارى الجِيّانى، المعروف بـ(ابن أرفع رأسه)، الإمام الكبير والأديب البليغ، المقرئ، من علماء القرن السادس للهجرة (٥١٥–٥٩٣هـ = ١١٢١–١١٩٧م) في ديوان شعري بعُلوان: "ديوان الشذور وتحقيق الأمور"، يضم ألفا وأربعمائة وتسعين (١٤٩٠) بيتاً، في إحدى وأربعين (٤١) قصيدةً شعريّةً مُرتّبًا رَوِيّها على حروف المعجم.

وقد خمّس هذا الديوان محمد بن موسى القُدُسي، وشرحه الجِلدكي–خاتمة الكيميائيين المسلمين الكبار– في كتاب كبير سمّاه "غاية السرور فى شرح ديوان الشذور"، ضمّنه خبرته في الكيمياء وبراعته فى الوصف، وقد قسّمه المصنف إلى أربعة أقسام، كل قسم يضمُّ سبعة حروف من الديوان إلا الرابع فيضم ثمانية حروف. وقد اختار الدكتور عبد العزيز عبد الرحمن سعد آل سعد نُتفاً من أجزائه الأربعة وحقّقها، ونشرته الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، عام (٢٠١٨م).

تأتي أهمية "ديوان الشذور وتحقيق الأمور" من كونه لم يَنظِم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه، يقول ابن شاكر الكُتبي: "ولو لم يكن للأندلسيين غير كتاب "شذور الذهب" لكفاهم دليلاً على البلاغة (..)، فلم ينظم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ، وفصاحة ألفاظٍ، وعذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك الأدب. وفي عبارة بعضهم: إن فاتك

ذهبه، لم يفتك أدبه". فابن أرفع لم يكن رأس أقدر الشعراء الأندلسيِّين على النَّظم فحسب، بل وفي أشعاره دليل على رسوخ قدم العرب في صنعة الكيمياء، واقتدارهم على تسخير النظم خِدمةً للعلوم. فقد مزج ابن أرفع رأسه الكيمياء بالشعر، والتَّجريب بالخيال، والمعادن بالمجاز، وجمع بين صناعة الَذهب وتعليم الأدب، وقلَّما اجتمع هذان في شاعر أو كاتب. ومن جملة ما ورد في الديوان المشار إليه زائيّة نظمها ابن أرفع رأس، يقول فيها:

فشتَّانَ بين اثنينِ، هذا مُكَوكَبٌ	يدورُ، وهذا مركزٌ للمراكزِ
وإنهما عند الحكيمِ لَواحدٌ	لأنهما من واحدٍ مُتمايِزِ
فهذا على هذا يدورُ، وهذه	لها مركزٌ راسٍ بقُدرةِ راكزِ
وبينهما ضدانِ، عالٍ وسافلٌ	بقاؤُهما فَرديْنِ ليس بجائزِ
وبينهما جسمٌ مُشِفٌّ كأنه	من اللُّطفِ فيما بينهم غيرُ حاجزِ
فأعجِبْ بها من أربعٍ حَالُ بعضها	إلى بعضها عن نسبةٍ في الغرائزِ
فراسِبُها السُّفليُّ كوَّن جسمَه	لنا من غليظِ الصاعدِ المتمايزِ

هذه الأبيات يُمكن وصفها وكأنها قيلت في وصف الذَّرَّة في الربع الأول من القرن الميلادي العشرين، أو لكأنها ترجمة ناطقة للنظرية الذرية الحديثة للفيزيائي الدنماركي نيلز بور (Niels Henrik David Bohr) (١٨٨٥– ١٩٦٢)، وحصل إثرها على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩١٣م، وهو أحد من ساعد في إنتاج القنبلة الذرية.

٢ – **علم الفلاحة:** كان قدوم العرب إلى شبه الجزيرة الأيْبيرية دافعا لتطوير المجال الفلاحي وكل ما يتصل بالنبات والزهور والبستنة، فضلا على اهتمامهم بعلوم الطب التي تقوم أساسا على الخصائص العلاجية للنباتات، ومن ثم علم النبات بعامة، مما أدى إلى دراسات خصوصيات وحاجات كل نبتة من أجل أقلمتها في المناخ الجديد. وقد أُلّفت في هذا الشّأن مصنفات، ونُظمت منظومات لعلَّ أهمَّها كتاب (إبداء الملاحة وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة)، ألّفه أبو عثمان سعد بن أحمد/ ابن لِيُون التُّجِيبي (٧٥٠–٦٨١هـ = ١٢٨٢–١٣٥٠م)، أحد علماء الأندلس، وأدبائها المقدّمين، له أكثر من مئة مصنف، واختصر كثيرا من أمّات الكتب.

لم يكن ابن لِيون التُّجَيبي مهندسا زراعيا فحسبُ، بل كان أيضا فيلسوفا وقاضيا وعالم رياضيات وشاعرا. وكما كان الحال بالنسبة لمعظم علمائنا، تنقّل ابن ليون في بلاد المغرب العربي والمشرق لتوسيع مداركه. ومنظومته هذه ألّفها في النصف الأول من القرن الرابع عشر، وهي دالّة على المكانة المرموقة التي كانت تحتلها الهندسة الزراعية في العلوم الأندلسية، وهذه الأرجوزة خلافا لغيرها، كقصيدة فرجيل الزراعية مثلا، تضم بعضا من الزينة البلاغية، وقد

استعمل الكاتب "الأسلوب النثري والبحث عن موضوعية دائمة مع سهولة استعماله لبحر الرجز" بحسب ما تقول جواكينا إجواراس. وقد استعان ابن ليون بمراجع عربية من المشرق والمغرب، معاصرة له أو سابقة عليه، فضلا على كتابات إغريقية، وفارسية ولاتينيّة.

يقول ابن ليون في البيت السادس من مقدمة أرجوزته، شارحا غرضه من تصنيفها :

والله قد جعل الفلاحهْ	أكثر أرزاق الورى المُتاحَهْ
وقد نظمت القول فيها رجَزا	ألفا وثلث الألف نظما مُوجَزا

يُحدد ابن ليون في كتابه فن الزراعة ويشرح مجالاته التطبيقيّه وتقنياته المعتمدة في أرض الأندلس، ويتناول الأراضين بمختلَف أنواعها، مُزوّدا أرجوزته هذه بشروحات ضافية ورسومات توضيحية راقية تشي بتمكُّن في هذا المجال، كما يدرس العناصر الأربعة الضرورية لهذا الفن؛ وهي: الأرض، والماء، والزِّبْل، والعمل. يقول:

وهي الأراضي والمياه والزُّبول	والعمل الذي بيانه يَطولُ

وثمة مقطع يتعلّق بتخطيط واختيار مواقع المنازل الريفيّة، وما يلزم فعله لترتيب البساتين والديار والمزارع؛ يقول فيه:

وما له بابان فهو أستر	وراحة الساكن فيها أكثر
ثم يلي الصهريج ما لا يَسقُط	وَرْقُه من كل ما يُنشِّط

٣- **علم الطبخ:** كان لعلماء المسلمين اهتمام كبير بتدبير الأطعمة وعاداتها وآدابها، وكانوا هم الوحيدين في العالم الذين صنَّفوا كتبًا للطبخ في الفترة بين القرنين العاشر والثالث عشر الميلادي، وكانت الأطباق المعروضة في الكتب تفوح بروائح قوية عطرة، ليس فقط برائحة "الأعشاب والمكسَّرات والتوابل"، مثلما كتب المؤرخ الأمريكي تشارلز بيري، "بل وأحيانًا برائحة مكوِّنات قد نعتبرها عطورًا، كماء الورد، والمسك أو العنبر، وأحيانا حتى برائحة البخور".

ومن جملة ما أُلِّف في هذا المقام أرجوزة نادرة في الغذاء والطبخ للعلاّمة أحمد بن حسين/ابن قُنفذ القسنطيني (٨١٠ -٧٤٠هـ =١٣٤٠-١٤٠٧م)، وهو أحد أعلام الجزائر المشاهير، مؤرخ، فقيه، فلكي، قاضي، مفتي، محدث، مُكثر من التّصنيف. وأرجوزته موسومةٌ بـ : "رسالة في الأغذية والأشربة"، وهذه الأرجوزة التي ألّفها لأحد سلاطين زمانه تُعدُّ من نوادر تأليفه، فهي علاوة على أنها تمس جانبا من جوانب العلاج الغذائي تعطي صورة لطبيعة المزروعات والأغذية بل وفنون الطبخ بالمغرب بعامة وقسنطينة وأحوازها خاصة في القرن التاسع للهجرة (الرابع عشر الميلادي)، ومن الناحية العملية قَسّم الأغذية إلى أغذية نباتية وحيوانية، وتحدث عن تركيب الأغذية طارحا فنونا من الأطعمة التي امتاز بها الطبخ المغربي والأندلسي، كما قدّم

صنوفا من الأطعمة التي كانت منتشرة في تلك الفترة.

تتألّف أرجوزة ابن قُنفُذ من ٢٨٠ بيتا، مُقسّمةً على عشر (١٠) مقالات تناولت خصائص الحبوب، والبقول، والفواكه، واللحوم، وأعضاء الحيوان، وتوابل الطعام، والألبان، والمياه، وفي الأطعمة المركّبة من عناصر متعددة، ليختمها بنصائح صحية وفوائد كلّيّة. ومجموع ما ورد في هذه الأرجوزة دالٌّ على خبرة وتمكّن في هذا المجال.

فممّا قاله ابن قُنفُذ "في طبائع الحبوب بحسب الشهرة والتجريب" :

وأفضل الحبوب في المآكل	البّر عند سائر الأفاضل
وطبعه الحر مع الرطوبه	وليس في استمرائه معوبه
والبرد في الفول مع الحلباء	يهجره الموجوع في الغذاء
والغض منه نافع رطب	ثقيل هضم في المعا وصعب
وأكله بالفلفل الحراق	ينفع في الجماع بالإطلاق
لكن إذا سخنته بالزيت	أو طبخ اللحم به واللفت

وممّا قاله "في البقول لرجز الكلام والفصول":

وأفضل أنواع البقول	الخس عند أهل العقول
وطبعه الترطيب والبروده	وشأنه ليانة محموده
يصلح في الحرّ والشباب	وصاحب الحمى والالتهاب
وكان جالينوس في تدبيره	يأخذه للنوم في سريره

وممّا قاله " في اليابس والخضراء من الفواكه على الولاء" :

والحر في التين مع الرطوبه	وليس في استمرائه معوبه
وغضه أرطب في المذاق	قالوا وهذا مذهب الحذاق
وشأنه التليين في الطبيعه	يفعلها في مدة سريعه
والحصرم الحامض وهو البارد	ينفع من به المرار الزائد

وممّا قاله "في اللحوم بمطلق الأحكام والعموم":

واللحم من جديٍ رضيع سالم	مُفضّل موافق ملائم
والماعز الحولي في الألطاف	دون الرضيع الحسن الأوصاف
وأوفق الضأن هو الحولي	وبعده في نوعه الفتي
وأرطب اللحم من الخرفان	يجزره المرطوب في الإنسان

وممّا قاله "في الأعضاء باختصار من غير مأكول ولا إكثار" :

لحـــم الـرؤوس ليـن ردي والـفعـــل مـــن أكـــارع جـلي
وفـي الدماغ البرد والرطـوبــةْ وفعــله من بعضــها عجيبــةْ
وهـي من الدجــاج للإنســان تزيد فـي العقـــل والأذهــان
وفي القلوب كثـرة التسخيــن وقـــــوة الغـذاء بـالتسكيــن

وممّا قاله "خاتمة الكتاب وقد مضى الكلام بالصواب" :

واعـــلم بأن صـحة الأبـدان هي الـــتي تنفع في الإنــسان
وأحوج الناس أليـــن الأُمَــرا لكـونهم أئــمة بــلا امتــرا
وفي صلاحهم صــلاح الـعالـم هـــذا الذي يقـوله كل عالـــم
وإن تــرد مـولاي لذة الطعــام فخذه مما لا يطـول انهضــام
بقدر ما يكــــفي علـى اعتدال مـن غير إكـــثار ولا إقـــلال
وذاك عند شهـــــوة الطـعام وراحـــة النفـس مـــن الآلام
وجنب الفـــول مع الألـبان كذلك الهريسة مـــع الرمــــان
وتابـــع الحـيتان بالحـلواء فإنــــها لـــها مـــــن الـدواء
وخذ إذا أمـعنت فــي شرب اللبن من زنجبـــيل تكتفي مـن الـمحن

٤ – **علم التغذيـة:** ممّا نُظم في هذا المقام (أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية) لأبي الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي المراكشي؛ وهو طبيب ، وشاعر، وأحد قادة جند الأندلس، كان أبوه طبيباً ماهر حكيم عظيم الشأن من أجلاء الحكماء المتقنين المهرة، المرجوع إليهم في المعضلات من الداء، وكانت مسائله كلها متقنة، وقد اقتدى بـه ابنـه أبو الحسن المراكشي، فتمكان منها، ونظم فيها أرجوزته هذه فضلا على أراجيز أُخَر كـ(أرجوزة طب العيون)، (أرجوزة في الأعشاب). وفيما يتصل بـ(أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية)، فإن عدد أبياتها قريب من ٣٠٠ بيت، تحدّث فيها المؤلف عن قريب من ٣٠ فاكهة تنبت في فصلي الصيف والخريف؛ منها: المشماش، والتين (الباكور)، والتفاح، والإجاص، وحب الملوك، والكُمّثرى.

فممّا قاله في مُستهلّ منظومته:

وبعدُ فالعــادة عندَ النـــاسِ الهجْمُ في الأكـل بلا قيـاس
لاسيما في سائــر الفوَاكــهِ نَضَجَ أو قَصَّرَ عن إدراكــهِ
في طَلَعةِ الفجر على الطبيبِ يشكو بطول الليل في التعذيب

من بَعْدِ أَنْ يَقَعَ في الأمراضِ وشدَّةِ الأوجاعِ والأعْراض

فكان واجبا على العِباد جميعهم من حاضِر وباد

أن يعتنوا بهذه المقَالـه لأنها تنجى منَ الجَهالـه

بهذه الفواكـه الصيفيـه الخضرة المقبِلة الطريـه

وممّا قاله في شأن الباكور :

وكلّ ما يُقال في الباكور فإنه تِينٌ على المشهور

لكنَّه أبْكَـرَه الرحمـان وأولُ المصيفِ له إبَّان

وإنَّ من أفعالِه التسخينَا والحرُّ كان طبعَه واللّينا

ويُشعِل الحرارة اليسيره لكلّ محرور بلا ضروره

والنفخ والتمليس من صفاتِهِ في مِعْدة بطبعهِ وذاتـه

قدِّمْه قبل الأَخْذِ في الغَذاءِ فأنه أولـى للاسـتمراءِ

وكُلْه في أوائـلِ النهَـار بقُرْب عهْدِه من الأشجار

أنهاكَ عن تناولِ البَكُـور في آخر النهار والحَرُور

والبائتِ المجْنِي منَ الأشجار لَشَرُّ ما يُوكَل في الثمار

ولا الذي قَصَّر عن إدراكِهِ وما تعفَّن من الفواكـهِ

٥ – **علم الفراسة** : وهو علم يُستدل فيه بالخَلق الظاهر على الخُلق الباطن، ومن جمْلة ما وصلنا في هذا الفن، أرجوزة لمحمود بن محمد الحمزاوي (١٢٣٦–١٣٠٥هـ = ١٨٢١–١٨٨٧م) مفتي الديار الشامية، وأحد العلماء المكثرين من التصانيف. وكان عجيبا في كتابة الخطوط الدقيقة، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة أرز، وأولع بالصيد فكان آية في حسن الرماية والتفنن بها. وكان فقيها أديبا شاعرا. وقد قدّم لأرجوزته بمقدمة ذاتِ صلة بعلم الجينات الوراثي، ثم أورد فصولا تحدّث فيها صلة الأعضاء الظاهرة بالأخلاق الباطنة؛ فعقد فصلا للّون، وآخر للشّعر والجبهة والأذن والحاجب والعين والأنف والفم والأسنان والوجه والصوت والحركة والعنق والبطن والظهر والكتف والذراع والكفّ والقدم والعَقِب والساق والخطوة. فممّا قاله في مقدمة أرجوزته :

إذا أراد الله خلق نَسمهْ مع اعتدال الخلق ذاتًا وسِمهْ

أصلح نُطفةً من الآباء ووفّق الأمّ إلى الغذاء

فتخرج النشأة في أعلى الصور كحِلية البشير سيّد البشر

مُعتدِلًا في الخلق والأخلاق | وتلك من مواهب الخلّاق
وإن يكن في الرّحِم اختلالُ | أثّر في النشأة ذاك الحالُ

وممّا قاله في فصل الصوت:

ومن يكن جهير صوت ذاك دلّ | على شجاعة وإن كان اعتدل
ما بين كدّ وتأنٍّ في الكلم | وغِلَظ ورقّـة ذاك علـم
بأنّـه في العقـل والتدبـرِ | والصدق في مكانة لم تُنكر
وفي الكلام سرعة مع رقّته | لكلّ محرور بلا ضروره
وغلظ في الصوت ذا على الغضب | وسوء خلقه يدلّ لا ريب
وغنّة الصوت دليل الحمق | والكبر مع بلادة وخرق

وممّا قاله في فصل العَقِب والساق:

ورقّة الأعقاب في الإنسان | دلّت على حسن بديع الشان
وغلظ دلّ على الشجاعة | إذ هو ليث فاختبر طباعه
وغلظ الساقين مع عرقوبه | لبلـه وقحـة كانـا بــه

وممّا قاله في خاتمة أرجوزته:

وقد يقلّ بعض ذي النعوت قُل | وبعضها يأتي كثيرًا في الرّجُل
والحُكم إن تعارضت للغالبِ | من حُسن أخلاق ومن مَعائِبِ
وإن تساوت عددًا في الشخصِ | فلا تمحّض ذاته للنقصِ
إذ يتدافعــان بالأحكـــامِ | فيمنعان سطوة الأقــلامِ
وكلّ من جرّب ما قلنا وَجدْ | في فحصه شاهد صحّة وجِدّْ

هذا غيض من فيض، فيما يتّصل بالمنظومات العلمية، الغرض منه المساهمة في أن يُنفض عمّا لم يُنشر منها الغبار ، ويُردّ إليها الاعتبار ، وتنبري الأقلام لتحقيقها، وإعمال الفِكر فيها، والمتح مما تضمّنته من مصطلحات علمية وفنية، تكون لنا نعم الزاد في معتركنا المعرفي هذا، لتستعيد العربية سابق مجدها. وختاما أجدد شكر لكم على هذه الدعوة الكريمة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سَعَةُ العربيةِ في مواكبةِ التعريبِ والترجمةِ

الأستاذ الدكتور أمحمد فرج علي الخزعلي

رئيس مركز أبحاث اللغة العربية بالاتحاد العالمي للمثقفين العرب

ورئيس قسم اللغة العربية السابق بجامعة عمر المختار/ ليبيا

المدخل:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيد الخلق أجمعين محمدٍ خاتم رسله، وصفي خلقه، وعلى آله، وعترته، وأصحابه الذين غيّر بهم الله تعالى العرب من رعاة أغنام إلى سادة للأنام، وبعد: فلي وطيد الأمل في أن يجد الحاضرون معنا في مداخلاتنا العلمية ما يعطيهم إشاراتٍ وأماراتٍ لفناء علمي أرحب، وبُعْدٍ فكري أشمل.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣) صدقَ اللهُ العظيمُ

ساهم مفهومُ الترجمة في تعزيز الحوار بين ثقافات الشعوب الأخرى مما يساهم في بناء تبادل ثقافي بين الشعوب مبني على خصائص محددة كاللغات، والأخلاق، والتاريخ، والدين ...إلخ .

وكما نعلم أننا إذا أردنا إقناع أهل اللغات غير العربية بالأخلاق أو التاريخ، أو الدين، أو غير ذلك لابد أن نتواصل معهم عن طريق أبجديات الخطاب وما يصحب ذلك من فنون البلاغة، وحسنِ السبك، ووضع الكلمةِ المناسبةِ في موقعها من الجملة.

نشأة الكتابة

استطاع الدكتور غانم قدور الحمد تلخيص نشأة الكتابة وأنواعها في كتابه (علم الكتابة العربية) وذكر أن أول ما كتب الإنسان كتب على ألواح الطين، والحجر، وعظام الحيوانات، وبعض المعادن، وغيرها، وقد عرّف بعضهم الكتابة فقال: الكتابة: نظام من الرموز، تستعمل لتمثيل أصوات اللغة، وقد مرّت بأدوار من التطور استغرق قرونًا طوالًا، حتى انتهت إلى شكلها الأخير؛ لذا وجب التنويه هنا على أنواع الكتابة أولًا .

أنواع الكتابة

من المناسب هنا الإشارة على نحو موجز إلى الصورة الأولى للكتابة الإنسانية منذ اختراعها، وما آلت إليه في تطورها في العصور اللاحقة، ويتفق الدارسون اليوم على أن الكتابة بدأت تصويرية، ثم صارت مقطعية، ثم انتهت إلى الكتابة الأبجدية، وسنعرض لكلٍّ منها باختصار.

١. الكتابة التصويرية :

هي أقدم شكل للكتابة الإنسانية التي عرفها الإنسان، وهي تقوم على أساس تمثيل كل شيء، أو فكرة بعلامة أو صورة مساوية لذلك الشيء، أو تلك الفكرة، فصورة الشيء توضح عن مدلوله، فإذا رأينا صورة إنسان يحمل قوسًا ومعه كلب، وقريبًا منه صورة غزال يعدو، عرفنا أن ذلك يدل على رحلة صيد، ومن أشهر الكتابات التصويرية : الهيروغروفية، والصينية، والسومرية القديمة، غير أن كُلًّا من هذه الكتابات الثلاث لم يبقَ على تلك الحالة، لقصور الصورة عن التعبير عن كل حاجات الإنسان.

٢. الكتابة المقطعية:

جاءت الكتابة المقطعية بعد الكتابة التصويرية التي كانت قاصرةً كما ذكرنا عن التعبير عن كل حاجات الإنسان، حيث عمل الإنسان على تطويع الكتابة للتعبير عن حاجاته كافة، وذلك بجعل العلاقة بين الشيء وصورته المكتوبة علاقة صوتية، لكنها أصبحت مقطعية، أي أن المقطع الصوتي المؤلّف من أكثر من صوت يعبر عنه برمز واحد، فكلمة (مَكْتَبْ) مثلًا مؤلّفة من مقطعين صوتيين (مَكْ + تَبْ)، وعند كتابتها سوف يستخدم الكاتب رمزين فقط: رمز للمقطع الأول، ورمز للمقطع الثاني .

ولو أراد الكاتب أن يكتب (مَكْسَبْ، ومَكْرَمْ، ومَكْوَى، ومَكْبَسْ ...إلخ) فإنه سوف يستخدم الرمز الأول نفسه في كتابة المقطع الأول في هذه الكلمات جميعًا، ولو أراد أن يكتب (تَبْشِير، وتَبْيِين، ومَرْتَب، ومَعْتَب...إلخ) فإنه سوف يستخدم الرمز الثاني الذي استخدمه في كتابة (مَكْتَبْ) في التعبير عن المقطع الأول في الكلمتين الأوليين، والمقطع الأخير من الكلمتين الأخيرتين، وهكذا، ومن أشهر الكتابات المقطعية القديمة: الخط المسماري الذي كتب به السومريون، والبابليون، والآشوريون في العراق في العصور القديمة، ومن الكتابات المقطعية التي مازالت حية مستعملة الكتابة الصينية .

٣. الكتابة الأبجدية:

تقوم هذه الكتابة على تخصيص رمز واحد للصوت الواحد، أي أن الرموز المستخدمة في الكتابة تكون بعددٍ مساوٍ للأصوات التي تتكون منها اللغة، وتميزت بسهولة الاستخدام، والدقة في تمثيل أصوات اللغة المكتوبة إلى حد ما.

أبعاد التعريب والترجمة في العربية

يقول ابن جني عند تعريفه للغة: هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ولا نريد هنا أن نتحدث عن مآخذ الناطقين بالعربية في جل المجالات كالحديث عن الإعلام العربي الذي أغلبه يقدم معاول الهدم اللغوي من مسلسلات، ومسرحيات روّجت لفكرة الاستهزاء بالفصحى، وقد

قدّمت شخصية معلم اللغة العربية شخصيةً مهزوزةً، مرتبكةً في تصرفاتها، وحركاتها، وحديثها، ومظهرها (شخصية الأستاذ رمضان أبو العلمين حموده أنموذجا)، ناهيك عن مقدمي النشرات الذين يقعون في عثرات اللغة ولم يحاسبهم أحد؛ لأنهم لم يخضعوا لاختبار مقابلة في اللغة العربية، إلى صفحات الإنترنت التي كان إثمها اللغوي أكبر من نفعه، ولا نريد أن نسهب في ذلك، لكن نستطيع أن نؤكد أن اللغة العربية اليوم تحتاج إلى من يميز بين حبه للغة وفن توظيف معالجة المشكلات التي يقع فيها المخطئ، فالحب ينبز من العاطفة البشرية، وأما توظيف معالجة مشكلات اللغة عند بعضنا فدرس عملي يخضع للفكر الذي نسج حروف اللغة وقواعدها، فلا يجب أن يطغى واحد منهما على الآخر، ولا أشك في أن أغلب العرب يحبون لغتهم، لكن بعضهم يفتقر إلى الوسيلة التي يستقيم بها لسانه، فتتثاقل نفسه على قراءة كتب اللغة العربية، ويكون نَفَسُهُ قصيرًا في تتبع قواعدها فيصفها بالجافة الصعبة، فيجد نفسه أقرب إلى اللهجة المستهجنة، إذن الأمر كما قال الشاعر:

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالعَيْبُ فِينَا وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا

العيب ليس في اللغة العربية، لكنَّ العيبَ في بعض أهلها من المتأخرين، فهم بدعوى أن اللغة العربية لا تواكب ما استجد من مخترعات العصر رأوا أن تستبدل بالعامية، وغضوا الطرف عمّا بذلته المجامع اللغوية من جهود جبارة لتعريب ما استجد من مخترعات على أسس لغوية كالعودة إلى صيغ عربية فصيحة؛ ليبنوا عليها تعريبا لمسمّى الشيء الجديد، وهنا أذكر التجربة السورية الرائدة التي فرضت على الطلاب في كلية الطب الدراسة باللغة العربية، وتعريب ما يواجه الطلاب من مصطلحات، كما لا نريد الخوض في تبعات الازدواج اللغوي وإن كنت لا أراها مشكلةً كبيرةً تعرضت لها الفصحى .

إنّ حركة التعريب والترجمة أثبتت أن اللغة العربية ليست عاجزةً عن مواكبة التطورات العلمية، والتقنيات الحديثة، وللمجامع اللغوية العربية أثر كبير للبلوغ إلى ذلك، لكني رأيت أن جُلَّ اهتماماتها في جواز أو رفض كلمة معينة أو أسلوب فصيح أو غير فصيح، وأرى أنها لو اتجهت جهودها إلى تعريب ما جدّ من مخترعات، وما ظهر من مصطلحات أجنبية أُرغمنا على استعمالها لعادت تلك الجهود علينا بخير كثير، ولنا بحث موسوم بـ(تدقيقات صرفية في بعض قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة) سينشره مجمع اللغة العربية بليبيا في عدد مجلته القادم بإذن الله تعالى أنصح بقراءته جيدًا، على كل حال نستطيع أن نؤكد أن الطب كان من أوائل العلوم التي ترجمها العرب منذ عهد الأمير الأموي خالد بن يزيد (ت ٨٥هـ)، وتوالت كتب الطب المترجمة في العصر العباسي دون أن نسمع شكاوى من عجز اللغة العربية عن الإحاطة بترجمات الطب، وهنا لا يفوتنا أن نذكر الأسفار العظيمة التي ألّفها ابن سينا والرازي والكندي

وابن زهر في علوم الطب إلى أن وصلنا إلى العصر الحديث قبل اجتياح الاستعمار للأقطار العربية فكانت هناك ثلاثُ محاولاتٍ رائدةٍ :

. الأولى في مصر التي أُسست فيها أول مدرسة طبية على يدي محمد علي باشا في أبي زعبل عام ١٨٢٧م اقترح فيها ترجمة المحاضرات التي يلقيها الأساتذة الأجانب إلى اللغة العربية، كُلّف بترجمتها لجان يساعدها علماء من الأزهر، استطاعوا أن يصدروا اثنين وخمسين كتابًا، ولكن جاء الاحتلال الإنجليزي عام ١٨٨٢م فأجهض هذه التجربة الرائدة الناجحة في ذلك الوقت ليفرض الإنجليزية .

. الثانية في لبنان التي أُسست فيها كليتان للطب : الأولى هي الكلية السورية البروتستانتية عام ١٨٦٦م، والثانية كلية الطب اليسوعية عام ١٨٨٣م، حيث خرّجتا أطباء يترجمون ويؤلفون ويحاضرون باللغة العربية، وكذا هنا كان الأمر يحاكي ما حصل في مصر، حيث جاء الاستعمار الفرنسي ويفرض اللغة الفرنسية بدل العربية .

. الثالثة في سوريا التي أُنشئ فيها المعهد الطبي العربي عام ١٩١٩م حيث كانت اللغة التركية هي لغة التعليم، وبعد وقت وجيز أصرّ الأساتذةُ على أن يكون التعليمُ بالعربية، ثم انضم المعهد إلى الجامعة السورية عام ١٩٢٣م، وكان الأساتذة يترجمون الكتب الطبية ثم انتقلوا إلى التأليف واقتراح المصطلحات، وإعداد البحوث، كل ذلك باللغة العربية، والتجربة السورية تصلح أن تعمّم على سائر الكليات في الوطن العربي، ولم لا ؟ فكل الأمم تدرّس الطب بلغاتها القومية، هذا أمر يستحق الاهتمام من الحكومات العربية ووزارات التعليم، وإن كانت هناك نية صادقة فالأمر يسير.

إن المصطلح الأجنبي أول ما أُتخذ حجةً أمام استعمال العربية، وفي المقابل نجد علماء عربًا وضعوا قواميس ومعاجم لتيسير كل ذلك، فمثلا هناك:

. قاموس طبي فرنسي عربي . الدكتور/ محمود رشدي . باريس ١٨٦٩م .

. معجم إنجليزي عربي في العلوم الطبيّة والطبيعيّة . الدكتور/ محمد شرف . ١٩٢٩م .

. معجم الفيزياء الدكتور/ جميل الخاني . ١٩٣٠م .

. معجم الألفاظ والمصطلحات الفنيّة في فن الجراثيم . الدكتور/ أحمد حمدي الخيّاط . ١٩٣٤م

. معجم في أمراض الجملة العصبيّة . الدكتور/ حسني سبح . ١٩٣٥م.

. معجم الألفاظ الزراعيّة . الأمير مصطفى الشّهابي . ١٩٤٣م .

هذا غيض من فيض، ألفها علماء عرب بجهود فردية، فكيف الأمر إذا تبنت ذلك المؤسسات الحكومية وقامت على مثل ذلك جماعات من العلماء ؟

لعل من المهم أن نفرّق هنا بين الترجمة والتعريب، فالترجمة تعني نقل اللفظ أو النصّ من لغة إلى لغة أخرى، ولهذا النقل شروط منها: وضوح الترجمة ودقتها وحسن صياغتها، والأمانة

العلمية في نقل المعاني والأفكار، كما أنه يجب أن تتوافر جملةٌ من الشروط في المترجم منها: إتقان اللغة التي يترجم منها واللغة التي يترجم إليها، وإلمامه بالحقل المعرفي الذي ينتمي إليه النص المترجم، ومعرفته بأسلوب صاحب النص المراد ترجمة نصوصه، زد على ذلك أن ترجمة النص الأدبي تختلف عن ترجمة النص العلمي، فالأدبي يتضمن معنى جماليًّا بلاغيًّا تظهر فيه براعة المترجم فيشعر القارئ أنه ليس أمام نصٍّ مترجمٍ، بينما لا يحمل النص العلمي أكثر من أفكارٍ ومصطلحات بحث يتحرى فيها المترجم الدقة والأمانة .

أما التعريب فيعني صَبْغَ الكلمةِ بصِبغةٍ عربيةٍ عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية ؛ ولذا تُطلق كلمة (مُعَرَّب) على اللفظ الأجنبي الذي غيّره العرب ليكون على منهاج كلامهم، ونسمع أيضًا بكلمة (الدَّخِيل) وهو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير كالتلفون مثلًا، أو بتعديل طفيف كإضافة همزةِ وصل متحركة للتخلُّص من الابتداء بالساكن في (استبرق) مثلًا، وظهر جدالٌ واسعٌ بين مريدي الدخيل ومانعيه، حتى سمح بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في قرار مفاده إجازة استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم .

إننا نعتز بتجربة العرب في الاتصال بالثقافات الأخرى بوساطة الترجمة والتعريب، ولن تعوزهم الحجة على إمكانية الإفادة في النهضة المعاصرة عمومًا، وفي حقل الترجمة والتعريب خصوصًا، والواضح أنهم أفادوا منها، فوضعوا قواعد معينة لنقل الألفاظ من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، ثم راحوا يطبقونها أملًا في اللحاق بركب الحضارة العالمية، نتج عن ذلك آلاف التسميات والمصطلحات، وعشرات المعاجم ، وترجموا الكتب والبحوث، فحققوا إنجازًا ضخمًا من التراث العلمي العربي، ولن نضع من قدر الجهود الكبيرة التي تبذلها مجامع اللغة العربية في الوطن العربي، وهذا في حد ذاته عمل عظيم قدمه العرب للغتهم .

اللغة العربية التي وَسِعَت القرآن الكريم، ومراحل لأدب العربي، وأنواعه قادرة على وضع المصطلحات وترجمة الكتب، وتعريب ما يُستجد في اللغات الأجنبية وما انمازت به من اشتقاقاتٍ ومجازاتٍ، ونحتٍ، وإبدالٍ، واقتراضٍ، وتضمينٍ، وقياسٍ، وقلبٍ، وترجمةٍ إلى غير ذلك من فنون بلاغتها، وليس فيها ما يعوق الترجمة والتعريب، بل إنها عبرت عن مرونة، ودقة، واتساع في قبول المعرّب والمترجم .

مؤهلات المترجم

اللغة العربية ثرية بالأساليب، غنية بالمفردات، تنضح بالمترادفات، متنوعة الاشتقاقات، لكن المتحدث بها يجب أن يتميز بمهارات تؤهله لأن يتلذذ بفصاحتها، منها مهارة الاتصال مع غير العرب، ومهارة إيصال المعنى المقصود إليهم، أو النقل عنهم من خلال الترجمة اللغوية

الصحيحة، فيجب أن يكون ضليعًا بمعرفة أسرار القصر والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، وفنون البلاغة، والقواعد النحوية، والاشتقاقات الصرفية، والمعاني المعجمية، موظفًا علامات الترقيم في أثناء كل ذلك، ولن يكون له ذلك إلا بالدربة والمران ' وإثراء رصيده اللغوي بقراءة أساليب العربية الفصحى من كتب اللغويين الأوائل، فالموهبة وحدها لا تكفي ليكون الكاتب أو المترجم مبدعًا، بل يجب أن يصاحب ذلك كل ما ذكرناه، وعليه أن يكتسب الضوابط الفنية في كتابة ألوان النصوص النثرية، فمثلا عند إعداد رسالة إعدادًا فنيًّا عليه أن يدرك معنى الرسالة الهابطة، والرسالة الصاعدة، والرسالة الموازية، فلكل منها أسلوب بلاغي معين، وأن يتقن تقسيم أجزاء الرسالة ومعرفة خصائصها .

وهناك أخطاءُ معيبةٌ نراها في النصوص المترجمة وغير المترجمة أيضًا، نذكر أمثلةً منها : (موضوع شيّق، والصواب شائق) ـ (تأسست الجامعة، والصواب أُسست)، (تعرّض لحادث، والصواب عُرّض) ـ (معلمون أكفّاء، والصواب أكفياء) ـ (استنادًا على المادة، والصواب استنادًا إلى المادة) ـ (اجتمع الرئيس بالوزراء، والصواب اجتمع الرئيس إلى الوزراء) ـ (تخرّج من الجامعة، والصواب تخرّج في الجامعة) . (اعتذر من الذنب والتقصير، والصواب اعتذر عن الذنب والتقصير) . (لا يقل عددهم عن مئة ولا يزيد عن ألف، والصواب لا يقل عن مئة ولا يزيد على ألف) . (لا يخفى عن العاقل، والصواب لا يخفى على العاقل) . (الآنف الذكر، والصواب المذكور آنفًا) ....، ومثل هذه الأساليب التي يخطئ في نسجها اللغوي المترجمون وغيرُهم أكثرُ من أن تُحصرَ .

ختامًا نأمل أن نكون قد قدمنا شيئًا مفيدًا في هذه المناسبة العلمية، تحية تقدير واحترام لأعظم مجمع علمي في الوطن العربي المجمع العلمي العراقي رئاسةً وأعضاءَ الذي يرعى كل شؤون اللغة العربية، وما هذا المؤتمر الراقي (العربية هُويتُنا، رسالتُنا الإنسانية) إلا أحدُ أهمِ هذه الشؤون، شكرًا لرئيس هذا المجمع الموقر الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين الذي غمرنا بلطفه ونبله ودعوته لنا للمشاركة ، والشكرُ موصولٌ للأستاذ الدكتور محمد العاني ريحانةِ المجمعِ او اجهتِهِ الأنيقة، ولكل المشاركين من العلماء الكبار مع حفظ الأسماء والألقاب، آملًا منهم الاستمرار في مثل هذه اللقاءات العلمية التي تتلاقح فيها أفكارُ أساتذة الجامعات العربية والعلماء المجمعيين لعلنا نقدم شيئًا نقيم به ألسنتَنا، ونقتربُ فيه من فصاحة لغتنا العربية التي وسعت كل الأساليب النثرية والشعرية بسبعةٍ وعشرين حرفًا، وتقول: هل من مزيد؟ اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

العربيّة في ميدان العلم

سعيدعدنان
كلية التربية والعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

إذا كان من يزعم أنّ العربيّةَ لغةُ أدب وتاريخ وشعر وما يتّصل بذلك، إذا دخلت ميدان العلم الصرف عثرت وكبت! فإنّ تاريخها، وتقلّبها في المكان والزمان يدحض هذا المزعم!

كانت العربية في نشأتها الأولى لغة شعر، وخبر يروى، وقد بلغت في أداء ذلك مبلغاً عظيماً؛ دقةً في التصوير، وانسجاماً بين الألفاظ، وإحاطة بالعصر واستيعاباً له. فلما تنّزل القرآن الكريم بها اتسعت له فلانت ألفاظها وتراكيبها لمعانيه السامية ولم يضق لفظ أو تركيب عما تنّزل فيه من حكمة أو موعظة أو تشريع، وبدت كأنّها خُلقت من جديد متلألئة فيها المعاني القرآنية.

ثم نشأ علم الكلام، ونشأت بعده الفلسفة، وتُرجمت الآثار الفكرية الإغريقية إلى العربية، بل نشأت قبل ذلك علوم عربية إسلامية خالصة، كالنحو، والفقه، ومصطلح الحديث، ولم تعيَ العربية بأيٍّ من ذلك، ولم تعسر عليها الإبانة عنه. ونشأت علوم الرياضة، والكيمياء، والطبيعة، وكان لها مصطلحها الدال على جزئيّات فيها، وكانت العربية طيعة مرنة لم تشكُ مما حُمّلت من علم جديد، وكان العلماء في سَعة من أمرهم لم يصعب عليهم أن يؤدوا بالعربية شيئاً من العلم. وطرائق العربية في استيعاب العلم المستحدث كثيرة منها المجاز، ونقل الدلالة، ومنها الاشتقاق، والتعريب، والنحت ورائدهم أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، وما كان لأولئك العلماء أن يتيسر لهم سبيل أداء العلم بالعربية لولا أن كانوا ضليعين من اللغة قادرين على حسن التصرف بها يعرفون أسرارها، فهم أهل علم صرف، وأهل لغة.

ولم تكن اللغة في مأزق، ولم تعثُر بأداء علم أو معرفة لأن أبناءها كانوا بناة حضارة وطليعة مجد لا يرضيهم أن يجتزئوا بجانب دون آخر، وكانوا يذهبون إلى تكامل روافد المعرفة.

حتى إذا خبت جذوة الإبداع وانطفأ مصباحه سرى ذلك إلى اللغة فضؤُل سراجها ونضَب معينها وأدركها الجفاف، ولا يرجع ذلك إلى أمر فيها، بل إلى ما أصاب أهلها!!

ولما أقبل العصر الحديث، وأفاقت الأمة من رقدتها سرت الحياة في اللغة سريانها في الأمة، وعرف القرن التاسع عشر، ولا سيما النصف الثاني منه، رجالاً بذلوا جهداً كبيراً في إلانةِ اللغة والاقتراب بها من العصر وجعلها قادرة أن تعبر عما استجد من أفكار، وما أُستحدث من أشياء، وكان للصحافة الناشئة يومئذٍ يد بيضاء في ذلك فلقد تهدّت إلى عربية فصيحة لا هي بالمتوعرة الجاسية ولا بالمبتذلة العامية واتخذت منها أداة تواصل، وحمّلتها مستحدث العصر ولم تتوخَ فيها غير الوضوح والسلامة والإبانة عن القصد، ولم يكن من وكدها أن تتطلب الفن في الأداء.

وكان ممن قاد نهضة اللغة هذه حتى أعطته مقادتها: **عبد الله فكري** المتوفى في سنة ١٨٨٩م، و**عبد الله نديم** المتوفى في سنة ١٨٩٦م، و**محمد عبده** المتوفى في سنة ١٩٠٥م، و**إبراهيم المويلحي** المتوفى في سنة ١٩٠٦م و**مصطفى كامل** المتوفى في سنة ١٩٠٨م، وكانوا أرباب لسان وقلم جمعوا بين الخطابة والكتابة.

وكان لا بد أن تتوالى التجارب وأن تتعدد المحاولات حتى ينشأ نمط يضمُّ سلامة الأداء إلى جماله، فما أطلّ القرن العشرون حتى استعادت العربية رونقها وبهاءها واستقرت طرائقها في حسن البيان، وتمثلت روح العصر، وكان ممن ارتقى بالبيان وعرفته الصحف والمحافل: **أحمد لطفي السيد** (١٨٧٠م– ١٩٦٣م) الذي نعت بأستاذ الجيل، و**أحمد حسن الزيات** (١٨٨٥م– ١٩٦٨م) صاحب الرسالة، و**طه حسين** (١٨٨٩م– ١٩٧٣م)، و**عباس محمود العقاد** (١٨٨٩م– ١٩٦٤م)، و**إبراهيم عبد القادر المازني** (١٨٩٠م– ١٩٤٩م)، وكلهم كان صاحب بيان مشرق يقتدى به في نهج العربية، ولم تقف العربية عند الأدب والدين والفكر ولم تكتف بالتعبير عنها بل طَمَحتْ إلى العلم الصرف أن تعبر عنه، وأن تُلين جانبها له. وكان يعقوب صروف (١٨٥٢م– ١٩٢٧م) ممن لهم الريادة في انزال العربية إلى ميدان العلم، فقد ألّف وترجم، وأصدر مجلة : **المقتطف** (**١٨٧٦ –١٩٥٢**) التي جمعت المنحيين: العلمي والأدبي على خير ما جُمعا عليه . وعلى نهجه في منحى العلم جرى ابن أخيه فؤاد صروف (١٩٠٠م– ١٩٨٥م) إذ خلفه على مجلة ((**المقتطف**)) وعزز اتخاذ العربية لغةً في بيان الحقائق العلمية وكتب ((**الإنسان والكون**)) معرباً عن نظريات العلم الحديث في الفيزياء والكيمياء والفلك بلغة عربية فصيحة لا يعتروها خلل.

غير أن من ارتقى بلغة العلم وصفّاها وهذّبها وبناها على الوجازة المبينة وأجرى فيها نُسغاً حيّاً هو **أحمد زكي** (١٨٩٤م– ١٩٧٥م).

ولد في أواخر القرن التاسع عشر، بمصر، في مدينة السويس وسلك سبل التعلّم في أوائل القرن العشرين، وكانت بإزائه نهضة أدبية وفكرية يقودها رجال امتلكوا الثقافتين: العربية والأجنبية، وكان عندهم أن لا تُغني إحداهما عن الأخرى.

شدا من العربية وما يتصل بها أشياء، وتطلع إلى الثقافة الأخرى، وأراد أن يستقيها من بلدها فاتجه إلى إنكلترا ودرس من العلوم الكيمياء ونال فيها شهادة الدكتوراه، ولم يُرد أن يقتصر على العلم الصرف، وغايته تكامل المعرفة بعناصرها كلها، فمضى يدرس الفلسفة حتى أحرز فيها الدكتوراه فتم له إطار من المعرفة يلتقي عنده التراث العربي فكراً ولغةً بالتراث الغربي علماً وفلسفةً.

زاول التأليف والترجمة –عند عودته إلى مصر – في ميادين العلم والفكر، ودرّس علم الكيمياء في جامعة القاهرة، وكانت العربية حاضرة لديه في درسه، وفي تأليفه، وهي على أتم صفائها.

ترجم –في ما ترجم– **((بواتق وأنابيق، قصة الكيمياء))** من تأليف **برنارد جافي.** فأنزل العلم بلغة عربية فصيحة رشيقة واضحة الدلالة على حقائقه فكانت بذلك مثلاً شاهداً على أن العربية تسع العلم وتُحسن أداءه، وهو في صنيعه هذا يرى العلم متصلاً بمحيطه الإجتماعي قائماً عليه، غير منفصل عنه، ولا ريب في أن مما يصل العلم بالمجتمع ويُقيم بينهما الصلات اللغةَ المشتركة، فاذا كانت اللغة التي تعبر عن العلم وطرائقه ونظرياته وحقائقه غيرَ لغة المجتمع خسر الاثنان: العلم والمجتمع، فلا المجتمع أفاد الإفادة المرجوة من العلم، ولا العلم، استطاع أن يحقق غايته التي هي الارتقاء بمحيطه الاجتماعي، بل إنّ العلم لا يرتقي في طريقه من دون علاقة جدلية بينه وبين مجتمعه.

وألّف –في سياق نشر العلم متصلاً بالقيم الرفيعة– **((مع الله في السماء))** يتناول فيه ظواهر كونية فلكية، وقضايا فيزيائية بعربية سمحة يجد فيها القارئ المتعة مقرونة بالفائدة.

أدرك **أحمد زكي،** وهو في صدر حياته، أن العلم في المجتمع العربي ينبغي أن يتخذ العربيّة أداة اتصال لكي يحقق شرطه الاجتماعي.

وكان يرى أن من رسالته أن يبسط العلم بالعربية فلما تولّى رئاسة تحرير مجلة **((العربي))** التي صدر عددها الأول في كانون الأول سنة ١٩٥٨م شرع ينشر ما يكتب في ميدان العلم، وكان في بابين واسعين الأول: **((مع الله في الأرض))**، وهو عطف على كتابه **((مع الله في السماء))**، والثاني: **((في سبيل موسوعة علمية))** فضلاً عن **((حديث الشهر))** الذي يديره في كل شهر على قضية مما يشغل الناس فيعالجها على نحو من السعة والتقصي منطلقاً من روح العلم في الموضوعية ورصد الوقائع على حقيقتها.

تناول في **((مع الله في الأرض))** الكائنات الحيّة في أنواعها، وتكوينها، وأعضائها، وأجهزتها، ونظر إلى ما بينها من وحدة، كل ذلك بعربية واضحة وجيزة قصيرة الجمل لا تدع لبساً في ما تروم قوله، يقول في الحديث عن الثعابين: " **إن الثعابين من الحيوانات ذوات الدم البارد، هكذا نقول. وإنما الذي نعنيه بذلك أنه ليس بها جهاز أو أجهزة تعمل على إبقاء حرارة أجسامها عند نطاق معروف، تتقلب درجة الحرارة فيه، ولكن في اعتدال كثير، كما في الإنسان، وفي الحيوانات ذات الأثداء وفي الطيور. والثعابين تموت إذا برد الجو فوق ما يجب فانجمدت بذلك أنسجتها، أو إذا احتر الجو فوق ما يجب كأن زادت درجة حرارته عن ٤٠ مئوية. والثعابين بالطبع تهرب من كلتا الحالتين بالالتجاء إلى الموضع المناسب.**" .

ولغته في الإبانة على وضوحها ووجازتها تنطوي على جمال أخّاذ، بل إن جمالها ينبع من الوضوح والوجازة وسلاسة الألفاظ، فلا غرو أن يجد القارئ فيها الفائدة والمتعة وقد امتزجتا معاً.

وتناول في ((**في سبيل موسوعة علمية**)) أشياء تتصل بالعلم وعالجها بمنهجه ولغته من حيث الاستيعاب والوضوح، يقول وهو يتحدث عن التاريخ مدوّناً في باطن الأرض، وأعماقها: " **ونقف وقفة نتساءل فيها ما الأحافير؟ ونحن نحفر الأرض لنزيل عنها ترابها لأغراض شتى. والعلماء حفروا الأرض، وحفروها حيث سكن الناس، وحفروها حيث لم يسكن الناس في جبال ووديان، وحفروها في أعماق الأنهار وأعماق البحار، وخرجوا من كل ذلك على بقايا للحياة القديمة كشفت عن وجوه منها كثيرة. والشيء الذي يخرجه العلماء من الأرض، وله هذه الدلالة، نسميه أحفورة Fossil والجمع أحافير، وفي الأحافير قد تجد عظم ساق لحيوان، أو فكاً به أسنان، أو طابعاً لشكل نبات أو حيوان أو أو... فكل هذه أحافير. والأحافير التي خلفتها الأحياء الماضية بعد موتها، ثم اختزنت في بطن الأرض بسبب ما وقع في قشرة الأرض من ترسب وتغيّر، هذة الأحافير نوعان، نوع كان من عظم أو صدف أو شيء يدوم على الدهر فاحتفظ بهويته في الصخر، ونوع طري سهل التحلل والفناء احتفظ بشكله فقط ريثما تم طبعه في التربة التي دهمته. ومن الشكل المطبوع استدل العلماء عليه. ونشأ عن ذلك علم، وهو علم الأحافير Paleontology يربط بين ما يجده علماء الأرض منها، وبين ما عرف علماء علم الأحياء الحيّة، من شتى المخلوقات القائمة في تلك الأيام القديمة.**" .

يتضح من هذه النصوص أنّ العربيّة طيّعة بين يديه قادرة أن تجري في ميدان العلم وأن تُبين عنه الإبانة السليمة التامة.

وإذا عدنا إلى المزعم الذي بَدأتْ به هذه الصفحات: أنّ العربيّة لا تقوى على أداء العلم وعرضناه على هذا المثال الساطع في البيان عن العلم وجدناه لا يقدر على الثبات، وأنّ العربيّة إذا تضلّع منها الكاتب كانت لديه مبينةً أتمّ بيان عما يريد.

وبعد:

فإنّ العربيّة قادرة على أداء العلم في هذا العصر كما كانت قادرة على أدائه في الأعصر السالفة. **و**إنّ العلم لا يكتمل مداه ويحقّق غايته إلاّ إذا أُدّي باللغة القوميّة ، إذ لا يُتاح له أن يتغلغل في المجتمع ويدخل في بنيته إن كان بغيرها . **ثمّ** لا بد للعالم المشتغل بالعلم الصرف من أن يُحسن العربيّة حتّى يستطيع أن ينشر علمه في محيطه الاجتماعي. **وأقول: إنّ من الصواب، كلّ الصواب**؛ أن يكون التعليم في كلّ فروعه، وكلّ مستوياته باللغة العربية، وأن يُقتدى بما صنعته سوريا من تعريب التعليم في كلّ مراحله، ولا يعني ذلك بأيّة حال إغفال تعلّم اللغات الأجنبية وإتقانها.

لُمَعٌ في سِيَرِ بعضِ أعلامِ العربيَّةِ في ليبيا

الأستاذ الدكتور عبد السلام الهمّالي سُعُود
عضو مجمع اللغة العربية الليبي المشارك

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

الحمد لله الذي جعل العربيّة وعاءً لمحكم آياته، واصطفاها من مختلف اللغى لأداء أوفى رسالاته، وصلواته وسلامه علىٰ عبده ورسوله محمد بن عبد الله أنطقِ العرب لسانا، وأبلغهم بيانا، وعلى آله وأصحابه وأنصاره.

أحييكم أيها السادة الكرام الأماجد في هذا اليوم الأغرّ الأزهر، الذي اتّخذتموه عيدا للاحتفاء بهذا اللسان المجيد الشريف، الذي حوى من الألفاظ الأسنى، ومن التراكيب العليَّ الأسمى، وكيف لا يكون كذلك وقد تكلم به الله تعالى في الأزل، وأنطق به سيد الرسل، والعظيم لا يصطفي إلا عظيما، ولا يختار إلا مرجّبا جليلا.

وبعد فسيكون حديثي في مجلسكم الموقر هذا، المحفوف بجلال العلم والفضل، عن سير بعض من أعلام العربية في البلاد الليبية، عاشوا ونبهوا في القرنين الرابع والخامس، ولم أتعرض عمدا للذين عرفوا في القرون التالية، ولا سيما في زماننا الحاضر، الذي تعددت فيه أقسام اللغة العربية في جامعاتنا الوطنية، تعمدت هذا، لأنبه علىٰ أن الاعتناء بالعربية في هذه البلاد لم يكن حديث عهد كما وقر في أذهان بعض الباحثين، بل إنه كما سنرى فيما نستقبل من حديث يضرب بجذوره إلىٰ عصور أئمة العربية العظام الذين ازدان بهم القرن الثالث والرابع والخامس، من أمثال السراج، والزجاجي، وابن الأنباري، وأبي علي الفارسي، وابن جني، وأبي جعفر النحاس، وسواهم كثير، لعلي أدفع بذلك التهمة التي لمزت بها بلادنا من بعض الجاهلين بها وبتاريخها، من أنها كانت قفرا يبابا لا يسمع فيه إلا عزيف الجهل، وصدى التخلف، وصعيدا جرزا من الحركة العلمية التي كانت متقدة الجذوة في جارتيها شرقا وغربا، أعني بلاد الأزهر الشريف، وبلاد جامع الزيتونة المعمور.

وأغلب الظن أن الذي أركس أولئك المرجفين في حمأة هذا الوهم ما رأوه في بعض كتب الرحالة كالعبدري البلنسي، والحشائشي، وغيرهما، الذين ألموا بالبلاد الليبية إلماما سريعا بسبب ورودهم العابر، وسفرهم المتعجل من غير أن يتلبّثوا فيها، حتى يظهر لهم كريم عنصرها، وباذخ مجدها، وآثار علمائها وصلحائها، فلمزوها بأنها بلد عاقر عقيم لا يلد العلماء والأدباء والمصلحين، فلو أنهم تمهلوا قليلا كما فعل الرحالة التجاني التونسي في القرن الثامن الذي مكث

بطرابلس عامين وثمانية أشهر ، لانجلت الغشاوة من فوق أعينهم، ولأنصفوا فلم يقولوا منكرا من القول وزورا.

فهذه البلاد كغيرها من بلاد الله يأتي عليها ما يأتي علىٰ تلك البلدان من أحوال القوة والضعف، والازدهار والانحدار، وصدق الله إذ يقول في محكم كتابه: (وتلك الأيام نداولها بين الناس).

وتاريخ العربية في البلاد الليبية تاريخ قديم تليد، يعود إلىٰ أيام الإسلام الأولى عندما وطئت أرضها أقدام البررة الفاتحين من صحابة رسول الله ـ صلّى اللهُ عليه وسلم ـ في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه، عام واحد وعشرين للهجرة، بقيادة الصحابي الفاتح عمرو بن العاص رضيَ اللهُ عنه، فقد اختار بعض الصحابة الذين كانوا في ضمن جيشه المقام في البلاد الليبية، واتخذوها دارا وقرارا، من أمثال رويفع بن ثابت الأنصاري، وزهير بن أبي زمعة البلوي، والنعمان بن حسان، ومنيذر الإفريقي، وعبد الوهاب القيسي، ومحمد بن يزيد القرشي، وغيرهم.

وبأولئك النفر الكريم وبأعقابهم من بعدهم صار للعربية محل عليٌّ أسمى في نفوس الليبيين فأقبلوا علىٰ تعلمها، وحرصوا علىٰ إتقانها لأنها الطريق اللاحبة الموصلة إلىٰ فهم كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلم.

وفي القرن الخامس للهجرة وفدت علىٰ الأراضي الليبية قبائل بني سُليم وبني هلال بفروعهما المختلفة، فاستوطنتها واستقرت بها، فترسخت بهم العربية وتأثلت، وجرت علىٰ الأفواه عذبة نقية من كثير من الأدواء التي أصيبت بها في بعض الأقطار العربية الأخرى، حتى قال الرحالة المغربي أبو عبد الله العبدري عندما مرّ علىٰ برقة في القرن السابع للهجرة في رحلته إلىٰ المشرق: «وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم»، ثم أكد هذا الأمر الأديب اللغوي المجمعي المصري المعروف محمد فريد أبو حديد الذي عمل مستشارا لوزارة المعارف الليبية أيام المملكة بقوله: «إن لهجة ليبيا بصفة عامة، والبدو بصفة خاصة لهجة من سلالة عربية خالصة ما تزال تحتفظ بكثير من خصائصها الأولى».

وما كادت تؤذن شمس القرن الثالث للهجرة بالمغيب ويتنفس صبح القرن الذي تلاه حتى بدأت تظهر علىٰ الساحة الليبية أسماء علماء كبار اشتهروا برسوخهم في علوم العربية، وضربوا بسهم وافر في فنونها إقراء وتدريسا، وتأليفا وتصنيفا، ولسنا في هذه العجالة بصدد استقصائهم، وإنما نكتفي من ذلك بذكر ثلاثة منهم، إذ يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق!

فأولهم أبو محمد، عبد الله بن محمود المكفوف السرتي، المتوفى عام ثمانية وثلاثمائة، أصيل مدينة سرت الواقعة في وسط ليبيا علىٰ شاطئ المتوسط، الذي كان كما ينعته القفطي في إنباه الرواة، وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: «من أعلم خلق الله تعالى بالعربية، والغريب، والشعر، وتفسير المشروحات، وأيام العرب وأخبارها ووقائعها. وله كتب كثيرة أملاها في اللغة، والعربية، والغريب، وله كتاب في العروض يفضّله أهل العلم على سائر الكتب المؤلّفة فيه، لما بيّن فيه وقرّب. وعليه قرأ الناس المشروحات، وإليه كانت الرحلة من جميع إفريقية والمغرب».

وثانيهم أبو الحسن، علي بن نصر بن سليمان الْبَرْنِيقِي، نسبةً إلى (بَرْنِيق)، الاسم القديم لمدينة بنغازي قديمًا. أحد أفاضل اللغويين النُّحاة الأدباء في القرن الرّابع للهجرة، وأحد الخطّاطين المُجِيدين، كان الناس يتنافسون في اقتناء ما رقَمَه ببنانه من كتب العلم ودواوينه. اشتغل بكتب أوائل اللغويين، من أمثال أبي سعيد الأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وابن دُرَيد، روايةً وتدريسًا.

يقول جمال الدّين القفطي في التَّرْجَمة التي عقدها له في (إنباه الرّواة على أنباه النحاة) : "كان نحويًّا، لُغَويًّا، فاضلا، مشهورًا بالأدب. وكتب بخطه الكثير. وكان الناس يتنافسون في خطّه وتحصيله، وذلك مستمرّ إلى زماننا هذا. [أي في القرن السابع للهجرة] ... وكان خطُّه خَطًّا قاعدًا عاقلا بين الخطوط، كثير الضّبط، فى غاية التحقيق والتنقيب والتصحيح".

وقال ياقوت الحموي في دَرْجِ التّعريف به، والإشادة بفضله: "رأيت بخطه كُتُبًا أدبيّةً لُغَويّةً ونحويّةً فوجدته حسن الخطّ متقن الضّبط ... قُرِئَ عليه (كتاب الهمز) لأبي زيد الأنصاري بجامع مصر في سنة أربعٍ وثمانينَ وثلاثمائة".

وآخرهم الإمام اللغوي المتفنن أبو إسحاق إبراهيم ابن الأجدابي، الذي ذاع شذا ذكر مختصره اللغوي الموسوم بـ(كفاية المتحفظ) في أوطان العروبة وبلاد الإسلام شرقا وغربا.

وقد ولد هذا الإمام وعاش ومات في طرابلس الغرب إبان القرن الخامس، ولم يبرحها إلىٰ سواها من حواضر الإسلام، مكتفيا بما وجده عند شيوخها وأساتيذها عن الضرب في مجاهل الأرض، ومعاناة شقة السفر، ولما عجب بعض العلماء الطارئين علىٰ البلد من سعة محفوظه، وتنوع معارفه، من غير أن تكون له رحلة في طلب العلم، أجابه بقوله: «اكتسبت هذه العلوم من بابي هوارة وزناتة»، أي من داخل أسوار مدينة طرابلس المشتملة علىٰ هذين البابين اللذين ما زالا إلىٰ يومنا هذا يحملان الاسم نفسه.

يقول الرحالة العالم أبو محمد التجاني في رحلته واصفا هذا الإمام: «كان الفقيه أبو إسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم؛ كلاما، وفقها، ونحوا، ولغة، وعروضا، ونظما

ونثرا. وله تآليف جليلة، وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره».

ومن أشهر تآليفه التي أشار إليها التجاني، وتدخل في حقل علوم العربية:

ـ كتاب في الرّدّ علىٰ تثقيف اللسان للغوي المحدّث ابن مكي الصقلي، المتوفى عام واحد وخمسمائة.

ـ كتاب في شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء وبيان اعتلال الياء. يقول الرحالة التجاني في وصف هذا الكتاب: «استوفى فيه جميع أحكام هذه الياء علىٰ اختلاف أحوالها من تصغير وتكبير وغير ذلك، ولما استوفى ذلك استيفاء جميلا تعرض لشرح المقاطع الواقعة في سورة مريم؛ لاشتمالها علىٰ كثير من تلك الأحكام، فجاء هذا التأليف غاية في الإفادة والتحقيق».

ـ كتاب البديع، تفرّد بذكره ابن أبي الإصبع المصري المتوفى عام خمسة وثمانين وخمسمائة، عندما أخذ منه، وعوّل عليه في أثناء تأليفه لكتابيه المشهورين؛ (تحرير التحبير)، و(وبديع القرآن).

. كتاب في العروض، الذي أثنى التجاني علىٰ نسخة رآها منه بقوله: «ناهيك بها حسنا وترتيبا وتهذيبا».

. شحذ القريحة، يبدو من عنوانه أنه من الكتب المعينة للشداة من أهل الأدب وناشئتهم، حتى تسقيم قناتهم، وتصلح أذاتهم.

ـ كفاية المتحفظ، وهو أشهر أعماله وأذيعها، والسبب الرئيس في شهرته، وتنبيه الناس علىٰ فضله شرقا وغربا، وقد أخرنا عنه الكلام عمدا حتى نتلبث عنده قليلا.

وهذا الكتاب متن مختصر في اللغة، نعته ياقوت بقوله: «صغير الحجم كثير النفع»، وقد طبع عدة طبعات، كانت أولاها في مطبعة وادي النيل بالقاهرة قبل أكثر من قرن ونصف من الزمان، أي في عام سبعين وثمانِمائة وألف للميلاد، بعناية المصحح اللغوي المصري المشهور نصر الهوريني، ثم كان لبلدكم العراق الكريم فضل في إذاعته في نشرة محققة بعناية الأستاذ عبد الرزاق الهلالي، وبمعاونة كريمة من عالم المخطوطات العراقي الشهير كوركيس عواد، عام ستة وسبعين وتسعمائة وألف، ثم توالت طباعته عن هذه الإبرازة العراقية حتى وصلت إلىٰ سبع طبعات، آخرها ـ بحسب علمي القاصر ـ كان عام ستة وثمانين وتسعِ مائةٍ وألف.

وهذا المختصر معدود في معاجم المعاني في العربية، وترتيبه أشبه ما يكون بترتيب أبي منصور الثعالبي لكتابه (فقه اللغة)، وقد لاقى ذيوعا وانتشارا، وقبولا حسنا في الأوساط العلمية، فنوه به جمهرة من العلماء والفضلاء قديما وحديثا، من أمثال ياقوت الحموي في معجميه (إرشاد

الأريب)، و(معجم البلدان)، والجمال القفطي في (إنباه الرواة)، ومن المعاصرين العالم الجزائري المجاهد محمد بشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء الجزائريين، وعضو مجمعكم الموقر هذا، المتوفى عام خمسة وستين وتسعمائة وألف، الذي قال في حقه أثناء حديثه عن رحلته في طلب العلم: «وأعانني علىٰ الفهم ما صحب حفظي للقرآن من حفظ الكثير من الألفاظ اللغوية الفصيحة من كتاب كفاية المتحفظ للأجدابي». وقال كذلك: «وفي عنفوان هذه الفترة . فترة الصبا ـ كنت حفظت بإرشاد عمي كتاب كفاية المتحفظ للأجدابي الطرابلسي، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمداني، وكتاب الفصيح لثعلب، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت. وهذه الكتب الأربعة هي التي كان لها معظم الأثر في ملكتي اللغوية».

وممن أثنى عليه من المعاصرين اللغوي المصري المشهور الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (البحث اللغوي عند العرب)، واللغوي المصري كذلك رمضان عبد التواب في بحثه الموسوم بـ(ابن الأجدابي وأثره في الدرس اللغوي).

ولم تقتصر الإشادة به، والتنويه علىٰ مكانته علىٰ النثر وحده، بل شاركه النظم في ذلك، من مثل قول جمال الدين العدوي المصري:

مَنْ كانَ يطلُبُ في الغريبِ وسيلةً   مِن شاعرٍ أو كاتبٍ مُتَلَفِّظِ

أو كانَ يبغِي في الكلامِ بلاغةً   فَلْيَحْفَظَنَّ كِفايةَ المُتَحَفِّظِ.

وقولِ الشيخِ مصطفى الطّحاوي:

عِلمُ اللغاتِ أجلُّ علمٍ يُقتنَى   كَم تسهَرُ فيهِ أعيُنُ المُتيَقِّظِ

فاحفظْ لِما يكفيكَ منه وِقايةً   وكفاكَ حفظُ كِفايةِ المتحفِّظِ.

بيد أنّ أجلى صورة لعناية اللغويين بهذا المختصر تتمثل في شرحه، ونظمه، واتخاذه مصدرا مأمونا في تصنيف المعجمات وغيرها.

فمن أشهر من شرحه ابن الطيب الفاسي المتوفى سنة سبعين ومائة وألف، وسمّى شرحه هذا (تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، وقد طبع هذا العمل في الرياض عام ثلاثة وأربعمائة وألف بتحقيق علي حسين البواب. وممن شرحه كذلك اللغوي الشهير المرتضى الزَّبيدي صاحبُ معجم تاج العروس.

أما ناظموه فمن أشهرهم جمال الدين ابن مالك النحوي صاحب الألفية المشهورة، وشهاب الدين الخُوَيِّي، المتوفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وتوجد نسخة من شرحه هذا في المكتبة

الظاهرية بدمشق، وقاضي الحرم جمال الدين الطبري المتوفى سنة سبعمائة للهجرة، وابن جابر الهواري الأندلسي المتوفى سنة ثمانين وسبعمائة. وغيرهم.

وممن عولوا عليه واتخذوه مصدرا مأمونا لما صنفوا وألفوا من كتب متخصصة، ومعجمات، الكمال الدميري في كتابه المسوم بـ(حياة الحيوان الكبرى)، والمعجمي المشهور مرتضى الزبيدي، الذي أجرى ذكره في خطبة تاجه عندما عدّد الكتب التي استقى منها مادة كتابه، فقال: «مستمدًّا ذَلِك . أي مادته العلمية . من الْكتب الَّتِي يَسّر الله تَعَالَى بفضلِه وُقُوفِي عَلَيْهَا، وحَصل الاستمدادُ عَلَيْهِ مِنْهَا، ونقلْتُ بِالْمُبَاشرَةِ لَا بالوسائط عَنْهَا، .... فأول هذه المصنفات كذا وكذا حتى قال: «وكفاية المتحفّظ لِابْنِ الأَجدابيّ وشروحها». وممن أكثر من النقل عنه الإمام الحافظ أحمد الفيومي في معجمه (المصباح المنير).

وختاما فإني أرى من الحق الواجب، والفرض اللازب عليّ في نهاية هذه الوقفات العجلى علىٰ بعض من سير أعلام العربية في البلاد الليبية، أن أتوجّه إلىٰ القائمين علىٰ المجمع العراقي، هذا الطود العلمي الباذخ المنيف، بجزيل الشكر وعظيم الامتنان ووافر التجلة والاحترام كفاء ما يقومون به من خدمات جلّى لهذه اللغة السنية العلية، وسلاما زكيا علىٰ العراق مهد العلوم، ومنبت العلماء، وموئل الفضائل، مقرونا بدعاء صادق لله سبحانه أن يعيد عليه مجده الزاهر، ويحفظ أهله وساكنيه.

واسمحوا لي أخيرا أن أحيي هذا البلد المبارك بذكر أسماء بعض من بنيه البررة الذين ازدانت بهم جامعاتنا الليبية لتدريس العربية وعلومها، فنعد منهم ولا نعددهم:

الأستاذ الدكتور يحيى وهيب الجبوري، وزهير عبد المحسن سلطان، وزهير غازي زاهد، وصبيح التميمي، وعبد الجليل مغتاظ التميمي، ومحمد حسين الأعرجي، وعبد الجبار المطلبي، وعبد الإله الصايغ، وعبد الجبار جعفر القزاز، وعبد المنعم خضر الزبيدي، وعادل جاسم البياتي، وعبد القادر الهيتي.

ومن قبل أولئك جميعا كان الأستاذ الدكتور مجيد خدوري العراقي النسب، المولود في مدينة الموصل عام تسعة وتسعمائة وألف للميلاد، والمتوفى بالولايات المتحدة الأمريكية عام سبعة وألفين، الذي تولى في غرة عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف عمادة كلية الآداب والتربية ببنغازي أولى كليات الجامعة الليبية افتتاحا، فكان أول عميد عربي لها وثاني عميد في تاريخها، بعد عميدها الأول الأمريكي وليم ويندل كليلاند.

سقى الله قبور من رحل من أولئك العلماء الفضلاء سجول المغفرة والرضوان، وأرخى علىٰ الباقين سدول الصحة والعافية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العَرَبِيَّةُ
بين فاعليَّة "اللِّسان" وواقع "اللُّغة"

الأستاذ الدكتور وجيه فانوس

أستاذ الدّراسات العليا

المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

الجامعة اللبنانيّة

ثمَّة دوافع كثير تساهم في تشكيل بعض أبرز الأمور التي تجذب الباحثين العرب وسواهم، للخوض في موضوع اللُّغة العربيَّة؛ بيد أنَّ الغالب في هذه الدَّوافع، يكمن في المحافظة على طبيعة اللُّغة وتطويرها؛ وفاقاً لما تمليه المعاصرة من أمور، التي لعلَّ من أهمها ضرورة تعزيز مجالات التَّواصل باللُّغة العربيَّة.

ليست العربيَّة، عند العرب، بصورة عامَّة، مجرَّد وسيلة أو أداة لتحقيق المعرفة؛ إنَّها، أيضاً، هُويَّة قوميَّة. لكن ملاحظة الواقع، والمتابعة البحثيَّة لتاريخيَّة اللُّغة، تثبتان، خلافاً لما قد تذهب إليه كثرة من الهواجس السَّائدة، أن لا خوف على اللِّسان العربي من الانقراض؛ ولا خوف، تالياً، على العربيَّة، من ضعف التَّواصل عبرها أو التَّعبير بها. تَظْهَرُ الأدلَّة على هذا في أنَّ العرب، ومعهم سائر معتمدي العربيَّة في التَّعبير والتَّواصل، ما برحوا جميعاً، ومنذ أكثر من ألفي سنة، ومع اختلاف الأمكنة والأزمنة وتعدُد العصورِ والثَّقافات وتباينها، يستخدمون اللِّسان العربي من غير ما عُجمة فيما بينهم.

جرى اعتماد اللِّسان العربي، في مرحلة ما قبل الدَّعوة المحمَّديَّة إلى الإسلام؛ وكان اعتماده، كذلكَ، في مرحلة بدء نزول القرآن الكريم على النَّبيِّ العربيِّ؛ والسَّعي، تالياً، إلى نشر الدَّعوة الإسلاميَّةِ والانطلاق بها في أرجاء الدُّنيا. وكان لهذا اللِّسان العربيُّ، عينه، الأثر الإيجابيّ الفاعل، في تحقيق الاختلاط الاجتماعيّ والثَّقافيّ والسّياسيّ، عبر العصور الثَّقافيَّة المتتالية كما المُتغايرة؛ على الرغم من انهيار سلطة الخلافة وتوزُّع البلاد بين ملوك وسلاطين وأمراء. وظلَّ هذا اللِّسان العربي، إيَّاه، ناشطاً وفاعلاً، بل رائداً، خارجَ مناطقِ الجغرافيا العربيَّة التَّقليديَّة، كما حاله في بلاد في الأندلس وفارس والتُّرك وسواها؛ مساهماً بقوَّة في النُّهوض المعرفيِّ والأدبيِّ، وناشطًا في مجالات التَّفاعل الثَّقافي مع ناسٍ من خارج الجغرافيا العربيَّة التَّقليديَّة. وصمد هذا اللِّسان العربيّ، في جولات الصِّراع مع الحملات الصَّليبيَّة التي قام بها أوروبيون على المشرق العربي، من أواخر القرن الحادي عشر وحتى الثُّلث الأخير من القرن الثَّالث عشر؛ وصولاً إلى محطَّات التَّراجع السِّياسيّ والمعرفيّ والثَّقافيِّ العربيِّ. وبدء محطَّات الوعيِّ العربيِّ بالثقافة الغربيَّة ومعارفها، انطلاقاً من الحملة الفرنسيَّة على مصر وبلاد الشَّام من

المنطقة العربيَّة (١٧٩٨-١٨٠١م)، بقيادة نابليون بونابرت؛ مروراً بمراحل الدُّخول الغربيِّ والغزو الغربيِّ المنظَّم سياسيّا واقتصاديّا وثقافيًّا واجتماعيًّا لهذه المنطقة في القرنين التَّاسع عشر والعشرين؛ انتهاءً، بهذه الأيام، من زمننا المعاصر، بما وصل إليهِ الأمر، عبر العولمة السّياسيَّة والمعرفيَّة والثّقافيّة الرّاهنة.

وضع العربُ، طيلة عهود تاريخهم المعروف، نصوصهم الأدبيّة بالعربيَّة، كما دوّنوا مصنَّفاتهم بهذه اللّغة، ووثَّقوا أعمالهم ووقائع معايشهم بها؛ ومن جهة أخرى، فقد جرى اعتمادُ اللّغة العربيَّة، منذ النِّصف الثَّاني من القرن العشرين، لغة رسميَّة على منابر منظَّمة الأمم المتّحدة وفي ملفّاتها الإداريَّة؛ كما وُضِعَت، عبر الحقب التَّاريخيَّة القديمة منها كما المعاصرة، مؤلَّفات كثيرة ومتنوّعة، لغير العرب، بها؛ وترجم كثير من المعارف والعلوم إلى العربيّة من لغات كثيرة أخرى. ولقد شهدت العربيَّة، في كلِّ هذا وبه، تنوُّعاً في لهجاتها وتعدُّداً في تعبيراتها، كما عرفت تجديداً في كثير من مصطلحاتها وحتَّى مفاهيمها، ومع كلِّ هذا، ظلَّ هذا اللّسان العربيُّ صامداً، بل نابضاً بحيويَّة العيش والثَّبات والمعاصرة. ومن هنا من الممكن، إن لم يكن من الحتميَّة العلميَّة الموضوعيَّة، التَّفريق بين ما هو "لسان عربي" وما هو "لغة عربيَّة"!

تأتي لفظة "اللُّغة"، من جذر (ل غ و)، وهذ يفيد الكلام المتغيِّر والمتبدِّل؛ وهو أمر من طبيعة اللُّغة، بأن تكون متغيِّرة بما يواكب العصر الذي تكون فيه، متفاعلة معه ومستجيبة لمتطلّباته. أمَّا "اللِّسان"، فيفيد، من هذا المنظور، النِّظام المبدئيّ أو المنهجيّ الذي تتظهَّر به "اللُّغة". فاللّسان، تالياً، هو الوجود الثَّابت؛ وهو الوجود الذي لا بدَّ من ثباته ليضمن بهذا الثَّبات، كما بارتباط اللُّغة به، فاعليّة تغيُّر اللُّغة، أي حريَّة استمرار حيويَّتها وحقيقة جوهر فاعليَّة وجودها. ولعلَّ مما يؤكِّد هذا الأمر أنَّه لا ذكر لفظ "لغة" في النَّص القرآني الكريم على الإطلاق، على الرغم استخدام العرب لهذا اللفظ في زمن التّنزيل؛ بل إنَّ النَّص القرآنيّ الكريم يذكر "اللِّسان"؛ وشتَّان بين ما هو "لسان" وما هو "لغة". ويشير النَّص القرآنيّ الكريم، في مواقع كثيرة منه، إلى أنَّ القرآن أنزل بلسان عربي ثابت. والمعروف أنَّ ثمَّة لغات عربيَّة ضمن اللِّسان العربي، تُنسبُ إلى قبائلَ عربيَّة تختلف في مواقعه سكناها الجغرافيَّة وربما في تكتُّل تجمّعاتها الإنسانيَّة؛ منها، منها، على سبيل المثال وليس الحصر، لغات "حِمْيَر" و"مُضَر" و"طَيِّيء" و" قُضاعة". أمَّا النَّص القرآني فقد اعتمد فيه، ضمن اللِّسان العربي، لغة قريش.

واجهت لغة قريش، عبر وجودها أساساً تعبيريّاً في النَّصِّ القرآني، أمرين متناقضين في جوهر وجودهما. يتمثَّل الأوّل من هذين الأمرين في أنّها لكونها لغة النَّص القرآني، صارت، وهي "لغة"، بمثابة "اللِّسان"؛ غير أنّها، بحكم طبيعة وجودها ووظيفتها، ليست بلسان. ويتمثَّل ثانيهما

في أنّها بكونها لغة النَّاس اليوميَّة، جرى عليها ما يجري على كلّ لغة من ضرورات التّغيّر والتّنوّع والتّأقلم؛ وذلك بحكم ضرورة أن تكون اللُّغة مماشية لزمانها ومتطلّبات عصرها.

إنَّ التّعامل مع فاعليَّة وجود لغة قريش على أنها "لسان" و"لغة"، في آن معاً، أدَّى إلى بروز مشكلة! وهذا حقيقيّ ومنطقيّ وموضوعيّ؛ بل هو من الأمور التي يؤيّدها البحث العلميّ. وإنَّ جميع المحاولات النّظريّة والتّطبيقيّة، في مجال التّعامل اللّغوي، النَّظريّ منه كما العمليّ، لم تُجْدِ نفعاً في رأب الصَدع بين ما صار بمثابة "اللِّسان" في لغة قريش، وما هو تطوُّر لغويّ مشروع وواجب في لغة قريش، وبات يعرف بأنَّه من لهجاتها أو عاميَّاتها؛ مثل لهجة أهل بلاد الشّام ولهجة أهل بلاد ما بين النّهرين ولهجة أهل بلاد النّيل ولهجة أهل بلاد المغرب. لقد بات ضمن كلّ لغة "لهجة محكيَّة" خاصة بكلّ منطقة أو حتَّى مرحلة أو حقبة زمنيَّة؛ وصار الأمر، في واقعه، مشكلة لا حلّ عمليَّاً لها.

أفرز هذا الواقع عدَّة أمور، لعلّ من أبرزها الخوف على لغة القرآن الكريم من الهجر أو الضّياع أو حتَّى الغربة، إن لم يكن الزَّوال؛ فضلاً عن الخوف على معتمدي لغة قريش، لساناً عربيَّاً، من طغيان تعدّد ما نتج عن هذا اللّسان–اللُّغة من لهجات باتت تُعامَلُ، في بعض الأدبيَّات، على أنّها، تجاوزاً أو واقعاً، لغات؛ مثل ما يقال أحيانًا عن "اللُّغة المصريَّة" و"اللُّغة الجزائرية" و"اللُّغة اللّبنانيَّة" وسوى ذلك.

إنَّ التّخوّف من هذا الطّغيان اللّغويّ، على واقع الأمَّة العربيَّة ومجالات عيشها، صار من الهواجس الملازمة لكلّ درسٍ أكَّاديمي ولكلّ عيش عمليّ في مجال العربيَّة. وهذا، في واقع الحال، يقود إلى مشكلة لا إمكان لأيّ حلٍّ استراتيجيّ منطقيٍّ عمليٍّ لها. إنَّها، وبصورة عمليَّة، لا يمكن أن تبقى مشكلة؛ إذ ستُدخل من يتعامل معها، ضمن هذا مفهوم "المشكلة"، عوالم من السّفسطة والابتعاد عن الواقعيَّة العمليَّة والجدل وربما العبث؛ وكلّ هذه أمور لا طائل منها سوى الانقسام غير المجدي والشّقاق غير المفيد، ناهيك بالتَّخوين المتبادل وهدر الوقت.

من هنا تبرز ضرورة تحويل الموضوع من كونه "مشكلة" تستوجب حلاًّ، إلى أنّه "قضيَّة"، تستوجب تبنٍ لها وإيمان بها. من الضَّروري، تالياً، بقاء النَّص القرآني الكريم بالحال النّصيَّة التي ثبّت بها نزوله، استمراراً للدّين بين النّاس؛ ومن الضَّروري، كذلك، تطوّر لغة قريش، التي تثّبّشت عليها النّص القرآنيّ الكريم، استمراراً لحياة النّاس الذين يستخدمونها في عيشهم وتواصلهم وتحقيق تطوّرهم. والسّؤال المُلِحّ يكون، ههنا، في كيف يمكن لناس العربيَّة الاستمرار في التَّواصل عبر هذه اللُّغة، التي لا بدَّ من الاعتراف بحركيَّتها، والتي صارت، في الوقت عينه، لساناً، من الضَّروري الاعتراف بثباته، وهو لا يمتلك مقومات اللِّسان؟

أصْبَحَ مِن غيرِ المُمْكِنِ للوجودِ الإنسانيِّ المُتَحَضِّرِ، أن يعيش اليومَ بعضُ ناسِهِ في عُزلةٍ عن بعضهم الآخر؛ فالمسافةُ بين التَّحضُّرِ الإنسانيِّ والتَّواصل الإنسانيِّ أضحت، بسببٍ من تَسَارُعِ التَّقدُّم في فاعليَّةِ وسائل التَّواصُلِ مقابلِ التَّباطوء في استيعاب المنجزات المعرفيَّة، أكثر اتِّساعاً في ما بينها! واقعُ الحالِ، إنَّ المتطلَّباتِ المعاصِرَةِ للعيشِ الإنسانيِّ لم تعد تَكْتَفِ بِمُجَرَّدِ التَّلاقي العابرِ بين ناسها؛ بل باتت تفرضُ عليهم ضُروباً متعدِّدة من التَّعاون ومساحات أكبر من التَّكامل (Everitt:٢٤-٧). وعلى الرغم من أنَّ القوَّة والسُّلطة ما برحتا فيصلاً أساساً في هذا المجال، يَفْرُضُ بهما القويُّ بعضَ ما عندَه على مَنْ هو أَقلَّ قوَّةً أو شأناً منه؛ وصارَ من هو أقل شأناً مِن سواه، يتقبَّلُ غالباً ما يقدِّمه له هؤلاء، بل وفي أحيان كثيرة يسعى إلى تَمَثُّلِ له به؛ فيكون ثمَّة تابعٍ ومتبوعٍ، أو يكون ثمَّة مُنْتِجٍ ومُسْتَهْلِك. لذا، فإنَّ ميادين التَّعاون الجماعيِّ، كما فسحات التَّكامل الإبداعيِّ بين النَّاسِ، في مجالات المعاصرة الإنسانيَّة لوجودها المتحضِّر، ما انفكَّتا تفرضان ذواتها على الجميعِ؛ سعياً إلى تجاوز أسوار السَّيطرة، لتحلَّ مكانها مجالات التَّعارف المشترك والفهم المُتبادل بين النَّاس. إنَّه الطُّموح الجبَّار للخروج من ربقة ما يُعرف بـ"صراع الحضارات"، وتناتُشِها في ما بينها ليبتلع الأقوى منها كلَّ ما هو أقلَّ قوَّةً منه؛ (Fagan) (Bonney) (Widlanski) وصولاً إلى تلاقي الحضارات؛ ونهوداً، مِنْ ثَمَّ، إلى تكاملٍ ما في ما بينها، أو سعيَّاً إلى إبرازٍ لتمايُزٍ إنسانيٍّ تتحلَّى بها واحدتها في وجود الأخرى (Regan) (Guerrieri).

إن كثيراً مِمَّا تُنْتِجُهُ المعاصَرَةُ الإنسانيَّةُ الرَّاهنةُ، من معارفَ وتقنيَّاتٍ، على سبيل المثال وليس الحصر إطلاقاً، يحتاج، حُكْماً، إلى أسواقٍ واسعةٍ لتصريفه والعملِ على استهلاكه. ومن هنا يأتي أحد أبواب انتفاء العزلة بين أهلِ الإنسانيَّةِ؛ النَّاهدين، بحُكْمِ الغريزة أو الحاجة، إلى التَّقدُّم والتطوُّر والتَّجديد ومجاراةِ مناحٍ من المعاصرة. ولعلَّ ما تُبديهِ دنيا ما يُعرفُ بـ"تقنيَّة المعلومات" *informatics* أو *informatique*، راهناً، من سرعة التَّفاعلِ الإبداعيِّ والإنتاجيِّ وخاصة الاستهلاكيِّ، بين ناس المعاصرة، جماعات كانوا أو أفراداً، لخير ما يؤكِّد صحَّة هذه المقولة، وأفضل ما يُشير إلى حقيقة وجودها، بوضوح ماديٍّ ومعنويٍّ لا لبس في أيٍّ منهما على الإطلاق.

تُحتِّمُ هذه الضَّرورة، للتَّلاقي بين ناس الوجودِ الإنسانيِّ المُتَحَضِّرِ في الزَّمن الرَّاهن، بروز حوار ثقافيٍّ بين هؤلاء النَّاسِ جميعاً؛ إذ ثمَّة خلفيَّات ثقافيَّة حضاريَّة ورؤيويَّة عقائديَّة أو معتقديَّة عند كلِّ منهم، أفراداً كانوا أو جماعات، تتطلَّب من كلِّ واحد منهم أن يعرف كيف يتعامل معها وبها وربما من أجلها، في سبيل تحقيق أمرين اساسين في هذا المجال. يتمثَّل أحد الأمرين في الحِفاظ على ما يُعرف بـ"الهويَّة الذاتيَّة"، أو ما يُمكن أن يُسمَّى بـ"الخصوصيَّة الذاتيَّة

للوجود"؛ في حين يتمثَّل الأمرُ الآخر بضرورة الانخراط في ما يُمكن أن يُعرف بـ"الهويَّة الجمعيَّة المعاصرة للوجود الإنسانيِّ"؛ فضلاً عن الإندماجِ المفروضِ بما يمكّن أن يسمى بـ"الوجود الجَمعيِّ العامِّ للثَّقافة الإنسانيَّة المعاصرة"، وهي "جمعيَّة" يُنظر إليها على أنَّها شرطٌ لازمٌ لتأمين فاعليَّةٍ عمليَّةٍ ناجحةٍ لِما تُنْتِجُهُ المعاصَرَةُ الإنسانيَّةُ الرَّاهنةُ (Kuran:3-7). إنَّه حوار المعرفة والتَّعارف أكثر منه حوار الإندماج في الآخر والذَّوبان فيه؛ ويأتي، ههُنا، يأتي هذا مصداقاً لما ورد في الآية ١٣ من سورة "الحُجُرات" من النَّص القرآني: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيْرٌ**}.

"اللُّغةَ" ههنا عنصرُ تَحَدٍّ بإمتياز؛ (Esser:1-6, 11-13) إذ تُشكِّلُ، ضمن هذا السِّياق، أبرز أدوات التَّواصل وأهمها؛ فلا فكرٌ، حقيقيٌّ، من دون لغةٍ يتشكَّل بها؛ ولا تواصلٌ، واضحٌ ودقيقٌ، من دون لغةٍ على الإطلاق. (Vygotsky:73-101) (Katz:88-118) (Turner:140-168) فإمَّا أن يجتمع المتحاورون على لغةٍ واحدةٍ أو عدَّةٍ لغات، يُحسنون التَّلاقي بها في ما بينهم؛ ليوضِّح كل فريقٍ منهم ماعنده ويبحث، مع الآخر، في دقائق القضايا التي يبغي البحث بها؛ أو أنَّهم أمام اختيارٍ للتَّحاور عبر لغاتٍ يرى فيها أحدهم كثيراً من العُجمة ويعجز عن نقل ما عنده من دقائق الأمور إليها أو بها، وهذا أمر مخالف لطبيعة الحوار ومناهض لحقيقة التَّلاقي الإيجابيِّ بين المتحاورين أنفُسَهم.

تنبثق العربيَّة اليوم، في ساحات الحوار الثَّقافيِّ المعاصر، مزدهيةً بتاريخ عريق لها، قلَّ أن اشتركت معها بمثله لغة أخرى. (صدَّار) (العكيلي) فالعربيَّة ابنة تراثٍ لغويٍّ ممعنٍ في القِدم، يمتدُّ إلى أكثر بكثيرٍ من الف وخمسماية من السِّنين؛ وكثير من ناسها ما برحوا يُصِرُّون على الحِفاظِ عليها صافيةً، وفاقاً لما وصلت به إليهم عبر هذا التُّراث العريق. والعربيَّةُ، من جهة أخرى، تحمل مسؤوليَّة تراثٍ كلاميٍّ شديد العراقة وعظيم الوفرة، إمتدَّ عبر قرونٍ متعددة من الزَّمن وتجلَّى عِبْرَ نتاجات أدبيَّة وفكريَّة ملأ كثير منها أصقاعَ الأرض قاطبةً وضجَّت به، معجبةً، تضاعيف السِّنينَ وتواريخ الحقب. يُزادُ إلى هذا كلِّه، بل يفوقه أهميَّة وعظمةً وثباتاً، أنَّ العربيَّة هي التي أُنْزِلَ بها النَّصُّ القرآنيُّ، الذي يتَّخذه كثيرٌ جدَّاً من ملايين سكَّان الأرض، حتَّى اليوم، أساساً لدينهم ونبراساً لتفكيرهم ومدخلاً إلى مفاهيم لهم ومعياراً لقيمهم.

انزرعت العربيَّة بين ناسها، رغم كلِّ ما سبقت الإشارة إليهِ من مزاياها البنائيَّة وسِماتها التَّاريخيَّة، ضمن سياقين أساسين غير متعارضين، مبدأيَّاً، فيما بينهما؛ فثمَّة عربيَّة فُصحى وثمَّة عَربيَّة محكيَّة. فناسُ العربيَّة يعمدون إلى استخدام ما يعرف بـ"العربيَّة الفصحى"، في الغالبيَّة العظمى من كتاباتهم الرَّسميَّة والعلميَّة والدِّينيَّة والاجتماعيَّة والأدبيَّة، إذ يعتقدون أنَّ في هذه المجالات ما يفرضُ رصانة في التَّعبير الكلاميِّ ومحافظةً في الاستخدام اللّغوي المتوارث

بحرص وعناية وشدَّة التزام؛ في حين أنَّ نصيب ما يعرف بـ"العربيَّة المحكيَّة" من كلِّ هذا أقلَّ بكثيرٍ، ولعلَّه يحتلُّ مرتبة أدنى قيمة من سابقه عند غالبيَّة معتبرة، عبر التَّاريخ، من ناس العربيَّة بشكل عام؛ فبات أكثر انفتاحاً منه على التغييرات بل والاجتهادات والتَّنويعات، وأكثر قبولاً لما هو من خارج العربيَّة من تراكيب.

اكتسبت، جوانب كبرى وأساس، من العربيَّة ما يمكن وَسْمُهُ بـ"المُحَرَّم" "Taboo" اللّغوي؛ الأمر الذي دفع بكثيرين إلى الاعتقاد بجمودٍ يلحق بإمكانيَّات كثيرة تصيب تطوُّر العربيَّة أو معاصرتها؛(ثروت وبشر) (ريمان ودرويش) (أبو سيف) (بو عزَّة) إذ يرى هؤلاء أن مساساً ما قد يلحق بأمور ذات صلة بالدِّين والتُّراث والتَّواصل العربيِّ إذا ما جرى تعديلٌ، أو تغييرٌ ما، في مجريَّات اعتماد العربيَّة الفُصحى.

تكمن المسألةُ الكبرى التي يعانيها أهل العربيَّة، كما المتعاملون بها ومعها؛ في أنَّ النَّصَّ القرآني العربيَّ دُوِّن بـ"لسان" عربيٍّ ولكن بمنطوق "لغة" هي لغة قريش، وهي إحدى لُغات اللِّسان العربي؛ التي عادت وتوزَّعت، بدورها، إلى لهجاتٍ مناطقيَّةٍ واجتماعيَّةٍ متعددة. ومع اعتماد المسلمين للغة قريش هذه ، ضمن اللسان العربيِّ، في قراءة النَّصِّ القرآنيِّ، صارت هذه اللغة، من دون سواها من لغات اللسان العربيِّ، بمثابة لسان؛ عِلماً أنَّها، وبحكم كونها لغة، أي متغيِّرة ومتبدِّلة، لا تملك المقوِّمات الأساسيَّة للِّسان القائمة على الثَّبات!

قد يرى بعضهم في أخذ لغة قريش ضمن اللسان العربيِّ دور هذا اللِّسان مشكلة، وهذا صحيح وواقعي؛ لكن الاستمرار في اعتبار هذا الأمر مشكلة، وبشهادة الواقع اللغوي العربي القديم منه والمعاصر على حد سواء، لا يمكن أن يشكِّل حلاًّ عمليَّاً للمشكلة على الإطلاق؛ بل إنَّه حلٌّ يُوَلِّد عدداً لا حصر أو انتهاء له من المشكلات. فثمَّة مشاكلٌ دينيَّة، ومعها مشاكلٌ فقهيَّةٌ، وأخرى تاريخيَّة وثالثة ثقافيَّة، ويلتحقُّ بكلِّ هذا فيضٌ من المشكلاتِ التي قد ترتبط بِرُؤىً مُعَيَّنة إلى مفاهيمِ ذات علاقة بما يمكن تسميته بثبات الهُوِيَّة والوحدة القوميَّة في بُعديها الاجتماعيِّ والسِّياسيِّ؛ ومن هنا، وحفاظاً على لغة تدوين النَّصِّ القرآنيِّ، ممثَّلةً بلغة قريش، وحفاظاً على فاعليَّة دور كلٍّ من اللِّسان بثباتيَّته واللُّغة بحركيَّتها، كان لا بدَّ من تحويل "المشكلة" إلى "قضيَّة"؛ والنَّظر فيها على هذا الأساس.

تتلخَّص القضيَّة في أن لغة، متحرِّكة، لا بدَّ من تعامل معها على أساس أنها لسان ثابت؛ إذ لا يمكن إيقاف حركيَّة اللُّغة ولا يمكن، كذلك، التَّخلِّي عن أساسيَّة ثبات اللِّسان. من هنا، لا بد من الاعتراف بحقِّ ما يعرف بـ"لغة قريش" في التَّطوُّر والتَّجدُّد ومواكبة البيئة الزمانيَّة والمكانيَّة والمزاجيَّة التي تكون فيها؛ وضرورة اعتبارها لساناً ثابتاً يمارس عبره النَّص القرآني احتفاظه بثباتيَّاته التي تفرضها قدسيته وتتطلَّبها مبادئ الإيمان الدِّيني به.

إنَّها قضيَّة لا بدَّ من تنظير خاص بها من خلال تأمين عيش سويٍّ لها. وأساس هذا كله يبرز عبر إشكاليَّة مفادها أنْ كيف لناس العربيَّةِ الاستمرار في التَّواصل عبر هذه "اللغة" التي لا بدَّ من الاعتراف بحركيَّتها، والتي صارت "لسانا"، وهي لا تمتلك مقوِّمات اللِّسان ولا تقدر أن تحلَّ محلَّه على الإطلاق؟!

لعلَّ في البحث عمَّا يمكن اعتباره العربيَّة الأساسيَّة المعاصرة ما قد يقود إلى حُسْنِ تعاملٍ مع هذه القضيَّة. والمقصود بالعربيَّة الأساسيَّة، ههنا، هو تحديد الحد الأدنى الضَّروري والذي لا يمكن الاستغناء عنه من مقوِّمات لغة قريش، أي العربيَّة الفصحى بالمفهوم المعاصر، لتشكِّل أساساً ثابتاً في التَّعامل مع هذه اللُّغة. وبذا، يمكن تأمين للُّغة المتحرِّكة الحدَّ الأدنى العضوي في فاعليتها اللسانيَّة. وبناء على النتائج المتوخاة من هذا الاقتراح، سيمكن للعربيَّة الفصحى، أن تظلَّ متمسِّكة بالأسس اللسانيَّة التي توفِّر إجماعاً عربيّاً للتَّواصل معها، عبر الماضي والحاضر والمستقبل وبشكل خاص عبر النَّص القرآني العربي؛ وتكفل لها، في الوقت عينه تلبيَّة كل تحوُّلاتها ضمن متغيِّرات البيئة الزمانيَّة والمكانيَّة والمزاجيَّة لناسها.

بناء على هذا، لا بدَّ من إيجاد هيئة أو لجنة أكاديميَّة متخصِّصَة، تحظى باعتراف علميٍّ واسِع، وتكون ذات موثوقيَّة لا غبار عليها، تعمل على اعتماد ما يمكن اعتباره اللغة العربية الأساسية المعاصرة التي لا تغادر أبدا أصول عربية قريش ومبادئ اللسان العربي معاً، ولا تخون، في الوقت عينه، تطورات الزَّمن وتغيراته. ولعلَّ في الرُّؤية التَّطبيقيَّةِ لهذه الدَّعوة، ما يمكن أن يشكِّل نواة لإيجاد هذه اللُّجنة والبحث العمليِّ الجديِّ في تصدِّيها لهذه القضيَّة الأساسيَّة في دنيا تطور العربيَّة وفاقاً لمتغيرات موضوعات الزَّمن معطياته المعرفيَّة والاجتماعيَّة، ومحافظتها، في الوقت عينه، على أصالتها وعدم تضييع علاقتها بالنَّصِّ القرآني منطلق الحياة الإسلاميَّة وأساسها.

الجانب الآخر، من أهليَّة العربيَّة لتكون لغة حوار ثقافيٍّ ينمِّن ناسها من تبوُّء موقع إيجابيٍّ لهم في العيش المعاصِر، أو تأمين وجودٍ لهم ينماز بكونهِ فاعلاً ومنتجاً، في رحاب حيويَّة المعاصَرَة وليس مجرَّد وجودٍ يكتفي بتحقيق ما لفاعليَّةِ التَّلقي، فيكمن في قابليَّة العقليَّة العربيَّة من أن تتحوَّل من كونها عقليَّة مُسْتَهْلِكَةٍ إلى كونها عقليَّة مُنْتِجَةٍ. إنَّ من ينتج موضوعاً، فكرة أو اختراعا أو سلعة؛ فإنَّه، إذ يُنتج ما ينتجه، يعمل، كذلك، على تعريفه وشرحه وتبيان ما فيه وعرضه وحتَّى تسليعهِ إلى الآخرين، باللُّغة التي فكَّر بها فيه. من هنا، فإنَّ ما من حلٍّ جذريٍّ يُنقذ العربيَّة من عدم تسنُّمها ريادة لغويَّةً، على مستوى التَّحاور الثقافيِّ للوجودِ الإنسانيِّ المعاصر المُتَحَضِّرِ، إلاَّ بتحوُّلِها من مجالاتِ العقليَّةِ الاستهلاكيَّةِ إلى رحاب العقليَّة الإنتاجيَّة.

<u>**مكتبة البحث**</u>

المكتبة العربيَّة:

١) أبو سيف. ساندي سالم، **قضايا النَّقد والحداثة– دراسة في التَّجربة النَّقديَّة لمجلة "شِعر" اللُّبنانيَّة**، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، ٢٠٠٥.

٢) بو عزة. محمد، **هيرمينوطيقا المحكي– النَّسق والكاوس في الرِّواية العربيَّة**، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٧

٣) ثروت. عبد السَّميع، بشر. وكمال محمَّد، **اللَّهجات العربيَّة– الفصحى والعاميَّة**، مجمع اللغة العربيَّة، مصر، ٢٠٠٦.

٤) ريمان. إيمان، درويش.علي، **بين العاميَّة والفصحى: مسألة الازدواجيَّة في اللُّغة العربيَّة في زمن العولمة والأعلام الفضائي**، شركة رايت سكريبت المحدودة، أستراليا، ٢٠٠٨.

٥) صدَّار. نور الدِّين، **دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة**، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية الإنسانية / جامعة معسكر، الجزائر، (لا. ت.).

٦) العكيلي. حسن منديل حسن، **قداسة اللغة العربيَّة**، كليَّة التربية للبنات، جامعة بغداد، (لا. ت.).

المكتبة الإنكليزيَّة:

1) Bonney. Richard, **The 'clash of Civilizations' and the Global War on Terror**, Peter Land LTD, Oxfordshire, England, 2008.

2) Esser. Hartmut, MIGRATION, LANGUAGE AND INTEGRATION, **AKI Research Review 4**, Programme on Intercultural Conflicts and Societal Integration (AKI), Social Science Research Center Berlin,December 2006. Lev S. Vygotsky, **Thought and Language**, MIT Press (U.S.A.), 2012.

3) Everitt.Anthony, **The governance of culture: approaches to integrated cultural planning and policies**, Cultural Policies Research and Development Unit, Policy Note No. 5, Council of Europe Publishing, September 1999, Printed in Belgium.

4) Fagan. Brian M., **Clach of Cultures**, 2nd ed., ALTAMIRA Press, Oxford, 1998.

5) Guerrieri. Paolo, Lelio Iapadre and Georg Koopmann (ed.), **Cultural Diversity and International Economic Integration**, Edward Elgar Publishing Limited (U.K.), 2005.

6) Katz. Albert N., Cristina Cacciari, Raymond W. Gibbs Jr. and Mark Turner Jr. **Figurative Language and Thought**, Oxford University Press, (NY).

7) Kuran. Timur – Department of Economics – Duke University, **Cultural Integration and Its Discontents**, July 6, 2007.

8) Regan. Vera, Maeve Conrick ND Isabelle Lemée (ed.), **Multiculturalism and Integration: Canadian and Irish Experiences**, University of Ottawa Press (Canada), 2010.

9) Turner. Mark, **The Literary Mind: The Origins of Thought and Language**, Oxford University Press, 1996.

10) Widlanski. Michael, **Battle for Our Minds: Western Elites and the Terror Threat**, New York, Michael Widlanski 2012.

الإيجاز البلاغي بين المبنى والمعنى
قراءة دلالية في ضوء القرائن في آي من الكتاب المبين

الأستاذ الدكتور محمد عبدالحميد محمد جار الله
جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية
دولة ليبيا/ قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بجوامع حمده على جميع آلائه ونعمه، ثم الصلاة والسلام على رسوله الأمين المبين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فهذه الورقة تلفت النظر إلى وجوهٍ من الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم، بملاحظة أسس خطابه، وخصائص لسانه، واعتماد تضافر القرائن في بيان مراد المتكلم به –سبحانه–، ولاسيما في تبيين دلالة المشترك اللفظي من ألفاظه، مما اختلف في تعيين دلالته، وبعضها وعر المسلك، خطير الأثر نحو ما كان في مباحث الاعتقاد، ومباحث الأحكام.

ولا تتسع هذه العُجالة بقيد الورقات الخمس لإطناب ولا مساواة؛ إذ المقام مقام اختصار وإيجاز في موضوع مركب، يحتاج بعضه إلى سعة تفصيل، وزيادة بيان.

فاحتلتُ لتلبية ما لابد منه من مطالبه بالتقديم له بمقدمتين تكفي اللبيب إشاراتها، أما الأولى ففي أسس الخطاب القرآني وخصائص لسانه، وأما الثانية فناقشت: كفاية المباني في الدلالة على المعاني، وجدوى تضافر القرائن على بيان مُراد المتكلم.

ثم الدرس التطبيقي على أنواع من الإيجاز في مواطن من آيات البلاغ المبين، ثم الختام بالنتائج والتوصيات.

ذلك ولم أحرر مفهوم مصطلح من المصطلحات في هذا الاختصار، عسى أن تكون هذه الورقة إضافة مفيدة فاتحة لدرس أعمق، والحمد لله.

المقدمة الأولى

في أسس الخطاب القرآني، وخصائص لسانه

لا شكَّ في أنّ لسان القرآن – وإن كان على سنن العرب في كلامها– قد امتاز بما يمتاز به، فكان طورًا من أطوار العربية في أكمل وأعلى درجات بلاغتها وبيانها، ولأجل معرفة مراد المتكلم به – جلّ وعلا – نشأت علوم العربية، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، والكلام والتصوف والعرفان، وغيرها، فتشكّل من مجموع نتائج مباحثها تراكم معرفي يستعين به اللغوي والمفسر والمتكلم والفقيه...

وإذا كانت أسس الخطاب في علم التخاطب تتكون من المرسل والرسالة والمتلقي، فإنّ الخطاب القرآني لابد فيه من ملاحظة أساس رابع، وهو الرسول -ﷺ-؛ لأنه واسطة بلاغه وتبيانه، وبه يلحقُ من يقوم بوظيفته من بعده في البيان على اختلاف طوائف المسلمين، باعتبار من عيّنه الخطاب القرآني، أو النبي، أو الولي، وفي كلٍّ إثبات صحة الصدور في بيانهم لمضامين الرسالة ومقاصدها وقيمها، ومراد المتكلم بها في جميع تفاصيل شؤونها، ومعالم منهج تفسيرها – له أعلى الاعتبار.

وأما المخاطِبُ – وهو الله المبين – فلابد من ملاحظة تجلّي أسماء جلاله وجماله وكماله في خطابه، ومن يهمل ذلك يقع في خطأ منهجي، كمن يعامل كلامه – سبحانه – معاملة كلام الأعراب!

وأمّا المخاطَبُ من بني آدم في عالمنا، بله عوالم الجنّة، فلابد من ملاحظة خصائص تكوينه، وتطور أحواله وتغيرها في مسيرته التي لم تنته بعد، وأكثر الخطأ في تعيين مراد المتكلم بالقرآن – سبحانه – هو من جهة المتلقي، ولاسيما المفسر بغير سلطان من الله؛ إذ تتفاوت قدرات المفسرين، وتنعكس ثقافة كلٍّ على تفسيره، فتؤثر فيه مذاهبهم العقدية، والفقهية والنحوية، ومشاربهم السياسية، ومبانيهم الأصولية، ومناهجهم التفسيرية حتى صار الدليل الواحد محتملًا لكل مقالة من مقالات الإسلاميين، وورثنا نحن كل ذلك، وسنورثه لمن بعدنا، فأي حجة بعدُ ستبقى للكتاب؟

ولا يزال درس كدرس المحكم والمتشابه، والعام والخاص، ووجوه دلالات ألفاظ المشترك في استعمال القرآن والحديث، ومثله استعمال العرب في الدرس المعجمي، وغيرها غير مكتمل، ولا محكم؛ إذ استقراؤه ناقص، ولا يدرى غالب ما استقرئ منه كيف قرر معناه، ولا على وفق أي منهج ضبط؟!

المقدمة الثانية

في كفاية دلالة المباني على المعاني، وجدوى تضافر القرائن على تعيين مراد المتكلم

المباني الكلامية أوعية المعاني، إلا أنها غير كافية وحدها في تعيين مراد المتكلم، إلا في إيصال المعاني المباشرة البسيطة، أما المركب المعقد، والموجز المركز لفظه، المتسعة معانيه، والذي يُراد منه مخاطبة البشر جميعًا على مرّ الأزمنة، واختلاف الأمكنة، والعقول، والأحوال المتطورة، كالقرآن الحكيم؛ إذ هو يخاطب الأعرابي الأُميّ، والفيلسوف العارف، وإنسان عصر التنزيل، وإنسان عصر الفضاء، والجِنّة الذين يطلعون على عوالم لا يطلعُ عليها كثيرٌ من بني آدم، ويخبرُ عن عوالم الغيوب الأخرى في النشأة الأولى والآخرة، وكيف بما هو فوق ذلك من محجوب الذات الإلهية العلية، والإخبار عن عوالم الملأ الأعلى؟.

لا ريب أنّ اللغات التي نشأت في كنف عالم المادة، ستكون قاصرة قصورًا تكوينيًا عن التعبير عن تلك الحقائق والمعاني غير المحسوسة، ولا المدركة، إلا أن ينظم مبانيها الدّالة عليها عليم حكيم، ويبينها رسول مبين، ويحسنُ تأويلها من بعده راسخ في العلم خبير أمين.

فلا نستطيع مثلًا في فلك مقولة التذكير والتأنيث الصرفية والنحوية، أن نستدل بمباني صيغة جمع المؤنث السالم أو لاحقة تاء التأنيث بقرينة المطابقة في نحو: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ**﴾ [آل عمران: ٤٥]، **قال تعالى** ﴿ **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً**﴾ [النازعات: ٥] .

فنحكم بأنوثتها حقيقة لا تأنيثها مجازًا، ولا أن نقول: إنّ بعضها ذكور كحملة العرش بدليل أنّ القرآن قال بأنهم: ﴿**ثَمَٰنِيَةٌ**﴾ [الحاقة:٧] لا ثمان، فإذا ساعدتنا قرينة ردّ زعم المشركين لما قالوا إنها بنات الله، وجعلوها إناثًا على الحقيقة، فإننا لم نفهم ذلك من دلالات الصيغ والأدوات في الآيات الأول، فكيف بالذات العلية ولا تصحب الأسماء الدّالة عليها إلا مباني التذكير؟

ومن نحو هذا وقع من وقع في التجسيم فيما يُعرف بأدلة الصفات الخبرية الواردة في القرآن والحديث، فحملوا المشترك اللفظي على احتمال دلالة من دلالاته في استعمال اللغة، ولم يستصحبوا في فهمها قواعد التنزيه المستنبطة من أدلة أخرى.

ولا تتسع هذه العجالة لمزيد من التفصيل، غير أنّ فيما ذكر دليل كافٍ على أنّ المباني وحدها في نحو ما ضربناه مثلًا قاصرة كل القصور في بيان الدلالة، بل إنها صارفة عن المعنى المراد ما لم تلاحظ دلالة قرائن أخر من قرائن المقال وغير المقال، متصلة كانت بالمقال أم منفصلة عنه.

ومن هنا تبرز أهمية نظرية تضافر القرائن وجدواها في دراسة اللغة لفهم نظامها، ولاسيما ما يتعلق بدراسة المعنى.

ولعلّها مما يحتاج إلى إعادة صياغة بعد إعادة البحث والنظر في كل من ألّف فيها قديمًا وحديثًا، وسأعتمدها منهجًا فيما يأتي من تطبيقات على شواهد هذه الورقة.

الدرس التطبيقي للإيجاز البلاغي بين المبنى والمعنى في ضوء القرائن

المسألة الأولى– الإيجاز بحذف متعلق الباء ومجرورها في البسملة:

يتحقق الإيجاز بأداء المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة حذفًا وقصرًا، ومن إيجاز الحذف هذه المسألة؛ إذ تستعمل الباء في معانٍ كثيرة[1]، منها: الإلصاق، والمصاحبة، والسببية، والاستعانة،

---

[1] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الشام للتراث، لبنان: ١/١٠١، ١٠٢.

وقد اختلف في تقدير متعلق الجار والمجرور في البسملة، من حيث كونه فعلًا أو مصدرًا، وكونه مقدمًا أو مؤخرًا، وكونه مفردًا أو غير مفرد، وفي تعيين معنى الحدث نحو الابتداء والقراءة والتبرك والاستعانة، وأجمع الأقوال قول الزمخشري(٢)؛ إذ جعله مما حذف لتذهب فيه النفس كلَّ مذهب، فيتعين المعنى بحسب أفعال المكلفين ونياتهم، هذا من حيث جهة المخاطَبِ، أما المخاطِبُ – عزّ وجلّ –، فلم أقف على من ذكر كل الاحتمالات السائغة في حقه، فقدر لها ما يناسبها من معانٍ متكثرة بمباني الأمر، والمضي، أو بمباني المصدر.

هذا، ومن أخطر أبواب القرآن باب تقدير محذوفاته؛ إذ تكاد تكون من كلامه، تعالى.

وإنما بدأنا بهذا لنقولَ: إنّ مفتتح الكتاب ومفتاحه الإيجاز، وأمّ أصوله المحكمة اتساع الرحمة، فانظروا في القرآن أول مصاديقها وآخرها وما بينهما، وفي تفسير الإمام الصادق(٣) أنّ (الباء) بهاء الله – أبهى إيجاز فليتأمل.

المسألة الثانية– الولاية بين العموم والخصوص في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ{٥٥} وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: ٥٥–٥٦].

سياق هاتين الآيتين الكريمتين في بيان صفة من نواليه بعد موالاة الله ورسوله، ومقامهما مقام مدحٍ لمن يمتثل لذلك، واكتنفهما سباقًا ولحاقًا التحذير من فعل المنافقين بموالاتهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين، والنهي عن فعلهم، والمقام مقام فيهما تهديد ووعيد.

وقرينة مبنى الأداة (إنما) في أسلوب الحصر تفيد توكيد قصر ولاية المؤمن على من ذكرتهم الآية الأولى، غير أنه اختلف في تعيين دلالة بعض ألفاظها: ﴿الذين﴾ الثانية مع صلتها، من حيث العموم والخصوص، والدلالة الشرعية لـ﴿الصلاة﴾ و﴿الزكاة﴾ بين الوجوب والندب، وهذه الأخيرة بنى على الاختلاف فيها تحديد الوظيفة النحوية للواو في ﴿وهم﴾ بين الحالية والعاطفة، ودلالة ﴿راكعون﴾ على ظاهرها أو تأويلها(٤).

وسبب الاختلاف في التفسير، وما ترتب عليه من اختلاف في الاعتقاد والفقه يكمنُ في

---

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ابن جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي: ٢/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، ومحمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م: ٣٥/١.

(٤) الكشاف، للزمخشري، ٦٤٨/١، ٦٤٩؛ والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، وآخرون، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: ٥٢٥/٣.

الأخذ بقرينة وترك أخرى كما سيتبين، بله الدلالة على وجه الإعجاز بالإيجاز.

رأت طائفة من المفسرين منهم ابن كثير أنّ لفظ ﴿الزكاة﴾ يُراد منه الدلالة الشرعية للزكاة الواجبة، قال: " وأما قوله ﴿وهم راكعون﴾ فقد توهم بعض الناس أنّ هذه الجملة في موضع الحال من قوله ﴿ويؤتون الزكاة﴾، أي في حال ركوع، ولو كان كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى أنّ بعضهم ذكر في هذا أثرًا عن علي بن أبي طالب، أنّ هذه الآية نزلت فيه، وذلك أنه مرّ به سائل في حال ركوعه فأعطاه خاتمه"[٥].

ولقائل أن يستدل بعكس الدليل ردًا لقوله، وهو أنّ بعض الفقهاء لم يجعلوها في الزكاة الواجبة، وهو اختيار القرطبي[٦]، ولو افترضنا أنها في زكاة الفرض للزمهم القول بمدح دفعها على هذه الحال، فلا اعتبار لقول قائل إذا خالف الكتاب، فكيف وقرائن السياق والسباق واللحاق، وأحد سببي النزول عند من يعتبر بعض طرق رواياته، كلها تدل على أنها ليست في الزكاة الواجبة، وإنما في بيان صفة من نوالي بعد موالاة الله ورسوله، ويعضد هذا قرينة القراءات المفسرة على شذوذها –وهي عندي أعلى من قول الصحابي–؛ لاحتمال كونها قرآنًا قبل اعتبار المصلحة في الجمع، وأقله أن تكون من تفسير الصحابي، والأخذ بالقراءات الشاذة في التفسير معتبر عند المفسرين والفقهاء، وقد قرأ عبدالله بن مسعود بزيادة الواو بعد ﴿آمنوا﴾[٧].

مما يرجح مع ما ذكرناه القول بالولاية الخاصة لأمير المؤمنين، فتكون عاطفة للخاص على العام، وهذا تشهد له أحاديث صحيحة نحو قوله –ﷺ–: «**ما تريدون من عليّ؟ عليّ مني وأنا من عليّ، وعليّ ولي كل مؤمن بعدي**»[٨]، وعلى هذا الوجه من التفسير لا حاجة لتأويل ﴿راكعون﴾ بـ ﴿خاضعون﴾ أو ﴿خاشعون﴾؛ لأنّ المبين[٩]، لو أراد هذا لقاله، وهو من الألفاظ

---

[٥] تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، أشرف على تحقيقه لجنة من العلماء، دار الأندلس، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م: ٥٩٧/٢.

[٦] الجامع، للقرطبي: ٥٧٠/٣.

[٧] الدر المنثور في التفسير المأثور، الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م: ٣٦٣/٥.

[٨] فضائل الصحابة، أبو عبدالله أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: وصي الله بن محمد عباس، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، الحديث رقم (١٠٦٠)، قال محققه: إسناده حسن، وصححه الألباني برقم (٣٧١٢) في: سنن الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

[٩] الجامع، للقرطبي: ٥٧٠/٣.

المستعملة في القرآن الكريم.

وبهذا تكون الآية الكريمة قد جمعت بإيجازها بين الموالاة العامة للمؤمنين والموالاة الخاصة لأمير المؤمنين.

وأستحب على هذا الوقفَ على ﴿آمنوا﴾ بيانًا للفرق بين الولايتين، أو دلالة على الحذف بتقدير: أخص، أو أمدح، كما يقرره أرباب الوقف في نحوه.

ولفقيه أن يقول باستحباب دفع زكاة التطوع في هذه الحال لو تكرر الدّاعي، أو بجوازه في الأقل كما قاله ابن خويز منداد(١٠).

المسألة الثالثة- الإيجاز بين دلالة (ما) ودلالة (الآباء) في قوله تعالى: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾ [يس:٦]

اختلف في (ما) هاهنا بين كونها اسمًا موصولًا أو مصدرية أو نافية، فقال عكرمة بموصوليتها، وقال قتادة بنفيها، واحتمل ابن عطية مصدريتها(١١)، قال أبو حيان: "وباعتبار الآباء في القرب والقدم يزول التعارض بين الإنذار ونفيه"(١٢)، فعلى وجه الإثبات هو إنذار أبيهم إسماعيل -عليه السلام- أب المستعربة، ونبوته في أم القرى وما حولها، هذا على أنّ أصل الخطاب في قريش، فإن أريد غيرها فرسالة إبراهيم - عليه السلام - أوسع وأشمل، وهود وصالح في العرب القديمة، ومن بقي من ولد من آمن معهما، ويصدقه قوله تعالى: ﴿**أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [المؤمنون، ٦٨].

وعلى وجه النفي هم آباء من عاصر النبي -ﷺ-، ويشهدُ له: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ**﴾ [سبأ: ٤٤]، ﴿**لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ** ﴾ [القصص: ٤٦].

ولو أراد الله وجه النفي وحده لاستعمل (لم) فقطع الاحتمال، ولو أراد الموصول لاستعمل (الذي) كذلك، لكنه أوجز فاستعمل مشتركًا ليجوّز الوجهين، وأما سائر الاستعمالات كالشرط والاستفهام فلا مدخلية لهما في هذه الآية، وعلى هذا ونحوه يمكن تأصيل أصل تفسيري في المشترك اللفظي بملاحظة الإيجاز، فيستعرض المفسر استعمالاته جميعًا في الموضع، ويثبت ما يسوغ منها بدليل، وينفي ما ينفيه بدليل.

---

(١٠) السابق: ٣/٥٧٠.

(١١) البحر المحيط، لأبي حيان: ٧/٣١٠.

(١٢) السابق: ٧/٣١١.

المسألة الرابعة – الإيجاز بدلالة مبنى الفعل الرباعي المكرر في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧]

الفعل ﴿عسعس﴾ من غرائب القرآن ومفرداته، وكونه كذلك أدعى للبحث فيما وراءه، ولم يوفق صاحب المفردات في غريب القرآن في تبيان دلالته في الآية الكريمة؛ إذ قال: "أي أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه"[١٣]، ولا السمين الحلبي لما قال: "أي أقبل وأدبر، فهو من الأضداد، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه،...، وقال بعضهم: إنه ليس من الأضداد، بل لأنّ بينهما قدرًا مشتركًا، وإليه نحا الهروي وغيره، وقال: والمعنيان يرجعان إلى معنى واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره"[١٤].

فقصره الأصفهاني على المتواطئ، وجعله السمين من الأضداد على معنى المتواطئ فنقض بآخر كلامه أولَه!

وفسّره الفراء بالإدبار فقط، والحسن البصري بالإقبال وحده، وكلا القولين منسوبين إلى ابن عباس[١٥]، وأنه من الأضداد اختيار الخليل والمبرد، وقول المبرد: إنه قسم من الله بالحالين: إقبال الليل وإدباره، ألهم ابن عاشور فجعله من الإيجاز، قال: "وبذلك يكون إيثار هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به فيهما؛ لأنهما من مظاهر القدرة؛ إذ يعقب الظلام الضياء، ثم يعقب الضياء بالظلام، وهذا إيجاز"[١٦].

وملاحظة مبنى الفعل ودلالته على التكرير كما قرره ابن جني[١٧] يفيد بحدوثهما معًا في كلّ كلّ آنٍ، وقد صار ذلك في عصرنا من حقائق العيان، فكأنّ المعنى في لحاقِه: والصبح إذا تنفس ولم يتنفس، أي من شدة وطأة غشيان الليل إياه، والله أعلم.

---

[١٣] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (٥٠٢هـ)، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م: ٣٦٨.

[١٤] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، يوسف بن أحمد (٧٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م: ٣/٧٢، ٧٣.

[١٥] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر: ٣٠/١٥٤.

[١٦] السابق: ٣٠/١٥٤.

[١٧] الخصائص، بو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت: ٢/١٥٤.

الخاتمة:

تمت – بحمد الله – هذه الوريقات، وخلاصة نتائجها:

١. لابد من مراعاة أسس الخطاب القرآني، وخصائص لسانه سبيلًا للوصول إلى مراد المخاطب – سبحانه –، وترك ذلك خطأ منهجي فاحش.

٢. إنّ تضافر القرائن هو أمثل منهج لتفسير الكتاب المبين، وما أُلّف عن القرائن قديمًا وحديثًا في حاجة إلى جمع وإعادة درس؛ ليُصاغ من مجموعها بعد نقدها منهج أكمل وأشمل لدراسة المعنى.

٣. من وجوه الإيجاز البلاغي في البلاغ المبين ما لم يُستوفَ درسُه، لاسيما المتعلق منه بالمشترك اللفظي.

اللهم ارزقنا علمًا ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علمًا

والحمد لله رب العالمين

(إشكالية المعنى في ضوء القاعدة النحوية)

الدكتور زيدون فاضل عبد
جامعة الانبار/ كلية التربية للبنات

جاءت فكرة هذه الدراسة من خلال متابعتي للمعنى المراد من الجملة أو الشاهد القرآني والذي عليه مدار الكلام والقصد؛ وذلك في ضوء الأصول والقواعد النحوية التي وضعها النحاة وأصلّوا لها؛ وكما تعلمون أن المباني إنما هي دلائل على المعاني. وقد ارتأيت أن أستوضح مسألة العلاقة بين المعاني المرادة وعلاقتها بالقواعد النحوية من خلال دراسة تطبيقية لبعض الشواهد القرآنية التي قد يكون في ظاهرها إشكال في فهم المعنى المراد في ضوء القواعد والأصول النحوية التي وضعها النحاة، فقد يشكل علينا فهم بعض المعاني المرادة من الشواهد القرآنية أو الشعرية إذا ما تعارض مع قاعدة نحوية معينة؛ ومدار الفهم قائم على المعنى الصحيح؛ والغاية من الصناعة النحوية هي أن يوافق الإعراب المعنى المراد من الشاهد ؛ أما إذا خالفه فسوف يؤدي إلى حدوث إشكال وهو ما نحن بصدد دراسته من خلال بعض الشواهد القرآنية؛ ومن هذه الشواهد:

أولا : معنى (أو) في قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[1]:

اتفق الكوفيون على جواز مجيء (أو) بمعنى (الواو) و(بل) ، واختلفوا في معناها في الآية على قولين، وتبعهم في كل قول جمعٌ من النحاة والمفسرين على النحو الآتي:

الأول: إنها بمعنى (بل) والمعنى : بل يزيدون، وهو قول ابن عباس[2]، وبه صرّح الفرّاء إذ قال: (أو ها هنا في معنى (بل) كذلك في التفسير مع صحته في العربية)[3]، وتبعه في مذهبه هذا أبو عبيدة[4]، والطبري[5]، والزجاجي[6]، والرضي،[7] وابن الصائغ[8]، وبه قال الخليل[9] من البصريين.

الثاني: إنها بمعنى (الواو) والمعنى : ويزيدون ، كقوله تعالى : (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) [10]. ومن القائلين به:

---

[1] الصافات :١٤٧.

[2] ينظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٣٧٩/١.

[3] معاني القرآن للفراء:٣٩٣/٢. وينظر: الخصائص:٤٦٣/٢، الهداية إلى بلوغ النهاية: ٩/ ٦١٧٠.

[4] ينظر : مجاز القرآن:١٧٥/٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣١٤/٤، الوجوه والنظائر: ١٠٣.

[5] ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٣٧/٢.

[6] ينظر : حروف المعاني والصفات:١٣.

[7] ينظر: شرح الرضي على الكافية:٣٩٦,٧٤/٤.

[8] ينظر: اللمحة في شرح الملحة:٦٩٥/٢.

[9] ينظر : الجمل في النحو: ٣١٠.

[10] المرسلات :٦ .

قطرب[11]، وابن قتيبة [12]، والباقلاني[13]، والواحدي [14]، وتبعهم ابن مالك[15]، والأشموني[16]. واستدل ابن مالك [17]بقراءة جعفر بن محمد: (ويزيدون[18]) بالواو، وردّ البصريون تأويل الكوفيين وجعلوه فاسداً وخطأً لإشكاليةٍ في المعنى؛ قال النحاس: ((قال أبو عبيدة والفراء: هي بمعنى (بل)، وهذا خطأ عند أكثر النحويين الحُذّاق))، ثم قال: ((لأن (بل) ليس هذا من مواضعها؛ لأنها للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده، وتعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك))[19] وقال المبرد رادا مذهب الكوفيين أيضا: ((وهذا فاسد عندنا من وجهين: أحدهما: إن (أو) لو وقعت في هذا الموضع موقع (بل) لجاز أن تقع في غير هذا الموضع ... فهذا مردود عند جميعهم، والوجه الآخر: إن (بل) لا تأتي في الواجب في كلامٍ واحدٍ إلا للإضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله عزّ وجلّ ؛لأن القائل إذا قال : مررت بزيد غالطاً فاستدرك، أو ناسياً فذكر، قال: بل عمرو؛ ليضرب عن ذلك ويثبت ذا[20])). وخرَّج البصريون الآية على وجهين أيضاً بما يتوافق مع القواعد التي وضعوها ويحافظ على سلامة المعنى:

الأول: إن المعنى: لو رأيتموهم لقلتم هم مئة ألف أو أكثر، أي أنها للشك لكن من جهة المخلوقين لا من جهة الخالق وهو قول الأخفش [21]، والزجاج [22]، والنحاس[23]، وصرّح ابن جني بهذا المعنى أيضا وردّ أقوال الكوفيين، وخرجها على الحكاية، قال:((لا تأتي (أو) على مذهب الفراء بمعنى(بل) ولا على مذهب قطرب بمعنى(الواو)،لكنها عندنا على بابها في كونها شكاً، وذلك أن هذا كلام خرج حكاية من الله (عز وجل) لقول المخلوقين، وتأويله عند أهل النظر: وأرسلناه إلى جمعٍ لو رأيتموهم لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مئة ألف أو يزيدون[24]))؛ وبذلك يكون الشك من جهة المخلوق لا من جهة

---

(11) ينظر : الخصائص :٤٦٢/٢-٤٦٣.

(12) ينظر : تأويل مشكل القرآن :٢٩٠، غريب القرآن :٣٧٥.

(13) ينظر: الانتصار للقرآن: ٧٢٦/٢.

(14) ينظر : التفسير الوسيط: ٥٣٣/٣.

(15) ينظر : شرح الكافية الشافية :٥٤٩/٢.

(16) ينظر : شرح الأشموني : ٣٨٢/٢.

(17) ينظر : شرح الكافية الشافية : ٥٤٩/٢.

(18) ينظر : المحتسب :٢٢٧/٢، الكشاف:٦٢/٤، البحر المحيط : ١٢٥/٩

(19) معاني القرآن للنحاس : ٦٠/٦، وإعراب القرآن للنحاس :٢٩٨/٣.

(20) المقتضب : ٣٠٤/٣ -٣٠٥ .

(21) ينظر : معاني القرآن للأخفش: ٣٤/١، الجامع لأحكام القرآن:١٣٢/١٥.

(22) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج :٣١٤/٤، ٧١/٥ ، الجامع لأحكام القرآن:١٣٢/١٥.

(23) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٢٩٨/٣ .

(24) الخصائص:٤٦٣/٢، وينظر: سر صناعة الإعراب :٨٢/٢، المحتسب:٢٧١/٢. وقال بيان الحق النيسابوري في قوله تعالى(هِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) البقرة٧٤: (قال الفراء: معناه بل أشد.. وقال قطرب: هي بمعنى الواو.. والمبرد يرد ذلك عليهما، ويحملها على الشك كما هو وضعها، ويقول إن هذا الكلام من

الخالق لورود الشك على المخلوق واستحالته على الخالق؛ لأن الخالق لا يعترضه الشك في شيء من خبره[٢٥] فهو موجد الأكوان بتدبيره وعلمه. وممن قال بهذا المذهب: الزمخشري[٢٦]، والرازي[٢٧]، والعكبري،[٢٨] والبيضاوي،[٢٩] وأبو حيان،[٣٠] والسمين الحلبي[٣١] .

الثاني: إنّها على الإبهام، أي: إن الله تعالى أبهم أمرهم[٣٢]، كما تقول : جاءني زيدٌ أو عمرو، وأنت تعرف من جاءك منهما، إلا أنك أبهمت على المخاطب[٣٣]، وبه قال الكرماني[٣٤]، والمالقي[٣٥].

والذي يبدو أن قول جمهور البصريين بقسميه هو الراجح، كما لا يجب تخطئة قول الكوفيين، فمن الممكن قبوله ولكن على ضعف، خصوصاً إذا علمنا أن مذهبهم بمجيء (أو) بمعنى (بل) هو لغة من لغات العرب وهي لغة كندة [٣٦] .

ثانيا : نفي صيغ المبالغة لا يدل على نفي أصل الفعل:

عرَّف بعضهم صيغ المبالغة بأنها ضربٌ من أسماء الفاعلين مما فيه معنى المبالغة، أجريت مجرى الفعل الذي فيه معنى المبالغة في العمل.[٣٧] وعرّفها ابن هشام بأنها: ما حُوِّل عن صيغة فاعل لقصد إفادة المبالغة والتكثير، وحكمها حكم اسم الفاعل في العمل والشروط[٣٨]، ولا تستخدم صيغ المبالغة إلا حيث تكمن الكثرة نحو: زيدٌ قتَّال الرجال، بخلاف قولنا: موَّات زيد، إذ لا كثرة فيه،[٣٩] وإلى هذا المعنى أشار سيبويه بقوله: ((أجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على

الله خطاب لخلقه، فكأنه قال: أو أشد قسوة عندكم كقوله..(وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) وضح البرهان في مشكلات القرآن:١٤٦

[٢٥] ينظر : سر صناعة الإعراب:٨٢/٢.

[٢٦] ينظر : الكشاف :٦٢/٤.

[٢٧] ينظر : التفسير الكبير:٣٥٨/٢٦.

[٢٨] ينظر: التبيان في إعراب القرآن : ١٠٩٣/٢.

[٢٩] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١٩/٥.

[٣٠] ينظر: البحر المحيط: ١١/١٠.

[٣١] ينظر: الدر المصون : ٨٧/١٠.

[٣٢] ينظر : مغني اللبيب: ٩١، الدر المصون : ٩/ ٣٣٢.

[٣٣] ينظر : إعراب القرآن للنحاس :٢٩٨/٣.

[٣٤] ينظر : غرائب التفسير :٩٨٥/٢.

[٣٥] ينظر : رصف المباني :١٣٢.

[٣٦] ينظر : اللغات في القرآن الكريم :٤٢/١.

[٣٧] ينظر: شرح المفصل: ٧٠/٦.

[٣٨] ينظر: شرح شذور الذهب: ٥٠٣-٥٠٤.

[٣٩] ينظر: شرح المفصل: ٧٠/٦، همع الهوامع: ٧٥/٣.

بناء فاعل، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة، فمما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى: فَعُول، وفَعَّال، ومِفعال، وفَعِل)).[٤٠] وأقوى هذه الصيغ (فعَّال)،[٤١] وقد استشكل النحاة نفي الظلم عن رب العزة (جل جلاله) بهذه الصيغة في آي من الذكر الحكيم، والذي حملهم على هذا الإشكال: أنَّ النفي مُنصب على المبالغة، فيثبت بذلك أصل الفعل، والله تعالى منّزه عن ذلك، ومن هذه الآيات:

أولاً: قوله تعالى: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[٤٢]:

وردت في الآية الكريمة صيغة(ظلَّام) وهي صيغة مبالغة على زنة(فعَّال) تقتضي التكثير والمبالغة، وقد استشكل بعض العلماء مجيء هذه الصيغة؛ لأنها أخصّ من (ظالم)، ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم، أي: إن نفي الظلم الكثير لا يلزم منه نفي الظلم القليل، فيكون المعنى: وما ربك بكثير الظلم، فالمنفي هو الكثرة وحدها دون الظلم وبذلك يثبت أصل الفعل وهو الظلم، وهذا معنى فاسد،[٤٣] فلو قيل: زيدٌ ليس بظلَّام، لم يلزم منه نفي أصل الظلم ؛لجواز أن يكون ظالماً، أما إذا قيل: ليس بظالم، انتفى الظلم من أصله قليله وكثيره [٤٤]، لذلك قال العكبري: ((ولو قال: بظالم لكان أبلغ وأدل على نفي الظلم قليله وكثيره)).[٤٥] وممن استشكل ذلك الزركشي إذ قال: ((ومن المشكل قوله تعالى: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) وتقريره: إنه لا يلزم من نفي الظلم بصيغة المبالغة نفي أصل الظلم، والواقع نفيه)).[٤٦] وقال السيوطي: ((إن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل، وقد أشكل على هذا آيتان: قوله تعالى: (وما ربك بظلاّم للعبيد)[٤٧] وقوله:(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) [٤٨])).[٤٩]، وقال الشنقيطي مؤكداً هذه الإشكالية: ((في هذه الآية الكريمة والآيات المماثلة لها من القرآن إشكالٌ عربيٌ معروفٌ، ويدور فيه سؤالٌ مشهورٌ على ألسنه العلماء وطلبة العلم، وهو أن يُقال : الله–جل وعلا– في هذه الآية الكريمة نفى المبالغة، والمقرر في علم اللغة العربية التي بها نزل القرآن أن نفي المبالغة لا يقتضي نفي أصل الفعل من حيث هو المقام مقام تنزيه، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، فلِمَ عبَّر

---

[٤٠] الكتاب(تحقيق: عبد السلام هارون): ١/١١٠.

[٤١] ينظر: شرح جمل الزجاجي : ١/٥٦٠–٥٦١.

[٤٢] فصلت: ٤٦، ونحوها كقوله تعالى : (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١، الحج: ١٠، وقوله: (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)سورة ق: ٢٩.

[٤٣] ينظر: التبيان في إعراب القرآن : ١/٣١٦، الدر المصون: ٣/٥١٥، اللباب : ١٨/٣٥.

[٤٤] ينظر: الدر المصون: ٣/٥١٥.

[٤٥] التبيان في إعراب القرآن : ١/٣١٦.

[٤٦] البرهان: ٢/٥١١.

[٤٧] فصلت: ٤٦ .

[٤٨]مريم : ٦٤ .

[٤٩] الإتقان: ٣/٢٦٥، وقد ذكر هذا النص أيضا في معترك الأقران، ينظر: ١/٣٢٦.

هنا بصيغة المبالغة ولم يقل: ليس بظالم، أو ليس بذي ظلم للعبيد؟))[٥٠]، والجواب عن هذا الإشكال من وجوه ذكرها العلماء، وقد ذكر أبو البقاء[٥١]، وأبو حيان[٥٢] بعضا منها هي:

الأول : إن صيغة المبالغة في الآية لا يُراد بها الكثرة كقول طرفة:

ولستُ بحلَّال التلاع مخافةً   ولكن متى يَسترفِد القومُ أرفد[٥٣]

فهو لا يريد أنه قد يحلّ التلاع قليلاً ؛ لأن ذلك مدفوع بعجز البيت، هذا يدل على نفي البخل في كل حال، ولأن تمام المدح لا يحصل بإرادة الكثرة.[٥٤]

الثاني: أنَّ(ظلَّام) هنا للتكثير لأجل العبيد؛ لأنه مقابل لهم وهم في غاية الكثرة، ويستلزم نفي الظلم عنهم أن يكون كثيراً أيضا فجاء بصيغة المبالغة ليقابل الجمع بالجمع، ويقوي هذا الوجه أنه سبحانه وتعالى قال في موضع:(عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[٥٥] فقابل صيغة (فاعل) الدالة على أصل الفعل بالواحد.[٥٦] ومن القائلين بهذا الوجه: الزمخشري[٥٧] في أحد قوليه، والبيضاوي،[٥٨] والنسفي،[٥٩] وغيرهم[٦٠].

الثالث: إذا نفى الظلم الكثير انتفى القليل منه ضرورة؛ لأن الذي يظلم إنما يفعل ذلك لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الظلم الكثير مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر؛ فلأن يترك الظلم القليل الذي نفعه قليل أولى.

الرابع: أن يكون للنسب، أي : ليس بذي ظلم، واختاره ابن مالك[٦١] ونقله عن المحققين، وجعله منه قول امرئ القيس:

وليس بذي رمحٍ فيطعنني به   وليس بذي سيفٍ وليس بنبالِ[٦٢]

أي: وليس بذي نبل، لأن (فعَّال) تأتي في العربية للنسب بمعنى: صاحب كذا [٦٣]، وقد أفرد له

---

[٥٠] العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير: ١١٧/٥، وينظر: أضواء البيان: ٣١/٧-٣٢.

[٥١] ينظر: التبيان في إعراب القرآن : ٣١٦/١، الدر المصون: ٥١٥/٣-٥١٦، اللباب: ٩١/٦.

[٥٢] ينظر: البحر المحيط: ٤٥٦/٣-٤٥٧.

[٥٣] البيت للشاعر في ديوانه: ٢٤، وجمهرة أشعار العرب: ٣٢٢، والمعاني الكبير: ٤٠٩/١ .

[٥٤] ينظر: التبيان في إعراب القرآن : ٣١٦/١.

[٥٥] المائدة : ١٠٩، ١١٦، التوبة : ٧٨، سبأ : ٤٨ .

[٥٦] ينظر: البرهان: ٥١١/٣.

[٥٧] ينظر: الكشاف: ٣٨٨/٤.

[٥٨]ينظر : أنوار التنزيل: ٦٣/٣,٦٦٠/٤.

[٥٩] ينظر: مدارك التنزيل: ٤٣٠/٢، ٣٦٧/٣.

[٦٠] ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن : ٣٢٠/١، ٣٢/٢، إرشاد العقل السليم : ٦٠/٦.

[٦١] ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣١٦/٢، توضيح المقاصد : ١٤٦٦/٣-١٤٦٧، شرح التصريح: ٦١١/٢ .

[٦٢] البيت للشاعر في ديوانه: ١٣٧، والكتاب (تحقيق: عبد السلام هارون) : ٣٨٣/٣ .

[٦٣] ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣١٦/٢.

سيبويه[٦٤] باباً في كتابه، وتبعه المبرد،[٦٥] ومن القائلين بهذا الوجه: ابن هشام،[٦٦] والثعالبي[٦٧] إذ جعله أحسن ما قيل في هذه الآية .

الخامس: نقل أبو حيان عن القاضي أنَّ: ((العذاب الذي توعد أن يفعله بهم: لو كان ظالماً لكان عظيماً، فنفاه على حدِّ عظمه لو كان ثابتاً))[٦٨] .

وزادَ الزركشي وجوهاً أخرى في الجواب عن هذا الإشكال [٦٩] :

الأول : أن أقل القليل من الظلم لو ورد منه سبحانه وقد جلَّ عنه لكان كثيراً؛ لاستغنائه عنه وتنزهه عن قبحه، وقد ذكره الحريري[٧٠] عن بعض أهل اللغة.

الثاني: إنَّ نفي المجموع يصدق بنفي واحد، ويصدق بنفي كل واحد، ويعين الثاني في الآية للدليل الخارجي وهو قوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) [٧١]

الثالث: إنه أراد: ليس بظالم ليس بظالم، تأكيداً للنفي فاستغنى عن ذلك بقوله: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)

الرابع : إنه لما كانت صفات الله تعالى فيها صيغة المبالغة وغير المبالغة سواء في الإثبات؛ جرى النفي على ذلك، وأجاب السيوطي[٧٢] بأكثر هذه الأجوبة أيضاً.

من كل ما تقدم يظهر جليّا أنه لا يمتنع في توجيه الآية السابقة ونحوها ما ذكر النحاة فيها من وجوه، فقد جاءت صيغ المبالغة في القرآن الكريم بأروع وأبلغ ما يكون، وقد آثر الحق تعالى بعض هذه الصيغ على بعض لنكتةٍ جليلة أو لمراعاة مقتضى الحال، نحو قوله تعالى:(إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [٧٣] فقد آثرها على (عجيب)،[٧٤] ونهاية القول في هذه المسألة أنه موكول إلى القرائن، وجميع القرائن تشير إلى نفي الظلم من أصله نحو قوله تعالى:(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) [٧٥] وقوله: (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

---

[٦٤] قال سيبويه:((هذا باب من الإضافة تحذف فيه ياءي الإضافة؛ وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله،أو ذا شيء، أما ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون فعَّالاً، وذلك قولك لصاحب الثياب: ثوَّاب، ولصاحب العاج: عوَّاج...)) الكتاب (تحقيق: عبد السلام هارون): ٣/٣٨١.

[٦٥] قال المبرد: ((هذا باب ما يبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة لتدل من النسب على ما تدل عليه الياء)) المقتضب: ٣/١٦١

[٦٦] ينظر: مغنى اللبيب: ١٥٠

[٦٧] ينظر: الجواهر الحسان: ٢/١٤٥.

[٦٨] البحر المحيط :٣/٤٥٧، وينظر: الدر المصون: ٣/٥١٦، اللباب: ٦/٩١، غرائب القرآن : ٢/٣٢١.

[٦٩] ينظر: البرهان: ٣/٥١٢-٥١٣.

[٧٠] ينظر: درة الغواص: ١٠٦

[٧١] النساء : ٤٠ .

[٧٢] ينظر: الإتقان: ٣/٢٦٥-٢٦٦، معترك الأقران: ١/٣٢٦-٣٢٧.

[٧٣] سورة ص : ٥ .

[٧٤] ينظر: الإتقان: ٣/٣٤٥.

[٧٥] آل عمران: ١٨٠.

لِلْعَبـاد)[٧٦] وقولـه: (وَلَا يَظْلِـمُ رَبُّـكَ أَحَـدًا)[٧٧] وقولــه:(إِنَّ اللَّـهَ لَا يَظْلِـمُ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ) [٧٨] وقولـه:(إِنَّ اللَّـهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا) [٧٩] وغيرها، قال الشنقيطي: ((ونفي صيغة المبالغة إذا دلت أدلة منفصلة على أن يراد به نفي أصل الفعل فلا إشكال، لقيام الدليل على المراد))[٨٠].

وقد روي عن الرب جل جلاله: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا))[٨١]، وعلى ذلك فلا إشكال في نفي الظلم عن رب العزة بصيغة المبالغة لتحقق المعنى المراد .

ثالثا: الاستثناء المُفرَّغ في المصدر المؤكد :

للاستثناء أحكام كثيرة وضحها النُّحاة بالتفصيل، ومن تلك الأحكام ما يتعلق بالاستثناء المفرغ، فمن أحكامه إنه: ((لا يكون في الواجب، وإنما يكون مع النفي أو النهي أو المؤول بهما، فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك يؤول[٨٢])) . ونصّ ابن مالك[٨٣]على أنه يأتي مع شبه النفي أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٨٤]. ومن أحكامه أيضاً: إنه يجب أنْ يُستثنى من متعدد مقدر، ولا بد من أن يوافقه في إعرابه، وأن يكون مناسباً للمستثنى في جنسه، مثل: (ما قامَ إلا زيدٌ) أي: أحد[٨٥]. فعندما لم يأخذ العامل مطلوبه؛ سُمِّي مُفرغاً وأُعطي ما بعد (إلا) الحركة التي يطلبها العامل قبلها رفعاً كانت أو غير رفع. والتفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول به إلا المصدر المؤكد[٨٦]، وقد ورد هذا النوع من الاستثناء في قوله تعالى:﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾[٨٧]. واستشكله النُّحاة ومنهم النَّحَّاس[٨٨]، والرضي[٨٩] وغيرهما[٩٠] كثير، ووجه الإشكال أنه لا يجوز تفريغ العامل إلى المفعول المطلق المؤكد، فلا يقال: ما ضربت إلا ضرباً، وما ظننتُ إلا ظناً؛ لأن معنى

---

[٧٦] غافر : ٣١ .

[٧٧] الكهف : ٤٩ .

[٧٨] النساء : ٤٠.

[٧٩] يونس : ٤٤.

[٨٠] أضواء البيان: ٣٢/٧.

[٨١] ينظر: صحيح مسلم: ١٩٩٤/٤ (حديث رقم : ٢٥٧٧)، صحيح ابن حبان : ٣٨٥/٢ (حديث رقم : ٦١٩)

[٨٢]كتاب الكليات: ١٠٣٢/١، وينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٥٥٤/١، شرح قطر الندى: ٢٤٧.

[٨٣]ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣١٨/١.

[٨٤] البقرة : ٤٥

[٨٥] ينظر: شرح الكافية الشافية:٣١٨/١، شرح الرضي على الكافية: ١٠٣/٢،روح المعاني: ١٥٥/١٣

[٨٦]ينظر: ارتشاف الضرب: ١٥٠٢/٣.

[٨٧] الجاثية: ٣٢.

[٨٨] ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٢/٤.

[٨٩] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٠٣/٢.

[٩٠] ينظر : مثلاً : روح المعاني : ١٥٥/١٣ .

المصدر في هذه الأمثلة كمعنى الفعل، فيصير المعنى: ما ضربتُ إلا ضربتُ، وما ظننتُ إلا ظننتُ[٩١]، وهذا من قبيل استثناء الشيء من نفسه؛ لأن مصدر(ضربت) لا يحتمل مع الضرب معنى آخر حتى يخرج منه[٩٢]. قال النَّحَّاس في قوله تعالى : ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾[٩٣]، ((وهذا من مشكل الإعراب وغامضه؛ لأنَّه ما يقال ما ضربتُ إلا ضرباً، وما ظننتُ إلا ظناً؛ لأنه لا فائدة فيه أنْ يقع بعد حرف الإيجاب؛ لأنّ معنى المصدر كمعنى الفعل))[٩٤]. وقال الرضي مؤكداً الإشكالية التي ذكرها النَّحَّاس: ((وأما التفريغ في المبتدأ والخبر وفروعهما... وفي المفعول المطلق إذا كان للتأكيد، ووقع بعد (إلاّ) إشكال، كقوله تعالى:﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾؛ وذلك أنَّ المستثنى المفرَّغ، يجب أنْ يُستثنى من متعدد مقدر، معرب بإعراب المستثنى، مستغرق لذلك الجنس كما تقدم، حتى يدخل فيه المستثنى بيقين، ثم يخرج بالاستثناء، وليس مصدر (نظن) محتملاً مع الظن غيره حتى يخرج الظن من بينه))[٩٥]. وقال الآلوسي مؤكداً هذا المعنى أيضاً :((﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾استُشكل ذلك؛ لما أنه استثناء مُفرغ، وقد قالوا لا يجوز تفريغ العامل إلى المفعول المطلق المؤكد))[٩٦]، وعليه يدور الإشكال في الآية بحسب هذه الأقوال في محظورين: الأول: استثناء الشيء من نفسه، والثاني: إنّ الظن الذي نُفي أولاً هو الذي أُثبت ثانياً وكلاهما لا يجوز؛ لذلك تأوّل النَّحويون الآية الكريمة على عدة أوجه:

الأول: ذهب المبرد فيما نُسب إليه إلى أنَّ في الآية تقديماً وتأخيراً، أي: إنْ نحنُ إلا نظنُّ ظناً، مستدلاً لرأيه بما حكاه أبو عمرو بن العلاء، وسيبويه[٩٧]من كلام العرب قولهم: ليس الطيب إلا المسك، أي : ليس إلا الطيبُ المسك بالرفع، ليكون اسم (ليس) ضمير الشأن وما بعد (إلا) جملة من المبتدأ والخبر في موضع الخبر لـ (ليس)، وقد حمل الآية على هذا القول[٩٨]. فقد توضع (إلا) في غير موضعها، كما في قول الشاعر:

أحلَّ به الشَّيبُ أثقاله   وما اغترّهُ الشَّيب إلا اغترارا[٩٩]

---

[٩١] ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٢/٤، البحر المحيط: ٤٢٦/٩، حاشية الصبان: ٢٢١/٢ .

[٩٢] ينظر: البحر المحيط: ٤٢٦/٩، روح المعاني: ١٥٥/١٣.

[٩٣] الجاثية: ٣٢.

[٩٤] إعراب القرآن للنحاس: ١٠٢/٤.

[٩٥] شرح الرضي على الكافية: ١٠٣/٢.

[٩٦] روح المعاني: ١٥٥/١٣.

[٩٧] ينظر: الكتاب (تحقيق: عبد السلام هارون) : ١٤٧/١.

[٩٨] ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٢/٤، مشكل إعراب القرآن:٦٦٣/٢، ٦٦٤، شرح القصائد العشر للتبريزي: ٢٥٦، البحر المحيط: ٤٢٦/٩، ولم أجد في المقتضب والكامل هذه الآية وما نسب للمبرد من

[٩٩] البيت للأعشى في ديوانه:٨٨/١، وبلا نسبة في: شرح الرضي على الكافية: ١٠٤/٢، ومغني اللبيب: ٣٨٩

أراد: وما اغتره اغتراراً إلا الشيب[100]، وإلى ذلك ذهب أبو علي الفارسي[101]؛ لأن الاستثناء المفرغ لا يكون في المفعول المطلق التوكيدي وذلك لعدم الفائدة، ولم يلق تأويل المبرد قبولاً من الرضي، وردّه ؛لأنَّه تأويل مُتكلَّفٍ لما فيه من التعقيد المخل بالفصاحة[102]. وممن وافق المبرد في تأويله: ابن يعيش[103]، وأبو البقاء[104]، وسليمان النَّحوي[105].

الثاني: ذهب المبرد في القول الثاني المنسوب إليه : إلى أنَّ (ظناً) مفعول مطلق لفعل محذوف، والمستثنى محذوف، والتقدير: إنْ نظن إلا أنَّكم تظنون ظناً[106]. ولم يلق هذا التأويل قبولاً أيضاً كسابقه؛ لما فيه من التعقيد وعدم الصحة، قال أبو حيان راداً هذا التأويل: ((اهتدى إلى القاعدة النَّحوية، واخطأ في التخريج وهو محكي عن المبرد، ولعله لا يصح))[107]. وعند النظر إلى هذا التأويل نجده بعيداً عن عقلية المبرد الثاقبة من البعد بمكان، فقد اشتهر بتمييزه وشدة تمحيصه للأمور، وتمسكه بالقواعد والأصول النَّحوية والابتعاد عن التكلف في التأويل. قال الآلوسي: ((ولا أظن صحة حكايته عن المبرد لغاية برودته))[108].

الثالث: ذهب الزمخشري إلى أنَّ أصل الآية: (((نظن ظناً) ومعناه إثبات الظن فحسب، فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليُفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه، وزِيدَ نفي ما سوى الظن توكيداً بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾[109] أي: قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات، كقوله تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [110]))[111]. وإلى ذلك ذهب البيضاوي[112]،وردّ أبو حيان هذا التأويل بقوله: ((وهذا الكلام ممن لا شعور له بالقاعدة النَّحوية، من أنَّ التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره إلا المصدر المؤكد فإنه لا يكون فيه))[113].

---

(١٠٠) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٠٤/٢،مغني اللبيب: ٣٨٩.

(١٠١) ينظر: مغني اللبيب: ٣٨٩، الجنى الداني: ٤٩٦.

(١٠٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٠٤/٢، روح المعاني: ١٥٥/١٣.

(١٠٣) ينظر: شرح المفصل: ٨٦/٢، شرح الرضي على الكافية: ١٠٤/٢.

(١٠٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١١٥٣/٢، روح المعاني: ١٥٥/١٣.

(١٠٥) ينظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني: ٢١٤.

(١٠٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٢/٤، مشكل إعراب القرآن: ٦٦٤/٢، البحر المحيط: ٤٢٧/٩ .

(١٠٧) البحر المحيط: ٤٢٧/٩.

(١٠٨) روح المعاني: ١٥٥/١٣.

(١٠٩) الجاثية: ٣٢.

(١١٠) الشورى: ٤٠.

(١١١) الكشاف: ٢٩٣/٤.

(١١٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٠٩/٥.

(١١٣) البحر المحيط: ٤٢٧/٩.

الرابع: ذهب الرضي إلى أن حل الإشكال يكون في تخريج الآية على توهم المخاطب قال: ((وحَلّه أن يُقال: إنه محتمل من حيث توهم المخاطب، إذ ربما تقول: ضربتُ، مثلاً، وقد فعلتَ غير الضرب مما يجري مجراه، كالتهديد والشروع في مقدمات الضرب فتقول: ضربتُ ضرباً لرفع ذلك التوهم ... فلمَّا كان قولك : ضربتُ محتملاً للضرب وغيره من حيث التوهم، صار المستثنى منه في: ما ضربتُ إلا ضرباً، كالمتعدد الشامل للضرب وغيره من حيث التوهم فكأنك قلت: ما فعلتُ شيئاً إلا الضرب))[١١٤]، ورد السيد الشريف كلام الرضي بقوله: ((لا يخفى أن ما ذكره من الاحتمال مما لا شبهة فيه، وأنه يظهر به فائدة التأكيد، وأما الاستثناء فلا بد فيه من الشمول، ولا يكفي فيه الاحتمال المحقق فضلاً عن المتوهم))[١١٥]، ولم يُسلَّم بهذا الكلام أيضاً؛

لأنه عند تجرد الفعل لمعنىً عام، صار الشمول فيه محققاً[١١٦].

الخامس : ذهبت طائفة من العلماء يتقدمهم السكاكي[١١٧] إلى أن تأويل الآية هو : إن نظنُّ إلا ظناً ضعيفاً، والمصدر في الآية مبين للنوع حُذفت صفته وليس للتأكيد، ومنهم ابن عصفور إذ قال : ((ونظير ذلك أعني في دخول (إلا) في غير موضعها قوله تعالى : (إن نظنُّ إلا ظناً)، وقول الشاعر :

أحلَّ به الشيب أثقاله　　　　وما اغتره الشيب إلا اغتراراً

ألا ترى إنه إذا حُمل على ظاهره كان فاسداً ؛ لأنه معلوم أنه لا يُظن غير الظن، ولا يغتر الشيبُ إلا اغتراراً، وهذا عندي قد يُتصور أن تكون (إلا) فيه في موضعها، ويكون مما حُذفت فيه الصفة لفهم المعنى، كأنه قال : إن نظنُّ إلا ضناً ضعيفاً، وكأنه قال : وما اغتراه الشيب إلا اغتراراً بيناً))[١١٨] .

وتبع السكاكي في مذهبه هذا نخبة من العلماء، منهم: الخطيب القزويني[١١٩]، وأبو حيان[١٢٠] في أحد قوليه، والمرادي[١٢١]، وابن هشام إذ قال: ((وأجيب بأنَّ المصدر في الآية والبيت نوعي على حذف الصفة، أي : إلا ظناً ضعيفاً، وإلا اغتراراً عظيماً))[١٢٢]، والسعد التفتازاني إذ قال: ((وللتحقيق نحو : (إن نظن إلا ظناً)، أي : ظناً حقيراً ضعيفاً؛ إذ الظن مما يقبل الشدة والضعف، فالمفعول المطلق ههنا للنوعية لا للتأكيد، وهكذا يُحمل التنكير على ما يفيد التنوع كالتعظيم، والتحقير، والتكثير، ونحو

---

[١١٤] شرح الرضي على الكافية: ١/١٠٤.

[١١٥] ينظر : حاشية السيد الشريف على شرح الرضي : ١/٢٣٦ .

[١١٦] ينظر : روح المعاني : ١٣/١٥٥ .

[١١٧] ينظر : مفتاح العلوم : ١٩٣ .

[١١٨] شرح جمل الزجاجي لابن عصفور : ١/٢٣٠ .

[١١٩] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢/٣٩ .

[١٢٠] ينظر : البحر المحيط : ٩/٤٢٦ .

[١٢١] ينظر : الجنى الداني : ٤٩

[١٢٢] مغني اللبيب : ٣٨٩ .

ذلك في كل ما وقع بعد (إلا) من المفعول المطلق))[١٢٣]، وتبعهم السيد الشريف إذ جعل : ((الأولى ما أفاده الإمام السكاكي من أن المصدر في أمثال هذه الموضوعات محمول على النوع بجعل التنوين للتحقير، أو للتعظيم أو غير ذلك مما يناسب المقام))[١٢٤]، ووافقهم الأشموني[١٢٥]، والسيوطي مصرحاً بأن المراد:((ظناً حقيراً لا يُعبأ به وإلا لاتبعوه ؛ لأن ذلك ديدنهم بدليل﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾[١٢٦]))[١٢٧] . ولا يَرِد على هذا الرأي قول بعضهم: أن التنكير يفيد التحقير أو التعظيم أو المعاني التي ذكرت له إذا وقع عمدة (مسنداً أو مسنداً إليه) فقط، والتنكير الواقع في الآية إنما هو فضلة، ولا يؤدي معنى التحقير الذي ذكره السكاكي ؛ وذلك لأنّ كلام السكاكي من أنّ إفادة التنكير للتعظيم أو التحقير أو النوع وغير ذلك مما ذكر له من فوائد إذا وقع المسند إليه نكره ؛ لا يختص بالمسند إليه أو المسند، بل يجري ذلك على كل نكرة سواء كانت مسنداً أو مسنداً إليه أو فضلة، قال الخطيب القزويني : ((ومن تنكير غير المسند إليه للنوعية: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾[١٢٨] ... وللتحقير: (إن نظن إلا ظناً))) [١٢٩]، وقال السيد الشريف: ((أقول: فإن الحالة التي تقتضي تنكير المسند إليه ربما تتحقق في غيره، وتقتضي تنكيره أيضاً، فنبه السكاكي على ذلك بإيراد المثال من غير باب المسند إليه، وقد نبَّهَ على مثل ذلك في حالات أخر بإيراد أمثلة من غير الباب المبحوث عنه، وهذا وجهٌ وجيه يخلصك عن التعسفات التي يرتكبها بعضهم في توجيه كلامه))[١٣٠] .

ومن خلال النظر في الآراء السابقة، يتبين لنا أنّ هناك أوجهاً من التأويل ضعفها بيّنٌ واضحٌ لما فيها من التكلف والبعد عن المعنى الحقيقي للآية، ومن هذه الأوجه: ما نُقل عن المبرد في تأويله للآية، فإنَّ ضعفه بيِّن، لأن القول الذي استدل به قد جاء على لغة بني تميم، فإنهم عاملوا (ليس) معاملة (ما)، فأهملوها لانتقاض النفي بـ (إلا) [١٣١]، ((ولم يعرف المبرد أنّ (ليس) في مثل هذا التركيب عاملتها بنو تميم معاملة (ما) فلم يعملوها إلا باقية مكانها، وليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب في نحو: ليس الطيب إلا المسك، ولا تميمي إلا وهو يرفع))[١٣٢]، أما تأويل الزمخشري ففيه مخالفة واضحة للقواعد النحوية كما يرى أبو حيان[١٣٣]، إذ إنّ التفريغ يكون في جميع المعمولات إلا المصدر

---

[١٢٣] المطول : ٩٠، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٤٥٦/٨ .

[١٢٤] حاشية السيد الشريف على شرح الرضي : ٢٣٦/١ .

[١٢٥] ينظر : شرح الأشموني : ٢٢١/٢ .

[١٢٦] النجم : ٢٣ .

[١٢٧] الإتقان : ٣٤٧/٢، وينظر : الهمع : ٢٥٢/٢ .

[١٢٨] الأعراف : ٨٤، الشعراء : ١٧٣، النمل : ٥٨ .

[١٢٩] الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٩/٢ .

[١٣٠] حاشية السيد الشريف على المطول : ٩٠ .

[١٣١] ينظر : البحر المحيط : ٤٢٦/٨، روح المعاني : ١٥٥/١٣ .

[١٣٢] ينظر : البحر المحيط :٤٢٦/٨، روح المعاني :١٥٥/١٣ .

[١٣٣] ينظر : البحر المحيط : ٤٢٧/٩ .

المؤكد كما بينا ذلك سابقاً، لذلك يرى الباحث أنّ الراجح هو ما ذهب إليه السكاكي ومن وافقه من أنّ المُراد: إلا ظناً ضعيفاً، وإلا اغتراراً عظيماً، وعليه يكون المُستثنى منه في الآية مُطلق الظن، أي الضعيف وغيره، فيستثنى الضعيف منه وبذلك يرتفع التناقص، وهذا أولى من غيره من التأويلات؛((لأنه قد ثبت حذف الصفة لفهم المعنى، ولم يثبت وضع (إلا) في غير موضعها))[١٣٤]، ((وبهذا يُحلُّ الإشكال الذي يورد على مثل هذا التركيب، وهو أنّ المُستثنى المفرغ يجب أن يستثنى من متعدد مستغرق حتى يدخل فيه المستثنى بيقين، فيخرج بالاستثناء وليس مصدر (نظن) محتملاً غير الظن مع الظن حتى يخرج الظن من بينه، وحينئذٍ لا حاجة إلى ما ذكره بعض النحاة من أنّه محمول على التقديم والتأخير أي : إن نحن إلا نظنّ ظناً، ومثله قوله : وما اغتره الشيب إلا اغتراراً، أي: ما اغتره إلا الشيب اغتراراً، ولا إلى ما ذكره بعضهم من أنّ قولك : ما ضربتُ زيداً مثلاً يحتمل من حيث توهم المخاطب أن يكون قد فعلت غير الضرب مما يجري مجراه كالتهديد والشروع في مقدماتها)) [١٣٥]، وبذلك يكون المصدر في الآية مُبيّن للنوع، ويرتفع الإشكال من أصله .

---

[١٣٤] شرح جمل الزجاجي لابن عصفور : ٢٣٠/١ .

[١٣٥] المطول : ٩٠، وينظر : حاشية الشهاب : ٤٥٦/٨ .

قضية المبنى والمعنى، مقاربة تواصلية

دكتورة مينة قسيري

أستاذة باحثة / المغرب

المقدمة:

تدخل قضية المبنى والمعنى ضمن قضايا علم الجمال الحديث؛ لهذا فإن اختيار الاشتغال عليها بمقاربة نقدية حديثة، ليس صدفة، وإنما هو استجابة لأسئلة تراكمت عندي نتيجة قراءات في نظريات الأدب في القرن العشرين، وهي أسئلة غايتها فتح أفق جديد أمام هذه المتلازمة العنيدة، والنظر إليها من زاوية؛ لكونها نقطة اتصال ما بين المصدر والمقصد، ومحور العمل الأدبي الذي يتم فيه التخاطب بينهما، بحيث يتولى المتلقي مهمة تفكيك النص في ضوء لغة أو سنن مشترك بينهما.

ففي اعتقادي، لمّا كانت قضية المبنى والمعنى من القضايا النقدية التي ارتبطت مهمتها كمعايير نقدية بمسألة تقدير العمل الأدبي ومدى تأثيره وقدرته على الخلود، فإن تناولها بمقاربة تواصلية ستُعيننا على تجاوز سؤال البنية، وسؤال الدلالة كل على حده، والتركيز على وحدة العمل الأدبي، وما يتضمن من طاقة جمالية، تثير دهشة القارئ وتستدعيه للتفاعل معها.

بديهي، ستطَّرح أمامنا تساؤلات متعددة عن النظريات والطروحات التي تناولت الأثر الأدبي، لكن ما يستلزم الوقوف عليه بالدرجة الأولى هنا هو السؤال الآتي:

هل سيوفق المتلقي في التحديد الدقيق لمحتوى الرسالة الإبداعية أو لا؟ بحيث إنه يقترح أو يستصدر من جهته منظورات جديدة لها تجعلها أكثر غنى مما هي عليه؟

وهل هناك ما يجعل التواصل في الأدب مختلفا عن التواصل الاعتيادي؟

السياق التاريخي لثنائية المبنى والمعنى:

لعلّ الحديث عن قضية المبنى والمعنى، أو اللفظ والمعنى في كل مرة هو استحضار لا إرادي للنقاش الطويل والحاد أحيانا الذي دار حولها بين النقاد والدارسين للأدب، حتى قبل أن يتناولها النقد العربي القديم، وتعود الأهمية فيها إلى أنها تتناول المشترك الإنساني وهو الأدب، وكما قال عنها الدكتور محمد زكي العشماوي: " خطورة هذه القضية إنما تنشأ من ارتباطها الوثيق بتقدير قيمة العمل الأدبي وتبين تأثيره"[١]. وقال أيضا في شأنها الدكتور غنيمي هلال: " وقد تحدَّث فيها هؤلاء وأولئك عن المعايير الجمالية الموضوعية التي تُعد من أسس الحكم على

---

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص/ ٣٢٧

العمل الأدبي من الناحية الفنية..." [٢].

فهذه القضية إن كانت تعبر عن شيء، فإنما تعبر عن مسألة أساسية في مجال الإبداع الأدبي، وهي التركيز على دور القراءة، على اعتبار أن هذا النقاش الطويل إنما هو تأسيس لمشروع قرائي ضخم، محوره "الأثر الأدبي"، وما يمكن أن يُسْفِر عنه من سيرورة تفاعلية ممتدة.

انطلاقا من أفلاطون الذي كان سبّاقا من موقعه، وذلك حين قال بأسبقية الوعي في الوجود على المادة، على اعتبار أن الوعي هو الأصل، في حين رأى أن المادة ليست إلا صورة أو تجسيدا للوعي. ما يسري على القول إن شئنا أن الوعي يثمر معاني، وتصورات ذهنية، تسبق إلى الوجود قبل ترجمتها إلى ألفاظ دالة عليها. وإن كان لتلميذه منحًى آخر يرى فيه بمتلازمة الصورة والمادة.

والنقد القديم عند العرب، تناول هذه القضية بوصفها معيارا للمقابلة والمفاضلة بين الشعراء، إلا أن النّقاد شددوا فيها كثيرا، فاختلفوا في النظر إلى عناصرها، بحيث مال فريق منهم إلى اللفظ، واعتنى ونادى فريق آخر بالمعنى، حين اعتبروا أن المعاني ضالة الناس وغاياتهم، لكن أيضا قال فريق ثالث بالتناسب بينهما. وأحيلُ هنا على تقسيم ابن قتيبة، وائتلاف اللفظ والمعنى عند قُدامة بن جعفر، وما كان ينعت به الآمدي شعر البحتري. وقد عبَّر كلٌّ منهم عن رؤيته بأقوال مشهورة ما تزال إلى يومنا هذا مرجعا يحتكم إليها النُّقاد والباحثين كلٌّ بحسب الزاوية التي ينطلق منها في تناوله لهذه القضية "المبنى والمعنى".

وصولا إلى الحداثيين الذين واكبوا الحركة النقدية، وتلقَّفُوا القضية ليستمر الاشتغال عليها بهدف التدقيق ومحاولة الحسم في شأنها، لكن مع إحداث تغيير على مستوى المصطلحات، فأصبحنا نجد ثنائية الشكل والمضمون. على اعتبار أن الشكل هو الفن الخالص المجرد عن المضمون، والمضمون هو مجموع ما يتضمنه العمل الإبداعي من مرجعيات فكرية وفلسفية وعقدية وأخلاقية. الشيء الذي يجسد مرونة العمل الإبداعي، وقدرته على استيعاب المستجدات، والانفتاح على النظريات الجديدة والتفاعل معها.

إن قضية الشكل والمضمون في اعتقادي تحيلنا من جهة على متلازمة اللسانيات والأدب، فالشكل فيه تطبيق لقواعد اللسانيات، حتى يكون حاملا لمعنى معين، ومن هنا فإن المزج بينهما يعطينا منتوجا نهائيا يحق لنا أن ننعته بإبداع أدبي، ومن جهة ثانية تحيلنا على المقام التواصلي بعناصره الثلاثة، المرسل والنص والمتلقي. وهو الجانب الذي أريد أن أتطرق إليه في ورقتي هذه. خاصة وأنها مقاربة تكاد تغيب عن تناول هذه القضية. فلماذا لا ننظر لها من حيث تعدد

---

[٢] النقد الأدبي الحديث، ص/ ٢٥١

المعاني، بحيث دائما هناك معان جديدة ومختلفة يمكن تصورها في العمل، فإيمانا مني واعتبارا لكون الموضوع قد أسال الكثير من الحبر وحظي باهتمام كبير من لدن النقاد والدارسين، ارتأيت أن أركز من زاويتي هذه على البعد التواصلي أو بمعنى آخر مدى تحكم هذه 'الثنائية "المبنى والمعنى" في فعالية التواصل بين الكاتب والقارئ؟

إن البحث عن مدى تحقق هذه الدقة في إيصال الدلالة المرغوب فيها، أي كيف تستطيع الرموز والإيحاءات والأشكال المتوسَّلة حَمْلَ رسالة معينة من كاتب إلى قارئ، أو من بات إلى متلق بحسب المصطلح النقدي الحديث، يجعلنا نُسائل منطلقات كل طرف منهما، أو بعبارة أخرى: ما نقطة الانطلاق عند كل واحد منهما؟

وكيف يتحقق التفاعل بين القطبين كاتب/ قارئ في ضوء هذه الثنائية "الشكل والمعنى"، لضمان وتحقيق الفعالية في التواصل؟

قبل هذا لا ضير من التذكير بأن الفعالية في التواصل الأدبي. يُقصد بها الاستجابة لحاجيات الإنسان، الكائن الاجتماعي بطبعه، ما يجعل من التواصل مع غيره ضرورة لا مفر منها، وذلك في مختلف المجالات، من هنا كان من الواجب التعريف بأن الفعالية التواصلية تجعلنا نملك معايير نقيس بها مدى وصول الرسالة بشكل جيد كما سُطِّر له منذ البداية. بمعنى آخر ضمان ترحال سلسٍ وسليمٍ للمعنى المراد إيصاله. وإذا كانت أيضا الوظيفة الرئيسة للغة هي التواصل بين مستعمليها، وصيغة التواصل من رسالة إلى أخرى تختلف، وذلك في علاقته باللغة المستعملة لهذا الغرض، فلغة العمل الإبداعي في مجال الأدب، تختلف عن لغة التداول اليومي. فالكاتب ينطلق من معنى يبحث له عن قالب، والقارئ ينطلق من هذا القالب حتى يصل إلى المعنى الذي يقترحه الكاتب، والمشترك بينهما كما نرى هو الشكل الذي يتقدم به الكاتب كصورة ذات نظام لغوي، وتركيب دلالي جوهره يتجلّى في إيحائه؛ لأن الشكل في الأدب يوحي ولا يحِّدُد كما هو شأن التواصل العادي. ما يعني أن مقاييس الفعالية في هذا المجال هي أيضا تختلف عنها في التواصل اليومي.

إن المعنى إن شئنا أو الدلالة هي نتيجة وغاية بالنسبة للمتلقي، في حين تظل بالنسبة للكاتب مقدمة، فهو أي "المعنى"، يتحدد أولا قبل انطلاق الفعل التواصلي، ويتحقق للمرة الثانية ما بعد التواصل.

إن تحديد الفعالية في التواصل هنا له ارتباط أساسا بحضور قطبين مهمين "القطب الإبداعي الفني" و"القطب الجمالي"، استئناسا بما ورد عند صاحب نظرية التأثير الجمالي إيزر، الأول تكون فيه السلطة بيد الكاتب، والثاني يمتلكها القارئ. كما ترتبط هذه الفعالية أيضا

وبالموازاة بقطبين آخرين وهما الثنائية موضوع البحث، المبنى " النص الذي يبدعه المؤلف وما قد ضمَّنه من معانٍ ودلالاتٍ"، والمعنى " التحقق الجمالي الذي يبدعه القارئ"، على أساس تفاعلي مع النص. وتلك العلاقة بين المرسل والمتلقي المتحققة من خلال الشكل هي حجر الزاوية في التواصل؛ لأنها الخيط الناظم بين الفكر والجمالية. أي: الأعمال الأدبية هي الأشكال أو البُنى المقدمة لنا، وما الحديث عن ثنائية المبنى والمعنى، أو الشكل والمضمون إلا عملية للبحث عن إمكان تحقيق التفاعل.

– فكيف للمبنى والمعنى أن يتحكّما في هذه الفعالية التواصلية بين الكاتب والمتلقي؟

طبيعة الفعالية في التواصل:

إننا نعتقد أن الشكل "المبنى" هو الضامن للفعالية في التواصل الأدبي، إذ يحظى بأهمية قصوى سواء تعلق الأمر بلحظة الإنتاج أو بلحظة التلقي. وعلى هذا الأساس إن اعتبار العملية الإبداعية من الجانب التواصلي يقتضي من الكاتب الحرصَ على إيصال المعنى على منوال فعّال، فنجده بذلك ينكب على الشكل الذي سيختاره حاملا له، إذ يحق لنا أن نقول: إنه خلال الإنتاج وارتباطا بالقطب الأول في العملية الإبداعية، المعنى يسبق الشكل، الأول يحضر والثاني يُترجمه.

وقد يحدث أن تكون المعاني متكررةً، أن يكون قد تعاطى معها كثير من الكُتّاب، إلا أن الإخراج للوجود هو الفيصل، فما يمنح لكاتب ما التفردَ والتميز هو الشكلُ المخرجُ للمعنى. يحق لنا أن نقول إن مساهمة المبدع كقطب أول، أو كطرف في العملية الإبداعية يتطلب منه تمكنا من الصنعة، وقدرة على توظيف اللغة والبلاغة التي في اعتقادنا هي أمورٌ ضروريةٌ ليستطيع " الكاتب" تحقيق تلك اللحمة بين المعنى المراد إرسالُه والشكل أو المبنى الذي يتم اعتمادُه لذلك، بمعنى آخر اتصاف الكاتب بخاصية حسن النسج والتأليف بينهما "المعنى والمبنى"، توقُّعا أو احتسابا لقارئ نَبِيهٍ مُتمكِّن من أدواته الإجرائية، يُقبِل على العمل يجادله ويجيب عن أسئلته. وإلا فما فائدة كل هذا العمل الجبار من لدن المرسل الذي ينكبُّ على إتقان الرسالة إذا كان المتلقي الذي هو القطب الثاني للعملية الإبداعية غيرَ بليغ وغيرَ ملم بأساليب اللغة وبلاغتها.

فالمتلقي إذن وبكل ما يُفترض أنه يمتلكه من آليات لابد أن يأخذ من الشكل جسرا للعبور إلى المعنى المقصود. هنا أريد أن أؤكد أنه بمجيء لحظة الاستقبال تنقلب الآية، فيصبحُ الشكل سابقا للمعنى بعدما كان المعنى هو السابق للوجود في لحظة الإنتاج. فالمتلقي هنا يجب أن يكون قادرا على فك شفرة الرسالة، وإلا أعاق العملية التواصلية، ففعاليتها مرتبطةٌ أيضا بلحظة التلقي التي يكون فيها المقصد مسلحا بما يمتلكه من معارفَ ومداركَ لغوية وما يؤمن به من

مرجعيات ثقافية فلسفية وحتى نفسية.

إن الاشتغال على هذا الموضوع يجعل الباحث يعيش قلقا واضطرابا، بحيث إنه لا يجرؤ على الجزم؛ لأننا لسنا أمام ظاهرةٍ علميةٍ محضة، إن الأدب ككل، معقد لا يمكن الإمساكُ به ولا ضبطُه، لهذا قد أتدارك وأقول: هل فعلا نستطيع أن نتحدث على فعالية مئة في المئة لا تتحقق إلا بالوصول إلى المعنى الذي يقصده الكاتب؟ أم أنّ هذه الفعاليةَ منفلتةٌ لارتباطها بالتأويل، فقلما استطاع القارئ أن يكتشف معنى واحدا ووحيدا خلال تعاطيه مع نص معين، لكن أيضا هناك نصوص نستطيع أن ننعتها بين قوسين بالنصوص العنيدة، أو النصوص المناضلة؛ لأنها ترفض الاعتراف على الرغم مما يمارسه القارئ عليها من عنف رمزي في أثناء استنطاقها.

وللدفاع عن هذه الفكرة وتسويغ استنتاجي، بدا لي أنه من الصواب أن أضم إلى ورقتي هذه جانبا تطبيقيا، فاخترت الاشتغال على نص خَبِرته جيدا، حتى أستطيع أن أحقق التناغم والانسجام وتسلسل الأفكار في ورقتي، إنه عمل كتبته أنا، ومن ثَمَّ فأنا القطب الأول في هذه المعادلة، "الباث والمرسل". أعي جيدا المعنى–، فقد كتبته لمعنى واحد ولغرض واحد، تخليدا للحظة حياتية، أحيانا نستعين بالصورة لتحقيق هذه الغاية، لكنها لم تكن وسيلة هنا؛ لأن اللحظة لم تكن ظاهرة للعيان بحيث يمكن أخذ صورة لها. لهذا اخترت نصا وحرصت على المسار اللغوي للقيام بهذه الوظيفة، "فالكلمات رموز تتضمن شحنا من المشاعر والإحساسات ... إنها أرواح تخزِّن في داخلها مشاعر وإحساسات، وهي بتفاعلها مع غيرها داخل سياق لغوي قادرة على منح بعضها البعض دلالات وفاعليات خاصة"[٣].

الشق التطبيقي:

إنني وعندما كنت بصدد كتابة هذا النص الموسوم ب: " ابنة من أنتِ"، كنت في حالة من الوعي واللاوعي، الوعي بالشكل الذي تم اختياره، وبطاقاته وحمولاته، لكن فيه أيضا لاوعي؛ لأن ذات الكاتب رحلت مع حالة معينة، جاورتها في محنتها وغربتها، فالوعي بالشكل بالنسبة للكاتب إذن أمر ضروري، يظل حاضرا لديه، يفرض نفسه على الرغم من رحيل الذات الكاتبة. وبالنسبة للطرف الآخر فالوعي بالشكل إجباريٌّ. لكن، هل سيصل به إلى المعنى الحقيقي الذي كان يريده الكاتب؟ ربما لن يتحقق له هذا، لكن لن يخرج خاوي الوفاض؛ لأن للمعاني معالم متعددة ومختلفة، ما يفتح المجال واسعا لظهور معانٍ أخرى تختلف باختلاف الأجهزة القرائية.

---

[٣] قضايا النقد الأدبي – الدكتور محمد زكي العشماوي ص/ ٢٤١

***النص**

ابنة من، أنت؟

ذات مساء، كان الغروبُ على عجلة من أمره، لم يُمهلِ الشمسَ حتى تُنْهي طقسها المعهود. كان كمن يحمل في أعقابه رسالةً قبل الأوان! رسالةٌ اختزلتها عبارة قصيرة: "ابنة مَنْ أنتِ؟" تسقط العبارة فجأة من بين ثنايا حوارٍ وحياة، حياة لم تعد تعترف بالعبارات المتساقطة كأوراق الخريف، حياة تعلن نهاية أُخرى. يتردَّدُ صدى العبارة في فضاءٍ مُغلقٍ يجثم بثقله على الذاكرة فيفصل فيها بين زمنين.

تنظر كغريبة... في حين يستمر الحديث المترابطُ حينا والمتباعدُ أحيانا، لم تُدرك أنَّ الزمن فجأة تمزق كورقة عبث بها طفلٌ مشاكس، فصارت هي في عالم وابتعد الآخرون ليستقروا في عالم آخر لم تَعُدْ تعرفه. يتكرر السؤال في أعماقها، تتعقبه عُيونها وسط عتمة تكاد تختنق بداخلها، تُصارع لِتُعيد نفسها وتُجَدِّد انتماءَها، لكنها كانت محاصَرة بجدار يفصلها عن المحيطِينَ بها.

لعلَّه التِّيهُ، تقوم بحفر قوي في الذاكرة، نظراتٌ عميقة تُحاولُ العودة بها حيث يوجد المكان، توقَّفَ الزمن لأجلها عُنوة. ابتسمت في شموخ مهزوم، وكأنها كانت كمن يتوسل أو يعتذر.

تمسكت بأطرافه، تعقبت تفاصيله. وأطلقت العنان له ليمضي إلى حيث كان ماضيا. لكن هي كانت متعثرة، تحاول الربط بين العوالم التي صَارتْ متداخلة.

هكذا، كانت غير هذا اليوم الأيامُ التي بعده، متشابهة ومتكررة لحظاتُها العصيبة، تساؤلات متفاوتة، غُربة، أصبحَ الغيابُ يطْغى على الحضور، والحوار لم تعد تلتئم أجزاؤه، إنه الغروب.

إذن بمجرد ما يصل هذا النص لأيدي المتلقي ستكون له قراءات متعددة ومحتملة، إذا افترضنا وعيه بالشكل وبآليات الاشتغال وتأويله واستخراج المعاني الكامنة فيه، لكن إشكال الوصول إلى المعنى الذي كان غايةً في أثناء الكتابة سيكون لا محالة مطروحا. فالوقوف أو الكشف عن المعنى الأول الذي كان وراء اختيار هذا الشكل محاكاة له، أو وعاء حاملا له يكاد لا يتحقق مئة بالمئة.

النص الذي بين أيديكم، موضوعه تجربة شخصية ألهمتني إيّاه. وقد قمت فيه بترجمتها في قالب سردي قصير. ضمِنْتُ لها في علاقتي مع نفسي الخلود؛ لأنها طبعت حياتي، كلما قرأت النص عشت اللحظة، وكلما تذكَّرتُ اللحظة استحضرت النص.

إن السبيل الأوحد للمتلقي في اعتقادي حتى يحقق فعالية التواصل بيني وبينه، هو أن يتوسل المنهج التاريخي الذي سيضمن له الفهم. هنا فقط نضمن ترحال المعنى بشكل سطري من الكاتب عبر الشكل، في اتجاه المتلقي.

لكن، وربما هذا هو المغزى من اختيار هذا النص إذا أردنا أن نلْغي الكاتب ونتصدى للنص " الشكل" في استقلال تام عن مصدره، هل سنكتشف المعنى الذي أوضحته؟ هل إذا لم نتعرف على ظروف نشأة النص، أو ما يطلق عليه بالفرنسية la genèse du texte سنستطيع اكتشاف المعنى؟ لا، بتاتا.

إذن بتعاملنا مع الشكل ولا شيء غير الشكل ستتبنى لا محالة منهجا بنيويا، يفتح لنا بابا على مصراعيه نحو التأويلات، ونحو امتلاك النص وتغيير هويته.

- فهناك فعلا من سيرى في النص ومن خلال الشكل الذي اخْتِير له، ومن خلال تأويله للعبارات والمصطلحات وللصور الإدراكية التي وُظِّفت تعبيرا عن الاغتراب، عن شخص يبحث عن ذاته في عالم غريب عنه.
- ربما تعلق الأمر بالتيه الذي يحسه شخص تقليدي انتقل لعالم حديث معاصر لا مجال فيه لِما ألفه في عصره القديم.
- وربما أيضا منا من سيقول أو سيقرأ فيه صراعا بين ثقافتين.

وهنا لا أريد أن أوجه القارئ، بل أنا استعرض فقط قراءات حصلتُ عليها حين تقديمي لهذا النص لبعض القُرّاء، وقد كانت الغاية هي البحث عن المعنى الذي كان باعثا للإنتاج. وهو عنف الذاكرة واحتجاجُها المعلن فجأة ضد صاحبها، إنه مرض الزهايمر الذي جعل والدتي تسألني ذات لحظة غير متوقعة: من أكون؟

أعود وأقول باختصار شديد وحتى لا أطيل؛ لأنه ربما أحسستم مثلي بهذا الاضطراب، وبهذه الحيرة ونحن نتحدث عن البعد التواصلي في الأدب من خلال ثنائية "المبنى والمعنى"، لأنه اضطراب عشته أنا شخصيا جعلني أستحضر قراءاتي، ومعارفي الأكاديمية وحتى الإبداعية لأخلص في الأخير أن الفعاليةَ في التواصل في هذا المجال خاضعةٌ لقوانين خاصة به، إذ لا يمكن البتة إسقاط قوانين فعالية التواصل في جميع الأشكال الأخرى على مجال الأدب، كيف؟

إذا كانت الفعالية في التواصل الاعتيادي هي وصول الفكرة مئة بالمئة تُقاس أو تتحدد بعملية الاسترجاع feedback، وتبادل الأدوار بين المرسل والمتلقي، حيث الأخير ينقلب مرسلا بدوره. فإنها في الأدب غير ذلك، ولنبقى مرتبطين بهذا المثال الذي اشتغلتُ عليه حتى لا نُنَظِّرَ

من فراغ، أو من أجل التنظير فقط، فإن معرفة المتلقي بحياة صاحب النص الخاصة تضمن فعالية في التواصل، يصل فيه المتلقي إلى المعنى الذي أبتغيه أو أقصده.

لكن بإلغاء ظروف نشأة النص، والانكباب فقط على استنطاق الشكل، سيصل من خلاله لا محالة المتلقي إلى استنباط معانٍ متعددة تضمن الخلود لهذا النص وتنأى به عن الصدأ والموت في معنى واحد. إنها فعالية تواصلية أيضا من جانب آخر في اعتقادي.

من كل هذا أستطيع أن أقول إن "المبنى والمعنى"، أو "الشكل والمضمون" يذكّراني ببعض القصص التي نجد فيها شخصيتين محوريتين متصارعتين أيضا، Protagonistes / Antagonistes، مثل شخصيتي أنتغون وكريون في التراجيديا الموسومة ب: Antigone، إن كان في نسختها الأولى ل: سوفوكل في القرن الخامس قبل الميلاد، أو أيضا في النسخة الثانية عند جون أنوي في ق٢٠، فنحن إن حذفنا شخصية أنتغون من القصة أفرغناها من معناها، ونفس الشيء إن نحن ألغينا شخصية الملك كريون. وإن ظلتا معا اعتُبِرَتا شخصيتين محوريتين تضمنان للعمل نبضا، وحياة ممتدة، لكنهما متصارعتين وأهدافهما تتعارض. هكذا هو الأمر بالنسبة للمبنى والمعنى، لا يمكن الحديث عن عمل إبداعي في إلغاء لأحدهما، فهما ضروريين ومحوريين، لكنهما متعارضين Antagonistes؛ لأنهما يجسدان صراعا أبديا من أجل الوجود، ولإبراز الهيمنة، فالشكل دائما يريد أن ينتصر، والمعنى دائما يريد أن ينتصر، وجمالية الأدب تتجلّى في هذا الصراع.

الخلاصة:

إن فعالية التواصل في الأدب عبر ثنائية "المبنى والمعنى" مرتبطة أيضا بالمنهج الذي نتوسل في سبر أغوار النص، فإن كان تاريخيا، تقاسمنا المعنى مع الكاتب كما هو الشأن مع النص الذي اشتغلنا عليه. وإن نحن توسلنا منهجا بنيويا، تمثلت فعالية التواصل في تعدد المعاني، مع تسجيل تحفظي على هذه الحرية المطلقة التي تسمح بها البنيوية والتي هي نفسها استدركتها، لما يمكن أن يترتَّب عليها من فوضى المعاني، إن ما يلزم من وجهة نظري أن يكون التعدد في المعاني حاضرا شريطة أن يكون مؤسَّسا.

أخيرا، وفي إطار التواصل، لربما أطلقت العنان لبعض الأفكار والقناعات التي راودتني دائما، مستفيدة من هذه الفرصة الممنوحة لنا بمناسبة التواصل بين المجمع العلمي العراقي، ومركز أبحاث اللغة العربية، حتى يكون مختبرا يفتحصها، فإن أكَّدها زدت إيمانا بها، وإن لم يؤكِّدها، زدت إيمانا بها أيضا، وحاولت تقويمها وإعادة صياغتها، وهذا هو جوهر التواصل.

الاحتجاج باللفظ والمعنى عند الفقهاء

الدكتور محمد احمد الوليد
جامعة بنغازي / دولة ليبيا

الحمد لله ربِّ العالمين، قيُّوم السَّموات والأَرَضين، منوِّر أبصار بصائر العارفين بنور المعرفة واليقين، والصَّلاة والسَّلام على من نزل عليه الكتاب بلسان عربيٍّ مبين، سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أولي الشَّرف والتَّكريم، وبعد:

فإنَّ العلاقة بين اللفظ والمعنى قديمةٌ في الفقه قِدم نزول القرآن، فقد جاء فيه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا} [البقرة: ١٠٤] ولمَّا نزل قوله تعالى{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ من الْفَجْرِ} [البقرة: ١٨٧] قال عدي بن حاتم: "عَمَدت إلى عِقالين: أحدُهما أسود والآخرُ أبيضُ فجعلتَهما تحت وسادي، ثم جعلتُ أنظرُ إليهما متى يتبيِّنُ لي الأبيضُ من الأسود، فلما أصبحتُ غدوت إلى رسول الله– صلّى الله عليه– فأخبرته بالذي صنعتُ، فقال رسول الله: إنَّما ذاك بياض النَّهار وسواد الليل"[١].

وإذا كان هذا الصَّحابيُّ الجليلُ قد فهم الألفاظ على ظاهرها حملًا على معنى مادِّي ظاهرٍ، وهو العربيُّ الفصيح، (والعرب تتباين لغاتها في أحيائها) [٢] فما بالك بمن جاء بعدهم، ولهذا فلا غرو أن يختلف الفقهاء في فهم النُّصوص الدينيَّة، وتتفاوت أفهامهم في توجيهها، وتنشأ مذاهب مختلفة في النَّص الواحد.

لقد كانت عناية الفقهاء بقضيَّة اللفظ والمعنى ظاهرةً جدًا؛ لبناء الأحكام الفقهيَّة عليهما حتَّى سمَّوا بعض المسائل الفقهيَّة (مسائل اللفظ والمعنى) [٣]، وقسَّموا مسائل اللفظ والمعنى "إلى ما يُعتبر فيه اللفظُ والمعنى، وما يُعتبر فيه المعنى دون اللفظ، وما يعتبر فيه اللفظ عند القدرة عليه"[٤].

وأُشبع البحث فيهما في كتب أصول الفقه، ولهذا نجد تقسيمًا لهما في تسعة أبواب من أصل عشرين بابًا في هذا العلم الجليل فتناولوا الظَّاهرَ، والمؤوَّلَ، والنَّصَّ، والعامَّ، والخاصَّ، وغيرَ ذلك مما هو مبسوطٌ في كتب الأصول، وأثروا باب حروف المعاني بذكر الخلاف والتَّنبيهات، ووضعوا قواعد عامَّةً تحكم كثيرًا من قضايا اللفظ والمعنى كالقاعدة المشهورة (العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني)، وقالوا معتبرين حال اللفظ: (الألفاظ قوالب المعاني، فلا يجوز إلغاء اللفظ

---

[١] النَّاسخ والمنسوخ لأبي عبيد :٣٩، صحيح مسلم: كتاب الصيام (١٠٩٠)، أحكام القرآن للطحاوي:٤٥٢/١.

[٢] ما بين الأقواس هو تبويب ابن حبَّان في صحيحه(٣٤٦٣)، وذكر الطَّحاوي عن فهم عدي لظاهر الآية " وَلَمْ يَعِبْ عَلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِعْمَالَ الظَّاهِرِ فِي ذَلِكَ". أحكام القرآن للطحاوي:٦٤/١.

[٣] انظر: الأشباه والنظائر للسبكي:٣٤٧/١، والأشباه والنظائر لابن الملقن:٢٢/٢.

[٤] قواعد ابن رجب:١٣.

وإن وجب اعتبار المعنى، إلا إذا تعذر الجمع للمنافاة) [٥] ، وصاغوا تشابك العلاقة بينهما في قاعدةٍ استفهاميَّةٍ (المغلَّب هل هو اللفظ أو المعنى) [٦]، وأدخلوا نيَّة المتكلِّم للحكم بين اللفظ والمعنى فصاغوا قاعدة: (النية تُعمِّم الخاصَّ، وتُخصِّصُ العامَّ) [٧]، **وأشاروا** إلى مفهوم الحقيقة والمجاز فنصُّوا على أنَّه (إذا تعذَّرت الحقيقةُ يُصار إلى المجاز) [٨]، وإلى بناء الكلام هل هو على التَّأسيس أو التَّأكيد فأعلنوا أنَّ (التَّأسيس أولى من التأكيد) ، ومقصدهم من القاعدة " أنَّ التَّأسيس: معناه إرادة معنى جديد باللفظ، والتَّأكيد: معناه تكرار اللفظ تقويةً للمعنى المراد، ولمَّا كان إعمال الكلام أولى من إهماله كان حمل الألفاظ المكرَّرة على التَّأسيس أولى من حملها على التَّوكيد"[٩]، فإذا قال رجل لزوجته أنت طالقٌ، طالقٌ، طالقٌ، طُلِّقت ثلاثًا، فإن قال: إنَّما أردتُ به التَّوكيدَ اللفظيَّ ، صُدِّقَ ديانةً لا قضاءً؛ لأنَّ القاضي مأمورٌ باتباع الظَّاهر[١٠].

ولعنايتهم بالتَّواصل الخطابيِّ، والوقوف على مراد الشَّخص فإنَّهم نصُّوا على إهمال دلالة العبارة إن وُجدت قرينةٌ خارجيَّةٌ تُوجب إلغاءَها فأفتوا بقاعدة (إشارة النَّاطق كعبارته) [١١]، و(إذا اجتمعت الإشارة والعبارة واختلف موجبهُما غُلِّبت الإشارةُ) [١٢]، واعتبروا الدِّلالةَ العرفيَّةَ فقدَّموها على دقائق العربيَّة فنصُّوا على أنَّ (الإقرار يحمل على العرف لا على دقائق العربية) [١٣].

إنَّ هـذه القواعد الفقهيَّة العامَّة تُبين بجلاء أنَّ كثيرًا من الدِّراسات اللغويَّة الحديثة الَّتي تنادي بضرورة اعتبار المقام وحال المتكلِّم والبيئة الخارجيَّة وفهم المخاطب قد اعتُبرت جميعًا عند الفقهاء المجتهدين فليست دلالةُ الخطاب لفظًا ومعنى في تناولهم لقضيَّة اللفظ والمعنى معزولةً عن المقام والنيَّة والعُرف وفهم الْمُخاطب، وليست النيَّة وحدها أيضًا حاكمةً على مقتضى الألفاظ وناتجها من الأحكام على كل حال، بل قد يغلب اللفظ في باب مخصوص كباب الأيمان، ويغلب المعنى في باب البيوع، وكلٌّ تغليبٍ مُعللٌ عندهم، ولولا ضيق الوقت لاتَّسعت بذكر الأمثلة، وسأضرب هنا مثالين في نهاية هذه المشاركة المتواضعة لبيان بعض الأمور الَّتي تتحكمَّ في قضيَّة اللفظ والمعنى عندهم ولا سَّيما مراعاة المقام، وقضيَّة قانون الوضع الأوَّل للغة، فهما سببان ظاهران في الاحتجاج عندهما:

أوَّلًا خلافهم باعتبار قضيَّة الوضع والحمل على المعنى الظاهر

اختلف أبو حنيفة (١٥٠هـ) مع صاحبيه أبي يوسف (١٨٢هـ) ومحمَّد بن الحسن الشَّيباني

[٥] المبسوط:٧٩/١٢، العناية شرح الهداية:٤٩/٩، موسوعة القواعد الفقهيَّة:٢٦١/١.

[٦] موسوعة القواعد الفقهيَّة:٢٦١/١ .

[٧] المصدر السَّابق:١٢٩٨/١١.

[٨] الأشباه والنَّظائر لابن السُّبكي:٢٧٣/١، موسوعة القواعد الفقهيَّة:٢٩١/١.

[٩] موسوعة القواعد الفقهيَّة:١ /٣١١.

[١٠] المصدر السَّابق:٣١١/١.

[١١] موسوعة القواعد الفقهيَّة:٢٩١/١، نقلًا عن القواعد لابن الوكيل: ١٨٥.

[١٢] الأشباه والنَّظائر للسيوطي: ٣١٤، موسوعة القواعد الفقهية:٢٩١/١.

[١٣] موسوعة القواعد الفقهيَّة:٢٤٥/١.

(١٨٩هـ) في حكم من قال لآخر مفوِّضًا :(من شئتَ عتقَه من عبيدي فهو حرٌّ) فقد ذهب الصَّاحبان إلى الأخذ بظاهر اللفظ، وهو أنَّ اسم الشَّرط (مَن) مفيد للعموم، وأنَّ الحرف (مِن) حرف جرٍّ دلالتُه لبيان الجنس، وأنَّ العتق يقع على جميع العبيد دون استثناء إن أراد المفوَّضُ عتقهم جميعًا.

ويخالف أبو حنيفة هذا الحكم؛ لأنَّه يرى أنَّ الاسم (مَن) وإن كان يفيد العموم فإنَّ الحرف (مِن) دلالته على التبَّعيض، وهي دلالةٌ باقيةٌ لا يسلبها التَّعميم دلالتها، وأنَّه لا يصحُّ أن يعتق المفوَّضُ العبيدَ جميعًا، بل يستثنى منهم ولو واحدًا إعمالًا لـ (من) التَّبعيضيَّة[١٤].

ومن هنا نرى تنازعًا بينهم في (مسائل اللفظ والمعنى) مرجعه إلى دلالة (مِن) هل هي للجنس أو للتبعيض، وهذا يحتِّم علينا الرُّجوع إلى أقوال اللغويين؛ لبيان الأحقِّ بالدِّلالة فيها فأقول:

لقد اختلف اللغويُّون في دلالة (مِن) لبيان الجنس فمنهم من يُثبت لها هذه الدِّلالة منذ الواضع الأول[١٥]، ومنهم من ينكرها[١٦]، أمَّا الدلالة على التَّبعيض فمشهورٌ فيها ونسب للجمهور[١٧] بل حكى الشاطبيُّ (٧٩٠هـ) الاتِّفاق عليه[١٨]، وإن أنكرها بعضهم، وذكر أبو حيَّان (٧٤٥هـ) أنَّ الأصل هو كونها للابتداء عند كثيرين[١٩].

وقد أرجع الشَّاطبيُّ الخلاف في الأخذ بالدِّلالتين في (مِن) إلى قاعدتين كليَّتين عامَّتين هما قاعدة: **(الأوضاع تُقلَّل)** [٢٠]، وقاعدة **(إذا كان ظاهر المعنى شاهدًا بأمر، فلا ينبغي أن يُتعدى إلى ما يكون فيه تكلُّفٌ)** [٢١]، فمن أخذ بقاعدة تقليل الأوضاع جعلها للتبعيض فهو أشهر من دلالتها على بيان الجنس، ومن أخذ بقاعدة (إذا كان ظاهر المعنى شاهدًا بأمر، فلا ينبغي أن يُتعدَّى إلى ما يكون فيه تكلّف) حملها على بيان الجنس.

وإذا جئنا إلى القاعدة الكليَّة **(الأوضاع تقلل)** الَّتي مرَّ ذكرها لا نجدها محلَّ اتفاق أيضًا فهناك قاعدةٌ أخرى تُعارضها أخذ بها طائفة من العلماء وهي **(معاني الحروف جزئياتٌ وضعًا واستعمالًا)** [٢٢] فليست دلالةٌ أولى من دلالة في أصل الوضع، وليس هناك معنى كليٌّ ترجع إليه هذه الدِّلالات.

وقد يقول قائلٌ لماذا وضَعها الواضع الأوَّل لبيان الابتداء أو للجنس أو للتبعيض فيقابل بالقاعدة الكليَّة التي وضعها اللغويُّون وهي أنَّ **الأوضاع الأولى أو (الوَضْعيَّات لا تُعلَّل)** [٢٣].

---

[١٤] المحيط البرهاني في الفقه النُّعماني:٦١/٤، الفتاوى الهنديَّة:٣٠/٢.

[١٥] انظر المقاصد الشَّافية:٥٨٦/٣.

[١٦] قال أبو حيّان:" وقد أنكر ذلك أكثر أصحابنا". التَّذييل والتَّكميل:١٢٤/١١،

[١٧] شرح التَّصريح على التَّوضيح:٦٣٧/١.

[١٨] المقاصد الشَّافية:٥٨٦/٣.

[١٩] التَّذييل والتَّكميل:١٢٢/١١ـ١٢٣، ونسبه إلى المبرِّد، والأخفش الصغير وابن السرَّاج وطائفة من الحذَّاق.

[٢٠] المقاصد الشَّافية:٥٨٧/٣ .

[٢١] المقاصد الشَّافية:٥٨٦/٣ .

[٢٢] حاشية الصبَّان على الأشموني:٣١٣/٢.

[٢٣] التَّذييل والتَّكميل:٣٣٤/٤.

المسألة الثَّانية: تحكيم المقام:

وتظهر في مسألة قراءة القرآن بغير العربيَّة في الصلاة ، ومُلخَّصُها أنَّه نسب إلى أبي حنيفة تجويزه القراءة في الصَّلاة بغير العربيَّة[٢٤]، وخالفه صاحباه، قال الفخر الزَّيلعي (٧٤٣هـ) ملخصًا المسألة:" وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِالْفَارِسِيَّةِ فَجَائِزَةٌ فِي قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ لَا تَجُوزُ إذَا كَانَ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ اسْمٌ لِمَنْظُومٍ عَرَبِيٍّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [الزخرف: ٣] وَقَالَ تَعَالَى {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [يوسف: ٢] **وَالْمُرَادُ نَظْمُهُ**، وَلِأَبِي حَنِيفَةَ قَوْله تَعَالَى {وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ} [الشعراء: ١٩٦] وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بِهَذَا النَّظْمِ، وقَوْله تَعَالَى {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى:١٨ـ ١٩] فَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ بِالسُّرْيَانِيَّةِ ، وَصُحُفُ مُوسَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ، فَدَلَّ عَلَى كَوْنِ ذَلِكَ قُرْآنًا، وَمَا تَلَيَاهُ لَا يَنْفِي كَوْنَ غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ قُرْآنًا؛ لِأَنَّهُ مَسْكُوتٌ عَنْهُ وَيَجُوزُ بِأَيِّ لِسَانٍ كَانَ سِوَى الْفَارِسِيَّةِ هُوَ الصَّحِيحُ؛ **لِأَنَّ الْمُنَزَّلَ هُوَ الْمَعْنَى عِنْدَهُ،** وَهُوَ لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ"[٢٥].

وعند الاحتجاج لقول أبي حنيفة في تجويزه الصَّلاة بالمعنى دون اللفظ رأى هؤلاء أنَّ القرآن له مقامان: مقامُ إعجازٍ، ومقامُ عبادة، وأنَّ مقام الإعجاز يشترط فيه اللفظ والمعنى، وهو الذي تحدَّى به رسول الله، أمَّا مقام العبادة فالمعنى كافٍ؛ لأنَّه مقام تسامح وتيسير، قال الزيلعيُّ:" وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ النَّظْمُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا عِنْدَهُ؛ لِأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالْإِعْجَازُ وَقَعَ بِهِمَا جَمِيعًا إلَّا أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ النَّظْمَ رُكْنًا لَازِمًا فِي حَقِّ جَوَازِ الصَّلَاةِ خَاصَّةً رُخْصَةً؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِحَالَةِ الْإِعْجَازِ وَقَدْ جَاءَ التَّخْفِيفُ فِي حَقِّ التِّلَاوَةِ"[٢٦].

ولكلِّ فريق من الفريقين أدلَّةٌ من اللغة يركن إليها في تثبيت مذهبه حتَّى قيل في تقييد القرآن بأنَّه عربيٌّ في قوله تعالى: {إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (يُوسُف: ٢)) فيه دلالةٌ على من جوَّز القراءة بغير العربيَّة، وليست دليلًا على المنع؛ لأنَّ "الصِّفة لا تغيِّر الموصوف"[٢٧].

الخاتمة

تحدَّثت هذه الورقة الموجزة عن بيان قضيَّة اللفظ والمعنى عند الفقهاء في الأبواب الفقهيَّة، وهي قضيَّةٌ طويلةُ الذَّيل عظيمةُ النَّيل تحتاج دراساتٍ مفردةً لها ولا سيَّما في القواعد الفقهيَّة العامَّة فهي لازالت تحتاج دراسات من الباحثين اللغويين لا من الباحثين الفقهاء، وقد بيَّن فيها البحث أنَّ القواعد الفقهيَّة العامَّة مرتبطة بقواعد لغويَّة كليَّة، وأورد البحث بعض هذه القواعد، ثم استدلَّ على أنَّ هناك عوامل أخرى اتَّصلت بقضيَّة الخلاف الفقهيِّ في قضيَّة اللفظ والمعنى ولا **سيَّما قضيَّة الوضع الأوَّل للألفاظ**، وبيّنَ أيضًا أنَّ قضيَّة **(المقام)** كان لها حضورٌ قويٌّ في تحكيم القضايا الدِّلاليَّة كقضيَّة خلافهم في قراءة القرآن بغير العربيَّة في الصَّلاة، وهل يُسمّى قرآنًا أو لا؟

---

[٢٤] وقد نُقل أنَّه تراجع عن هذا الرَّأي.

[٢٥] تبيين الحقائق شرح كنز الدَّقائق:١/١١١.

[٢٦] المصدر السابق:١/١١١.

[٢٧] التجريد للقدوري:٢/٥١٤.

قصيدة الناي لجلال الدين الرومي – دراسة دلالية إدراكية

الأستاذ الدكتور دلخوش جارالله حسين دزه يي
قسم اللغة العربية– كلية اللغات
جامعة صلاح الدين – أربيل

الأستاذ المساعد الدكتور بخشان صابر حمد
قسم اللغة الكردية– كلية التربية
جامعة سوران

الملخص:

لقد وجهت اهتمامات اللسانيين في الآونة الأخيرة إلى الجانب الإدراكي والدلالات المجازية المستنبطة من النصوص والنتاجات الكلامية بغرض معرفة الدلالات المخفية والمفاهيم المنطقية والفلسفية التي يستدل عليها العقل المتعامل معها من خلال مجموعة عمليات عقلية إدراكية مساندة لاستنتاج الصور والمفاهيم العقلية التي يُعبر عنها بشتى صور مجازية وفنون بلاغية من الاستعارة والكناية والتورية وغيرها مما يحاول العقل البشري أن يستعين بها لتصوير وقائع وأحداث حياتية مختلفة لايمكن إبرازها بصورها الحقيقية التي قد لا تؤثر في النفوس أو لايمكن البوح بها لظروف سياسية أوفكرية أوعقيدية؛ ولذلك يلجأ العقل البشري المنتج لتلك الصور والمدركات المجازية إلى أساليب تصويرية وتجسيدية مجازية ليكون التعبير أقوى والتواصل والتفاعل أقرب وأكثر تأثيرا واستقطابا للقلوب والنفوس. وقد لوحظ استعمال مثل هذه الأساليب والإستراتيجيات التواصلية في قصيدة الناي المشهورة لمولانا جلال الدين الرومي الذي نهج فيها نهجا عرفانيا روحيا فلسفيا في البوح بالمسائل الأخلاقية والمفاهيم العرفانية والتوجهات الفلسفية والمدركات الروحانية والإيمانية والهيجان الفكري والعقلي المتعلق بالكينونة البشرية ومنابتها الأصلية وعروقها الصافية المنحدرة من الفيض الرباني وجنات الخلد، وبهذا أصبحت تعبيرات القصيدة وأساليبها اللغوية ذات انعطافات وتقنيات إدراكية يحتاج فهمها وإدراكها إلى إعمال الفكر والعقل للتوصل إلى المقاصد المنشودة، وهذا البحث يحاول أن يقف عند هذه الإستراتيجيات الكلامية والتواصلية والتعبيرات المجازية المستعملة في هذه القصيدة التي قائمة على أساس إدراكي وفكري وفلسفي؛ إذ تومىء إلى دلالات إدراكية مختلفة في الموضوعات المعروضة التي لاتعالجها معالجة حقيقية مباشرة بل تسلك سبلا مجازية وتستعمل تقنيات لغوية وبلاغية لتصوير الأحداث بهيئة أدل وأقوى، ويحاول البحث من خلال تحليل هذه القصيدة الاستدلال على هذه الدلالات الإدراكية وماهية الصور العقلية المرسومة التي استعان بها مولانا جلال الدين الرومي لتجسيد فلسفته العرفانية وتصوير حقائق الخلق وحل رموز التصوف الدقيقة وتجاربه الشخصية، ومن خلال ذلك تتجلى نوعية الآليات المجازية المتبعة في صياغة تلك المعاني والدلالات التي استعملها الشاعر في التعبير عن معتقداته وأفكاره والأهداف المرجوة من التوجه إلى مثل هذه الآليات غير المباشرة ومدى تفاعل المتلقي معها واستجابته العقلية والواقعية لها.

الكلمات المفتاحية/علم الدلالة الإدراكي، جلال الدين الرومي– الاستعارة التصورية، المقولة – الجسدنة – اللسانيات الإدراكية – العرفانية وعلم الدلالة العرفاني.

المقدمة:

يعد علم الدلالة الإدراكي ميدانا مستجدا من ميادين اللسانيات الإدراكية المعاصرة التي بزغت في القرن العشرين بتوجهات ورؤى لغوية حديثة تبحث في أعماق الفكر البشري والمنظومة المفهومية الكامنة وراء البنى الكلامية والإجراءات البلاغية المختلفة، ويهتم علم الدلالة الإدراكي بطرائق التفاعل بين الذهن والمحيط الخارجي وكيفيات تخزين المعلومات وصياغتها على وفق خطاطات تصويرية ذهنية ومقتضيات موقفية استنادا إلى التجارب البشرية في العالم، انطلاقا من مبدأ وجود علاقة ترابطية وتكاملية بين جميع القدرات العقلية لدى الإنسان، وأن المعرفة اللغوية جزء من الإدراك العام ردا على المناهج السابقة ولاسيما المنهج التوليدي لفصله بين القابلية اللغوية والعمليات العقلية الأخرى، ويقرّ الإدراكيون وفي طليعتهم (لايكوف وجونسن) أن أغلب الممارسات البلاغية ماهي إلا إستراتيجيات وميكانزمات ذهنية يستعين بها الإنسان لإدراك الأشياء من حوله؛ وبذلك تتعدى الفنون البلاغية وظيفتها الحلية الجمالية وتحقيق الخطابية والإقناع، ليغدو جزءا أساسيا من التفكير الإنساني ونسيجه اللغوي يعمل على تحقيق الإدراك حول وقائع العالم؛ إذ إن الأنساق المفهومية والتصويرية في الفكر البشري أنساق استعارية، فلحداثة هذا الميدان ولندرة المعالجات الإدراكية في نطاق النتاجات الأدبية وتحليلها تحليلا دلاليا إدراكيا وللخروج في بوتقة التحليلات البلاغية التقليدية التي غلب عليها طابع الاجترار، ارتأينا إجراء هذه الدراسة بهذا التوجه الدلالي المعاصر في خضم أرقى نتاج فكري وإبداعي لمولانا جلال الدين الرومي الذي اتجه في تصويره للمفاهيم العرفانية والمعتقدات الصوفية اتجاها إدراكيا مبنيا على استعمال تعبيرات مجازية استعارية بغرض إيفاء مقاصده الروحية ومبادئه الإيمانية حقها في التصوير والتقريب إلى الأفهام والأذهان بإيجاد عناصر واقعية محسوسة لتكون آليات لغوية وفكرية للولوج من خلالها إلى مدركات عقلانية مجردة، فحاول البحث أن يقرأ قصيدة الناي المشهورة قراءة دلالية مستحدثة ثانية في ضوء معطيات علم الدلالة الإدراكي وإستراتيجياته التحليلية وتقنياته التفسيرية للاستعمالات البلاغية؛ ولتحقيق ذلك وزعت المادة العلمية على أربعة مباحث، تضمن المبحث الأول استعراضا لغويا واصطلاحيا لعلم الدلالة الإدراكي، واختص المبحث الثاني ببيان التأصيل التأريخي لهذا العلم، وعالج المبحث الثالث سيرة الشاعر الذاتية، وتكفل المبحث الرابع والأخير مهمة تحليل القصيدة وتبيان تجلياتها الدلالية الإدراكية، ثم انتهى البحث بجملة نتائج وتوصية.

التأصيل التأريخي لنشأة علم الدلالة الإدراكي

يعدّ كل من اللغويين (ليكوف/Lakoff) و(جونسن/Johnson) و(تايلر/Taylor) و(لانكيكير/Langacker) من رواد هذا العلم اللساني الحديث؛ لأنهم أصدروا في أوائل السبعينات كتابات ومقالات حملت توجهات معرفية إدراكية أولية مهدت السبيل لبزوغ هذا المنهج الدلالي[١]، الذي يمكن أن يعد ثورة على التوجهات الدلالية والمناهج اللغوية المتفقة على الفصل بين المعرفة اللغوية وبين

---

[١] اللسانيات الإدراكية – محسب:١،

التفكير الموسوعي العام، إذ ساد لعقود عديدة مفهوم كانت للتوليديين الريادة في نشره، مفاده أن جزءا خاصا من العقل البشري الذي سمّوه (بالملكة اللغوية /Language Faculty)، يتكفل مسؤولية إنشاء المفاهيم اللغوية وتنظيمها، وهو بمعزل عن الأجزاء الأخرى المسؤولة عن الأفعال الذهنية الأخرى، وكانت لـ(جومسكي/Chomsky) والفيلسوف (فودر/Fodor)، اليد الطولى في الترويج لهذا المفهوم[٢]. وقد أحدث هذا العلم الحديث أيضا ثورة على البنيوية التي كانت مستندة أساسا إلى المذهب السلوكي النفسي في جعل اللغة عادات ومعارف مكتسبة اجتماعيا، مؤمنا بعملية الاقتران بين الحافز والاستجابة القائمة أصلا بين الدوال والمدلولات[٣]. فأكد علم الدلالة الإدراكي أن "المعرفة اللغوية جزء من الإدراك العام "،[٤] وليس ثمة حاجز بين المعرفة اللغوية والمعارف العقلية العامة، ردا على التوليديين الذين أن اللغة قابلية عقلية منفصلة مدعومة بصيغ خاصة من المعرفة – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – وأن المعرفة بالتراكيب والصيغ اللغوية مقدرة مستقلة بذاتها عن الأفعال الذهنية الأخرى، كالانتباه والتذكر والتعليل والتعلم....إلخ. وبناء على ذلك فصلوا بين المستويات اللغوية في التحليل بجعل النظام الفوناتيكي والفونولوجي والتركيبي والدلالي أنماطا لغوية مستقلة في ميدان التحليل اللغوي مركزين على الجانب الشكلي خلافا لما يتجه إليه الإدراكييون في الإقرار بعدم صحة الفصل بين المستويات اللغوية وعد المفهوم الدلالي المنطلق الأساسي في الهيكل اللغوي، وهذه النظرة نادى بها الوظيفيون قبل الإدراكيين الذين أيدوا رؤاهم وتوجهاتهم اللغوية، ويتفق الفريقان على أن مبادئ استخدام اللغة قائمة على مبادئ إدراكية أعم، وبأن التحليل اللغوي يجب أن يتخطى الحدود الفارقة المرسومة بين المستويات اللغوية؛ لذا أن الاختلاف القائم بين اللغة كونها نتاجا عقليا، وبين الأفعال العقلية الأخرى، اختلاف في الدرجة وليس في النوع[٥]، وعليه تغافلت البحوث الدلالية الإدراكية الفارق الذي يكون بين المعرفة اللغوية والمعرفة الموسوعية أو المعرفة بالحياة الواقعية، مما يستدعي انصهار القدرة اللغوية في القدرات العقلية الأخرى.

ويرى الإدراكيون – شأنهم في ذلك شأن الوظيفيين – أن الفصل بين المستويات اللغوية قد يكون وسيلة نافعة للوصف العملي، إلا أنه يضرّ بالمفهوم العام للغة، فعلى سبيل المثال، لايمكن أن يستقل النحو عن الدلالة أو التداولية، ولايمكن تفسير النماذج النحوية باستعمال النماذج النحوية المجردة، وإنما من خلال مقصدية المتكلم ومراده من ذلك الكلام في سياق معين، وبهذا تهدف الدلالة الإدراكية إلى أن تعيد الدلالة إلى خضم النحو، ليكون النحو نحوا دلاليا لاشكليا معياريا؛ لرؤيتهم القائمة على أن العقل هو أساس اللغة، ويستحيل ضبط اللغة بالقواعد المجردة، بل بالمواقف والاستعمالات المختلفة اللتين تحددان الدلالة المرادة التي تتنوع بتنوع هذه المواقف والاستعمالات، وهذا مادفعهم إلى ربط الدلالة بالتداولية

---

(٢) جوانب من نظرية النحو: ٦٧-٧١.

(٣) علم اللغة الاجتماعي :١٧١-١٧٧.

(٤) See:Semantics – John Saeed :p. 299.

(٥) See:Cognitive Linguistics:p. 2 .

وبالنحو، أي المزج بين جميع المستويات اللغوية[٦].

ويذهب الإدراكيون إلى امتلاك الإنسان قدرة إبداعية في تصوير الأشياء والأحداث وصيرورتها إلى مقولات ومناويل كلامية منطوقة بمضامين استعارية (مجازية) تصورها القابلية العقلية البشرية بحسب أوضاع وهيئات مختلفة استنادا إلى الخلفية المتراكمة من منظومة المعلومات والتجارب الحياتية التي ترسبت في البنيات الذهنية، وهذه التنوعات الإدراكية تُصدر نتاجات تصويرية مختلفة تتفاوت في درجات التصوير والتجسيد وكيفياتها التي تصل إلى منزلة الإبداع الأدبي والفكري في إيجاد علاقات وترابطات لطيفة ودقيقة بين أشياء واقعية لايمكن أن تتحقق في البنية العقلية غير المدعومة بتلك القدرات والإمكانيات المعرفية والتجريبية المتشعبة والثرية بصناعة الصور والأنساق التصويرية والاستعارية (المجازية) عموما[٧]؛ إذ ((إن جزءا مهما من تجاربنا وسلوكاتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته. وإذا كان الأمر كذلك، فإن نسقنا التصوري يكون مبنيا جزئيا بواسطة الاستعارة. وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من «حقائق» أصلية، بل تكون هي نفسها عبارة عن «حقائق» بصدد الفكر البشري والنسق التصوري البشري)) [٨]؛ ولذلك يقر لايكوف وجونسون أن((الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، إن النسق التصوري الذي يُسيِّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس... وبهذا يلعب نسقنا التصوري دورا مركزيا في تحديد حقائقنا اليومية، وإذا كان صحيحا أن نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذوطبيعة استعارية فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا في كل يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة)) [٩].

وقد جعل لايكوف عملية الإسقاط المفهومي أساسا متينا لإنتاج المعنى المجازي أوالاستعاري، وتنطلق هذه العملية من مجالين جوهريين وهما (مجال الهدف /Target Domain، ومجال المصدر/ Source Domain) [١٠]، و((ذلك فيما يسميه إسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف، فتكون التناسبات إبستيمية)) [١١]؛ لانصباب اهتمامات هذا العلم على طرائق التفاعل بين الذهن البشري والمحيط الخارجي وكيفيات تخزين المعلومات وصياغتها على هيئة الخطاطات والصور الذهنية بمقتضى الحاجات، بوساطة تمثل مجالٍ ما بمجال آخر. [١٢]

إن علم الدلالة الإدراكي يُوظَف في تحليل أنماط الصورة والمجازات المفهومية؛ لأن المفاهيم

---

(٦) See: How to think about meaning :p. 32.

(٧) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني:١٢٣-١٢٤، الاستعارة والنظرية الإدراكية:٨٤٤-٨٤٥،اللغويات المعرفية:١.

(٨) الاستعارة تصنع تصوراتنا:٢.

(٩) الاستعارات التي نحيا بها:٢١.

(١٠) الاستعارات التي نحيا بها:٢٨-٣٠،منهجية دراسة الاستعارة :١.

(١١) نظريات لسانية عرفنية:١٤٤.

(١٢) النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي:٨١٤،المجازات الإدراكية ودورها في تحليل الخطابات:٣.

المجردة والمجازية أو المستعارة، مثل (الكرم والمروءة والنظام والحقيقة والأخلاق....إلخ) مرتبطة ارتباطا كليا بالتجارب المادية المحسوسة الأساسية والمتكررة المقترنة بها، وهذا الارتباط الحقيقي هو الكفيل بخلق دلالة المجردات، وبهذا تشكل التجارب البشرية والترسبات المعرفية المادة الخام للبناء الإدراكي الذي يمكن تفصيله وتجسيده دلاليا ومجازيا أو استعاريا ضمن بيئة ورؤية خاصتين للعالم(١٣). وبناء على ذلك لاتمثل الفنون البلاغية أو الممارسات المجازية زخارف لفظية يُزيَن بها الكلام بل هي تنسيقات تصورية تتكفل بإيجادها عملياتٌ عقلية إبداعية ((إن الاستعارة ليست تزويقا لفظيا للخطاب، بل لها أكثر من قيمة انفعالية؛ لأنها تعطينا معلومات جديدة، وبوجيز العبارة، تخبرنا الاستعارة شيئا جديدا عن الواقع)) (١٤)، بمعنى أن الإجراءات البلاغية انتقلت من النظر إليها على أنها ظاهرة لغوية متمثلة في اختيار أسلوبي محض إلى أنها ظاهرة إدراكية مرتبطة بعمل العقل البشري كبناء متكامل في إنشاء أنساق تصورية وتشفير نماذجها المعرفية(١٥).

سيرة مولانا جلال الدين الرومي

هو (محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري) ولد في مدينة بلخ التي تقع في أفغانستان في عهد دولة السلاجقة الأتراك سنة(٦٠٤هـ)، واشتهر في الأوساط العلمية بمولانا (جلال الدين الرومي) نسبة إلى بلاد الروم التي قضى فيها الشطر الأكبر من حياته الحافلة بالإنتاج الفكري والشعري والصوفي، وانتقل مع أبيه العالم والصوفي المشهور (بهاءالدين ولد) بين بغداد ودمشق وحلب لتلقي العلوم والمعارف الروحية والعرفانية إلى أن أصبح فقيها وواعظا ومتصوفا، ثم استقر في قونية، وتتلمذ لعدد من الشيوخ الذين أخذ عنهم بعض العلوم الشرعية والعقلية ومباديء علم التصوف، وقد ترك الدنيا والتصنيف بعد لقائه بالشاعر الصوفي المتجول شمس الدين التبريزي في قونية سنة (٦٤٢هـ) وكان ذا شخصية غامضة وقوية ومؤثرة بحيث أصبح التبريزي مرشده الروحي وجعله يعرض عن الوعظ والإرشاد وينتقل إلى التبحر في المعرفة الحقانية، مما أدى به أن يبلغ أسمى درجات العبقرية والعشق الإلهي والفناء في الله، وتحول الرومي منذ ذلك الحين من عالم فقيه إلى صوفي فقير، فكرّس حياته للحب الإلهي والسماع التي هي الرقصة الروحية الدائرية المقرونة بالموسيقى والذكر،وقد اشتهرت هذه الرقصة وأصبحت طقوسا دينية عند مريده ودراويشه في الطريقة المولوية الصوفية التي أسسها ابنه سلطان ولد بعد وفاة أبيه؛ لأن الإنصات للموسيقى عند الرومي كان رحلة روحية تصاعدية تنقل الإنسان إلى كمال المحبة الإلهية من خلال النفس والروح، وتوفي سنة (٦٧٢هـ)، وقد ترك آثارا شعرية ونثرية تأتي منظومته المشهورة بالمثنوي المعنوي في قمتها؛ إذ تعد أسمى نتاج عرفاني شهده التاريخ الإسلامي(١٦) .

---

(١٣) علم الدلالة التأريخي والتزامني:٤ ومنهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي والتأسيس الإدراكي:١.

(١٤) نظرية التأويل:٩٤.

(١٥) علم الدلالة الإدراكي:٥١.

(١٦) ينظر: ذخائر الأقوال في مولانا جلال: ٣٩،٤٨-٤٩، العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي: ٢٧-٧٥،٦٥،٢٨-٧٧، ٨٣-٨٧.

قصيدة الناي ومفاهيمها الإدراكية

تعّد هذه القصيدة مفتتح ديوان المثنوي التي جاءت على ثمانية عشر بيتا في صياغتها الفارسية، وبيّن مولانا فيها كثيرا من العقائد والمفاهيم العرفانية بحيث تمثل عصارة المثنوي وزبدته وتضم جميع رؤى الصوفية وتوجهاتهم الإيمانية، وغدا الناي رمزالروح عند مولانا؛ ولذلك ((أولع به المولوية واستعانوا به في أذكارهم)) [(١٧)]، وقد ترجمها إلى العربية عدد من العلماء والباحثين بتعبيرات مختلفة لكن بمضامين متفقة، وقد وردت في فاتحة المثنوي بهذه الترجمة المطولة[(١٨)]:

- استمع إلى هذا الناي يأخذ في الشكايةِ ، ومن الفُرقات يمضي في الحكاية.
- منذ أن كان من الغاب اقتلاعي ، ضجَّ الرجالُ والنساءُ في صوتِ التياعي
- أبتغي صدراً يمزِقه الفراقُ ، كي أبثَّ شرحَ آلامِ الاشتياق
- كلُّ من يبقى بعيداً عن أصوله ، لايزالُ يرومُ أيامَ وصاله
- نائحاً صـرتُ على كلِّ شُهودٍ ، وقريناً للشقي وللسعيد
- ظنَّ كلُّ امرئٍ أن صار رفيقي ، لكنّه لم يبحث من داخلي عن أسراري
- وليس سري ببعيد عن نواحـي ، لكنَّ العينَ والأذنَ قد حُرمتا هذا النور
- وليس الجسدُ مستوراً عن الروح ولاالروحُ مستورةً عن الجسد ، لكنَّ أحداً لم يُؤذن له بمعاينة الروح
- وإنَّ هذا الأنينَ نارٌ وليسَ هواء ، وكلُّ من ليست لديه هذه النارُ ليكن هباءَ
- ونار العشق هي التي نشبت في الناي ، وغليان العشق هو الذي سرى في الخمر
- والناي صديق لكل من افترق عن أليفه ، ولقد مزّقت أنغامه الحُجبَّ عنّا
- فمن رأى كالناي سُمّا وتِرياقا؟ ، ومن رأى كالناي نجياً ومشتاقا؟
- إن الناي يتحدث عن الطريق المليء بالدماء ، والناي هو الذي يروي قصص عشق المجنون
- وهذا الوعي محرم إلا على من فقد وعيه ، كما أنه لامشترٍ للسان إلاّ الأذنُ
- لقد صارتِ الأيامُ تسعى في أحزاننا بغير وقت ، وأصبحت قرينةً للأحزان والمحن
- فإن مضَتِ الأيامُ فقل لها اذهبي ولا خوفٌ ، ولِتبقَ أنت يامن لامثيلَ لك في الطُهر
- ولقد ملّ هذا الماءَ من ليسَ بحوته ، وطويلٌ يومُ من لاقوتَ له منه
- إنّ احوالَ الكمل العارفين لايدركها فجٌّ ساذجٌ ، ومن ثَمّ ينبغي أن نقصِر الكلامَ... فسلاما

هذه القصيدة لبنتها الأساسية قائمة على أساس الاستعارة وتصوير فكرة معينة بالاستعانة بمجال ما تُسقط فيه هذه الصورة الذهنية لتبرز بتشكيلة صياغية ومضمونية مؤثرة مستقطبة للأفهام والأفكار،

---

(١٧) قصة الأدب في العالم؛١/٤٩٢.

(١٨) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي:٣٥-٣٦.

وهذا مايتجلى في الصياغة الأسلوبية لجلال الدين الرومي ومذهبه الصوفي الغارق في البحث عن الحقيقة وأصل الكينونة البشرية وعلاقتها بعالم آخر متعالٍ وراقٍ، فحاول أن يبث أفكاره ومبادئه الروحية التجريدية بهذه التصويرات التجسيدية المستوحاة من عالم المادة المتمثلة للأذهان والأعيان؛ ليجعلها مصدرا ووسيلة للتنقل إلى عالم الغيبيات والقدرة الإلهية، وذلك مانراه بوضوح في التحليلات الدلالية الإدراكية التي تركز على كيفيات تصور العقل البشري للأشياء والأمور والربط بينها بإيجاد علاقات وترابطات وتشابهات بينها وباستخدام الإستراتيجيات اللغوية للتعبير عن هذه العملية العقلية التي تقوم أساسا على استدعاء تصور ذهني للمؤثرات الخارجية وكيفية إسقاطها على صورة ذهنية محددة[١٩]؛ إذ((هناك عملية عقلية تتم بواسطة الذهن تقوم بتنظيم التجارب والمعارف والإدراكات المختلفة داخله، فيما يعرف بالبنية التصورية، لأن تخصيص العلاقات الدلالية يضطرنا إلى استعمال معرفة(تصويرية) غير لغوية)) [٢٠]، وهذا ما أقره (لايكوف وجونسن) حين ذهبا إلى أن البنية التصورية تشكل مستوى موحدا للتمثيل الذهني الذي تتضافر فيه المعلومات اللغوية وغير اللغوية أي (الحسية والحركية) [٢١]، ويلحظ هذا التصور الإدراكي في قصيدة الناي تماما بمعرفتنا بمقصدية الشاعر وهدفه الروحي من نظمها المتمثلين في تصوير حال الإنسان الذي يصقل نفسه ويطهر قلبه ليسمو إلى الرقي العقلي والروحي ويصبح مرآة تعكس كل شيء جميل ويتنأى بنفسه عن الماديات الدنيوية الزهيدة ليرجع بفكره ووجدانه إلى خالقه فتضطرم نار العشق الإلهي في داخله، وذلك حال العارف الذي يترقى إلى موقع القدرة على إطلاق الحكم بمشاركة العقل مع الوجدان للتوصل إلى المعيار الأعلى، ويريد الرومي من خلال هذه التصويرات الرمزية أن يصف حال الإنسان عموما الذي يبحث في الكون عن سر وجوده ليعلم تلك العلاقة الروحية بين الخالق والمخلوق التي تحرك حياته وعمله نحو المعيار الأعلى من خلال الانجذاب الذي تحدثه نفخة الروح، فيدفع الشاعر الإنسان ليصل إلى مرحلة تلاقح الحواس بالجانب العقلي والفكري للتغلغل في حقائق الأشياء ورؤيتها رؤية عقلية جلية ليتزود بزاد النور والوعي وصولا إلى طور العشق والتوق إلى إدراك حقائق الحياة وهي حال العارف الصوفي الذي وصل إلى مرحلة العشق والوجد وقدم من أجل ذلك روحه ودمه وتخطى عقبات النفس التي تحول بينه وبين سموه الوجداني والعقلي، وهذه صرخة الرومي في القصيدة للإنسان ليطهر قلبه وفكره من شوائب الزلات والأخطاء، وهذه الصرخة مشحونة بالعطف واللطف؛ ليتجه إلى داخل الإنسان ويؤثر في نفسه وعقله ليعيد صياغة تفكيره ومنهجه في الحياة ليدرك حقيقة خلقه ومنشأه الأصلي والقيمة الحقيقية لحياته فيقدم مافيه الفائدة والخير [٢٢]، فنرى أن الشاعر قد استعان بهذه الآلة الموسيقية وهي الناي ليكون رمزا دالا على كل مدركاته الذهنية وتصويراته للإنسان وحقيقة خلقه وحياته ومماته، وهذا بحد ذاته يمثل تلك العلاقة القائمة

---

[١٩] ينظر : الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية :٨.

[٢٠] الاستعارة القرآنية :٣٦.

[٢١] الاستعارات التي نحيا بها:٢١،٦-٢٢.

[٢٢] ذخائر الأقوال في مولانا جلال:٥٨٩-٥٩٢، كتاب المعارف شرح المثنوي: ٢٦- ٢٧، ديوان المثنوي لمولانا جلال الدين الرومي:١-٣،

بين لغة الشاعر وبناه الذهنية وتجاربه المادية بكل ميادينها الاجتماعية والعقيدية والثقافية والفكرية والبيئية والنفسية والحضارية...إلخ، مما أثر في تصورات الشاعر وأنساقه الفكرية التي تشكل أساس ديناميكية استعاراته التصورية مكمنها في النظام المفهومي الكامن في الذهن بإيجاد نقطة الالتقاء بين المتقاربين أو المتباعدين، المتمثل لمجال ما على أساس مجال آخر بوساطة علاقات الإسقاط المفهومي، وهذا ما يدخل في صميم مبادِئ الدلالات الإدراكية وأسسها التنظيرية والتطبيقية؛ إذ ((يذهب لايكوف وسائر العلماء الإدراكيين أوّلا إلى أنّ الأنظمة التصويرية أو التمثيلية أو المجازية في اللغة الطبيعية هي نتاج تفاعل بين الأطرزة الذهنية المنغرسة في المخيّلة أو الذاكرة اللغوية المشبّعة بالتقاليد الثقافية والتجارب الإنسانية المستمدّة من البيئة والمحيط، وهذا التفاعل هو إسقاط لهذه الأطرزة على التجارب المعيشية في البيئة)) [٢٣]، ويتراءى ذلك في البيتين الأولين اللذين يقدم فيهما الشاعر تصويرا محسوسا عن معاناة الإنسان ومكابدته في الحياة فيجعل الناي مصدرا للوصول إلى تجسيد هدفه في وصف معاناته والتعبير عن آهاته وشوقه لمعرفة منبته الأصلي، فوجد أن الناي خير من يمثله في التعبير عن حاله؛ فكلاهما يعاني من ألم الانفصال عن أصله، فلا يمكن للناي أن يصدح بألحانه إلا إذا وجد من ينفخ فيه الهواء، وهكذا حال مولانا الذي لايستطيع أن يعبر عن خلجات ذاته ومشاعره من دون نفخة الروح التي منحها الله إياه، ويرمز بالغاب إلى الناس الذين ينتظرون العشق ليضرم النار فيهم، واللوعة والحرقة التي تصدر من الناي تصوير للمعاناة والهموم التي يشكو منها الناس في حياتهم نتيجة ابتعادهم عن منبعهم الأصلي واجتثاثهم من موطنهم الحقيقي، فَسِرُّ النواح في البحث عن أصله: من أين أتى ؟ وإلى أين يذهب ؟وكيف كان المبدأ والمنشأ ؟ وكيف يكون المعاد؟ فهذه التساؤلات أضرمت النار في ذاته، وهذا الوصف التشبيهي والتصوير التجسيدي عملية إسقاط لمفاهيم مجردة على أمور محسوسة مدركةٍ بالحواس ومشكِّلةٍ حقلَ المصدر عند الإدراكيين لتصور وتجسد حقل الهدف المتمثل بوصف حال الإنسان العارف ولتعبِّر عن همومه وأحزانه للوعة الفراق لوجود مجاميع تناسبية قائمة بين المجالين: المجال المصدر وهو (الناي)، والمجال الهدف وهو(الإنسان) بجميع عناصرهما التكوينية ومعطياتهما الزمانية والمكانية، فضلا عن ذلك فإن المدركات العرفانية التي يريد مولانا أن يوصلها إلى الأذهان مبنية على أساس علاقات التقارب والتشابه بين المضامين المجردة والأشياء الواقعية المحسوسة وهذا مايشكل الاستعارة بمفهومها الإدراكي الحديث القائمة على دعائم جوهرية تعد مفاتيح أساسية لصناعة المعنى وإدراكه، وهي(المَقْوَلة والفهم والخيال والتجسد) [٢٤]، وهذه العناصر الإدراكية تبدو في وصف مولانا للإنسان المنقطع عن أصله وتشبيهه له بالناي وتجسيد هذه الأحوال المفجعة والحالات الانفعالية والوجدانية بتمازجها مع خيال الشاعر ومفاهيمه العرفانية والزهدية التي صبها في ذلك النسق اللغوي والمنظومة الكلامية التي تؤسس الممارسات الإدراكية الذهنية المستوحاة من عالمنا الفيزياوي بكل كياناته

---

[٢٣] الاستعارة والنظرية الإدراكية:٨٤٥-٨٤٦.

[٢٤] دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: ٨ وما بعدها، أثر نظرية الطراز الأصلية في دراسة المعنى:٢٦٧ وما بعدها، نظريات لسانية عرفنية:١٥٢-١٦٠، والاستعارة القرآنية:٥٦.

المجردة والمحسوسة، وهذه العملية الذهنية الضامة لمجاميع الأشياء والأفكار تندرج ضمن صنف كلامي معين تعرف عند الإدراكيين بـ(المَقْوَلة)، ويُستدل بذلك على أن المفاتيح الإدراكية الأربعة المذكورة تتوج في القصيدة في جميع أبياتها؛ لأن الشاعراستند إلى خياله الواسع وخلفياته المفهومية المتلونة بالثقافة الدينية والفلسفية والعلمية التي تلقاها في مسيرته الدراسية والتدريسية الطويلة، معبرا عن كل هذه المفاهيم والتراكمات التجريبية والعرفانية بتشكيلات تجسيدية تصويرية مجازية منطلقة من فكرة فهم حقل دلالي وإدراكي من خلال حقل آخر، أوما يعبر عنه (لايكوف) بفهم مجال من خلال مجال آخر[٢٥]،((فأساس الاستعارة ليس اللغة، وإنما الكيفية التي نتصور بها مجالا ذهنيا معينا بواسطة مجال ذهني آخر، وذلك قصد فهم الأشياء المجردة والأقل انبناء من خلال أشياء ومجالات ملموسة وأكثر بنينة)) [٢٦] فيُلِمُّ المتلقي بأوضاع الإنسان ومعاناته من خلال وصف الناي وتشكيلته التكوينية وما يصدرمنه من أنين وآهات تؤثر في الرجال والنساء بحيث يجعلهم أن يبكوا ويندمجوا مع تلك الحالة الوجدانية والانفعالية، فالبنية التصويرية الاستعارية المجازية الإدراكية التي تستنبط من هذه الأبيات تكمن في تجربة مولانا مع تلك الآلة الموسيقية (الناي) التي أحبها كثيرا للحنين الصادر من نغماتها التي تذكره بحنين الإنسان للعودة إلى أصله المنقطع من عالم الروح بهبوطه إلى عالم الجسد، فشعرت النفس الإنسانية بالاغتراب وعانت كثيرا من تجرع الأحزان والهموم لبعدها عن الأصل الإلهي، فهو يتصورها كغصن الناي المنقطع من نبات القصب العازف لهذه الألحان الحزينة المعبرة عن آلام الفراق والفصل من الأصل، وهذا الصوت ينشد من تلوعوا بحرقة القلب ولوعة الهجران من العاشقين، وهكذا حال العارف العاشق المحب لله الذي يظل يأن ويحن ليوم الميثاق واللقاء الإلهي ويسعى جاهدا لإعادة الوصلة، وقد اقتبس مولانا هذه البنية التصويرية من قوله تعالى: ((فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) [٢٧]، ويمكن تمثيل هذا التصور للمجالين بهذه الخطاطة الإدراكية:

المجال المصدر(الناي) ----------> المجال الهدف(الإنسان) = البنية التصورية (معاناة الفصل عن الأصل)

وينتقل مولانا من عرض بنية تصويرية إلى أخرى في وصف حال الإنسان الواعي المدرك للحقيقة الربانية ومعرفة النور الإلهي بإعمال العقل والاتجاه نحو العلم والمعرفة ليفتح الله بصيرتهم التي يدركون بها حقائق الأمور، ويصعب ذلك على من لهم آذان لايسمعون بها ولهم أعين لايبصرون بها، كحال من لايرى من الناي إلا هيئته الخارجية ولايعي أسرار نواحه وأنينه، ومن جانب آخر هذه عملية إسقاط لحال الشاعر وأوضاعه الشجية لما يعانيه من نأي صديقه ومرارة آلام فراقه لمحبوبه، لكن أين الذي يسمع ويبصر أسرار قلبه ومكنونات ذاته، وهذه الحالة والتجسيد بمثابة تشابك الجسد مع الروح؛ لكنه لم يؤذن لأحد برؤية الروح، وينتقل الشاعر في هذه الأجواء العرفانية والعشق الإلهي بالتعبير عن هواء العازف

---

[٢٥] الاستعارات التي نحيا بها:٢٣،والاستعارة القرآنية:١٨.

[٢٦] التصور الاستعاري:١٣٦.

[٢٧] الحجر: ١٥ /٢٩، ص:٧٢/٣٨.

في النـاي بالنـار التـي هـي تصوير لنـار العشق فـي جوفه وفـي وجدانـه التـي صـورها بفوران الخمـر، وهـذا تجسيد لـهيجان العاطفة وجيشان العشق في قلب الشاعر وكل عارف غارق في حب الإله، وبذلك تصبح صورة النـاي كالنديم والرفيق لكل مفترق عن حبيبه، وتمزق نغماته الحزينة مايغشي أبصـار المحبوبين من حجـاب بعـد الزمـان والمكـان، فتستنبط مـن كـل هـذه التقاربـات التشبيهية والتبـادلات الاسـتعارية عمليـات عقلية تهدف خلق بنيات تصويرية منبثقة من مخيلة الشاعر وخلفياته الثقافية والفكرية التـي جسدت تلك الحـالات النفسـية والخلجـات الضـمنية بمقولات مجازيـة بلاغيـة تمثـل القـدرة التصـويرية للعقـل البشـري غير مقتصرة على الزخارف اللفظية والصناعة الكلامية، فـ((لم تعد الاستعارة ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية استبدال، أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هى عملية إدراكية كامنة فى الذهن تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية أي أن الاستعارة فى جوهرها ذات طبيعة تصورية لا لسانية)) [٢٨]، وهذا مايؤكده الإدراكييون ولاسيما في النتاجات العرفانية؛ إذ ((يمكن أن نتحدث عن ثورة أحدثها العرفانيون فى تصورنا عن الاستعارة، وفى تصورنا عن الإنسان وعلاقته بالعالم واللغة والثقافة)) [٢٩].

ويسير مولانا على المنوال التصويري نفسه لإبراز جميع مدركاته العرفانية التجريدية بتقريبها من أشياء واقعية يتعامـل معهـا الإنسـان بمنافذه الحواسية لإدراك تلك المفـاهيم العقلانيـة الغيبيـة مـن خـلال حقـول إدراكية أخرى تتعامل معها الحواس مباشرة في تعاملات البشر السلوكية، فأصبحت هذه الوقائع الحياتية والمكونـات الكونيـة مصـادر جوهريـة لتكوين البنـى التصـويرية للأهـداف المنشـودة، كمـا فـي تمثيلـه للنـاي بالسـم تـارة وأخرى بالترياق لتصـوير أحـوال العشـاق مـع العشـق، وفـي كيفيـة تعبيـر النـاي عـن قصـص العشـق االتـي لايفهمهـا مـن حرم مـن عقل وبصيرة، وهذه كلهـا بنـى تصـويرية مجازيـة للعشـق الإلهـي عنـد العارف الذي يتلمسه عندما ينوي الوصول إلى الكمال وإلـى المعشوق المعبود الحقيقي وهو الله سبحانه وتعـالى، ويقصـد مولانـا مـن كل ذلـك أن العاشـق الحقيقـي مـن انفصـل عـن الـدنيا وملـذاتها للوصـول إلـى المعبود الذي يسع لطفه وعنايته لكل من توجه ورجع إلى ذاته العليا[٣٠]، ويستمر مولانـا في وصف حـال العـارف العاشـق الحقيقـي الـذي طهّر قلبـه مـن دنـس الماديـات وسمت روحـه إلـى العـلا فـلا يبـالي بالأيـام التـي استوى حلوهـا ومرهـا بانعدام ذلك الحـب الطـاهر، وإن انقضـت ومضـت فلاخوف ولاحزن سوى بقـاء العشق والمعشوق الذي لا نـد ولا نظير لـه فـي الطهـر والنقاء، ويستعين أيضـا بإستراتيجية الرمـز كعنصـر تجسيمي لإكمـال ذلك البنـاء التصـويري الـذي رسـمه فـي مدركاتـه الذهنيـة وصـفا للعـارف المتقـي والمـؤمن الحق الذي يعدّ في نظره مماثلا لطائر الماء أحيانا أو للسمك أحيانا في عدم إملاله من مـاء البحـر؛ لأنـه لايؤدي إلـى الارتـواء، وهكذا حـال العـارف الـذي فـي شوق للاتصـال بحبيبـه الربـاني الذي يرمـز إليـه بمـاء البحـر فـي عدم ارتواء العـارف من فيضـه الربـاني وفـي انتظـار مدده المتواصـل اللانهـائي خلافـا لأحـوال

[٢٨] الاستعارة القرآنية:٥٩.

[٢٩] دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة:١٢٣.

[٣٠] العرفان الصوفي:١٢١-١٢٥، الطريق إلى العشق:٢٦٩-٢٧١.

المنهمكين في ماديات الدنيا الذين لايستطيعون الشرب إلا قليلا من رحيق الآخرة وسرعان ما تصد نفوسهم عنه، أما المؤمن الرباني فيطلب قوته ومدده الإلهي بشق الأنفس، ولايمكن إدراك هذه الأوضاع إلا لمن أحنكته التجارب وأوتي العلم الحقيقي.

ويتراءى لنا من كل أوصافه وشروحاته لأمور وأشياء وأحداث دنيوية أنه قصد أن يجعل منها قنطرة للوصول إلى الصور الحقيقية التي يخطط لأركانها وزواياها بمنظومة فكرية عرفانية تعدّ مفاهيم مجردة لايستوعبها العقل البشري بصنوف التفسير والتأويل الفلسفي والتحليل المنطقي، فسلك مسلك التصوير والتجسيد متكأ على معارفه العقيدية ومشاربه الفكرية التي تستدعي إثارة الإدراك العقلي والتجاوب الفكري، وما ذلك إلا تعبيرات إدراكية عقلية دقيقة وعميقة لتجارب واقعية بتشكيلات مجازية تصويرية تؤثر في المتلقي وتجعله أن يعيش في حالة انفعالية وعاطفية مماثلة لوجدان الشاعر وخيالاته التصويرية، وهذا ما يعده الإدراكيون عملية إنتاج العلاقات بين المدركات الواقعية في المصنع العقلي ((هذا المصنع الذى ينتج هذه العلاقات التي تعرف بالبنية الصورية للأشياء، ويمكن تصور هذه العملية على النحو الآتي:

أنساق لغوية + أنساق التجارب والمعارف ----> داخل الذهن = أنساق تصورية)) [٣١]

نخلص مما سلف أن مولانا جلال الدين قد استعمل الإستراتيجيات اللغوية غير المباشرة والتقنيات المعرفية لصناعة تلك المضامين العرفانية التي آمن بها ببنى تصويرية إدراكية مختلفة ومتنوعة لايمكن أن تستكنه جوانبها وهيئاتها إلا بالتمعن في مسلكه العرفاني ومعرفة أحداث حياته والمثيرات التي دفعته ليخوض في فضاء فكري وثقافي ومعرفي واسع أنتج لديه تلك القصيدة التي غدت اللبنة الأساسية في المثنوي ولبه ومنطلقه في بناء جميع أنساقه التصويرية ومعتقداته العرفانية المقولبة في بنيات تصويرية إدراكية يتوفر فيها جميع عناصر علم الدلالة الإدراكي ومبادئه الإجرائية .

نتائج البحث:

لقد توصل البحث بعد هذه الرحلة في حياة مولانا جلال الدين الرومي وقصيدته المشهورة إلى طائفة نتائج وتوصية تتكثف

فيما يأتي:

- إن تنشئته الدينية ومسلكه الدراسي الملتزم بالتعاليم الإسلامية والإرشادات العقيدية أثرت في توجيه مساره الفكري الفقهي والعرفاني، فضلا عن تأثره بالعلماء والأئمة والمرشدين الذين التقى بهم في حلقات علمية أو في مجالات أدبية، فتدخلت هذه المؤثرات في بناء شخصيته العلمية والفقهية والصوفية مما أدى إلى ثراء إفرازاته الفكرية المتنوعة والمتلونة بتراكمات علمية و تجارب حياتية أنارت نتاجاته العرفانية والأدبية والدينية، ولاسيما إبداعاته العقلانية والصوفية في أثره الخالد

[٣١] الاستعارة القرآنية:٣٧.

المثنوي- الذي سمي بالقرآن البهلوي- الذي يستهله بقصيدة الناي.

- تشكل قصيدة الناي عصارة المثنوي ولبه والنواة التي انبثق منها جميع المضامين العرفانية والتعاليم الصوفية التي غدت الحجر الأساس للطريقة المولوية، وهذا ماكان سببا في أن تزدهر بالصور الإدراكية المخططة بالمناويل المجازية والاستعارية .

- لم يكن هدف مولانا التنميق الشكلي والتزويق اللفظي باستعمال التشكيلات المجازية والاستعارية، بل تعمقه الفكري وانغماسه العرفاني وولعه بالعشق الإلهي أصدر منه هذه القصيدة المليئة بالأسرار العرفانية المتعلقة بمنشأ الإنسان وأصله التكويني ووحدة الوجود والمبدأ والمقصد ورحلة الإنسان في الحياة وعلاقته بخالقه، فاستطاع مولانا أن يسلك مسلكا إدراكيا في تصوير هذه المفاهيم العقلانية والتجريدية بهيئات تعبيرية بلاغية تنوعت بين فنون المجاز وفي مقدمتها الاستعارة التي استعان بها الشاعر؛ ليجعل من الوسائل الواقعية المحسوسة مصادر ينفذ من خلالها إلى أهدافه المنشودة بإيجاد قنوات التشابه والتقارب بين الحسيات والمجردات لصناعة تلك الدلالات العرفانية والصوفية التي رسم صورها بمخططات إدراكية أنتجها بأنساق تصويرية في بنائه الذهني.

- يستنبط من تلك الأنساق التصويرية التي بنى الشاعر قصيدته عليها أن تفكيره وطرائق تعبيره عن المفاهيم الإيمانية والصوفية يكاد يلتقي بتصورات الإدراكيين وتوجهات الفكرية في تحليل الأمور وتصوير ماهياتها التجريدية.

- توافر في القصيدة جميع مفاتيح التصوير والتحليل الإدراكي التي حددها الباحثون في حقل علم الدلالة الإدراكي بـ (المقولة والفهم والخيال والتجسد)، باستعماله مبدأ الإسقاط المجازي أو الاستعاري بتمثيل مجال ما على أساس مجال آخر بإيجاد علاقات الإسقاط المفهومي، كما تجلى ذلك في إسقاطه المعارف المتعلقة بالناي الذي أصبح عنده المجال المصدر على المعارف المتعلقة بالإنسان ومكنوناته الداخلية وهو المجال الهدف الذي أراد الشاعر أن يرسم له هذه التناسبات الإبستيمية بتلك التصويرات العقلية لصناعة دلالة إدراكية قائمة في نظامه المفهومي المجازي.

- إن النتاجات الفكرية والصوفية عند مولانا ثرية بمفاهيم إدراكية مختلفة؛ لذلك نوصي بإجراء تحليلات دلالية إدراكية على جميع مكونات المثنوي الأدبية والعرفانية؛ لكونها قائمة على أغلب معطيات النظريات الإدراكية وأسسها.

المصادر:

أولا/ الكتب والبحوث العربية:

* أثر نظرية الطراز الأصلية في دراسة المعنى- عبدالله صولة- حوليات الجامعة التونسية- العدد٤٥-٢٠٠١م.

* الاستعارات التي نحيا بها- جورج لايكوف ومارك جونسن- ترجمة: عبد الحميد جحفة- دار توبقال للنشر- الدار البيضاء- المغرب- ط١-١٩٩٦م.

* الاستعارة تصنع تصوراتنا وتبني سلوكياتنا اليومية- حبيب حيدر- صحيفة الوسط -العدد٢٧٦٤-٣١ مارس- ٢٠١٠م- ١٥ ربيع الثاني-١٤٣١هـ.

* الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية -الدكتور عطية سليمان أحمد- منتديات الشروق- المنتدى الحضاري-٢٠١٦.

* تاج العروس من جواهر القاموس- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي- تحقيق: عبد الستار أحمد فراج-دار الجيل- الكويت-١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

* التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية-عبد العالي العامري-مجلة اللسانيات العربية- مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية-العدد٣-جمادي الآخرة- ١٤٣٧هـ/مارس-٢٠١٦م.

*جوانب من نظرية النحو- نعوم جومسكي- ترجمة: مرتضى جواد باقر- مطابع جامعة الموصل-١٩٨٥م.

* دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني- محمد الصالح البوعمراني- ط١- مكتبة علاء الدين - صفاقس-٢٠٠٩م.

* ذخائر الأقوال في مولانا جلال - دراسة في سيرة وفكر وفن الشاعر العرفاني جلال الدين الرومي- الدكتور علي حسون- دار الرؤية - ط١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

*الطريق إلى العشق الصوفي، التعاليم الروحية عند جلال الدين الرومي- وليام تشيتك - ترجمة: شيماء ملا يوسف- تقديم : حسن حنفي - ط١- رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة -٢٠١٧م.

*العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي- فرح ناز رفعت جو- ط١- دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

*علم الدلالة الإدراكي- المباديء والتطبيقات- الدكتور دلخوش جارالله حسين دزئيي- مجلة الآداب- جامعة بغداد- العدد/١١٠- ١٤٣٦هـ/٢٠١٤ م.

*علم الدلالة التأريخي والتزامني- الحقل الدلالي لـ (قوم) في ضوء علم الدلالة الإدراكي ونظرية المجاز المفهومي- توماس هوفان- جامعة كوبنهاغن- ملخص بحث منشور في النيت ضمن محاور مؤتمر الدراسات القرآنية الثالث في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية (النص والتأويل والترجمة)- مجلة التسامح- موقع (التفاهم).

*علم اللغة الاجتماعي- الدكتور هدسن- ترجمة : محمودعبدالغني عياد- مراجعة: الدكتور عبدالأمير الأعسم -دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- العراق- ط١-١٩٨٧م.

* قصة الأدب في العالم-أحمد أمين و زكي نجيب- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

*كتاب المعارف شرح مثنوي شريف- تصنيف: حضرة مولانا الشيخ عبدالرحمن الخالصي القادري- الأكاديمية الكردية- مطبعة ميكا- إسطنبول -تركيا-٢٠١٤م.

*اللسانيات الإدراكية -الدكتور عادل الثامري- جريدة (تكست) في موقع (Google).

*اللسانيات الإدراكية -أفق نظري وآفاق تطبيقية- الدكتور محيي الدين محسب- منتدى شبكة اللغويات العربية.

*اللغويات المعرفية- ويكيبديا - الموسوعة الحرة.

* المجازات الإدراكية ودورها في تحليل الخطابات ونقدها قراءة في مشروع عبد الوهاب المسري- عثماني عمّار- مركز جيل البحث العلمي-مؤسسة علمية خاصة ومستقلة-٢٠١٧م

*مثنوي مولانا جلال الدين الرومي-ترجمه وشرحه وقدم له: إبراهيم الدسوقي شتا- المركز القومي للترجمة- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية-ط٤- ٢٠٠٨م.

*معجم الصحاح-الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)- عناية: خليل مأمون شيما- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ط٣- ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

*منهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي والتأسيس الإدراكي – الدكتور محيي الدين محسب –٢٠١٠.

*نظريات لسانية عرفنية – الدكتور الأزهر الزناد – الدار العربية للعلوم ناشرون – منشورات الاختلاف.

*النظرية الإدراكية – ملتقى بن خلدون لعلم الاجتماع.

* النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي، الاستعارة أنموذجا – الأستاذ الدكتور صالح بن الهادي رمضان – ندوة الدراسات البلاغية، الواقع والمأمول – ١٤٣٢هـ.

*نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى – بول ريكور – ترجمة سعيد الغانمي –ط٢ – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – بيروت – لبنان –٢٠٠٦.

ثانيا/الكتب الأجنبية:

*Cognitive Linguistics–William Croft & D.Alan Cruse.

*How to think about meaning–Saka–Dordrecht Springor–2007.

*Semantics – John Saeed –Oxford Black Well–1997.

إشكالية المعنى والمبنى في الاشتغال المعرفي

الأستاذ مجيد نوط الشمري

كلية الاداب / جامعة بغداد

الملخص:

نال الاشتغال بفلسفة المعنى والمبنى في دائرة الدراسات اللغوية والأدبية على حد سواء قيمة معرفية واسعة، تاتي من كون المعنى هو المنتج للمعرفة، والمضطلع بمهام أساسية في تكوينها، وفي تأسيس هويتها، والمحافظة على مفاهيمها .

وقضية المعنى والمبنى تعود في أصولها من منظار تاريخي الى عهود موغلة في القدم ترتبط بالفكر اليوناني، لانها قضية ذات طابع انساني لغوي يقوم على فلسفة اللغة وكيفية نشأتها، ودلالاتها على المعاني الموضوعة لها .

وبما ان كل فلسفة معاصرة ترجع في أصولها الفكرية الى اثر فلسفي قديم مثلما ذكر الناقد عبدالله الغذامي الذي قال: (لو تأملنا الفلسفة الحديثة لكل مدارسها لوجدنا افلاطون وارسطو مخبوئين في ثنايا كل فكرة فلسفية، ولايستطيع التطور الغاء الجينات الوراثية في دماء الفكر المعاصر) .

فقد كشفت الدراسات اللسانية القديمة والمعاصرة ان الأصول التي نهضت بنظرية المعنى والمبنى كانت موضع اهتمام العلماء العرب الذين شغلتهم الأفكار الارسطية وكان على رأسهم الجاحظ، فقد استوعبوا نظريتي ارسطو(المادة والصورة) التي تعد المبدا الأول في الوجود الذي اقام عليه ارسطو نظريته في الوجود والفن، وقد اجمع المختصون في المجال الفلسفي على الربط بين هذا المبدا الفلسفي العام ونظريته في الفن، فكتب عبد الرحمن بدوي يقول :(ان الفن الارسطي يرجع أولا الى المبدا الأصلي الذي اقام عليه نظريته في الوجود)

ونظرية (المحاكاة) التي شغلت النقاد والفلاسفة العرب كالفارابي وابن سينا، وقد استثمرها ابن جني أروع استثمار نظريا وتطبيقيا في اللغة والنقد، مما يدل على استيعابهم لهذه النظريات استيعابا معرفيا عميقا، مكنهم من الإضافة اليها، ولاسيما في الميدان اللغوي مثلما نجد ذلك في نظرية (الاشتقاق الكبير) ونظرية (نشاة اللغة) والمجاز .

وكذلك وقفوا على ما انتهى اليه الفلاسفة الهنود اللذين تحدثوا عن ثلاثة اقسام تمثل فلسفة المعنى والمبنى وهي (الكلمة والادراك والمعنى).

ان العلماء العرب كانوا في استقصائهم لقضية المعنى والمبنى على وعي تام بالموضوع، فقد تجاوزوا مسألة الانتصار لهذا الشق اوذاك، الى محاولة حصر منطقة التفاعل والتلاقي بين العنصرين .

واذا كانت العرب قد عنيت بالفاظها فلا يعني هذا اغفالها لمعانيها، بل من اجل تلك المعاني كانت عناية العرب بالالفاظ لرفعة شأنها في نفوس المتلقين وعقولهم وتحقيق مقاصد المتكلمين، حيث افرد ابن جني في كتابه الخصائص بابا هو : (باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ واغفالها المعاني) واستهله بالقول: (اعلم ان هذا الباب من اشرف فصول العربية واكرمها، واعلاها وانزهها، واذا تاملته عرفت منه وبه ما يؤنقكَ، ويذهب في الاستحسان له كل مذهب بك، وذلك ان العرب مثلما تعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ احكامها بالشعر تارة، وبالخطب والاسجاع التي تلتزمها

وتتكلف استمرارها، لان المعنى اقوى عندها، واكرم عليها، وافخم قدرا في نفوسها لان الالفاظ خدم للمعاني .

فاول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها والطريق الى اظهار اغراضها ومراميها اصلحوها، ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع في السمع، واذهب في الدلالة على القصد .

مما تقدم يتبين لنا ان وعي العلماء العرب كان مشدودا الى اشكال التفاعل والتألف من دون ان يغيب عن بالهم الاهتمام بمختلف المعاني، وقد ترجم ذلك عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم التي تمثل محاولة عميقة انطلقت من وعي دقيق باللغة، ويكشف عن اشكال اللفظ والمعنى، والبنية العامة المعتمدة في تلك الظاهرة على قاعدة تفاعل معاني النحو مع معاني الكلم .

من هنا يمكن الإقرار بأن اشكال العلائق التي تنتظم المعنى والمبنى كانت موضع اهتمام العلماء العرب، لأنها تقوم بالتأكيد على ضرورة تحقيق التطابق بينهما الى مستوى اعمق تبلغ فيه الصلة بين الطرفين، الى مرحلة التفاعل الذي يكاد يحيلهما الى كل واحد، ولاسيما حين تمتد المعاينة لتعانق عبارة كاملة او نصاً بالاستناد الى مفاتيح متطورة مثل معاني النحو .

ان إشكالية المعنى والمبنى تبدا من البنية بوصفها الأرضية التي يقوم عليها النص اللغوي او الادبي، لكونه الحامل المركزي للمعنى، وهنا يتوقف خطر المعنى على الطريقة التي يتشكل فيها النص بواسطة البنية لتنفتح على فضاء أوسع وارحب .

اما التعدد الدلالي فيعد من إشكاليات المعنى على مستوى المعنى غيرالملموس او غير الظاهر، اذ لايظهر المعنى مباشرة بل لابد من دلائل وقرائن تحدد هوية المعنى المقصود، فالمعنى كامن في القول في حد ذاته، وفي القول المضمن فيه، ومن ثم لايخرج المعنى في أي قول عن معناه الأصلي في اصل الوضع، وكذلك لا يخرج عن المعنى الثاني الذي يكشفه المقام والعلاقة بين المتكلم والمخاطب، وارتباط الدال بالمدلول .

كذلك تواجه الباحث في المعنى والمبنى إشكاليات متنوعة منها في مستويات ادراكه، او في طريقة الوصول اليه، وفي اليات انتاجه، فضلا عن تداخل مفهوم المعنى مع مفهوم الحقيقة من جهة وتداخله مع مفهوم الفهم من جهة ثانية في الدراسات التأويلية والفلسفية .

وكذلك تبرز إشكالية تقسيم مستويات التحليل اللغوي هذا التقسيم الذي اعتاد الدارسون المحدثون ان يقسموا اللغة على أربعة مستويات هي: (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) وافتراض حدود بين هذه المستويات، مع ان طبيعة اللغة تابى هذا الفصل الذي ينبىء عن استقلال لكل واحد منها، وكذلك من إشكاليات المعنى والمبنى ما اثارته الاتجاهات الحديثة التي تصر على الاقتصار على الجانب الشكلي المنطوق، وتستبعد المعنى من الدراسة اللغوية وهذا الاتجاه الذي يمثله بلومفيد يستبعد المعنى الأصلي لاهتمامه بدراسة القوانين العامة التي تحكم السلوك اللغوي وتكشف عن القوانين التي تحكم النفس البشرية، ومن ثم كان بلومفيد مقتنعا بان اقحام المعنى في التحليل اللغوي قد يعوق الوصول الى هذه القوانين، ولذلك رأى انه لكي نعرف المعنى معرفة علمية دقيقة لابد ان تكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم، ولا بد ان يحلل المعنى تحليلا ماديا طبيعيا والمعرفة الإنسانية لم تصل بعد الى هذه الدرجة .

المظاهر البنيوية في قصيدة أبي لصلاح عبد الصبور

الدكتورة مريم طه عارف عفانه

أستاذ الأدب والنقد المشارك/ جامعة طيبة فرع ينبع

المملكة العربية السعودية

المقدمة:

قامت البنيوية في فلسفتها على ثنائية المبنى والمعنى على اعتبار أن الزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى ليحدث تحولا في البنية يؤدي إلى تحول في الدلالة. لهذا فالبنيوية في دراستها للنص الأدبي تنظر إلى عناصره المشكّلة في تكوين بنيته القابلة للتحليل بعيدا عن أية عوامل خارجية.

ومن هنا فإن معنى الكلمة يكون بعلاقتها مع ما يجاورها داخل البينة الواحدة من جهة وبعلاقاتها مع سائر بنيات النص كاملا. فالعلاقة تكاملية كل منها يكمل الآخر؛ لينتج نصا متناسقا متناغما البناء والمعنى والدلالة.

ومن هنا فإنّ انطلاق البنيوية من فكرة النسق الذي يتخذ نظاما داخل البنية الواحدة ويتناغم بالوقت نفسه مع البنية الكاملة للقصيدة هو جل ما تسعى القراءة البنيوية لنص تحقيقه، فمن خلال شبكة العلاقات العميقة بين النحوية الأسلوبية والإيقاعية تنتج الدلالة بمستوياتها المختلفة. لنصل لنتيجة مفادها أنّ إدراك العلاقات بين عناصر البنية يدخلنا لمنطقة تبرز لنا قيمة النص ورسالته[١].

تبتعد البنيوية في دراستها للنص عمّا يدور في النص من تاريخية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو نفسية. فدراسة النص دراسة بنيوية والكشف عن نظامه الداخلي يحول النص كله دالا لذلك لا حاجة إلى تفسير السياقات الخارجية للنص[٢].

وفي دراستنا لقصيدة الشاعر صلاح عبد الصبور الموسومة ب" أبي" تطرح الباحثة عددا من الأسئلة المهمة يحاول البحث الإجابة عنها:

- كيف تساعد الظاهرة اللغوية في فهم علاقات النص؟
- ما العلاقة بين الظاهرة اللغوية والنص؟

---

[١] شاهين، نزار، مناهج النقد الأدبي (المناهج الكلاسيكية)، الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٣م، ص٣٨٥.

[٢] المرجع نفسه: ص٣٩١

– كيف تتآلف العناصر حول كلية العمل ونظامه؟

– كيف تتحرك ثنائية المبنى والمعنى في تشكيل علاقات النص وأثرها على الدلالة؟

تكونت القصيدة من أربعة مقاطع حددها الشاعر من خلال بنية فعلية متكررة "فأتى نعي أبي هذا الصباح" وظّفها الشاعر كلازمة متكررة مع بداية كل مقطع جديد. حيث وظّف البنية المتنامية في ينائها وتشكيلها بشكل متوافق مع المعنى الذي يسعى الشاعر في تحقيقه داخل القصيدة. يقول:

المقطع الأول[٣]

"أبي"

وأتى نعي أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

حوله الذؤبان تعوي والرياح

ورفاقٌ قبّلوه خاشعين

وبأقدام تجرّ الأحذية

وتدقّ الأرض في وقع منفر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعي أبي[٤]

بالوقوف عند العتبة الأولى لقراءة النص نجد عنوان القصيدة " أبي" موضوعا بين علامتي تنصيص وهي إشارة واضحة على التركيز على لفظة "أبي" والتي تكررت ثلاث عشرة مرة متراوحة بين جمل فعلية ذات بنى مختلفة.

لقد بدأت القصيدة من النهاية " ...أتى نعي أبي هذا الصباح" حيث يسرد لنا قصة وفاة والده. لكن الحكاية تركت وراءها بعضا من أجزائها بدلالة استخدام النقاط الثلاثة في بداية الجملة دلالة على كلام محذوف، فالحكاية واضحة كوضوح الصباح. فبدأت حكايته صباحا من تلك اللحظة التي وصل خبر نعي والده. قد تكون الذاكرة قد توقفت عند هذه اللحظة، لحظة وصول خبر نعي والده لهم[٥].

---

[٣] تسمية المقاطع بالمقطع الأول والثاني والثالث والرباع هو من تقسيم الباحثة .

[٤] عبد الصبور، صلاح، ديوان، دار العودة: بيروت، ١٩٨٨م، جزء ١، ص٢٣-٢٨

[٥] انظر الشيخ، خليل ، العجلوني، نايف، نصوص شعرية، منشورات جامعة القدس المفتوحة: عمان، ١٩٩٧م، ص٢٥٦

إن النهاية التي بدأها الشاعر هي خلاصة ما يريد للمتلقي فهمه، فلا يعني له ما كان بل ما آل إليه حال والده.

وتبدأ الحكاية:

نام في الميدان مشجوج الجبين

حوله الذؤبان تعوي والرياح

ورفاقٌ قبّلوه خاشعين

وبأقدام تجرّ الأحذية

وتدقّ الأرض في وقع منفر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعي أبي(٦)

هو يصف استشهاد والده في الميدان بالنوم، فالنوم حالة من الاسترخاء تؤثر في الحركات الإرادية والشعور يما يحيط به، فلم استخدم الشاعر نام ولم يقل مات؟ والموت لفظة تتناسب مع الجملة الفعلية (وأتى نعي أبي هذا الصباح). بالنظر للفظة النوم نجد أن النوم فترة وجيزة فيعود ويشعر بما حوله، لكنه أتبعها مشجوج الجبين، لينفي أن يكون النوم لفترة معينة ويعود. وربما النوم للشهيد هي حالة الحياة الدنيوية وأحياء عند ربهم يرزقون. بدأت الحكاية بالجملة الفعلية المكونة من الفعل الماضي نام وفاعله الضمير المستتر ثم الجار والمجرور في الميدان. إن العناصر الداخلية التي شكلت بنية الجملة الفعلية متوافقة تمام التوافق مع الدلالة، فالنوم في الميدان وحالته أثناء النوم مشجوج الجبين، شكلت في مجموعها علاقة سلبية بأن والده قد فارق الحياة وأن نومه سيكون نوما طويلا لا رجعة منه.

والمشجوج تحمل دلالة سلبية على وزن اسم المفعول تدل على المفعول. وصيغة اسم المفعول للتأكيد على صفة الحدوث والتصاقها به(٧). من جهة أخرى فاسم المفعول يصف من يقع عليه الفعل(٨). كما أن صيغة المشجوج تدل على أن من فعل الفعل مجهول لا قيمة له فتحمل دلالة الاحتقار للفاعل لشناعة فعله. وألحق اسم المفعول مشجوج بالمضاف إليه الجبين

---

(٦) عبد الصبور، صلاح، الديوان دار العودة: بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٤-٢٨

(٧) عبد، هديل، اسم المفعول في العربية، جامعة القادسية: العراق، بحث تخرج من مرحلة البكالرويوس، ٢٠١٨، ص

(٨) السامرائي، فاضل، معاني الأبنية في العربية، دار الأمين للنشر: بيروت، ٢٠٠٧م، ص٧٢-٧٣

فوصف موضع الإصابة بالرأس فيقال في اللغة: يشج رأس الرجل ولا يكون الشج إلا في الرأس، والشج في الرأس خاصة في الأصل وهو أن يضربه بشيء فيخرجه فيه ويشقه[٩]. فحملت بنية اسم المفعول المضاف للجبين دلالة شرف الموت وهو صامد؛ لكن الطريقة التي شكلت بنية الجملة الفعلية من توالي المفردات بهذا الترتيب المقصود؛ يحمل في طياته دلالة لهيئة الموت وهي الشموخ والاعتزاز لتنتج لنا الصورة المتكاملة لوفاة والده.

حوله الذؤبان تعوي والرياح

والذؤبان جمع ذئب وقالت العرب قديما ذؤبان العرب أي صعاليكهم ولصوصهم[١٠]. أراد الشاعر باستخدام الاستعارة أن يدلل على قتلة والده، فهؤلاء أبعد ما يتسموا بالنزاهة والشرف، فلفظة الذؤبان توحي بالغدر والخديعة وعدم النزال بشرف، لذلك قال وحوله الذؤبان تعوي والرياح فاستخدم أسلوب الانزياح في تركيب البنية السابقة بتقديم الظرف المكاني (حوله) على الفعل (تعوي) فالأصل أن تكون: تعوي الذؤبان حوله والرياح

لكن التقديم الذي نظمه الشاعر ليسلط الضوء على لفظة الذؤبان التي أحاطت بجثمان والده فكأن عوائها إعلان انتصار لها.

ورفاقٌ قبّلوه خاشعين

وبأقدام تجرّ الأحذية

وتدقّ الأرض في وقع منفر

طرقوا الباب علينا

ومن جهة أخرى نجد رفاق دربه في أرض الميدان قبلوه خاشعين، هذا الخشوع مرده الحالة التي من أجلها مات فلقي التقدير والاحترام من رفاقه.

لقد تحول الحديث عن والده بصيغة الضمير فقد غاب عنهم لذلك قال: قبلوه

وظّف الشاعر هنا الجملة الاسمية ورفاق قبلوه خاشعين. فوجود الضمير العائد على والده في كلمة قبلوه أعطى ضرورة التأخير للفعل وقدّم الاسم (رفاق). ووجوب التقديم لأهمية ما قاموا به فعلهم عظيم فهم رفاقه وهم من تكفل بحمل جثمانه لأهله وأُخذ على عاتقهم مهمة نقل نعي والده لهم.

---

(٩) معنى مشجوج في معاجم اللغة العربية

https://www.maajim.com › dictionary

(١٠) تعريف و معنى ذؤبان في معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي

https://www.almaany.com › dict › ar-ar

وعبّر الشاعر عن هول الموقف بشبه الجملة وألحقها بالجملة الفعلية:

وبأقدام تجرّ الأحذية

وتدقّ الأرض في وقع منفر

وقوة الحدث وثقل نقل خبر وفاة والده يتبعه الحديث عن تلك الأقدام المثقلة المتعبة التي أنهكها الحدث الأليم فهي لا تكاد تسير، بل وتحاول جر الأحذية معها دلالة على قوة الحدث وثقله. فتلك الأقدام التي تسير باتجاه بيت الشهيد تسير ببطء شديد لكنها بالوقت نفسه متوافقة مع الأقدام التي تجر الأحذية. فتسير الأقدام بخطوات يسمع منها دقات. والدق النقر على الطبول وهو صوت قرع الباب لكن الأقدام تدق الأرض بصورة ليست منتظمة، بل منفرة. فهي تحمل في ضرباتها خبر وفاة الأب.

وكان يقال قديما دقت طبول الحرب إعلانا لاشتداد الأزمة وتوتر الأمور، ومن هنا نراه يقول: **وتدقّ الأرض في وقع منفر**

فاستخدم الجملة الفعلية ذات الفاعل المستتر العائد على الأقدام، وعلى الرغم من أهمية الأقدام التي حملت خبر وفاة الأب؛ لكنه هنا قد جعلها ضميرا مستترا فلا يعد نقل خبر وفاة أحدهم بالخبر الجيد؛ لذلك تلك الضربات التي تصدرها الأقدام منفرة تبعد من حولها فيعلم القاصي والداني أن تلك الخطوات لا تحمل معها غير الخبر الحزين.

إن إنتاج النص للبنية يعطي خصوصية لها فهي تحمل في طياتها الكثير من الدلالات المرتبطة بالمعنى والتي تنتجها الكلمات من خلال إعادة تشكيل للعلاقات بين العناصر المختلفة داخل البنية الواحدة والمتكاملة مع بنيات النص كامل. فالسلطة التي تلعبها اللغة تنتج كلمات جديدة ومنها يكون إنتاج جديد للدلالة.

فالأقدام تدق الأرض على الرغم من حملها جثمان والده، وطرقوا الباب عليهم.

وعلى الرغم من أنّ هناك اختلافا واضحا بين لفظة تدق عن الطرق لكنهما تجتمعان في المعنى حيث إن كليهما يعني القرع على الباب أو النقر. فتشابه اللفظان في إرسال علامات للسامع أن هناك حدثا ما حزينا يلف تلك الدقات والطرقات. وجاءت عبارة (وأتى نعي أبي) متوافقا مع هذا الدق والطبل لهيبة الموقف وجلله.

وأتى نعي أبي

جاءت اللازمة من الجملة الفعلية (وأتى نعي أبي) لتتكرر بعد كل مقطع إشارة لبدء مقطع جديد. وكأن التكرار يتوافق مع حركة الزمن داخل النص الذي لا ينفك يتذكر ذكرى وفاة والده في

كل مقطع، إن الإيقاع الذي تتكرر فيه بنية (وأتى نعي أبي) يتوافق مع قرع الطبول ودق الأرض. وهذا التوافق اشتركت فيه عناصر الطبيعة التي ثارت وعصفت لمثل هذا الحدث.

المقطع الثاني:

كان فجرا موغلا في وحشته

مطر يهمي وبرد وضباب

ورعود قاصفة

قطة تصرخ من هول المطر

وكلاب تعوي

مطر يهمي وبرد وضباب(١١)

اختلفت حركة المقطع الثاني عن سابقها، فوتيرة الإيقاع مرتفعة فنجد المشهد يدب بالحياة بكل عناصره، بدءا من الفجر؛ لكنه ليس فجرا لبدء يوم جديد وأمل جديد فقد وصفه بأنه فجر موحش، فلم الوحشة؟ لقد تفاعلت عناصر الطبيعة من مطر وبرد وضباب ورعود قاصفة مع الحدث الجلل. والحيوانات أيضا من قطة وكلاب تتفاعل مع ما يدور فيها من تغيرات بيئية، فتشعر بالحدث الحزين. هذا التفاعل يتوافق مع عظامة المشهد الأول، فتلك الحياة والصخب لم يكن إلا إذعانا لما سبقه من مجيء نعي والده.

لقد اشتركت الطبيعة وتفاعلت مع الحدث الجلل ووفاة والده. يستخدم الشاعر تقنية سنيمائية هي (الفلاش باك) (١٢)، فيستذكر اللحظات التي سبقت وصول النعي، وكأن فيلما سينمائيا يعرض أمامه فتستحضر الذاكرة كل زوايا الحكاية بكل تفاصيلها:

وأتينا بوعاء حجري

وملأناه ترابا وخشب

وجلسنا

نأكل الخبز المقدد

وضحكنا لفكاهة

---

(١١) الديوان: ص٢٤-٢٨

(١٢) نصوص شعرية: مرجع سابق، ص٢٥٨

قالها جدي العجوز

وتسلل

من ضياء الشمس موعد

فتفاءلنا وحيينا الصباح

وبأقدام تجرّ الأحذية

وتدق الأرض في وقع منفر

طرقوا الباب علينا

وأتى نعي أبي(١٣)

جمال المشهد لم يمنع من وصول النعي، فضياء الشمس كان على موعد معهم فتفاءلوا بقدوم يوم جديد الصباح؛ لكن كل ذلك لم يمنع تلك الأقدام التي جلبت لهم نعي والده.

في المقطع الثالث تجد الباحثة أن الذكريات التي تذكرها الشاعر لم تكن بعيدة عن الجو العام للقصيدة، فهو يتذكر لحظة الوداع قبل رحيل والده. يتضمن المشهد الكثير من الحزن والألم والذي هيأه لاستقبال الخبر المؤلم. يستخدم الشاعر تقنية الفلاش باك ليتحدث عن اللحظات التي سبقت نعي والده:

المقطع الثالث(١٤):

حين ودعت أبي

من زمان

كان دمعي غائرا في مقلتي

إن فترة غياب الوالد كانت كبيرة بدليل قوله: حين ودعت أبي من زمان. إن إحساس الشاعر بالزمن عالي جدا فلا ينفك يذكره في سطور القصيدة. لهذا نجده ينثر جملا ترتبط مع البنية الزمنية للعبارة فيقول: **كان دمعي غائرا في مقلتي**

استخدم الشاعر الجملة الفعلية متوائمة مع (حين ودعت أبي من زمان)، فدلالة البعد الزماني والمكاني أثبته باستمرار نزول الدمع من عينه فترة من الزمن فأصبحت العين غائرة. وأن

---

(١٣) الديوان: ص٢٤-٢٨

(١٤) الديوان: ص٢٤-٢٨

تحمل العين صفة (الغائرة) لا يكون بين دمعة وأخرى لكنه دلالة على استمرار الفقد والحزن عنده. وللاستدلال تابع كلامه بتوالي الجمل المؤكدة على المسافة بينه وبين والده **وشفاهي تنطق الحرف الصغير**

وكأن صوت الشاعر قادم من بعيد يشبه بعد والده عنه. استخدم الشاعر النداء (يا أبي) يقول:

وشفاهي تنطق الحرف الصغير

يا أبي!

مرة يخنقه الدمع ويأبي

أن يذوب

في فراغ العدم

ثم جمّعت حياتي

وهي بعض من أبي(١٥)

وظّف الشاعر أدا النداء (يا) في قوله: يا أبي ز فتلك الشفاه الصغير لن يصدر منها إلا حرفا صغيرا **وشفاهي تنطق الحرف الصغير**

(يا أبي) ربما حملت يا النداء هنا دلالة الأمل والتوجع والفجع على والده، وربما دلت على بعد المسافة المكانية بينه وبين والده . فشفاهه بالكاد تنطق وتنادي: (يا أبي) بسبب:

مرة يخنقه الدمع ويأبي

أن يذوب

في فراغ العدم

ثم جمّعت حياتي

وهي بعض من أبي

فالدمع هي السبب وراء صوته الخافت الموجوع. وكأنه ينادي ولا ينتظر جوابا فصوته يتردد ليرجع له مرة أخرى دون استجابة. لقد تناسب طول القطع مع حديث الشاعر عن غياب والده، فهذا المقطع يعد أطول المقاطع الأربعة؛ لهذا نجد تنوع الأساليب الموظفة؛ والتي يشعر المتلقي

---

(١٥) المرجع السابق ص٢٤-٢٨

من خلالها بالتوتر الذي وصل إليه الشاعر؛ فعدم حصوله على رد على ندائه جعله يكثر من الأسئلة فنجده يقول:

ما الذي يقصيك عني؟

ما الذي يدعوك للبحر الكبير؟

ما الذي يدعوك للدرب المضلل؟

لم تجفو مضجعك؟(١٦)

هو لا ينتظر أجوبة عن أسئلته لهذا قال:

لم يبدو الموت في منزلنا

قدرا لا يخطئ،

تعود الذاكرة بالشاعر للحظة التي ودعهم والده قبل الخروج للميدان، ويطرح الأسئلة التي لا يجد لها جوابا من والده، فتلك الذكريات الجميلة التي كان فيها الوالد يلاعب طفله ويناغيه، يتعجب من كل ذلك؟ فكل تلك الذكريات لم تشفع له أن يرجع، لهذا نجده يقول: **لم يبد الموت في منزلنا**

قدرا لا يخطئ،

هول الحدث جعل الشاعر يتكلم بحكمة أن القدر لا يمكن رده أو الهروب منه. فلا يخطئ القدر فكل شيء مقدر ومكتوب.

وسط أحزانه يستعيد شريط ذكرياته فتذكر تلك اللحظات التي كان والده يلاعبه فبين ذراعيه القوتين يرفعه ويلاعبه، وصور ملاطفته متعددة يقول:

وأبي يثني ذراعه

كهرقل

ثم يعلو بي إلي جبهته

ويناغي

تارة رأسي وطورا منكبي

لكن تلك اللحظات يقطعها صوت الباب الحزين إعلانا بذهابه وغيابه، يقول:

ويصرّ الباب في صوت كئيب

---

(١٦) الديوان: ص٢٤-٢٨

ومضي عني وراحت خطوته

في السكون

ونري طلعته بين الضباب

وأري الموت فأعوي

يا أبي!

يوظِّف الشاعر العناصر المحيطة به لتكون متفاعلة مع الحدث الحزين، فالباب يشترك مع الشاعر في حزنه عند وداعه والده.

وتجد الباحثة حركة الفعل في المقطع الرابع حيث انتشرت الجمل الفعلية ذات الفعل الماضي، فبدأها بلازمة تكررت في المقاطع الأربعة متلاعبة ببنية الجملة الفعلية فمرّ يلحقها بظرف الزمان (الصباح) وربط النعي بزمن الصباح وهي مفارقة يكررها الشاعر عندما يتذكر لحظة الموت لكنه بالوقت نفسه يتلاعب بالجملة الفعلية فيقول: وأتى نعي أبي . فعندما يتذكر الماضي تأتي اللازمة وأتى نعي أبي لكن عندما يتكلم عن اللحظة المعاش الحية التي يشعر بها الشاعر حاضرة بذاكرته وكأنها حدثت قبل قليل. التي يشعر بها الشاعر أنها حية لا تموت.

المقطع الرابع:

وأتي نعي أبي هذا الصباح

نام في الميدان مشجوج الجبين

إن فقدان الأحبة لا يكون إلا في اللحظات السعيدة والمحزنة فمنها نستشعر بفقدانهم واحتياجنا لهم. أي لحظة حزن او ألم يمر بها الشاعر يتذكر فيها والده. يريد الشاعر أن يقول أن والده كان سندا حقيقيا لا يمكن نسيانه وتجاهله في الأوقات العصيبة التي يمر بها الشاعر. إن الذكري حاضرة ومستمرة باستمرار الحياة ومطباتها كل لحظة يمر بها بمأزق من مطبات الحياة يستذكر فيها والده. يقول:

جنّت الريح علي نافذتي

في مسائي

فتذكرت أبي

وشكت أمي من علتها

ذات فجر

فتذكرت أبي

عقر الكلب أخي
وهو في الحقل يقود الماشية
فبكينا
حين نادي
يا أبي!!
إننا أغراب في القفر الكبير
إننا ضقنا وضاقت روحنا(١٧)

وعلى الرغم من اتساع المساحة التي شغلها المقطع الرابع وقدرة الشاعر على إطلاق العنان لمشاعره بالتعبير لكن روحه قد ضاقت وتعبت، لهذا وصل لنتيجة حتمية يقول فيها:

القطيع!!....
غاب راعيه وطافت رحلته
وهو في بيداء لا ظل بها

لقد غاب راعي القطيع، وغيابه قد طال على غير العادة. ورحلته بالصحراء مضنية متعبة حيث لا ظل فيها فلا مكان للراحة فيها.

يا لأقدام تجرّ الأحذية
وتدق الأرض في وقع منفر
يا لأقدام تذيع النبأ
نبأ المصروع في صخر الجبل

هي تلك الأقدام التي تجر الأحذية والتي أتت بخبر نعي والده. تكرر المقطع في نهاية القصيدة وكأن الشاعر يصل لقرار عقلي أن تلك الأقدام لم تأت إلا لإخبارهم نعي والده. لذلك نجده يقول : **يا لأقدام تذيع النبأ**
نبأ المصروع في صخر الجبل

ليكمل بعدها :

إنه مات
إنه مات وجفّت رحلته
إنه مات وواراه الثري
حيث مات

---

(١٧) الديوان: ص٢٣-٢٨

حينما غاب لهيب المدفأة

كل شيء كان يحكي النبأ

قطة تصرخ من هول المطر

وكلاب تتعاوي

ورعود

كان فجرا موغلا في وحشته

وأتي نعي أبي

نام في الميدان مشجوج الجبين....

كرر الشاعر لفظة مات بجملة تأكيدية (إنّه مات) مكررا الجملة ثلاث مرات في كل مرة يزيد حجم الجملة بازدياد الملحقات، ففي المرة الأولى قال:

إنّه مات : الخبر مؤكد بوفاته

إنّه مات وجفت رحلته: التأكيد على وفاته وأن رحلته في هذه الحياة قد انتهت

إنّه مات ووراه الثرى: التأكيد على وفاته وتمت مواراته الثرى

قطع هذا التتابع بجمله مكانية : حيث مات

فلا أهمية لأي حدث سوى أنه مات.

تلاحظ الباحثة ان المقطع الأخير قد كثفت فيه استخدام الأفعال المضارعة حيث يقول: يحكي النبأ/ قطة تصرخ / كلاب تتعاوي

كثف استخدام لفظة الموت لدلالة التأكيد على الغياب والرحيل، حيث وردت إما بلفظه الصريح أو ما يشير إلى الموت: نبأ المصروع/ إنه مات/ إنه مات/ حيث مات/ حيث غاب.

حينما غاب لهيب المدفأة

كل شيء كان يحكي النبأ

قطة تصرخ من هول المطر

وكلاب تتعاوي

ورعود

كان فجرا موغلا في وحشته

وأتي نعي أبي

نام في الميدان مشجوج الجبين.... [١٨]

---

[١٨] الديوان: ص٢٣-٢٨

لقد تهيأت الظروف لوفاته، فغياب لهيب المدفأة هو إعلان لوفاته. وتلك القطة التي تصرخ والكلاب مستمرة بالعواء والرعود كلها اجتمعت مع ها الحدث الكبير. وفاة والده.

ليغلق الشاعر الصفحة الأخير من صفحات ذكرى وفاة والده بالمشهد الأول في المقطع الأول

وأتي نعي أبي

نام في الميدان مشجوج الجبين....

جاء المقطع الأخير متوافق مع النهاية في المقطع الأول، حيث أكثر من الألفاظ التي تدل على الغياب مع التفاعل من الكائنات القطة والكلاب ناهيك عن اشتراك عناصر الطبيعة أيضا مع الحدث. وربما استخدام الشاعر للفظة قطة وكلاب بحالتها النكرة أن التفاعل كن من الجميع فاتّحدت الكائنات بوجعها .

وبهذا تكون بداية القصيدة متوائمة مع نهاية القصيدة التي أكدت على الفراق وحقيقة حدوث الابتعاد. وأن القدر لا يخطئ وأن الحزين والمتألم يوظف الموجودات بحيث تعبر عن ألمه ونوع في الاستخدام عله يستطيع أن يلملم أوجاعه وأحزانه.

لم يبدو الموت في منزلنا

قدرا لا يخطئ

استخدم التكرار في كثير من مواضع القصيدة بطرائق مختلفة فنجده وظّفها لتحمل دلالة سلبية فنجده يكرر لفظة أبي ثلاث عشرة مرة في مواضع مختلفة حيث شغلت مساحة بارزة في كل مقطع من مقاطع القصيدة بدايتها ووسطها ثم نهايتها. هذا من جانب . ومن جانب آخر نجده يكرر اللازمة التي جعلها فاصل بين مقاطع القصيدة:أتى نعي أبي هذا الصباح/ أتى نعي أبي/ يا أبي/ تدق الأرض بوقع منفر/ وكلاب تتعاوى

لقد نقلنا الشاعر صلاح عبد الصبور مع كل سطر من سطور القصيدة نحو النهاية التي مهد لها بالسرد القصصي، وتوظيف العناصر الحية المتفاعلة مع الحدث الحزين كلها في مجموعها جعلت القصيدة بنية حية تتنامى فيها الأحداث من بدايتاها حتى النهاية.

لقد نجح الشاعر في توظيف الطبيعة لتتفاعل مع ألمه وشكلت بنية متكاملة مع النص. فرسم بكلماته صورة لا يمكن أن تغادر الأذهان بالعلاقة التي أوجدها بين وقع الأقدام وخبر النعي.

القصيدة تحمل في طياتها الكثير الكثير، فقد كثّف الشاعر في استخدام المجاز من استعارة

وتشبيه في أثناء القصيدة لتخلق تلك الصور دائرة متكاملة مع بنية الجملة وتتكامل مع النص كاملا.

حوله الذؤبان تعوي/ يخنقه الدمع/ يصر الباب في صوت كئيب/ جنّت الريح على نافذتي/ إننا ضقنا وضاقت روحنا/ يا لأقدام تذيع النبأ/ حين غاب لهيب المدفأة/ لم يبدو الموت في منزلنا/ القطيع غاب راعيه/

الخاتمة:

تجد الباحثة أن الشاعر صلاح عبد الصبور قد وظّف البنية المتنامية في القصيدة والتي تتغير تبعا للمعنى الذي تحمله والتي تعد حجار أساسيا مع غيرها من النيات والتي تتفاعل مع النص كاملا .

ترى الباحثة أن البنيوية قد استطاعت ان تلعب دورا في تشكيل المعنى داخل النص من خلال ثنائية المبنى والمعنى فالزيادة في المبنى يؤدي إلى زيادة في المعنى.

ومن هنا فالمناهج النقدية الحديثة مفتاحا لفتح مغالق الكثير من النصوص ضعت وركنت على الرفوف. هي دعوة للباحثين للاستفادة منها لإعادة قراءة تراثنا وادبنا فهو جدير بدراسته وقراءته مرة أخرى .

واقع فلسفة العامل النحوي بين المبنى والمعنى

الأستاذ الدكتور أمحمد فرج علي فرحات الخزعلي

رئيس مركز أبحاث اللغة العربية بالاتحاد العالمي للمثقفين العرب

المقدمة:

مرت اللغة العربية بمراحل متعددة منذ نشأتها وتطورها حتى نضجها فتأثرت بظروف كل مرحلة، " جاء الإسلام واللغة العربية مستكملةٌ أدوات التعبير... والعرب أمة فصاحة وبلاغة تتأثر بالبيان الرفيع، والجملة الوجيزة"[١] ، وتلقفتها مؤلفات العلماء وأقلام المتعلمين، والمطلع على نصوصهم سيجد هناك استطراداتٍ وتأويلاتٍ قد تقرب من الحقيقة اللغوية، وقد تبتعد عنها قليلًا أو بعيدًا، وليعلم القارئ أن الباحث ليس من دعاة التجديد النحوي، وعلى الأخص الذين تبنوا الدعوات إلى العامية، والحديث ذو شجون، وانصياعًا لضيق الوقت الممنوح للباحث في هذا المؤتمر الموقر اضطر الباحث إلى اختيار أنموذجين فقط لتوضيح فكرة واقع فلسفة العامل النحوي بين المبنى والمعنى ، وسيذكر رأيه عقب كل الآراء التي تناولت جوانب كل أنموذج؛ لذا اقتضت خطة هذا البحث المتواضع أن أقسمه على مقدمة ومبحثين: المبحث الأول: التدقيق في تأويل العامل الناصب للمنادى تقديرًا أو لفظًا وتقديرًا، والمبحث الثالث:ـ التدقيق في تأويل العامل لوجوب اقتران جواب (أما) بالفاء، ثم تأتي النتائج، وقد استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي لعرض كل مسألة، فهذا البحث عمل المقل المقصّر فلا أدعي له الكمال، لكن حسبي أني جمعت واجتهدت بين الخطأ والصواب، والله أسألُ أن ينفعَ به إنه قريب مجيب.

المبحث الأول: التدقيق في تأويل العامل الناصب للمنادى تقديرًا، أو لفظًا وتقديرًا.

باب النداء باب واسع في العربية، سنقصد معنى النصب الملازم لإعراب المنادى بأنواعه ،وجُلُّ كتبِ النحوِ تضعُ بابَ النداءِ مع أبواب المفاعيل؛ لأنهم . على حسب ظنهم . يعدونه في الأصل مفعولاً به[٢]، وسنتعرَّف على كيفية تصورهم له مفعولاً به، وهناك أحكامٌ للمنادى وتابعه لا تعنينا في هذا المبحث، ولكن ما يعنينا عدُّهم المنادى من المنصوبات بناءً على ظنهم في تخيُّل معنى النصب فيه، قال سيبويهِ[٣]: " ومما ينتصب في غير الأمر والنهي على الفعل المتروك إظهاره قولك: يا عبدَ اللهِ، والنداء كله ...حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم هذا في الكلام، وصار (يا) بدلاً من اللفظ بالفعل، كأنه قال: (يا أريدُ عبدَ اللهِ)، فحذف (أريد)، وصارت (يا) بدلاً منها، لأنك إذا قلت: يا فلانُ، عُلِمَ أنك تريده، ومما يدلُّك على أنه ينتصب على الفعل، وأن (يا) صارت بدلاً من اللفظ بالفعل قولُ العربِ: يا إياك، إنما

(١) سعيد الأفغاني ٧.

(٢) الضرير ١٣٩.

(٣) سيبويه ٢٩١/١.

قلت: يا إياك أعني، ولكنهم حذفوا الفعل، وصار (يا)، و (أيا)، و (أَيْ) بدلاً من اللفظ بالفعل " .

وبهذا أخذ المبرد أيضًا[٤] حين قال: "اعلم أنك إذا دعوتَ مضافاً نصبته، وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره، وذلك قولك: يا عبدَ اللهِ؛ لأن (يا) بدلٌ من قولك: (أدعو عبد الله)، و(أريد)؛ لأنك لا تخبر أنك تفعل، ولكن بها وقع أنك قد أوقعت فعلاً، فإذا قلت: (يا عبدَ اللهِ) فقد وقع دعاؤكَ بـ (عبد الله) فانتصب على أنه مفعولٌ تعدى إليه فعلُكَ"، وعن علة بناء المفرد على الضم يقول المبرد[٥]: " لخروجه عن الباب، ومضارعته ما لا يكون معرباً، وذلك أنك إذا قلت: (يا زيدُ ، ويا عمرُو) فقد أخرجته من بابه ...فأدخلته في باب ما لا يكون إلا مبنياً نحو: أنت، وإياك، والتاء في (قمتُ)، والكاف في (ضربتُكَ)، و (مررتُ بك)، فلما أُخرج من باب المعرفة، وأُدخل في باب المبنية، لزمه مثل حكمها، وبنيته على الضم؛ لتخالف به جهة ما كان عليه معرباً؛ لأنه دخل في باب الغايات "، فهذا نصُّ المبرد صريحاً، فلا أعلم من أين أتى ابن يعيش[٦] برأي ينسبه إلى المبرد يقول فيه: " وكان أبو العباس المبرد يقول: الناصب نفس (يا)؛ لنيابتها عن الفعل"، ويفرِّقُ الرضي[٧] بين رأي سيبويه، ورأي المبرد بقوله: " وعلى المذهبين فـ (يا زيدُ) جملةٌ، وليس المنادى أحد جزأي الجملة، فعند سيبويه جزءا الجملة، أي: الفعل والفاعل مقدران، وعند المبرد حرف النداء سدَّ مسدَّ أحد جزأي الجملة، أي: الفعل، والفاعلُ مقدرٌ، ولا منعَ من دعوى سدِّه مسدَّهما، والمفعول به ههنا على المذهبين واجب الذكر لفظاً، أو تقديراً".

وإذا نظرنا في كتب الخلاف النحوي وجدنا من جعل المنادى المفرد العلم معربًا مرفوعاً بغير تنوين، وهم الكوفيون[٨]، يقول الزبيدي[٩]: " واحتجوا بحجةٍ واهيةٍ، وقال الفراء: هو مبني على الضم، وليس بفاعلٍ، ولا مفعولٍ، وقال بعض النحويين: هو مرفوعٌ بنفس (يا) ...لوقوعها موقع الفعل الذي هو: أدعو، وأنادي، والدليلُ على ذلك أن (يا) تشبه الفعل لأربعةِ أوجهٍ:

أحدها: أن الكلام يتم بها وبالاسم، وليس هذا شأن الحروف.

والثاني: أنهم أمالوها، والإمالة من أحكام الفعل.

والثالث: أنهم علقوا بها حرف الجر في قولك: يا لَزيدٍ، وهذا حكم الفعل.

والرابع: أنهم نصبوا بها الحال، فقالوا: يا زيدُ راكباً.

ولما أشبهت الفعل من هذه الوجوهِ نصبتْ ".

---

(٤) المبرد ٤/٤٦١.

(٥) المبرد ٤/٤٦٣.

(٦) ابن يعيش ١/٣١٧.

(٧) الرضي ١/٣٤٦ . وينظر : الخضري ٢/١٧٠.

(٨) مسائل خلافية للعكبري ١٢٤ . الزبيدي عبد اللطيف ٤٥.

(٩) الزبيدي عبد اللطيف ٤٥.

أمَّا القول المشهور عند البصريين[10] فهو أنه مبني على الضم، وموضعه النصب؛ لأن موضع كل منادى منصوب، ولأن حرف النداء ناب مناب الفعل، فإذا قلت: يا زيدُ، فالمعنى: أدعو زيداً، فقام (يا) مقام (أدعو)، وذهب بعض البصريين[11] إلى أن (يا) لم تقم مقام (أدعو)، وأن العامل في الاسم المنادى (أدعو) المقدر دون (يا).

ويرى الباحثُ أنه لا يوجد فعل ألبتة في أسلوب النداء، سواءً أكان المنادى مفرداً، أم كان المنادى مضافًا، أو مشابهًا للمضاف؛ لأن وجود الفعل (أدعو)، أو (أنادي) لفظاً أو تقديراً سيقلب جملة النداء من جملةٍ إنشائية لا تحتمل الصدق والكذب إلى جملةٍ خبريةٍ تحتمل الصدق والكذب، هذا ناهيك عن أنه إذا افترضنا زعمهم بوجود فعل فإننا نقول: "لو خاطبتَ بهذا (زيداً) لقلتَ: دعوتُكَ، ولم تقلْ: دعوتُ زيداً، والتأويلُ تأويلُ فعلٍ، والمعنى معنى خطاب[12]"، فيلزم أن يكون المنادى ضميرَ خطابٍ لا اسماً ظاهراً.

لذا يرى الباحث رأيًا جديدًا جريئًا، وهو: لماذا لا نعدُّ العامل هنا معنوياً؟ أي: أن المنادى هنا معنويٌّ كما يرى النحاة، ولكنه مفعولٌ به لوقوع النداء عليه، وأقصد بالنداء هنا (الصوت)، فقد خصَّه الصوتُ الخارجُ من فم المتكلم دون غيره ممَّن قد يكونون حوله، والصوتُ شيءٌ تتذوَّقه أذنُ السامع بدلاً من تقديرِ فعلٍ غير موجود حقيقةً، ويقلب جملتنا الندائية من إنشائية إلى خبرية، يقول ابن جني: " إذا كان الفعل قد حُذِفَ في الموضع الذي لو ظهر فيه لما أفسد معنى كان ترْكُ إظهاره في الموضع الذي لو ظهر فيه لأحال المعنى وأفسده أَوْلَى وأَحْجَى، ألا ترى أنهم يقولون: (الذي في الدار زيدٌ)، وأصله: (الذي استقرَّ، أو ثبتَ في الدارِ)، ولو أظهروا هذا الفعل هنا لما أحال معنًى، ولا أزال غرضاً، فكيف بهم في ترك إظهاره في النداءِ، ألا ترى أنه لو تُجُشِّمَ إظهاره فقيل: أدعو زيداً، وأنادي زيداً؛ لاستحال أمرُ النداءِ، فصار إلى لفظ الخبر المحتمل للصدق والكذب، والنداءُ مما لا يصح فيه تصديقٌ ولا تكذيبٌ ".

أمَّا عن العامل المعنوي فقد قالوا به في عددٍ من أبواب النحو، كعامل رفع المبتدأ[13]، وعامل رفع الفعل المضارع[14]، فلا بأسَ أن نقولَ بالعامل المعنوي في المنادى أيضاً بدل فلسفات أبعدتنا عن واقع اللغة أكثر مما قربتنا، والله أعلم.

المبحث الثاني: التدقيق في تأويل العامل لوجوب اقتران جواب (أما) بالفاء

لـ (أمّا) أنواعٌ مختلفةٌ ، أَمَّا (أَمَّا) التي تعنِينَا فِي هَذَا البحثِ فهي ما اصْطُلِحَ عليها بينَ جمهورِ النحاةِ

---

(10) ابن الأنباري . المسألة ٤٥.

(11) ابن الأنباري . المسألة ٤٥.

(12) ابن الوراق ٤٦٢.

(13) التبيين للعكبري ٢٢٤.

(14) ابن الأنباري . المسألة ٧٤.

بأنَّها شرطيةٌ، وأنَّها بمعنى: (مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ)[١٥]، وبذلكَ هي نائبةٌ عن اسمِ الشرطِ وفعلِهِ؛ ولِهَذَا لَا يليها فِعْلٌ، وَلابدَّ مِنْ فَاصِلٍ بينَ (أَمَّا) والفاءِ ، قدْ يكونُ مبتدأً مثلَ : " أَمَّا زيدٌ فقائمٌ "، وقدْ يكونُ مفعولاً بهِ مثلَ: " أَمَّا زيداً فأكرمْ، وأَمَّا عمراً فأعرضْ عنهُ "، وقدْ يكونُ جارَّاً ومجروراً مثلَ قولِهِ تعالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١٦]، وقدْ يكونُ جملةً شرطيةً مثلَ قولِهِ تعالَى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ[١٧]﴾.

وقدْ تحسَّسَ المبرّدُ معنى الشرطِ فِي (أَمَّا) فقالَ: ((ومنْ ذلكَ قولُ اللهِ . عَزَّ وجَلَّ .: ﴿أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ[١٨]﴾، الفاءُ لابدَّ منها في جوابِ (أَمَّا)، فقدْ صارتْ ها هنا جواباً لَها، والفاءُ ومَا بعدَها يسدَّانِ مسدَّ جوابِ (إنْ)، ولَوْ كانَ هذا في الكلامِ: أَمَّا إنْ كانَ زيدٌ عندَكَ فلهُ درهمٌ، لكانَ تقديرُهُ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فلزيدٍ درهمٌ إنْ كانَ عندَكَ؛ لأنَّ (أَمَّا) فيها معنى الجزاءِ واقعٌ ولابدَّ من الفاءِ، وتقديرُها ما ذكرتُ لكَ، ألَا تَرَى أَنَّكَ تقولُ: أَمَّا زيدٌ فمنطلقٌ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَر[١٩]﴾، فالمعنى: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فلا تقهر اليتيمَ، ولو اضطرَّ شاعرٌ فحذفَ الفاءَ وهو يريدُهَا لجازَ، كَمَا قالَ:

أَمَّا الْقِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمُو وَلَكِنَّ سَيْرَاً فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ[٢٠]

وفي مقابلِ ذلكَ قالَ الصَّبَانُ: ((وقدْ أساءَ البعضُ التَصَرُّفَ فيهِ فقرَّرَهُ عَلَى غيرِ وجهِهِ؛ وإنَّما قالَ فيهِ معنى الشرطِ ولمْ يقلْ للشرطِ لتصريحِ غيرِ واحدٍ من النحاةِ بأنَّها ليستْ حرفَ شرطٍ؛ وإنَّما إفادتُها للشرطِ لنيابتِها عنْ أداةِ الشرطِ وفعلِهِ))[٢١]، وهُنَا نذكرُ حديثاً دارَ بينَ قولينِ رأيْنَا أَنْ نذْكُرُهُمَا زيادةً في الفائدةِ وتدليلاً على نتيجةٍ مهمةٍ نرمي إليها، قال أبو حيان: ((قالَ الشيخُ كمالُ الدينِ عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ خلفٍ الأنصاري فِي كتابِهِ الموسومِ بنهايةِ التَّأميلِ فِي أسرارِ التنزيلِ: قد اعتُرِضَ على النحاةِ في قولِهم لما حُذِفَ يقالُ: حُذفت الفاءُ بقولِهِ تعالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ[٢٢]﴾ تقديرُهُ: فيُقالُ لهم: أفلم تكُنْ آياتي تُتْلَى عليكُمْ، فحُذفَ: فيُقالُ، ولم تُحذف الفاءُ، فلمَّا بَطُلَ هذا تعيَّنَ أَنْ يكونَ الجوابُ: فذوقوا العذابَ بِمَا كنتُمْ تكْفُرُونَ، فوَقَعَ ذلكَ جواباً لَهُ ولقولِهِ: أكفرتُم، ومِنْ نَظْمِ العربِ إذا ذَكَرُوا

---

[١٥] (ينظر: سيبويه ١٣٧/٣ ـ المبرد ٧١/٢ ـ الرضي ١٥٠/٢ ـ المالقي ٩٧ ـ ارتشاف الضرب لأبي حيان ١٨٩٣/٤ ـ البهجة المرضية للسيوطي ٤٨١ ـ المطالع السعيدة للسيوطي ٤٥٨ ـ خالد الأزهري ٢١٦/٢ ـ الصبان ٦٣/٤).

[١٦] (الضحى١١).

[١٧] الواقعة ٨٨ . ٨٩.

[١٨] الواقعة ٩٠ . ٩١.

[١٩] الضحى ٩.

[٢٠] البيت سبق تخريجه.

[٢١] الصبان ٦٢/٤.

[٢٢] الجاثية ٣١.

حرفاً يقتضي جواباً له أَنْ يكتفوا عن جوابِهِ حتَّى يذكروا حرفاً يقتضي جواباً ثُمَّ يجعلونَ لهما جواباً واحداً ... انتهى ما نُقلَ عنْ هَذَا الرجلِ، وهو كلامُ أديبٍ لا كلامُ نَحْوِيٍّ، أَمَّا قولُهُ: قد اعتُرِضَ على النحاةِ، فيَكْفِي في بطلانِ هذا الاعتراضِ أنَّهُ اعتراضٌ على جميعِ النحاةِ؛ لأَنَّهُ مَا مِنْ نَحْوِيٍّ إِلَّا خرَّجَ الآيةَ عَلَى إضمار: فيُقال لهم: أكفرتُمْ، وقالُوا: هذَا فَحْوَى الخطابِ، وهو أنْ يكونَ فِي الكلامِ شَيْءٌ مقدَّرٌ لا يَسْتَغْنِي المعنى عنهُ، فالقولُ بخلافِهِ مخالفٌ للإجماعِ فلا التفاتَ إليهِ))[٢٣].

فليعذرْنِا القارئُ فِي نَقْلِ هذا النصِّ الطَّويلِ، ولكنِّي آثرتُ أنْ أنْقُلَهُ بنصِّهِ دونَ تصرُّفٍ لأستخلصَ منهُ بعضَ الفوائدِ لعلَّ أهمَّها: أَنَّ هناكَ مَن اعترضَ علَى نَوْعِ التقديرِ وهو الشيخُ كمالُ الدينِ الأنصاري وإنْ كانَ . شأنُهُ شَأْنَ غيرِهِ مِنَ النحاةِ . يُؤمِنُ بوجوبِ هذه الفاءِ في الجوابِ ولكنَّ هذا الاعتراضَ يقرِّبُ رأْيَنَا من إقناعِ القارئِ بمَا نريدُ الوصولَ إليهِ، والفائدةُ الثانيةُ أَنَّ أبا حيانَ أبعدَ الشيخَ كمالَ الدينِ عن دائرةِ النَّحْوِ عَلَى استحياءٍ بنعتِ كلامِ الشيخِ بأنَّهُ كلامُ أديبٍ لا كلامُ نحْويٍّ، لأنَّهَ أنْكَرَ تأويلَ النحاةِ، والفائدةُ الثالثةُ أنَّ أبا حيان حاولَ أنْ يُبطلَ اعتراضَ الشيخِ بأصلٍ منْ أُصولِ النحاةِ وهو مخالفةُ الإجماعِ ولا يجبُ الالتفاتُ إليهِ.

وهنا يظهُر لَنَا الإنصافُ، وحسنُ النيةِ جَلِيَّين عندَ أبي حيانَ ، فقدْ ذَكَرَ قولَ رجلٍ يخالفُهُ بلْ يُخالفُ جميعَ النحاةِ بنصِّ أبي حيانَ نفسِهِ، ولكِنَّ التقيُّدَ بالأمانةِ في المسائلِ العلميةِ فرضَتْ عليهِ الحِيَادَ والتَّجَرُّدَ، وذِكْرِ رَأْيِ الخَصْمِ ولَو كانَ مُخَالِفَاً.

والباحثُ لا يشكُّ في أن هذا الموقفَ لأبي حيانَ من قبيلِ الوَهْمِ والذَّوْدِ عن النُّحاةِ لا الخطأ، فكيْفَ لباحثٍ مبتدئ أن يُخطِّئَ عالِمَاً عظيماً كأبي حيانَ؟ وهنا أستشهدُ بنصَّينِ مهمَّينِ فِي مسْأَلَتِنَا:

أَمَّا أحدُهُمَا فهو لابنِ جنِّي تحتَ (بابُ القولِ علَى إجماعِ أهلِ العربيةِ متى يكونُ حجةً) وهو قولُهُ: ((اعلمْ أنَّ إجماعَ أهلِ البلدينِ إنَّما يكونُ حُجَّةً إذا أعطَاكَ خصمُكَ يدَه ألاّ يخالفَ المنصوصَ والمقيسَ عَلَى المنصوصِ، فأمَّا إنْ لمْ يعطِ يدَهُ بذلكَ فلَا يكونُ إجماعُهُمْ حُجَّةً عليهِ...فكلُّ مَن فُرِقَ لهُ عن علَّةٍ صحيحةٍ وطَرِيقٍ نَهْجةٍ كانَ خَلِيلَ نفْسِهِ، وأبا عَمْرو فكرِهِ)[٢٤]، و أَمَّا الثاني فهو للحافظِ جلالِ الدينِ السيوطيِّ وهو قولُهُ: ((إِذَا عَجِزَ الفقيهُ عنْ تعليلِ الحُكْمِ قالَ: هَذَا تَعَبُّدِيٌّ، وإذَا عَجِزَ النَّحْوِيُّ عنْهُ قالَ: هَذَا مسموعٌ))[٢٥].

وقد أصاب ابنُ مضاءٍ القرطبيُّ حينَ قالَ: ((فإنْ قِيلَ : فقدْ أجمعَ النحويونَ عنْ بِكْرَةِ أبيهم على القولِ بالعواملِ وإنْ اختلفوا ، فبعضُهم يقولُ: العاملُ فِي كَذَا كَذَا، وبعضُهم يقولُ: العاملُ فيهِ ليسَ كَذَا، إنَّمَا هو كَذَا، عَلَى مَا نُفَسِّرُهُ بعدُ إنْ شَاء اللهُ؟ قيلَ: إجماعُ النحويين ليسَ بحجةٍ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ))[٢٦]، نعمْ،

---

[٢٣] البحر المحيط لأبي حيان ١٨/٣.

[٢٤] ابن جني ١٨٩/١ . ١٩٠.

[٢٥] الاقتراح للسيوطي١١٧.

[٢٦] القرطبي ٧٤.

لا اجتهادَ معَ النصِّ فِي المسائلِ المتعلقةِ بأمورِ الدينِ، ولكنَّ بابَ الاجتهادِ مفتوحٌ عَلَى مصراعيهِ فِي العلومِ المختلفةِ وِلا سيمَا علمُ النحوِ، وإذا كان الله تعالى . يحبُّ أَنْ تُؤتَى رُخَصُهُ في مسائلِ الدِّينِ لمَا فيها من التوسيعِ على عبادِهِ فمَا بالُكَ بلغةٍ هَيَّأَ لهَا اللهُ . تعالَى . اتساعاً في الدّلالاتِ، وعُمقاً في المضامينِ الأسلوبيةِ، فلماذا نضيِّقُ عليها بقوالبَ مصنوعةٍ أضفوا عليها قدسيةً تُدعَى القاعدةَ، لا يأتيها الباطلُ من بين يديها ولا من خلفِها، ونسُوا أنَّ الذِي وضعَها بشرٌ يُصيبُ، ويُخطئُ، ويُستدرَكُ عليه، وإن ازدانتْ تلك القاعدةُ بلقبِ الإجماعِ، أَعنِي إجماعَ النحاةِ لا الفقهاءِ.

وبعدَ الاطلاعِ على جُلِّ الكتبِ الواقعةِ بينَ يدي الباحثِ التي تناولتْ مسألةَ وجوبِ اقترانِ الفاءِ بجوابِ (أَمَّا) يستطيعُ الباحثُ أنْ يجزمَ بجوازِ ذِكْرِ الفاءِ لا وجوبِها، ولكي نكونَ أكثرَ دقةً وإنصافاً دعونا نقلْ: الأَوْلَى اقترانُ جوابِ (أَمَّا) بالفاءِ لكثرةِ النصوصِ القرآنيةِ وغيرِها، ولكنْ لا نُلزِمُ بهذه الفاءِ أحداً، ومن الإجحافِ أنْ ننعتَ الذي لا يتقيَّدُ بها بالخطأ أو اللحنِ، وللهِ دَرُّ ابنِ مالكٍ حينَ ذَكَرَ أحاديثَ نبويةً لم يقترنْ فيها جوابُ (أَمَّا) بالفاءِ قالَ: ((وقدْ خُولِفَت القاعدةُ في هذه الأحاديثِ، فعُلِمَ بتحقيقٍ عدمُ التضييقِ، وإنَّ مَنْ خَصَّهُ بالشِّعْرِ، أو الصورةِ المعينةِ منَ النثرِ مقصِّرٌ في فَتْوَاهُ، عاجزٌ عن نصرةِ دَعْوَاهُ))[٢٧].

وخُذْ من هذا التمسُّكِ بهذهِ الفاءِ فَستَجِدُهُ عندَ جُلِّ النحويينَ حتَّى المُحْدَثِينَ منهم، فمن المُحْدَثِينَ الدكتورُ عباس حسن الَّذي يُصَرِّحُ بأَنَّ الفاءَ زائدةٌ لِمُجَرَدِ الرَّبطِ فليستْ عاطفةً ولا لغيرِهِ، ومعَ أَنَّهَا زائدةٌ لا يجوزُ حذفُهَا إلَّا إذا دخلتْ علَى مَقُولٍ محذوفٍ[٢٨]، فمِنْ جهةٍ يقولونَ: إنَّها زائدةٌ، والحرفُ الزائدُ كَمَا نعلمُ يجوزُ حَذْفُهُ كحذفِ حرفِ الجرِّ (مِنْ) في قولِنَا: مَا قَامَ مِنْ أحدٍ، ومِنْ جهةٍ أُخرى يقولونَ: لا يجوزُ حذفُها، ألَا يُعَدُّ هذا تناقُضاً؟ وإذا قدَّروا في قولِهِ تَعَالَى:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ﴾[٢٩]، فيُقالُ لهم: أكفرتُم، فما عَسَاهُم يقدِّرونَ في كثرةِ الشواهدِ المشابهةِ، قالَ العلامةُ الشُّمُنِّي: ((وهو كثيرٌ ، قالَ أبو عليٍّ الفارسيُّ: هو كالبَحْرِ، حَدِّثْ عنْهُ ولَا حَرَجَ))[٣٠].

وهَاكَ حديثينِ صَحِيحَينِ عن رسولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .:

ـ أَمَّا الأولُ فقولُهُ . صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .:((أَمَّا بَعْدُ، مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطاً لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ))[٣١].

ـ أَمَّا الثاني فقولُهُ . صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ((أَمَّا مُوسَى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي))[٣٢]، ونستأنسُ بقولِ عائشةَ . رَضِيَ اللهُ عنْهَا : ((وَأَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ طَافُوا طَوَافاً وَاحِداً))[٣٣]،

---

[٢٧] شواهد التوضيح لابن مالك ١٣٨.

[٢٨] عباس حسن ٤/٥٠٧.

[٢٩] آل عمران ١٠٦.

[٣٠] الشمني ١/١٢١.

[٣١] الحديث سبق تخريجه .

[٣٢] البخاري . كتاب الحج . باب التلبية إذا انحدر في الوادي . رقم ١٤٨٠ . ٢/٥٦٣.

[٣٣] البخاري . كتاب الحج . باب طواف القارن . رقم ١٥٥٧ . ٢/٥٩٠.

وبقولِ البَرَاءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ :((أَمَّا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ لم يُوَلِّ يَوْمَئِذٍ))[٣٤].

ولمَنْ يُرِيدُ دليلاً مِن الشِّعْرِ فليُنْشِدْ قولَ الشاعرِ[٣٥]:

أَمَّا الْقِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمُ وَلَكِنَّ سَيْرَاً فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ

وقول الآخر[٣٦]:

فَأَمَّا الصُّدُورُ، لَا صُدُورَ لِجَعْفَرٍ وَلَكِنَّ أَعْجَازَاً شَدِيدَاً ضَرِيرُهَا

وعَلَى الباحثِ المحقِّقِ المُدَقِّقِ أَلَّا يُسَلِّمَ لِكُلِّ مَا يَقْرأُ إِلَّا عَن قناعةٍ ماثلةٍ بينَ يَدَي الحقيقةِ والواقعِ، يُؤمنُ بهَا فِي نفسِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَاهَا عِيَانَاً، وَإِنَّ الباحثَ لمْ يَشْتَمَّ رائحةَ الشرطيةِ فِي (أَمَّا) لَا مِن قريبٍ وَلَا مِن بعيدٍ عَلَى كثرةِ تكرارِ هذا التقديرِ الَّذِي أَلْزَمَنَا بِه النحاةُ جِيلاً بعدَ جيلٍ، فَهَل الشرطيةُ التِي تَبْدُو ظاهرةً كالشمسِ فِي كَبِدِ السماءِ فِي قولِنَا: " إِنْ تزرْني أَزُرْكَ "، أَو " مَهْمَا يكنْ مِنْ أمرٍ فسأكرمُكَ " هِي نفسُها التي نلمسُها، أو نتذوَّقُهَا فِي قولِنَا: " أَمَّا زيدٌ فكريمٌ " ؟ وأينَ جملتَا الشرطِ والجوابِ فيهَا؟ وَهُنَا يأتي التأويلُ الَّذِي يكونُ حاضراً دائماً إِذَا أَفْحمَهُم الردُّ، وقد نقبلُ هذا التأويلَ لو كانَ قريباً أو يكادُ، ولكنَّنَا نراهُ بعيداً ويرونهُ قريباً.

لِمَاذا لا نُعربُ (أَمَّا) حرفَ تنبيهٍ واستفتاحٍ كـ (أَلَا)، وَ(أَمَا)، أو نعربَهُ حرفَ تفصيلٍ، وَكَفَى، جِيءَ بِهِ لِغرضِ التوكيدِ؟ قالَ الزَّمَخْشَرِيُّ:((وفائدتُهُ فِي الكلامِ أَنْ يُعطيَهُ فضلَ توكيدٍ، تقولُ: زيدٌ ذاهبٌ، فإِذَا قصدتَ توكيدَ ذاكَ، وأنَّهُ لَا محالةَ ذاهبٌ، وأنَّهُ بصددِ الذَّهَابِ، وأنَّهُ مِنْهُ عزيمةٌ، قلتَ: أَمَّا زيدٌ فذاهبٌ))[٣٧].

ـ ولِمَاذا لَا نُعربُ الفاءَ الَّتِي يرونَهَا لازمةً فِي الجوابِ: حرفَاً لتزيينِ اللفظِ كَمَا أعربُوها فِي (فقط)، و(فحسب) إِنْ وردتْ، وإِنْ لَمْ تَرِدْ فَلَا حَرَجَ عَلَى المُتكلمِ؟

وعليهِ فيُعربُ مَا بعدَ (أَمَّا) عَلَى حَسَبِ موقعِهِ فِي الجملةِ، فمثلاً فِي قولِنا: " أَمَّا زيدٌ فكريمٌ " نُعربُ (أَمَّا) حرفَ تنبيهٍ واستفتاحٍ ، و(زيد) مبتدأً، والفاءَ حرفَاً لتزيينِ اللفظِ، و(كريم) خبراً، وفِي قولِهِ تَعالَى:﴿أَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ[٣٨]﴾ نُعربُ (الذين) مُنَادَى، وفِي قولِهِ تَعالَى:﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ[٣٩]﴾، نُعربُ (أَمَا): حرفَ تنبيهٍ واستفتاحٍ، وبعدَهُ جملةٌ شرطيةٌ بأركانِهَا لَا علاقةَ لَهَا بـ (أَمَّا) إِلَّا مِنْ جِهةِ توكيدِ المعنى كَمَا عرفْنَا، وفِي قولِهِ تَعَالَى:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ

---

[٣٤] البخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب من قال: خذها وأنا ابن فلان ـ رقم ٢٨٧٧ ـ ١١٠٧/٣.

[٣٥] البيت سبق تخريجه .

[٣٦] البيت سبق تخريجه .

[٣٧] الكشاف ١٤٦/١ ـ وينظر: ابن طولون ٢٥١/٢.

[٣٨] آل عمران ١٠٦.

[٣٩] الواقعة ٨٨ ـ ٨٩.

آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[٤٠]، نُعربُ (الذين) مُنَادَى، وهَكَذَا نُعْرِبُ مَا يأتِي بعدَ (أَمَّا) عَلَى حَسَبِ موقعِهِ فِي الجملةِ، أليس تخريج الباحث أكثر أُنسًا وإقناعًا من فلسفات لم تثبت على المحك اللغوي الفصيح؟ والله تعالى أجل، وأعلم.

نتائج البحث

الحمد لله حمدًا لا ينقضي، وأشكره شكرًا لا ينتهي على ما أنعم علينا من نعم لا تحصى، والصلاة والسلام على سيد الثقلين محمد .صلى الله عليه وسلم .وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا وما ابتدعوا، وعلى من تبعهم على ذات اليقين إلى يوم الدين ، وبعد: فقد توصل البحث لنتيجتين مهمتين هما:

١ـ في تعليلهم النصب بأحرف النداء في درس (النداء) فلسفة نقلها اللاحقون من النحاة عن السابقين معترفين بتغير أسلوب الجملة من الإنشائية إلى الخبرية، وهنا قدّم الباحث إعرابًا جديدًا بلا قلب لأسلوب جملة النداء، وهو الاستعانة بالعامل المعنوي بعيدا عن فلسفة تبعوها هنا وهم بها كافرون.

٢. ظهرت الفلسفة ظاهرة في تفسيرهم لوجوب الإتيان بالفاء في جواب (أما) ونعتوها بالشرطية وهي . في نظر الباحث .منها براء؛ لذا يرى الباحثُ أَنْ تُعربَ (أَمَّا) حرفَ تنبيهٍ واستفتاحٍ، وتُعربَ الفاءُ حرفًا لتزيينِ اللفظِ كَمَا أعربُوها فِي (فقط)، و(فحسب) إنْ وردتْ فِي الجملةِ، وإنْ لَمْ تردْ فَلَا حَرَجَ عَلَى الناطقينَ بدونِهِ.

توصيات البحث :

أ. بعد التأدّب مع العلماء ، والرفع من شأنهم يجب التدقيق الشامل في قراءات التعليل النحوي ، وعلى الأخص في أبواب العامل النحوي .

ب . الاجتهاد في استبدال بعض الفلسفات النحوية بتحليلات منطقية .

ج .تشجيع التفكير النقدي ، وتوجيه الطلاب بله طلاب الدراسات العليا إلى العمق الفكري ، وتذوّق النصوص اللغوية ، وإعطاء الشخصية العلمية الظاهرة فيما يكتبون .

---

[٤٠] الجاثية ٣١.

الظاهرة الاشتقاقية في اللغة العربية

من الصرف الى النحو

الأستاذ الدكتور أمين لقمان الحبار
قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الإنسانية–
جامعة الموصل – العراق

١/ في الاشتقاق :

ينتمي مصطلح الاشتقاق إلى بيئة لا ينتمي إليها مصطلح الجملة، فعلى الرغم من أنّ علم الصرف الذي ينتمي إليه مصطلح الاشتقاق يُعدّ صنواً لعلم النحو الذي ينتمي إليه مصطلح الجملة، حتى أنّ هناك من يذهب إلى (أنّ الصرف أُمّ العلوم والنحو أبوها)[١]، فعلى الرغم من أنّ علمي النحو والصرف ليسا غريبين عن بعضهما، فإنّ ورود مصطلح الاشتقاق في سياق يجتمع فيه مع مصطلح الجملة يبقى نوعاً من المفارقة، أو نوعاً من الّلانظام، ممّا يتناقض مع مصطلح النظام[٢] الذي يسبقهما في عنوان الدراسة .

بطبيعة الحال فإنّ نقل مصطلح الاشتقاق من حقل صرفي إلى حقل نحوي، يشكّل دعوة إلى التفكير بطريقة صرفية داخل حقل نحوي، ومعلوم في اللغات[٣] من حيث صياغة مفرداتها أنّ اللغة العربية تنتمي إلى فصيلة اللغات الاشتقاقية في صياغة مفرداتها ، فهي (لغة اشتقاقية)[٤]، إذن فالبحث يسعى إلى تعميم المنهج من الصرف إلى النحو، مع ملاحظة كثرة استخدام لفظة (اشتقاق) أو ما يقاربها من مشتقاتها في الدراسات اللسانية[٥].

في الصرف تشير مصطلحات الاشتقاق بأنواعها (الأصغر، الأكبر، الكبير، الكبّار) إلى عملية تكوين كلمات جديدة من كلمات آصل منها لعلاقة ما بين الكلمات الأصلية والكلمات

---

(١) مراح الارواح في علم الصرف، احمد بن علي بن مسعود : ١٩ .

(٢) يعني النظام الترتيب والاتساق، يقال نظام الامر أي قوامه وعماده، وبالمعنى العام احد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني والترتيب المكاني والترتيب العددي ..... الخ، المعجم الفلسفي، جميل صليبا : ٤٧١/٢، وينظر المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية : ٢٠١ .

(٣) ينظر هذه التقسيمات في : اسس علم اللغة، ماريو باي : ٥٥–٥٨ . مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفري سامسون : ١١–١٢ .

(٤) هل العربية منطقية، أ . ت . مرمرجي : الحاشية :١٧، نقلاً عن : الاشتقاق، فؤاد حنا ترزي :٣٦٣، المعجم المفصل في فقه اللغة، مشتاق عباس حسن :٤٤ .

(٥) ينظر مثلاً : جوانب من نظرية النحو، نعوم جومسكي :٣٢ ، اللغة والعقل، جومسكي: ٤٩، اتجاهات البحث اللساني، ميلكا ايفيتش :٣٣٤ ، البنيوية، جان بياجيه :٦٩ ، علم اللغة النفسي، تشومسكي وعلم النفس، جودت جرين : ١٠٢ ، قواعد تحويلية للغة العربية، محمد علي الخولي : ٢٤، مدخل في اللسانيات، صالح الكشو : ١٦، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مازن الوعر : ١٢٤–١٣٩ .

الفرعية[٦]، مما يقتضي ثلاثة أمور [٧]:

١- أن تكون للكلمة المشتقة كلمة آصل تؤخذ منها .٢- أن تناسب الكلمة المشتقة الكلمة الأصل في الحروف .٣- أن تناسب الكلمة المشتقة الكلمة الأصل في المعنى .

وهذا كلّه على مستوى الكلمة، أمّا على مستوى الجملة، وبالمنهجية نفسها ، فإنّه يستوجب أن يكون لدينا ثلاثة أمور :

١- أن تكون للجملة المشتقة جملة آصل تؤخذ منها .٢- أن تناسب الجملة المشتقة الجملة الأصل في كلماتها . ٣- أن تناسب الجملة المشتقة الجملة الأصل في المعنى .

وكما يتمتع الاشتقاق الصرفي بقدرته على تكوين كلمات، تصل إلى العشرات من جذر كلمة واحدة، كذلك الاشتقاق النحوي يتّسم بقدرته التوليدية على إنشاء عشرات الجمل من جملة أولية واحدة، وهكذا (تتجلى أهميّة الجمل الأولية، رغم ضآلة عددها مقارنة بالجمل غير الأولية في أيّة لغة من اللغات، في أنّها الأساس في تكوين الجمل غير الأولية، ومعنى هذا أنّ أيّة جملة غير أولية في اللغة، تكون مشتقة من جملة أو أكثر أولية أو غير أولية)[٨].

وحتى نكتشف الجمل الأولية، وكيف تتركب منها الجمل غير الأولية استعان البحث بمصطلح الاشتقاق الصرفي ليمثل منهجاً للدخول إلى ظاهرة الجملة، وتوضيح هذا المنهج على مستوى الجملة لاشكّ سيكون مطوّلاً ومعقّداً، إذ (لا توجد نقطة دخول بسيطة إلى نظام اللغة)[٩].

لذلك فإنّنا بحاجة الى منهج خاص مشتق من نظريات عدّة في علم اللغة والعلوم المجاورة؛ ليشكل كلاًّ متوافقاً لمعالجة الجملة التي على صورته تظهر وتبرز بشكل مناسب، بمعنى أنّ هذا المنهج يسمح بالتفكير بطريقة صرفية داخل حقل نحوي .

تشكل النظرية التوليدية التحويلية (transformation genarative grammer) العمود الفقري الذي ستتجمع حوله نظريات مجاورة في علم اللغة، ونظريات مجاورة خارج علم اللغة، لكونه أقرب المناهج اللغوية من حيث مفاهيمه الأساسية إلى النحو العربي[١٠]. وبإجراء نوع من التعديلات فإنّه بالإمكان تطبيقها على اللغة العربية، فهذه الورقة تحاول الكشف عن ظواهر اشتقاقية على مستوى التركيب وتعميم الظاهرة الاشتقاقية الى النحو، عرف جومسكي في كتابه البنى النحوية (١٩٥٧) على

---

[٦] ينظر : الاشتقاق :١٣-١٤، وفيه جمع عدة تعريفات ناقلاً عن أكثر كتب التراث، المعجم المفصل في فقه اللغة :٤٢-٤٤ .

[٧] الاشتقاق :١٤ .

[٨] النحو الاشتقاقي وتطبيقاته على اللغة العربية، مجيد الماشطة، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١، السنة ٧، ١٩٧٤ : ٩٣-٩٤.

[٩] تأملات في اللغة، جومسكي : ٥٢.

[١٠] اللسانيات العربية المعاصرة بين منطق البحث العلمي وتهافت التهافت، محمد المدلاوي، مجلة دراسات ادبية ولسانية، العدد ٣، السنة الأولى، ربيع١٩٨٦ :٩٣، وينظر : النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي:١١٩ .

مصطلحيْ الجملة النواة (kernel sentence) والجملة المحوّلة (transformation sentence)، فالجملة النواة في أكمل تعريفاتها: هي الجملة البسيطة المثبتة المبنية للمعلوم الخالية من العبارات الاسمية المركّبة والعبارات الفعلية المركّبة[١١]، وتنتج فقط عن طريق تحويلات إجبارية، أمّا الجملة المحوّلة فهي الجملة المعقدة الناتجة عن الجملة النواة بتحويلات اختيارية أو إجبارية [١٢]. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من البحث عن الجمل النواة التي تقابل جذور الكلمات في الصرف، وهنا لا بد من وضع أصول لبيان هذه الجمل.

٢- مقترح لوضع أساس للجملة البسيطة :

يقوم الاقتراح الآتي على ربط الوظائف النحوية مع أقسام الكلم ، وهذا الربط تقوم عليه الجملة البسيطة كما تقوم عليه الجملة المعقدة، ولا بدّ من تحديد أيّ من الوظائف النحوية تكون في الجملة البسيطة وأيّ منها تكون في الجملة المعقدة، وكذلك أيّ من أقسام الكلم التي تدخل في تكوين الجملة البسيطة وأيّ منها تدخل في تكوين الجملة المعقدة، وفيما يأتي التفاصيل :

أ – الوظائف النحويّة :

تتكون الجملة من مجموعة عناصر، ولا قيمة لأيّ منها من دون العناصر الأُخرى، وكلّ عنصر يقوم بوظيفة معينة في الجملة، ولا قيمة لأيّ وظيفة دون الوظائف الأُخرى، مما يعني أنه لا قيمة لأيّ عنصر نحوي من دون الوظيفة النحوية التي يقوم بها، والوظائف النحوية متعدّدة لكنّها محدودة، وفي ما يأتي جدولاً يوضح العناصر النحوية والوظائف التي تقوم بها :

ت	العنصر النحوي	الوظيفة النحوية	ت	العنصر النحوي	الوظيفة النحوية
١-	المبتدأ	الابتداء	١٥-	المفعول المطلق	المفعولية (المطلقة)
٢-	الخبر	الإخبار	١٦-	المضاف إليه	الإضافية
٣-	الفعل	الفعلية	١٧-	المعطوف	العطفية
٤-	الفاعل	الفاعلية	١٨-	النعت	النعتية
٥-	نائب الفاعل	النائبية	١٩-	البدل	البدلية
٦-	الأدوات	الأداتية	٢٠-	التوكيد	التوكيدية
٧-	الخالفة	الخالفية	٢١-	الحال	الحالية
٨-	النداء	الندائية	٢٢-	التمييز	التمييزية
٩-	التعجب	التعجبية	٢٣-	الاستثناء	الاستثنائية

[١١] المصدر نفسه : ١٣٧، ١٠٥، ١٢٢ .

[١٢] المصدر نفسه :٦٥، ٨٣، وينظر : اللغة والمعنى والسياق : ١٥٣ .

١٠-	المدح و الذم	المدحية و الذمية	٢٤-	أفعل التفضيل	التفضيلية
١١-	المفعول به	المفعولية (به)	٢٥-	صلة الصلة	الموصولية
١٢-	المفعول لأجله	المفعولية (لأجله)	٢٦-	الجملة الشرطية	الشرطية
١٣-	المفعول معه	المفعولية (معه)	٢٧-	الجملة القسمية	القسمية
١٤-	المفعول فيه	المفعولية (فيه)	٢٨-	الجملة الاعتراضية	الاعتراض
			٢٩-	الجملة التفسيرية	التفسير

من الجدول أعلاه نلاحظ أنّ الوظائف منها ما يقوم بها المفرد ومنها ما يقوم بها المركّب ومنها ما تقوم بها الجملة، بمعنى أنّ الوظائف يمكن تقسيمها على ثلاثة أقسام :

١- الوظائف التي تدخل في تكوين الجملة البسيطة الإسنادية وهي الوظائف (١-٢-٣-٤)

٢- الوظائف التي تدخل في تكوين الجملة البسيطة غير الإسنادية وهي الوظائف (٦-٧-٨-٩-١٠)

٣- الوظائف التي تدخل في تكوين المركّبات (التقييدية)غير الإسنادية وهي الوظائف (١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤) .

٤- الوظيفة التي تدخل في تحويل المبني للمجهول هي الوظيفة (٥) .

٥- الوظائف التي تقوم بها الجملة ولا يقوم بها المفرد وهي الوظائف (٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩).

٦- الوظائف التي تدخل على الجمل البسيطة والجملة المعقدة وهي الوظائف (١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦) .

ب- أقسام الكلم :

ظهرت عدة اتجاهات في تقسيم الكلم في اللغة العربية، وكلّ تقسيم يقوم على أُسس معينة أفرزتها، وما يهمّ في هذه الدراسة الأقسام وليس الأُسس، وفي ما يأتي هذه الأقسام :

أوّلاً: قسم النحاة العرب القدماء الكلم على ثلاثة أقسام : الاسم والفعل والحرف[١٣].

ثانياً: يقسم إبراهيم أنيس الكلم على أربعة أقسام[١٤] :

أ- الاسم : ويشمل : الاسم العام والعلم والصفة . ب- الضمير : ويشمل : الضمائر، واسماء الاشارة والموصولات والمصادر . جـ- الفعل . د- الأداة .

ثالثاً : يقسم مهدي المخزومي الكلم على أربعة أقسام، الاسم والفعل والكنايات وتشمل : الضمائر، والإشارة والموصول بجملة والمستفهم به وكلمات الشرط [١٥].

رابعاً : يقسم الدكتور تمام حسان الكلم على سبعة أقسام وهي[١٦] :

---

[١٣] ينظر : أقسام الكلام العربي من حيث الشكلّ والوظيفة : ٣٣ وما بعدها .

[١٤] من اسرار اللغة : ٢٨٤ وما بعدها .

[١٥] في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث : ٤٥-٤٦

[١٦] اللغة العربية معناها ومبناها :٩٠، وما بعدها، وينظر : تقويم الفكر النحوي عند المحدثين، أطروحة دكتوراه : ٩٠ .

أ- الاسم ويشمل : الاسم المعين، واسم الحدث، واسم الجنس والميميات (اسم الزمان والمكان والآلة) والاسم المبهم . ب- الصفة وتشمل : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة وافعل التفضيل . جـ- الفعل

د- الضمير : ويشمل : ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، واسم الإشارة، والموصولات .

هـ- الخوالف : وتشمل : أسماء الأفعال وأسماء الأصوات وصيغ التعجب وصيغ المدح والذم .

و - الظروف : وتشمل : ظروف المكان مثل وظرف الزمان والمصادر واسم المكان والزمان وبعض حروف الجر وبعض الأسماء المبهمة . ز - الأداة : وتشمل جميع الأدوات.

وهي التقسيمات ذاتها التي أخذ بها فاضل مصطفى الساقي في تقسيمه الكلم[١٧].

ويعتمد البحث على تقسيمات تمام حسان وفاضل مصطفى الساقي، مع إجراء بعض التعديلات عليها؛ لأنّ التقسيمات التي خرجا بها ناتجة عن الاعتماد على الجمل عموماً بسيطة ومعقدة ؛ ولأنّ هذا العدد من الأقسام في حالة دخولها كلّها في توليد الجمل البسيطة، تجعل عددها كبيراً، فضلاً عن عدم إمكانية ذلك، وعليه نقترح ما يأتي :

أ- أقسام تدخل في تكوين الجملة البسيطة الإسنادية وهي :

١-الاسم : ويشمل اسم الذات واسم الجنس واسم الزمان والمكان والآلة، والأعداد المفردة (من واحد إلى عشرة)، والمكاييل والجهات، أي كلّ ما يمكن أن يخبر به ويخبر عنه .

٢- الصفة : وتشمل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة، إلاّ أفعل التفضيل مع التنبّه إلى أنّ الصفات تسلك سلوك الاسم عند عدم احتياجها إلى متعلقات الفعل كالمفاعيل ، وتسلك سلوك الفعل عند احتياجها إلى ذلك [١٨].

٣- الفعل : ويشمل الماضي المضارع والأمر .

ب- أقسام تدخل في تكوين الجمل غير الإسنادية وهي :

١-الأدوات : وتشمل بعض الأدوات مثل أداة النداء وما التعجبية والباء في أفعل به .

٢-الخوالف : وتشمل خوالف أسماء الأصوات وأسماء الأفعال وخوالف التعجب والمدح والذم .

٣-الأسماء : كالمنادى والمخصوص بالمدح والذم والمتعجب منه .

أمّا الأقسام الأخرى فلا تدخل في تكوين الجمل البسيطة، وهي :

أ-الضمائر: لا تدخل الضمائر سواءً كانت للمتكلم أو المخاطب أو الغائب في تكوين الجملة البسيطة لأنّ[١٩]: ١- الأصل في الكلام أن يكون على لفظه ٢- الأصل هو المظهر والمضمر فرعه.
٣ - لا يضمر الشيء قبل ذكره إلاّ على شريطة التفسير[٢٠]. ٤- لا يجوز الإضمار قبل الذكر.

---

[١٧] أقسام الكلام العربي من حيث الشكل و الوظيفة : ٢١٤ وما بعدها .

[١٨] اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية، فاضل مصطفى الساقي : ١٨٣ .

[١٩] الأُصول :٢١٢ وما بعدها .

[٢٠] التفسير لا يكون إلاّ بجملة، أي هو نوع من تعقيد للجملة .

ب – الظروف : لأنّ أكثر الظروف أصلها أسماء، وقد رُدَّت إلى أصلها هنا، وإذا نقلت إلى الظرفية فإنّ النقل لا يكون إلاّ في البنية السطحية مثل قطّ وعوض، أمّا (مُذ ومُنذ) فهي روابط بين الجمل .

جـ– الأدوات : لا تشترك الأدوات في الجملة البسيطة، لأنّها من عناصر التحويل، إذ تدخل على الجمل البسيطة وتحوِّلها إلى جمل محوّلة، أمّا أدوات الجرّ فإنّها لا تعطي معنى بنفسها، أي أنّها مع ما بعدها تركيب، والتركيب لا وجود له في الجمل البسيطة .

د– الأعداد : لا تدخل الأعداد في بناء الجمل البسيطة إلاّ الأعداد المفردة (١–١٠) أمّا الأعداد المعطوفة فإنّها مركّبة من معطوف ومعطوف عليه والأعداد المركّبة أصلها أعداد معطوفة فأصل (خمسة عشرة) خمسة وعشرة .

هـ– أفعل التفضيل : خرج أفعل التفضيل من تكوين الجملة البسيطة لأنّ أركان التفضيل هي في حدّ ذاتها مركّبة، وهذه الأركان هي(المفضل + أفعل التفضيل + المفضل عليه)، ولأنّ معنى التفضيل هو إشتراك شيئين في معنى مع زيادة المفضل في الصفة على المفضل عليه، أي أنّ أصل التفضيل هو:١– المفضل + صفة التفضيل . ٢– أفعل التفضيل . ٣– المفضل عليه + صفة التفضيل.

٣ – الجمل البسيطة الإسنادية :

إذن الوظائف النحوية التي تشترك في بناء الجملة البسيطة الإسنادية هي (الابتداء والإخبار والفعلية والفاعلية)، وأقسام الكلم التي تدخل في تكوين الجمل الإسنادية البسيطة هي (الاسم والصفة والفعل)، والجمل التي تنتج عن قواعد إعادة الكتابة في الغالب جمل مخطوءة لأنّ قواعد النحو معرّضة لإنتاج جمل مخطوءة والجملة البسيطة تنتج بفعل تحويلات إجبارية فقط [٢١]، ونسمّيها عندئذٍ بالجملة الكتابية، وبعد تصحيح هذه الجمل بتحويلات إجبارية وتتحول إلى جمل صحيحة نسمّيها بالجملة المتداولة، وعليه تكون القسمة العقلية للجمل البسيطة حاصل تفاعل هذه الأقسام مع بعضها لتنتج الجمل الإسنادية الآتية :

أ – ج ← اسم (مبتدأ) + اسم (خبر)

الأمثلة :
١– محمد رجل
٢– رجل محمد*
٣– كتب ثلاثة*
٤– حديقة أرض*
٥– شاي قدح *
٦– رجلان أخوان*
٧– قوم أخوة *
٨– رجل واحد

ب– ج ← اسم (مبتدأ) + صفة (خبر)[٢٢]

الأمثلة :
١– محمد واقف
٢– رجل شديد *
٣– كتب مفيدة *
٤–حديقة جميلة*
٥– شاي حلو *
٦– أخ كريم *
٧– غروب حزين *

---

[٢١] البنى النحوية : ٨٣، مدخل في اللسانيات : ١٣٨، تحليل الخطاب الشعري : ٤٠ .

[٢٢] الصفة هنا يمكن أن تسلك سلوك الفعل، أو سلوك الاسم .

جـ - ج ← اسم (مبتدأ) + خبر (فعل)[٢٣]

الأمثلة : ١- محمد جاء *
٢- رجل يكتب *
٣- حديقة أزهر *
٤- أخ استغفر *
٥ - قوم تصالح*
٦- محمد أحمد*
٧- ثلاثة قال*

د- ج ← صفة (مبتدأ /فعل) + صفة(خبر /فاعل)[٢٤]

الأمثلة : ١- محمود عابد *
٢- رحيم صادق*
٣- لبق عادل *
٤- واقف محمد*
٥- سليم عليل*

هـ- ج ← صفة (مبتدأ/فعل) + اسم(خبر /فاعل) [٣]

الأمثلة : ١- واقف محمد *
٢- شديد رجل*
٣- صبور واحد*
٤- كاتب زيد*
٥- حلو شاي *
٦- كريم أخ *
٧- سامع رجل*

و- ج ← صفة(مبتدأ/ فعل) + فعل(خبر/فاعل) [٢٥]

الأمثلة : ١- قارئ جاء*
٢- شديد أقبل
٣- عابد استغفر*
٤- حسن يحسن *
٥- منصور يشكر*

ز- ج ← فعل (فعل) + فعل(فاعل)[٢٦]

الأمثلة : ١- كَتَبَ يَسْعُدُ*
٢- يُسْلِمُ يَشْكُرُ *
٣- عَبَدَ يُغْفَرُ *
٤- اِسْتَغْفَرَ يَظْلِمُ *
٥- أُكْتُبْ يَعْلَمُ*

ح- ج ← فعل (فعل) + فاعل(اسم)[٢]

الأمثلة :١- صَبَرَ رَجُلٌ
٢- أَصْبِرُ مُحَمَّدٌ*
٣- تَصَالَحَ قَوْمٌ
٤- اِصْبِرْ مُحَمَّدٌ*
٥- كَرِهَ رَجُلٌ*
٦- ظَنَّ مُحَمَّدٌ *
٧- أَعْطَى عَلِيٌّ*

---

[٢٣] الفعل هنا هو نفسه الخبر وليس الجملة، مما يجعل الجمل جميعها مخطوءة .

[٢٤] الصفة هنا يمكن ان تسلك سلوك الفعل، أو سلوك الاسم،

[٢٥] تنطبق هنا الملاحظات في هوامش في الصفحة السابقة .

[٢٦] يجدر التفريق بين الفعل بوصفه قسماً من أقسام الكلام والفعل بوصفه عنصراً يقوم بوظيفة الفعلية، مع وضوح الارتباط بينهما.

ط- ج ← فعل (فعل) + فاعل (صفة)

الأمثلة :١- صَبَرَ عابِدٌ ٤- ظَنَّ سَامِعٌ*

٢- قَوِيَ ضَعيفٌ ٥- اِسْتَغْفَرَ ظالمٌ

٣- تَصَالَحَ كُرَماءُ ٦- أَعْطَى مُحْسِنٌ*

ويلاحظ على الجمل أعلاه ما يأتي :

أوّلاً :أنّ الجمل البسيطة الإسنادية حسب صدرها هي :

أ – الجملة الاسمية، وهي التي تبدأ باسم، كما في (أ، ب) .

ب- الجملة الوصفية، وهي التي تبدأ بصفة، كما في (د، هـ) .

جـ- الجملة الفعلية، وهي التي تبدأ بفعل، كما في (ح، ط) .

ثانياً: أنّ جميع الجمل البسيطة السابقة تمثّل العمدة (المسند والمسند إليه) وما عدا ذلك مما يدخل في الجملة البسيطة، وهي المفاعيل فقط، وتشمل :

١- المفعول به : مثل : دَوَّنَ مُحمّدٌ الكتابَ .

٢- المفعول لأجله : مثل : دَوَّنَ مُحمّدٌ الكتاب حفاظاً .

٣- المفعول معه : مثل : دَوَّنَ محمدٌ والصبرَ .

٤- المفعول المطلق : مثل : دَوَّنَ محمدٌ تدويناً .

٥- المفعول فيه (ظرف الزمان والمكان) : مثل : دَوَّنَ محمدٌ البيتَ مساءاً .

وتزاد هذه الفضلات بتحويل اختياري، وظيفي، دوري، أمّا الفضلات الأُخرى كالحال والتمييز والمركّبات الأُخرى فسيتم تناولها في الفصل الثاني .

ثالثاً : أنه يجب إهمال الجمل :

١- جـ – ج ← اسم (مبتدأ) + فعل (فاعل)، مثل : محمدٌ كتَبَ .

٢-و – ج ← صفة (مبتدأ/فعل) + فعل (خبر/فاعل)، مثل : واقفٌ كتَبَ .

٣-ز- ج ← فعل (مبتدأ) + فعل (فاعل) ، مثل : قامَ كتَبَ.

والسبب في إهمال هذه الجمل أن الفعل لا يقع خبراً لمبتدأ ، بل الجملة كلّها (الفعل وما بعده) هو الخبر، وهذا ما سيتم تناوله في الفصل الثالث في توظيف الجملة .

رابعاً: إنّ الجملة (ب) إذا كانت الصفة سلكت سلوك الاسم فهي جملة بسيطة، أمّا إذا سلكت سلوك الفعل فستكون محوّلة من الجملة(هـ) أي أنّها جملة معقّدة .

خامساً : إنّ جمل المجموعة (ط) على الرغم من بساطتها الظاهرة فإنّها معقدة، إذ إنّ الفاعل هنا وهو الظاهر ليس فاعلاً في البنية العمقية، بل إنّه صفة للفاعل في هذه البنية، فحذف المنعوت وأُقيم النعت مقامه [٢٧]، فأصل (جاء قائم)، جاء رجل قائم، وهذا ما سنتناوله في الفصل الثاني .

---

[٢٧] كتاب سيبويه: ٢/ ٧٥، ١١٥، ١٤٥، ٣٤٦، ، مغني اللبيب:٢/ ٣٩٧-٣٩٨، التوابع في كتاب سيبويه: ٧٤ . التوابع من خلال القرآن الكريم ، هادي نهر : ٦٣ .

سادساً : إنّ الصفة تسلك سلوك الاسم أحياناً وأحياناً سلوك الفعل، أي أنّها تقوم بوظيفة مزدوجة (الابتداء والإخبار والفاعلية) ووظيفة (الفعلية) من جانب آخر، فهي تسلك مع ما قبلها سلوك الاسم وتسلك مع ما بعدها(متعلقاتها) سلوك الفعل، وسيتم التعامل معها على هذا الأساس .

سابعاً : أنّ أكثر الجمل الناتجة عن قواعد إعادة الكتابة هي جمل مخطوءة وهي الجمل الكتابية كما اصطلحنا عليها، وتستوجب تحويلات إجبارية، ويكمن خطأ الجمل الكتابية في :

١- هل الأصل هو الابتداء بالنكرة أم المعرفة ؟ وذلك في كلّ من الاسم والصفة .
٢- هل الأصل اللزوم أم التعدّي ؟ وذلك في كلّ من الفعل والصفة [٢٨].
٣- كيف يتم استبدال الأسماء والصفات بالضمائر ؟ مع ملاحظة أنّه حتى في الجمل الصحيحة قد تكون مخطوءة بسبب السياق الذي تستخدم فيه مثل : محمد واقف، إذا كان المتكلم هو محمد، أو كان المخاطب هو محمد أي تأثير الدلالة الخارجية على صياغة الجملة [٢٩]. وهناك أفعال يجب فيها استتار الفاعل، لكن في الجملة الكتابية يجب ظهوره لأنّ في هذه الجمل لا وجود للاستتار .
٤- من الجمل الكتابية إلى الجملة المتداولة :

الآن وبعد تشخيص أسباب خطأ الجمل الكتابية، سنعمد إلى تصحيحها وبيان كيفية ذلك، مع أن التحويلات التي تجري عليها هي تحويلات إجبارية، وفي ما يأتي التفاصيل :

أوّلاً : الابتداء بالنكرة أم بالمعرفة :

اختلف النحاة في جواز الابتداء بالنكرة، فجوّزه بعضهم، ومنعه آخرون إلاّ بشروط، وفيما يأتي التفصيل :

١- يذكر سيبويه أنّ النكرة أشدّ تمكناً من المعرفة، لأنّ الأشياء إنّما تكون نكرةً ثم تعرّف [٣٠]، ويقول : (وأحسن إذا اجتمع نكرةٌ ومعرفةٌ أن تبدأ بالأعرف وهو أصل الكلام)[٣١]، ويقولُ أيضاً: (ولو قلت: رجلٌ ذاهبٌ لم يحسن حتى تعرفه بشيء...فأصل الابتداء للمعرفة)[٣٢]، وينقل الصبان عن سيبويه والمتقدمين من النحاة أنّهم لم يشترطوا لجواز الابتداء بالنكرة إلاّ حصول الفائدة [٣٣] .
٢- يقول ابن السراج (وإنّما يراعى في هذا الباب وغيره الفائدة، فمتى ظفرت بها في المبتدأ وخبره فالكلام جائز، وما لم يفد فلا معنى له في كلام غيرهم... وجملة هذا أنّه إنّما ينظر إلى ما فيه من فائدة، فمتى كانت بوجه من الوجوه فهو جائز وإلاّ فلا)[٣٤] .

---

[٢٨] إذا سلكت الصفات سلوك الأسماء ستكون (أل) للتعريف ولا تحتاج إلى متعلقات ، وإذا سلكت سلوك الأفعال فإنّ الألف واللام ستكون موصولة وتحتاج إلى متعلقات .

[٢٩] ينظر: اللسانية التوليدية والتحويلية، عادل فاخوري :٨٤

[٣٠] كتاب سيبويه: ١/ ٢٤ .، وينظر : التعريف والتنكير في النحو العربي، احمد عفيفي :٥٣ –٥٤ .

[٣١] المصدر نفسه :٣/ ٢٤١ .

[٣٢] كتاب سيبويه : ٣/ ٢٤١ .

[٣٣] حاشية الصبان على شرح الأشموني : ١/ ٣٢٤ .

[٣٤] كتاب الأصول في النحو : ١/ ٦٤ .

٣- يقول ابن يعيش : (اعلم أنّ أصل المبتدأ أن يكون معرفة، وأصل الخبر أن يكون نكرة، وذلك الغرض من الإخبار إفادة المخاطب ما ليس عنده، وتنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة منه)[٣٥]، ويقول في صفحة تالية : (أنّ النكرة ما لا يعرفه المخاطب ... والمعرفة والنكرة بالنسبة إلى المخاطب)[٣٦]، أي أنّ فكرة النكرة والمعرفة لا لذاتهما بل بالسياق .

٤- يقول ابن مالك في ألفيته [٣٧] :

ولا يجوز الابتدا بالنكره ما لم تفد ك(عند زيدٍ نمره)

وظاهر كلام ابن مالك أنّ الأصل هو الابتداء بالنكرة إذا أفادت (ما لم تفد) وإن لم تفد كان الابتداء بالمعرفة .

٥- يقول الرضي الاسترابادي : (إذا حصلت الفائدة فأخبر بأيّ نكرةٍ شئت، وذلك لأنّ الغرض من الكلام فائدة المخاطب، فإذا حصلت جاز الحكم سواء تخصص بالمحكوم عليه بشيء أم لا . فضابط تجويز الإخبار عن المبتدأ أو عن الفاعل سواءً كانا معرفتين أو نكرتين مخصصتين بوجه أو نكرتين غير مخصصتين شيء واحد وهو عدم علم المخاطب بحصول ذلك الحكم للمحكوم عليه، فلو علم في المعرفة ذلك كما لو علم قيام زيد مثلاً عدّ لغواً، ولو لم يكن يعلم كون رجل ما من الرجال قائماً في الدار جاز لك أن تقول : رجلٌ قائمٌ في الدارِ، وإن لم تخصّص النكرة بوجه ...)[٣٨]، ويضيف قائلاً (ولا أُنكر وقوع المبتدأ معرفة أكثر من وقوعه نكرة)[٣٩] .

٥- يقول ابن هشام : (لم يعوّل المتقدمون في ضابط ذلك (أي : الابتداء بالنكرة) إلاّ على حصول الفائدة، ورأى المتأخرون أنّه ليس كلّ أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة، فتتبعوها ...)[٤٠] .

من الأقوال السابقة نخرج بالنتائج الآتية :

١- أنّ النكرة أبسط من المعرفة، أي أنّ المعرّف بأل مركّب، والبسيط أسبق من المركّب .

٢- أنّ المعيار في جواز الابتداء بالنكرة وعدم جوازه هو الفائدة .

٣- أنّ تحديد النكرة والمعرفة يقوم على أساس سياقي أي نسبة للمتكلم والمخاطب، ولا يشترط وجود أدوات تحدد ذلك .

٤- الأكثر شيوعاً هو الابتداء بالمعرفة .

٥- أنه إذا اجتمع النكرة والمعرفة فإن المبتدأ هو المعرفة .

٦- بما أنّ النكرة أصل للمعرفة، فإنّ الابتداء بالنكرة هو أصل والمبتدأ بالمعرفة هو فرع، وإذا استعنا بالسمات الذاتية والسمات الانتقائية التي تقول بها نظرية النحو المعجمي التي تحلل اللفظة في الجملة

---

[٣٥] شرح المفصل :٥٨/١ .

[٣٦] المصدر نفسه :٨٦/١ .

[٣٧] ألفية ابن مالك :١١ .

[٣٨] شرح الرضي على الكافية : ٢٣١/١ .

[٣٩] المصدر نفسه : ٢٣٢/١ .

[٤٠] مغني اللبيب :٢/ ٤٦٧ .

إلى سماتها الوظيفية النحوية على نحو مشابه لتحليل السمات الدلالية للفظة خارج الجملة[٤١] ، فالسمات الذاتية هي العناصر الرئيسية التي يقوم عليها أي قسم من أقسام الكلم، بينما السمات الانتقالية هي عناصر تضاف إلى السمات الذاتية مرتبطة بالسياق الكلامي أي بالاستعمال الذي يرد فيه أي قسم من أقسام الكلام والسمات الانتقائية، نجد أنّ سمة المعرفة هي انتقائية يفرضها السياق الكلامي دون غيره، إلاّ اسم العلم الذي تكون السمة معرفة من مكوناته الأساسية، إذن سيتمّ الالتجاء إلى تحويلات :

١- وظيفية : لأنّ الألف واللام تقوم بوظيفة التعريف .

٢- إجبارية : لأنّه يفترض في السامع أنّه لا يعرف المعنى إلاّ بمبتدأ معرفة .

٣- دورية: لأنّ التحويل لا يقع على الجملة كاملة وإنّما على أجزاء منها فقط .

والجداول أدناه تبين الجمل الكتابية المخطوءة سياقياً والجمل الصحيحة التي نسميها الجمل المتداولة :

المجموعة أ :

ت	الجمل الكتابية (الخاطئة)	الجمل المتداولة (الصحيحة)
٢-	رجلٌ محمدٌ*	الرجل محمد
٣-	كتبٌ ثلاثة*	الكتب ثلاثة
٤-	حديقة أرض*	الحديقة أرض
٥-	شايٌ قدح*	الشاي قدح
٦-	رجلان أخوان*	الرجلان أخوان
٧-	قومٌ أُخوة *	القوم اخوة
٨-	رجل واحد*	الرجل واحد

المجموعة ب :

ت	الجمل الكتابية (الخاطئة)	الجمل المتداولة (الصحيحة)
٢-	رجل شديد*	الرجل شديد
٣-	كتب مفيدة*	الكتب مفيدة
٤	حديقة جميلة*	الحديقة جميلة
٥-	شاي حلو*	الشاي حلو

[٤١] ينظر : المعرفة اللغوية :٧٥ وما بعدها، ومقدم المترجم :٣٦، اللسانية التوليدية والتحويلية : ٨٤- ٨٩، والألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيطة :١٧٢ ،وحول سياقية التعريف والتنكير، ينظر : التعريف والتنكير بين الدلالة والشكلّ . محمود أحمد نحلة :٢١-٩٢،وفيه يصنف دلالية التعريف إلى: الشيوع / التعيين، علم المخاطبة / المتكلم، الاشارة إلى الخارج، وهذه كلّها سياقية .

٦-	أخ كريـم*	الأخ كريم
٧-	غروب حزين*	الغروب حزينٍ

المجموعة د:

ت	الجمل الكتابية (الخاطئة)	الجمل المتداولة (الصحيحة)
٢-	رحيمٌ صادقٌ*	الرحيمُ صادقٌ
٣-	واقفٌ منصورٌ*	الواقفُ منصورٌ
٤-	سليمٌ عليلٌ*	السليمُ عليلٌ
٥-	واقفٌ محمدٌ*	الواقفُ محمدٌ

المجموعة هـ :

ت	الجمل الكتابية (الخاطئة)	الجمل المتداولة (الصحيحة)
٢-	شديدٌ رجلٌ*	الشديدُ رجلٌ
٣-	صبورٌ واحدٌ*	الصبورُ واحدٌ
٤-	كاتبٌ زيدٌ *	الكاتبُ زيدٌ
٥-	حلوٌ شايٌ*	الحلوُ شايٌ
٦-	كريمٌ أخٌ*	الكريمُ أخٌ
٧-	سامعٌ رجلٌ*	السامعُ رجلٌ

ثانياً : الأصل اللزوم أم التعدي في الفعل والصفة :

يقسم النحاة الفعل على قسمين[٤٢]:

أولاً : الفعل اللازم، وهو على قسمين :١- فعلٌ لا يتعدى ولو بواسطة مثل : نام، جلس .

٢- فعلٌ لازم يتعدى بواسطة حرف جر مثل : مرّ، أسرف.

ثانياً : الفعل المتعدّي، وهو على أربعة أقسام :

١- المتعدّي إلى مفعول به واحد، مثل : كتب، شكر . ٢- المتعدّي إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر مثل : ظنّ ، علم . ٣- المتعدّي إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر، مثل أعطى، كسا.

٤- المتعدّي إلى ثلاثة مفاعيل أصل الثاني والثالث مبتدأ وخبر، مثل : أعلم، أخبر .

أمّا عن الأصل أهو لازم أم متعدٍّ، فالنحاة لا يذكرون شيئاً عن ذلك، لكنهم قدّموا ذكر المتعدّي على اللازم لكثرة المتعدّي وشيوعه، وقلّة اللاّزم وانحساره، والتقديم بالذكر لا يعني الأسبقية سواءً كانت

---

[٤٢] ينظر كتاب سيبويه : ٣٣/١-٣٤، المقتضب : ٥/٤، الأصول :٢٠٠/١، همع الهوامع : ٨٠/٢، النحو الوافي :١٥٠/٢ وما بعدها .

الأسبقية تاريخية [٤٣] أو ذهنية [٤٤].

وحديثاً يذهب مصطفى جواد إلى أسبقية الفعل المتعدّي على الفعل اللازم، اعتماداً على الكثرة والشيوع، فيقول :(إنّ الأصل في الأفعال التعدّي، لأنّ الحياة على اختلاف أنواعها وتباين طرائقها تعتمد على التعدّى، وعلى هذا تكون الأفعال التي يكثر فيها اللزوم مثل (فَرِحَ يَفْرَحُ)، والتي يغلب عليها اللازم مثل (سَهُلَ يَسْهُلُ)، حديثة الوجود بالنسبة إلى غيرها من ضروب الثلاثي المجرّد، ويكون الضرب الذي على هذين الوزنين من الأفعال اللازمة مثل (دخل وخرج ونام) من باب العلاج الذاتيّ محدوداً بحيث يكاد يكون محدوداً) [٤٥] .

وبما أنّ مصطفى جواد يفترض أن المتعدّي أصل اللازم؛ لأنّ الحياة تعتمد على التعدّي، فإنّه يفترض به أن يجعل الفعل المتعدّي إلى ثلاثة مفاعيل آصل من الفعل المتعدّي إلى مفعولين، وهذا الأخير آصل من الفعل المتعدّي إلى مفعول به واحد ؛ لأنّ هذه الأفعال قادرة على تلبية متطلّبات الحياة أكثر من الفعل اللازم الذي يأتي أخيراً .

وهذا ما لا يوافق عليه إبراهيم السامرائي، فيقول : (أقول: إنّ قلّة اللاّزم في العربية ومجيئه على أبنية محدودة ... لا تجعل من هذا الفعل عارضاً طارئاً، والذي أراه أن الفعل أصله قاصر لازم؛ ثم يصار من هذه الحالة إلى المتعدي)[٤٦] .

فعلى الرغم من أنّ الدكتور السامرائي يتحدّث من وجهة نظرٍ تاريخية عن مسألة الشيوع، وعدم اعتباره دليلاً على الأسبقية . فإنّ الاتجاه الذهني يتفق معه في هذه النقطة، (إذ الشيوع لا قيمة له ... في تقدير صورة البنية الداخلية سواءً للكلمة أم للجملة، فالذي له قيمة حقيقية في هذا الأمر هو نوع القواعد التي نحتاج إليها لنقل البنية الداخلية إلى الصورة الملفوظة ومدى بساطتها أو تعقيدها ومدى معقوليتها)[٤٧] .

إذن تتطابق وجهة النظر التاريخية والذهنية في عدم اعتماد الكثرة والشيوع في تحديد الأسبقية في التعدي أو اللزوم، وفي غيرها من المسائل، ويسوق الدكتور السامرائي أدلته على أسبقية اللزوم على التعـدي، وإن كانت أدلته ذات طابع تاريخي، لكنها صالحة أن يعتمد عليها من الناحية الذهنية وأدلّته هى :

١-وجود مرحلة انتقالية وسطى بين الفعل اللازم الذي لا يتعدّى أبداً مثل (نام)، وبين الفعل المتعدّي مباشرة مثل (كتب)، وهذه المرحلة هي الفعل اللازم المتعدّي بحرف جرّ مثل(مرّ، أسرف)، وإسقاط هذا الحرف من هذه الأفعال الأخيرة، مثل (تمرّون الديار) [٤٨].

---

[٤٣] الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي : ٨٢ ٠

[٤٤] حول العلاقة بين التغييرات التاريخية والذهنية ينظر : التمهيد : .

[٤٥] المباحث اللغوية في العراق : ٧، وينظر النصّ في : الفعل زمانه وأبنيته : ٨٣ .

[٤٦] الفعل زمانه وأبنيته : ٤٨ .

[٤٧] البنية الداخلية للجملة الفعلية العربية : داود عبدة، مجلة الأبحاث، السنة ٣، ع ٨ : ١٩٨٣ :٤٠ .

[٤٨] الفعل زمانه وأبنيته : ٨٤ .

٢- إسقاط حرف الجر من المفعول الأوّل للفعل المتعدّي إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأً وخبراً، مثل (أعطى زيدٌ عبدَ اللّهِ درهماً)، فإنّ الأصل هو (أعطى زيدٌ لعبدِ اللهِ درهماً)، ثمّ أُسقط حرف الجرّ، فانتصب مفعولاً به . فالفعل أصله متعدٍّ إلى (درهم) مباشرة، وإلى(عبد الله) غير مباشرة بواسطة حرف جرّ، ويبقى التعدّي غير مباشر حتى بعد حذف حرف الجرّ، كذلك حال المفعول به الأوّل في الفعل المتعدّي إلى ثلاثة مفاعيل أصل الثاني والثالث مبتدأ وخبر، مثل (أعْلَمْتُ محمداً الأمرَ سهلاً) فإنّ الأصل هو (أعْلَمْتُ لمحمدٍ الأمرَ سهلاً) (٤٩).

إذن سيكون التدرّج من اللزوم إلى التعدّى أي من الأبسط إلى الأعقد، على عكس ما ذهب إليه مصطفى جواد، إذ أنّه يتدرّج من الأعقد إلى الأبسط . وملخّص الاتجاهين نوضحه في الجدول الآتي :

ت	من الفعل اللازم إلى الفعل المتعدّي	ت	من الفعل المتعدّي إلى الفعل اللازم
١-	فعل لازم	١-	فعل متعدٍّ إلى ثلاثة مفاعيل
٢-	فعل لازم متعدٍّ إلى مفعول بحرف جرّ	٢-	فعل متعدٍّ إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ومفعول به واحد بحرف جرّ
٣-	فعل متعدٍّ إلى مفعول به واحد بلا واسطة	٣-	فعل متعدٍّ إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر
٤-	فعل متعدٍّ إلى مفعول به واحد ومفعول به ثانٍ بحرف جرّ	٤-	فعل متعدٍّ إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً
٥-	فعل متعدٍّ إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأً وخبراً	٥-	فعل متعدٍّ إلى مفعول به واحد ومفعول به ثانٍ بحرف جرّ
٦-	فعل متعدٍّ إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر	٦-	فعل متعدٍّ إلى مفعول به واحد بلا واسطة
٧-	فعل متعدٍّ إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر ومفعول به واحد بحرف جرّ	٧-	فعل لازم متعدٍّ إلى مفعول بحرف جرّ
٨-	فعل متعدٍّ إلى ثلاثة مفاعيل	٨-	فعل لازم

وما يتبنّاه البحث الانتقال من اللزوم إلى التعدّي، وهذا ما يذهب إليه النحاة الذين يعدّون المفعول به فضلة، فالفعل اللازم مع فاعله عمدة والفعل المتعدّي مع فاعله عمدة، يزاد المفعول به بوصفه فضلة . وهذا ما تؤكّده نظرية النحو المعجمي التي تقول بأنّ سمة التعدّي هي سمة انتقائية في الفعل تتعلّق بالاستعمال وليست سمة ذاتية، أي أنّها سمة يفرضها السياق الكلامي الذي يفرض إدخال المفعول به(٥٠). ويتم ذلك بتحويلات:

١- إجبارية :لأنّها مفروضة بالسياق الكلامي. ٢- وظيفية : لزيادة وظائف نحوية جديدة على الجملة لم تكن موجودة . ٣- دورية : لأنّ التحويلات وقعت داخل الجملة .

والجدول في أدناه تبين مراحل الانتقال من اللزوم إلى التعدي :

---

(٤٩) المصدر نفسه : ٨٧-٨٩ .

(٥٠) المعرفة اللغوية :٧٥، وما بعدها، ومقدمة المترجم :٣٦-٣٧ .

ت	الفعل / الصفة	لزومه وتعدّيه
١-	نام / نائم	نام / نائمٌ الجاهل
٢-	مرّ/ مارّ	مرّ / مارّ السحاب
٣-	كتب / كاتب	كتب / كاتب العالم العلم
٤-	أعطى / معطٍ	أعطى /معطٍ العالم للناس العلم
٥-	أعطى / معطٍ	أعطى / معطٍ العالم الناس العلم
٦-	ظنّ / ظانّ	ظنّ / ظانّ الناس العلم سهلاً
٧-	أعلم / مُعْلِمٌ	أعلم / مُعْلِمٌ محمد لزيد العلم صعباً
٨-	أعلم / مُعْلِمٌ	أعلم / مُعْلِمٌ محمد زيداً العلم صعباً

وهذا ما ينطبق على الجمل والصفات العاملة عمل الفعل في الجمل الكتابية وتحولها إلى جمل متداولة .

ثالثاً : استبدال الضمائر :

تقسم الضمائر في العربية على قسمين : القسم الأوّل : ظاهر وهو على قسمين : متصل ومنفصل، القسم الثاني : المستتر وهو على قسمين : واجب الاستتار وجائز الاستتار، وفي ما يأتي التفاصيل لكلّ منهما :

أ- الضمير الظاهر المنفصل ونختصره في الجدول الآتي :

الحالة الإعرابية السياق		الرفع	النصب	الجر
المتكلم	المفرد	أنا	إيّاي	×
	المثنى	نحن	إيّانا	×
	الجمع	نحن	إيّانا	×
المخاطب	المفرد المذكر	أنتَ	إيّاكَ	×
	المفرد المؤنث	أنتِ	إيّاكِ	×
	المثنى المذكر	أنتما	إيّاكما	×
	المثنى المؤنث	أنتما	إيّاكما	×
	الجمع المذكر	أنتم	إيّاكم	×
	الجمع المؤنث	أنتنّ	إيّاكنّ	×
الغائب	المفرد المذكر	هو	إيّاه	×
	المفرد المذكر	هي	إيّاها	×
	المثنى المذكر	هما	إيّاهما	×
	المثنى المؤنث	هما	إيّاهما	×
	الجمع المذكر	هم	إيّاهم	×
	الجمع المؤنث	هنّ	إيّاهنّ	×

ب- الضمير الظاهر المتصل ونختصره في الجدول الآتي :

الحالة الإعرابية السياق		الرفع	النصب	الجر
المتكلم	المفرد	ـتُ	ـي	ـي
	المثنى	ـنا	ـنا	ـنا
	الجمع	ـنا	ـنا	ـنا
المخاطب	المفرد المذكر	ـتَ	ـكَ	ـكَ
	المفرد المؤنث	ـتِ / ـي	ـكِ	ـكِ
	المثنى المذكر	ـتُما / ـا	ـكما	ـكما
	المثنى المؤنث	ـتُما / ـا	ـكما	ـكما
	الجمع المذكر	ـتُم / ـو	ـكم	ـكم
	الجمع المؤنث	ـتُنّ / ـنَ	ـكنّ	ـكنّ
الغائب	المفرد المذكر	×[51]	ـه	ـه
	المفرد المذكر	×[52]	ـها	ـها
	المثنى المذكر	ـا	ـهما	ـهما
	المثنى المؤنث	ـا	ـهما	ـهما
	الجمع المذكر	ـو	ـهم	ـهم
	الجمع المؤنث	ـنَ	ـهنّ	ـهنّ

أمّا الضمير المستتر الواجب فيأتي في كلّ موضع لا يمكن قيام الظاهر مقامه[53]، في أربعة أفعال هي :

١- الفعل الأمر للمفرد المذكر، مثل : اكتب. ٣- الفعل المضارع للمفرد المتكلم، مثل : أكتب

٢- الفعل المضارع للجمع المذكر، مثل : نكتب. ٤- الفعل المضارع للمفرد المخاطب، مثل : تكتب .

أمّا الضمير الجائز الاستتار فيكون في ما يمكن قيام الظاهر مقامه [54]، مثل : يقوم، فيجوز القول يقوم زيد أو زيد يقوم أبوه . وإذا تأمّلنا في هذا القسم وجدنا أنّه لا يوجد ضمير منفصل فاعل في العربية مثل : يقوم هو[55]، فهنا يكون الضمير (هو) توكيداً للضمير المستتر وليس فاعلاً، وتمثيل

---

(٥١) هنا فاعل جائز الاستتار كما يرى النحاة وهو في الحقيقة واجب الاستتار لأنّه لا يوجد ضمير فصل فاعل في العربية كما سيأتي .

(٥٢) تتصل هنا تاء التأنيث الساكنة .

(٥٣) شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ابن هشام : ١١٦ .

(٥٤) شرح قطر الندى : ١١٧ .

(٥٥) نستثني من ذلك الضمير بعد (إلاّ) الاستثنائية، مثل : ما جاء إلاّ هو، وكذلك في مراحل انتقالية للضمير كما سيأتي .

النحاة للفعل الجائز الاستتار (يقوم) فالمستتر هنا واجب وليس جائزاً، ويعمّم هذا على كلّ الأفعال؛ ليكون إضمار الفعل فن الفاعل الضمير واجباً، أمّا جواز الاستتار في الضمائر فيكون في المبتدأ مثل: قائم، والتقدير : أنا أو هو أو أنت .

وقد سبق أن عرض البحث مسوغات عدم إدخال الضمائر في تكوين الجملة البسيطة، نعيدنا هنا لاستخدامها بفعالية لتصحيح الجمل(٥٦) :

١- الأصل في الكلام أن يكون على لفظه . ٢- الأصل هو المظهر والمضمر فرعه .

٣- لا يضمر الشيء قبل ذكره إلاّ على شريطة التفسير. ٤- لا يجوز الإضمار قبل الذكر .

من هذه الأقوال نستنتج :

١- أنّ ظهور الضمائر في الجملة ترجع إلى أسباب سياقية. ٢- تجب المطابقة بين الاسم والضمير

٣- أن يؤمن الالتباس وتحقق الفائدة للسامع بهذا الاستبدال .

مع ملاحظة أُخرى يجدر ذكرها هنا، وهي أنّ ضمائر الغياب والحضور من المعرّفات، والتعريف ليس سمة ذاتية في الضمائر، وإنّما سمة انتقائية سياقية، أي أنّ السياق هو الذي يحدّد الغائب والحاضر متكلّماً كان أو مخاطباً، وإذا كانت الضمائر معرّفة سياقياً، فلا يشترط في ما تنوب عنه هذه الضمائر من الأسماء والصفات أن تكون معرفة، بل يجوز أن تكون نكرة، والتعريف يأتي من السياق، وهذا ما نستنتجه من جدل النحاة حول ما سُمّي بأنواع المعارف، وتدريجهم المعارف والنكرات من الأكثر تعريفاً إلى الأقلّ (٥٧) .

وبناءً على هذا سيتمّ استبدال الأسماء والصفات في مواضع المبتدأ والخبر والفاعل بالضمائر (٥٨)، مع تحديد السياق الذي يتوسّط بين الجمل الكتابية والجمل المتداولة. أمّا التحويلات التي ستجري على الجملة فهي :

١- إجبارية : لأنّها مفروضة من السياق .

٢- غير وظيفية : لأنّ الضمير سيحتلّ الموقع الوظيفي نفسه الذي يحتله العائد .

٣- دورية : لأنّ التحويل لم يقع على الجملة كاملة .

---

(٥٦) الأصول :٢١٢ وما بعدها .

(٥٧) حول ترتيب المعارف وترتيب النكرات ينظر : التعريف والتنكير في النحو العربي :٣٠ -٣٤، ٤٢-٤٥ .

(٥٨) بطريقة مماثلة يكون استبدال المفعول به والمجرور بالاضافة وحرف الجرّ .

أ- استبدال المبتدأ :

١- المفرد :

نوع المبتدأ	الجملة الكتابية	السياق	الجملة المتداولة
المذكّر	محمد مسافر قائم مسافر	المبتدأ = المتكلم	أنا مسافر
		المبتدأ= المخاطب	أنتَ مسافر
		المبتدأ = الغائب	هو مسافر
المـؤنّث	هند مسافرة قائمة مسافرة	المبتدأ = المتكلمة	أنا مسافرة
		المبتدأ= المخاطبة	أنتِ مسافرة
		المبتدأ = الغائبة	هي مسافرة

٢ - المثنى :

نوع المبتدأ	الجملة الكتابية	السياق	الجملة المتداولة
المذكـّر	رجلان أخوان قائمان أخوان	المبتدأ = المتكلمان	نحن أخوان
		المبتدأ= المخاطبان	أنتما أخوان
		المبتدأ = الغائبان	هما أخوان
المـؤنث	بنتان أختان قائمتان أختان	المبتدأ = المتكلمتان	نحن أُختان
		المبتدأ= المخاطبتان	أنتما أُختان
		المبتدأ = الغائبتان	هما أُختان

٣- الجمع :

نوع المبتدأ	الجملة الكتابية	السياق	الجملة المتداولة
المذكـّر	قوم أُخوة قائمون أُخوة	المبتدأ = المتكلمون	نحن أُخوة
		المبتدأ= المخاطبون	أنتم أُخوة
		المبتدأ = الغائبون	هم أُخوة
المـؤنث	نساء اخوات قائمات أخوات	المبتدأ = المتكلمات	نحن أخوات
		المبتدأ= المخاطبات	أنتنّ أخوات
		المبتدأ = الغائبات	هنّ أخوات

ب- استبدال الخبر :

ينطبق كلّ ما ذكر سابقاً من استبدال الاسم والصفة في المبتدأ على الخبر، مع ملاحظة واحدة وهي أنّ المبتدأ يجب أن يكون أعرف من الخبر، أمّا إذا كان غير ذلك فلا يجوز استبدال الخبر بالضمير ؛ لأنّ الضمير معرّف بالسياق، وإذا اجتمع نكرة ومعرفة كان الابتداء حتماً للأعرف [٥٩] .

جـ- استبدال الفاعل :

تستعمل الآلية نفسها هنا تلك التي استعملت في استبدال الاسم والصفة[٦٠] بالضمير في موقعي المبتدأ والخبر، مع ملاحظتين ‘ضافيّتين خاصّتين تتعلّقان بالفعل، وهما خاصّتان بالتدرّج في عملية الاستبدال :

١- يستبدل الاسم والصفة بالضمير المنفصل أوّلاً ؛ لأنّ الضمير المنفصل مساوٍ للاسم والصفة في الانفصال عن الفاعل، ولأنّ الأصل في أقسام الكلم الانفصال، يقول ابن يعيش : (المنفصل جارٍ مجرى الأسماء الظاهرة في استبداده بنفسه وعدم افتقاره إلى ما يتّصل به) [٦١] . بتحويلات :

١- إجبارية : لأنّها مفروضة من السياق .

٢ - غير وظيفية : لأنّ الضمير احتلّ الموقع الذي كان يحتلّه الاسم والصفة.

٣- دورية : لأنّ التحويل لم يقع على الجملة كاملة .

ممّا يؤدّي إلى جملة مخطوءة، وهذا يستوجب الخاصّة الثانية .

٢- يستبدل الضمير المنفصل بالضمير المتّصل، يقول ابن عقيل : (كلّ موضع أمكن أن يؤتى فيه بالضمير المتّصل لا يجوز العدول عنه إلى المنفصل)[٦٢]، أي أنّ النقطة(١) ستكون مرحلة انتقالية إلى النقطة (٢) تقع بين الجملة الكتابية والجملة المتداولة، بتحويلات :

١- إجبارية : لأنّ النقطة (١) خارقة لقانون اللغة .

٢- غير وظيفية :لأنّ الضمير المتّصل قام بوظيفة الضمير المنفصل .

٣- دورية : لأنّ التحويل لم يقع على الجملة كاملة.

والجداول في أدناه تبين عملية الاستبدال في الأفعال الماضي والمضارع والأمر :

---

[٥٩] ينظر: كتاب سيبويه : ٣ / ٢٤١ .

[٦٠] إلى الرغم من أنّ الصفة الفاعل تنتمي إلى المركّب الوصفي كما سبق وكما سيأتي في الفصل القادم، فإنها تسلك نفس السلوك . كذلك ينطبق الاستبدال هنا على نائب الفاعل، كذلك المفعول به والمجرور بالإضافة وحرف الجرّ .

[٦١] شرح المفصل :٣ /٨٥ .

[٦٢] شرح ابن عقيل : ٩٤/١ .

أ- الفعل الماضي :

١- المفرد :

نوع الفاعل	الجملة الكتابية	السياق	الجملة الانتقالية	الجملة المتداولة
المذكر	صبر رجل صبر قائم	الفاعل=المتكلم	صبر أنا	صبرْتُ
		الفاعل= المخاطب	صبر أنتَ	صبرْتَ
		الفاعل= الغائب	صبر هو	صبرَ
المؤنث	صبر فتاة صبر قائمة	الفاعل=المتكلم	صبر أنا	صبرْتُ
		الفاعل= المخاطب	صبر أنتِ	صبرْتِ
		الفاعل= الغائب	صبر هي	صبرَتْ

٣-المثنى :

نوع الفاعل	الجملة الكتابية	السياق	الجملة الانتقالية	الجملة المتداولة
المذكر	صبر رجلان صبر قائمان	الفاعل=المتكلمان	صبر نحن	صبرْنا
		الفاعل= المخاطبان	صبر أنتما	صبرْتُما
		الفاعل= الغائبان	صبر هما	صبرَا
المؤنث	صبر فتاتان صبر قائمتان	الفاعل=المتكلمتان	صبر نحن	صبرْنا
		الفاعل= المخاطبتان	صبر أنتما	صبرْتُما
		الفاعل= الغائبتان	صبر هما	صبرَتا

٣- الجمع :

نوع الفاعل	الجملة الكتابية	السياق	الجملة الانتقالية	الجملة المتداولة
المذكر	صبر رجال صبر قائمون	الفاعل=المتكلمون	صبر نحن	صبرْنا
		الفاعل= المخاطبون	صبر أنتم	صبرْتُم
		الفاعل= الغائبون	صبر هم	صبرُوا
المؤنث	صبر نساء صبر قائمات	الفاعل=المتكلمات	صبر نحن	صبرْنا
		الفاعل= المخاطبات	صبر أنتنّ	صبرْتُنّ
		الفاعل= الغائبات	صبر هنّ	صبرْنَ

ب- الفعل المضارع :

يتمّ تطبيق ما جاء في استبدال الضمائر في الفعل الماضي على الفعل المضارع، مع ملاحظتين :

١- إنّ معظم الضمائر لا تظهر هنا، أي أنّها مستترة جوازاً أو وجوباً، جوازاً بتحويلات : اختيارية، غير وظيفية، دورية . ووجوباً بتحويلات : إجبارية، غير وظيفية، دورية .

٢- أنّ أحرف المضارعة التي في بداية كلّ فعل مضارع ناتجة عن عمليات صرفية قبل إدخال الفعل في الجملة، وواجب القواعد النحوية المطابقة بين أحرف المضارعة وبين السياق والضمير المتصل بالفعل .وفي ما يأتي التفاصيل :

١- المفرد :

نوع الفاعل	الجملة الكتابية	السياق	الجملة الانتقالية	الجملة المتداولة
المذكر	أَصبرُ محمد/ قائم	الفاعل=المتكلم	أصبرُ أنا	أصبرُ
	تصبر محمد/ قائم	الفاعل= المخاطب	تصبرُ أنتَ	تصبرُ
	يصبر محمد/ قائم	الفاعل= الغائب	يصبرُ هو	يصبرُ
المؤنث	أصبر هند / قائمة	الفاعل=المتكلمة	أصبرُ أنا	أصبرُ
	تصبر هند / قائمة	الفاعل= المخاطبة	تصبرُ أنتِ	تصبرين
	تصبر هند / قائمة	الفاعل= الغائبة	تصبرُ هي	تصبرُ

٢- المثنى :

الفاعل	الجملة الكتابية	السياق	الجملة الانتقالية	الجملة المتداولة
المذكر	نَصبرُ محمدان/ قائمان	الفاعل=المتكلمان	نصبرُ نحن	نصبرُ
	تصبر محمدان/ قائمان	الفاعل= المخاطبان	تصبرُ أنتما	تصبران
	يصبر محمدان/ قائمان	الفاعل= الغائبان	يصبرُ هما	يصبران
المؤنث	نصبر فتاتان / قائمتان	الفاعل=المتكلمتان	أصبرُ نحن	نصبرُ
	تصبر فتاتان / قائمتان	الفاعل= المخاطبتان	تصبرُ أنتما	تصبران
	تصبر فتاتان / قائمتان	الفاعل= الغائبتان	تصبرُ هما	تصبران

٣- الجمع :

نوع الفاعل	الجملة الكتابية	السياق	الجملة الانتقالية	الجملة المتداولة
المذكر	نَصبر قوم/ قائمون	الفاعل=المتكلمون	نصبرُ نحن	نصبرُ
	تصبر قوم/ قائمون	الفاعل= المخاطبون	تصبرُ أنتم	تصبرونَ
	يصبر محمدان/ قائمون	الفاعل= الغائبون	يصبرُ هم	يصبرون

المؤنث	نصبر نساء / قائمات	الفاعل=المتكلمات	أصبرُ نحن	نصبرُ
	تصبر نساء / قائمات	الفاعل= المخاطبات	تصبرُ أنتنّ	تصبرْنَ
	تصبر نساء / قائمات	الفاعل= الغائبات	تصبرُ هنّ	تصبرْنَ

ج- الفعل الأمر:

تنطبق الآلية نفسها تلك التي طبقت على الفعل الماضي والمضارع، مع ملاحظة واحدة هي أنّ الفاعل هو دائماً مخاطب، ويتمّ الاستبدال كالآتي :

نوع الفاعل	الجملة الكتابية	السياق	الجملة الانتقالية	الجملة المتداولة
المفرد المذكر	اصبر محمد / قائم	الفاعل= المخاطب	اصبر أنتَ	اصبرْ
المفرد المؤنث	اصبر هند / قائمة	الفاعل = المخاطبة	اصبر أنتِ	اصبري
المثنى المذكر	اصبر محمدان/ قائمان	الفاعل = المخاطبان	اصبر أنتما	اصبرا
المثنى المؤنث	اصبر فتاتان/ قائمتان	الفاعل = المخاطبتان	اصبر أنتما	اصبرا
الجمع المذكر	اصبر قوم / قائمون	الفاعل= المخاطبون	اصبر أنتم	اصبروا
الجمع المؤنث	اصبر نساء/ قائمات	الفاعل = المخاطبات	اصبر أنتنّ	اصبرْن

هذا مقترح لبيان الجمل النواة واشتقاقها من الجمل الافتراضية التي قد تكون غير صحيحة وغير مستعملة الى جمل صحيحة بفعل التحويلات القواعدية.

تبقى مسألة مهمة وهي البحث عن الجمل النواة للجمل الانشائية، وهنا نعتبر ان هذه الجمل لها وضع خاص غير قابل للاشتقاق كما الكلمات التي المبنية التي لا يمكن ارجاعها الى جذور، بل هي قوالب ثابتة تغييراتها تكون محدودة للغاية.

جدليّة المَبنى والمَعنى في لُقياتٍ من اللغة الإبداعيّة العَربيّة

الأستاذ الدكتور اياد عبد الودود الحمداني

كلية التربية للعلوم الأنسانية/الأصمعي/ديالى

عضو لجنة اللغة والأدب المجمعيّة

إضاءة :

ارتبطَ المَفهومُ اللغويّ للجَدَلِ بإحكامِ الشّيء؛ فنقول: ((جدَلَهُ يجدِلُهُ : أحكَمَ فتلَهُ))[١].

ويُذكر أنَّ الجَدَل يَرتبطُ بالخُصومَةِ والقدرةِ على المُواجَهَةِ، ونَقولُ جادَلَهُ مُجادَلَةً وجِدالاً، ومَعنى الْجَدَل يَقتَرِبُ من أسلوبِ مُقابَلَةِ الحِجّة بالحِجّة، فالمُجادَلَةُ هي المُناظَرَة والمُخاصَمَة[٢].

ويبدو أنَّ تحديدَ المَفهومِ الاصطلاحيّ ذو صعوبَة؛ بسببِ الطّبيعَةِ الفَلسَفيّةِ والمَنطقيّةِ التي فَرَضَها التّقابلُ بينَ الأطرافِ التي تُظهِرُ التّناظَر، ويَذكِرُ ابنُ وهب[٣] (ت٣٣٥هـ) أنّ الجَدَل والمُجادَلَة يَستندانِ إلى إقامَةِ الحجّة على ما اختُلِفَ عليه بينَ المُتَجادلين. وهذا المَفهومُ هو السّائدُ في مباحِثِ الفَلاسِفَةِ والمَناطِقَة، ولَسْنا بِصَدَدِ التّوسّع في طرائقِ التّفكيرِ عندَ هؤلاءِ، والذي يَعْنينا هو الكَشفُ عن العَلاقَةِ الْجَدليّةِ بوصفِها الفنّي في حدودِ التّعالُقِ والتّكامُلِ بينَ المَبنى والمَعنى، وما يُحيلان عليهِ من اثنينيّات في مَسارِ الحَرَكةِ النّقديّة :

اللفظ .... المَعنى

الدّال .... المَدلول

اللغة .... الكَلام

الشّكل .... المَضمون

المَبنى .... المَعنى

لقد تركَ لنا النّقدُ العَربيّ القَديم إرثاً هائلاً من التّفكير البلاغي قاد إلى ظهور ما يُعرف بـ(أنصار اللفظ، وأنصار المعنى)، ويبدو أنّ الفَصل بين اللفظ والمَعنى افتراضٌ مخطوء لا يمكن أن تقبله الذّائقة النّقديّة النّاضجة؛ إذ إنّ الجدليّة التي أفضت إليها قضيّة الشكل والمضمون تقود بالنتيجة إلى أنّ عمليّة الفصل بينهما إنّما هو عملٌ إجرائي افتراضي لا يُمكن أن يُقبَل في التّفكير اللغوي أو النّحوي أو البلاغي، هذا التفكير الأصيل المُتَقَدِّم المُتَطَلِّع إلى الشموليّة.

إنّ الاختلاف الظاهر بين هذه الثنائيّات قاد عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) إلى وضع نظريّته المشهورة في (النّظم) التي حَسَمَ فيها الصّراع بين مَنْ يجد أنّ الإعجاز يرتبط باللغة وبين مَنْ

---

[١] القاموس المحيط (جدل).

[٢] ينظر لسان العرب (جدل).

[٣] البُرهان في وجوه البيان : ٢٢٢.

يجد أنّ الإعجاز يُرَتّبُ بالمعنى[٤]، ويبدو أنّ مقولة الآمدي (ت٣٧٠هـ) التي وجد فيها رابطاً بين حدود الاستعارة وصلاحيتّها في تحقيق الشعريّة ذاتُ علاقة واضحة بالعلاقة الجدليّة التي نبحث فيها؛ يقول : ((إن للاستعارة حدّاً تصلُحُ فيه، فإذا تَجاوزَتْهُ فَسَدت وقَبُحَتْ))[٥].

يقول عبد القاهر ((والألفاظُ لا تَفيد حتّى تؤلّف ضَرباً خاصّاً من التّأليف، ويُعمَدُ بها إلى وَجْهٍ دونَ وَجْهٍ من التّركيبِ والتّرتيب))[٦]، والتعليقات التي طرحها عبدالقاهر في هذا المقام كثيرة[٧].

اللُّقيات :

اللُّقيةُ بضَمّ اللام، جَمْعُها لُقُيات ولُقْيات ولَقيا، وهذا الاصطلاح (اللُّقية) يرتبط بالنّفيس والمُدهِش في اللغة الإبداعيّة والرّصد النقديّ النّخبويّ، والنّقد به حاجة إلى هذا الاصطلاح؛ لأنّه متعلّق بجهدٍ نقدي يلفت الانتباه إلى عناصر الجمال ومواطن الشعريّة Poetics، وهو اصطلاح لا يلتقي مع اصطلاح (الفرائد) المكتفي بذاته والمسلّم فيه بالجودة التي تُحييها اللفظة بحكم جمعي؛ فهو يُحيلُ على ((إتيان المتكلّم بلفظة تتنزّلُ من كلامه منزِلَةَ الفريدة من حبّ العِقْد تدلّ على عظم فصاحتِهِ وقوّةِ عارضه، وشدّة عربيّته))[٨]. وفي الآتي أمثلة من هذه اللُّقيات :

أولاً : القرآن الكريم

أ. على مستوى اللفظة :

تتوازى بعض الألفاظ القرآنيّة في بنائها المقطعيّ، فتوحي بالتآزر، كما في (الآزفة، والقارعة، والغاشية، والواقعة) وكذا في (الصّاخّة، والحاقّة، والطّامّة)؛ وهذه الألفاظ تمثّل كناياتٍ عن يوم القيامة بتأثير بنيتها الخاصّة، فهي تحيل على معانٍ مقصودة يتفاعل فيها اللفظ الكنائي بالمعنى الذي تقصده؛ إنّ التشكيل الصوتي الذي تظهره هذه الألفاظ تجعل أحدها يستدعي الآخر:

الآزفة ⇄ القارعة ⇄ الغاشية ⇄ الواقعة

أمّا الألفاظ :

الصّاخّة ⇄ الحاقّة ⇄ الطّامّة

فتحقّق الأمر نفسه بيد أنَّ وجود مقطعٍ صوتيٍّ طويلٍ مُغْلَق يتكوّن من صامتٍ فحركتين فصامت قد جعل الكلمة مُنَفِّرَة وفيها خروجٌ عن المألوف! ويبدو أنّ هذا الخَرْقَ كانَ مقصوداً، يتناسبُ مع سياقِ الترهيبِ الذي وردَ في المشاهد القرآنيّة[٩].

---

[٤] ينظر معالجات عبد القاهر في دلائل الإعجاز : ٢٤٩ – ٣٢٨، ٣٥٩ – ٣٨٤، ٤٨١ – ٤٩٩، ٥١٨ – ٥٣٢، ٥٤١ – ٥٥٧.

[٥] الموازنة : ٢٧٦/٣، ويُنظر أيضا : ٢/ ٢٥٥

[٦] أسرار البلاغة : ٤.

[٧] يُنظر ما ورد منها في دلائل الإعجاز : ٤١، ٤٤، ٢٠٢، ٢٢٩.

[٨] ينظر تحرير التحبير: ٥٧٦

[٩] يُنظر التصوير المجازي : ٨٧-٩٩ ، ١٧٠-١٧١.

ويلتقي هذا التوظيف القرآني للفظ في مقامات أخرى من القرآن[١٢٠]، فهي مظهر أسلوبيّ لافت.

ب. على مستوى السّياق :

في سورة القارعة ينتظم الإيقاع في مقام ثقل الموازين[١٢١]، ويختفي هذا الانتظام في مقام خفّة الموازين، وقد ظهرا في سياق متوازٍ:

مقابلة

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⇐

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ

انتظام

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⇐

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ

اختفاء الانتظام

وغالباً ما تظهر أنساق الانسجام الصّوتي (على مستوى السياق) في مقام المقابلة [١٢٨] بمفهومها البلاغيّ العَربي.

ثانياً : توظيف الصّوت في الشّعر :

يزخر الإبداع الشّعري بأمثلة توظّف الصّوت بطرائق متعدّدة، وتعدّ سينيّة البحتري من أظهر الأمثلة التي لَفَتَتِ الانتباه إلى الإيحاء الذي يحقّقه الصوت في مقام تعالقِهِ مع المعاني التي تُحيل عليها؛ يقولُ البحتري في وصف إيوان كسرى[١٣٩]:

١. صُنْتُ نفسي عمّا يدنّسُ نَفْسي
وترفَّعتُ عن جدا كُلِّ جبْسِ

٢. وتَماسَكْتُ حينَ زَعْزَعَني الدّهْ
رُ التماساً مِنْهُ لتُعْسي ونُكسي

[...]

---

(١٠) منها توظيف لفظة (اثّاقلتُم) في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ)[التوبة:٣٨] ولفظة (ضيزى) في قوله تعالى : (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى)[النجم : ٢٢] وسياق (عليهُ الله) في قوله تعالى : (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[الفتح : ١٠].

(١١) القارعة : ٦-٧، ٨-٩.

(١٢) من ذلك قوله تعالى : (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)[النّمل : ٥٠]، وقوله : (فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[التّوبة : ٨٢]، وقوله : (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)[الليل : ٥ - ١٠].

(١٣) ديوان البحتري : ٦٣٠ وما بعدها.

١٢. أتسلّى عن الحظوظِ وآسي

لمحلٍّ من آلِ ساسانَ دَرْسِ

[...]

٤٨. وكأنّ اللقاءَ أوّلَ أمـ

ـسِ ووَشْكَ الفِراقِ أوّلَ أَمْسِ

وقد اجتذبَتْ هذه القصيد النّقاد فألّف الدكتور محمد علي أبو حمدة كتاباً أسماه (في التذّوق الجمالي لسينيّة البحتري) [١٤١٠] انطلاقاً من تأثير الصوت.

ولسنا بصدد التفصيل في تحليل هذه القصيدة التي أشبعت دراسة.

ومن الأمثلة التي أنعش الصّوت مقام المعنى الذي تحيل عليه؛ فقد انسجم صوتُ السّين في مقام الحَسْرةِ على العودة إلى الوطن قي قول السيّاب :

متى أعودُ ؟ متى أعودُ

أتراهُ يأزفُ قبلَ موتي ذلك اليومُ السَّعيدُ ؟

سأفيقُ في ذاكَ الصَّباح، وفي السَّماء من السَّحابِ

كِسَرٌ وفي النَّسماتِ بَرْدٌ مُشْبَعٌ بعطورِ آبِ[١٥١١]

ثالثاً : المَبنى العَروضيّ (متفاعلن مثالاً) :

لم يكن المَبنى العروضيّ حليةً مجرَّدة بل يمثل استجابةً فطريّةً لأنظمةِ اللّغة الشّعريّة العَربيّة وآليّة عملها في حدود الأنساق المتولّدة في هذه الإيقاعات من جانبٍ آخر؛ ويمكن رصد المظاهر البنائيّة الإيقاعيّة التي تُظهرُها تفعيلة (متفاعلن / ∪ ∪ – ∪ –) وما يقابلها من معانٍ يعلن عنها النَّسَقُ الإيقاعي بوصفهِ الذي يُعرف بـ(ظهورات البنية)؛ ويمكن وضع اليد على أمثلة تكشف عن ذلك :

أ. تعويض النّقص في مجزوء الكامل بتوظيف (التّرفيل) :

وقد رصد ذلك في أقدم القصائد المنظومة من مجزوء الكامل؛ يقول المُنَخَّل اليَشْكُريّ في قصيدة (الكاعب الحسناء) [١٦١٢] :

إنْ كُنْتِ عا ذلتي فَسيري

– – ∪ – ∪∪ | – ∪ – –

متفاعلاتن (مرفلة)

نحو العرا ق ولا تحوري

– – ∪ – ∪∪ | – ∪ – –

---

[١٤] طبع هذا الكتاب طبعةً أولى في مكتبة المحتسب في عمّان/الأردن ضمن سلسلة النقد الأدبي التطبيقي.

[١٥] ديوان بدر شاكر السياب : ٣٢٢/١.

[١٦] تنظر القصيدة في الأصمعيّات : ٥٨ وما بعدها.

متفاعلاتن (مرفل)

يَلفت انتباهنا ابتداءً ظهور التوافق بين عروض البيت وضربه على سبيل التصريع بالزيادة)، وهذا البناء الشائع في أنظمة القصائد العربية يتناغم مع أهميّة المطلع والفكرة التي تقوم عليها القصيدة. أمّا ظهور (التّرفيل) القائم على زيادة سببٍ خفيفٍ إلى آخر التفعيلة بوصفه (علّة)، فهو قرين تعويض النّقص الحاصل في عدد التفعيلات؛ فالبحر هنا مجزوء. ويقول في القصيدة نفسها :

فدفَعْتُها فَتَدافَعَتْ مَشْيَ القُطا ة إلى الغديرِ

UU – U – | – UU – U –   – – U – | UU – U – –

متفاعلاتن (مرفّل)

ولَثَمْتُها فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفُّسِ الظْ ظَبْي البَهيرِ

UU – U – | – UU – U –   UU – U – | – – U – –

متفاعلاتن (مرفّل)

وفي هذا المقطع يتّضح التقسيم الإيقاعي في حشو البيتين الذي أظهر خصوصيّةً لألفاظ :

فدفَعْتُها UU – U – متفاعلن

فتدافَعَتْ UU – U – متفاعلن

ولثَمْتُها UU – U – متفاعلن

فَتَنَفَّسَتْ UU – U – متفاعلن

هذه الألفاظ اكتسبَتْ من الإيقاع مظهراً وظيفيّاً مغرقاً بالحسيّة والحركة، ويعود الفضل فيه إلى إيقاع (متفاعلن UU – U –) في سياق وروده صحيحاً، ويصدق ذلك على بيتٍ آخر من القصيدة نفسِها :

وأحبّها ، وتحبّني ويحبُّ نا قَتَها بعيري

UU – U – | – UU – U –   UU – U – | – UU – U – –

واللفظان المقصودان :

وأحبّها UU – U –

وتُحبّني UU – U –

ب. المغايرة في نسق التّعويض بتوظيف (الإذالة) :

كنّا قد تحدثنا في الفقرة السابقة في أنّ ظهور علل الزّيادة في مجزوء الكامل إنّما جاء ليعوّض النقص في عدد التفعيلات، أمّا في المثال الآتي، فالأمر فيه مغاير تماماً، إذ إنَّ علّة الزيادة (الإذالة) قد جاءت لتُعطي إيحاءً ينسجم مع الشعور (الفسيولوجي) المتحقّق من امتداد عدد التفعيلات الأربع في السطر الواحد، واقتران التفعيلة الأخيرة من السطر بزيادة حرف ساكن على وتد مجموع بعد مدٍّ إلى آخر التفعيلة، وهذه الزيادة جاءت على خلاف الفطرة التي تعوّض النّقص في عدد التفعيلات عند

المجزوءات، ووجود هذه العلّة مع نسق الأربع تفعيلات قد أسهمت في ترسيخ مشهد الحزن والشّوق إلى الوطن؛ يقول :

لو جئتِ في البلدِ الغريـ   بِ إليَّ ما   كَمُلَ اللقاءْ !

o – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – –

الملتقى   بكِ والعرا   قُ على يَدَيْ   يَ هو اللقاءْ !

o – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – –

شوقٌ يخضْ   ضُ دمي إليـ   ـه كأنّ كُلْ   لَ دمي اشتهاءْ

o – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – –

جوعٌ إليـ   ـهِ كجوعِ كلْ   لِ دمِ الغريـ   قِ إلى الهواءْ[١٧١٣]

o – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – ∪ ∪ | – ∪ – –

ويبدو واضحاً ((أن هناك حالة من التّطابق العَروضيّ في عدد التفعيلات ونوع الزحاف والعلة أيضاً))[١٨١٤]، وقد أعطى لهذا المشهد تماسكاً وشعوراً خاصاً.

ج. انتظام الإيقاع في (المومس العمياء) :

تقوم مطوّلة (المومس العمياء) للشاعر بدر شاكر السياب على (التّناوب)[١٩١٥] في تكوينها الموسيقي؛ إذ إن وزنَها المعتمد على (متفاعلن) يظهر بنسقَين أحدهما يستند إلى الشكل التقليدي والآخر يستند إلى الشكل الحرّ.

ويقترن ظهور الشكل التقليدي بذكر المجد العربي الضّائع وتلاشي القيم عند (ابنة العرب)؛ العرب حملة الرّسالة القيميّة المرتبطة بالإسلام؛ ففي المقطع الآتي مشهد يهيئ ذهن المتلقّي لاستقبال صوت (المومس) :

لا تتركوني يا سكارى

[...]

كالقَمحِ لونَكِ يا ابنةَ العَرَبِ

كالفَجْرِ بينَ عَرائِشِ العِنَبِ

أو كالفُراتِ على ملامِحِهِ

دعةَ الثّرى وَضَراوةُ الذَّهَبِ

لا تَتْركوني فالضُّحى نَسَبي

من فاتحٍ ومُجاهدٍ ونَبي

---

[١٧] ديوان بدر شاكر السياب : ١/٣٢٠.

[١٨] البُنى الناطقة : ١٤٦.

[١٩] يُنظر دير الملاك : ٢٨٥.

عربيّةٌ أنا أمّتي دَمُها

خيرُ الدّماءِ كما يقولُ أبي

في مَوضعِ الأرْجاسِ من جَسَدي وفي الثّدي المُذالْ

تَجري دِماءُ الفاتِحينَ فلوّثوها يا رجالْ[20]

ويبدو واضحاً أن السطرين الأخيرين من هذا المقطع يظهر عدولاً في المَبنى والمعنى؛ فامتداد السطرين الشعريّين الأخيرين بتوظيف (متفاعلن) المكرّرة أربع مرّات في كل سطر واقترانهما بالإذالة، جعَلَهُما متطابقين تماماً.

أخيراً : يمكن القول إنّ رصد المظاهر الشكلية وعلاقتها بالجدليّة مع المضمون كثيرة جداً، بيد أن هناك مظاهر مهمّة وفاعلة غير التي وَضَعَتْ هذه الورقةُ البحثيّةُ اليدَ عليها أهمّها مظهر التّدوير على مستوى البيت الواحد في بنية القصيدة، وكذا مظهر التدوير على مستوى القصيدة بالكامل، كما في قصائد الشاعر حسب الشيخ جعفر المعروفة بـ(المدوّرة)، التي رسّخت مفهوم (القصيدة المدوّرة)، وهذا النمط يقوم على الاسترسال من أول القصيدة إلى آخرها وكأنّها سطرٌ واحد؛ إذ تعبّر عن الشعور بدفقة واحدة يرسخها الشّكل، والحديث يطول في ذلك.

بدأت القصيدة المعاصرة توسّع مدى توظيف المبنى منذ البواكير التي أصّل لها الشاعر حميد سعيد في نص (قصيدة تكعيبيّة) ضمن ديوان (فوضى في غير أوانها)، وكذا علي الإمارة في قصائده البَصَريّة في ديوان (أماكن فارغة) ثم التطوّر الذي قاده فيما عرف بـ(القصّورة pomage) وهي قصائد تقوم على تداخل الفنون والأجناس بوضوح، فالقصّورة إنما هي قصائد نُظِمَتْ استجابة لما تحقّقه الصور (الفوتوغرافية) أو الرسوم التعبيرية أو الرسوم الكاريكاتورية من تأثير في نفس المبدِع لينظمَ القصيدة، وهذه الظاهرة الإبداعية بها حاجة لدراسة تطبيقية مستقلة ترصد وتنظّر وتتفحّص الكيفيّة التي تفترض أهميّة طغيان المَبنى على المَعنى، والآليّة التي يستدعي فيها أحدهما الآخر.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١- أسرار البلاغة، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، مطبعة المدني بجدّة، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٢- الأصمعيّات، اختيار الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قُريب بن عبدالملك (ت٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ٢٠١٨م.

٣- أماكن فارغة، علي الإمارة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة البصرة، ١٩٩٨م.

٤- أنا وشكسبير (قصورة)، علي الإمارة، ترجمة : د. هناء البياتي، نؤاس باسم (معرض شعري)، مطبعة الهناء، العراق – البصرة، ط١، ٢٠١٦م.

٥- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديثي، ط١، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

٦- البِنَى الناطقة، تطبيقات في الشعريّة العربية ومظاهرها الأسلوبية، أ.د اياد عبدالودود الحمداني، منشورات اتحاد الأدباء والكتّاب، بغداد، ط١، ٢٠٢١م.

---

(٢٠) ديوان بدر شاكر السياب : ٥٣٥/١ – ٥٣٨.

٧- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) [لجنة إحياء التراث الإسلامي]، تحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م.
٨- التصوير المجازي – أنماطه ودلالاته – في مشهد القيامة في القرآن، د. اياد عبد الودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ط١، بغداد، ٢٠٠٤م.
٩- دلائل الإعجاز، الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه : أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
١٠- دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، د.محسن اطيمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.
١١- ديوان البحتري، وليد بن عبيد، تعليق : محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.
١٢- ديوان بدر شاكر السياب (المجلّد الأول)، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
١٣- رسائل إلى الميدان، على الإمارة، المعرض الشعري الأول (القصورة)، شركة الغدير للطباعة والنشر، العراق – بغداد، ط٢، ٢٠١٧م.
١٤- في التذوّق الجمالي لسينية البحتري (صنتُ نفسي عمّا يدنس نفسي ... جبسِ) – دارسة نقدية إبداعية، د. محمد علي أبو حمدة، مكتبة المحتسب، ط١، عمّان، الأردن.
١٥- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م.
١٦- لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، معجم لغوي علمي، إعداد وتصنيف : يوسف خياط، نديم مرعشلي، بيروت، [د.ت].
١٧- الموازنة بين شعر أبي تمام والبُحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ)، (المجلّد الأول)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

مبنى التشبيه وبلاغة المعنى في المعلقات

دكتورة زينب لوت

***أستاذة محاضرة بالمدرسة العليا للأساتذة مستغانم الجزائر**

التشبيه:

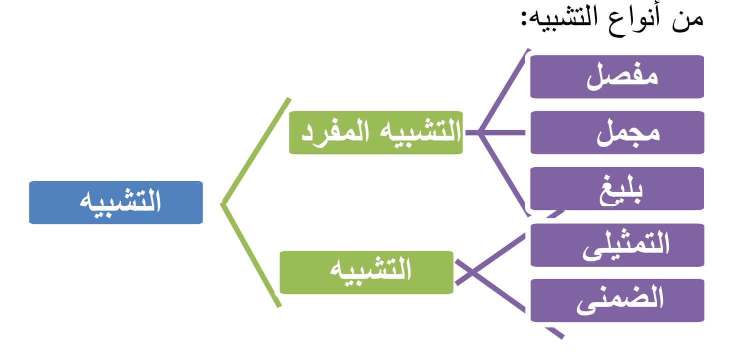
التشبيه لغة: جاء في معجم (لسان العرب) لابن منظور "مشتق من من مادة شبه والشِبهُ والشبهُ والشبيهُ والمثلُ والجمع أشباه يقال أشبه الشيء بمعنى ماثله"[١] من هذا الشرح اللغوي نجد التشبيه هو التشبه والتماثل في خصائص المعنى مع مراعاة أثره في المبنى الذي يحقق تكامل وانسجام اللفظ في بناء معاني بلاغية إيصالا للقصد واقتصادا في التركيب.

أما التشبيه اصطلاحاً: "هو الدلالة على المشاركة أمر لأمر في معنى"[٢]"التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسدُ مسد الآخر في حس وعقل"[٣] وهنا يأتي أثره في نفس المتلقي حين يكون انتقاء الألفاظ يأتي في حد التماثل والامتزاج في تقريب الوصف وإيقاع الموصوف موقع الإعجاب والتمثيل.

بلاغة التشبيه:

يُعدُ التشبيه من الموارد التي تثير جمالية الصورة في القصيدة ، علاقة التشابه بين الطرفين حيث ينسجمان كليا في وجه واحد وكلما تطابق الموصوف بالشبه المنسوب له وتناسب ما يلون به من معاني تقرب الفهم ، وتقارب بين المشبهين إبراز الخصائص الفنية وقواعدها "كانت العرب وإنما تفاضل بين الشعراء في الجودة و الحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشواهد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس و المطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض"[٤] ونلاحظ اهتمام النقاد العرب بالتفاصيل الدقيقة للكتابة وقوانينها فالشاعر المحنك هو الذي يصيب الهدف المحيط بهذه المقاييس حيث تساهم الحنكة والمعرفة بأصول الشعر ودروبه وترفعه لمستويات الجودة وشروطها.

من أنواع التشبيه:



---

[١] – ابن منظور ، لسان العرب، مادة شبه، ط١، مج ٥، القاهرة، دار الحديث، ١٩٦٨، ص٢٣

[٢] – السكاكي أبو يعقوب يوسف بن محمد علي، مفتاح العلوم، تحقيق محمد هنداوي، بيروت، دط، دت، ص٤٩٤،

[٣] – الجرجاني عبد القادر بن عبد الرحمن بن محمد، أسرار البلاغة في علم البيان ، تعليق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، مطبعة محمد علي ، ١٩٧٧، ص٤٣

[٤] –القاضي الجرجاني ،للقاضي عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، علي محمد بجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ص٣٣،٣٤.

الشعر الجاهلي من الكلام المبني شفاهية تعتمد على الإيقاع والانتظام ما جسد شعرية خالصة نقية "تأسس لقاء الكلام العربي الأوّل مع الحياة، ولقاء الإنسان العربي الأول مع ذاته والآخر، فهو لم يكن مجرد ممارسة للكلام، وإنما كان أيضا ممارسة للحياة والوجود، وفي هذا الشعر يتمثل الوعي العربي الأول(..) إنه التجسيد الفني الأول التي نقول بها ما نحن، ونفتح فيها دروبنا في عتمة المجهول"[٥] ورسم الشعر في الجاهلية مرأى الوجود ومرئية الموجودات في حسنها وحركتها وحسها المضمر والخفي فأجاد الوصف وأيقظ المشابهة والتمثيل بين القرينين، فكان التجسيد بين (اللفظ والمعنى القافية والايقاع) ليرسم لوحة وجودية مثلى.

المعلقات: تعود تسمية المعلقات للقصائد الطوال التي كتبها الشعراء في العصر الجاهلي وأجادوا تحكيم لغتها وتقنين ألفاظها ومعانيها و "لفظ المعلقات كان في الأصل يطلق على كل ما يعلق. ومن ثم أخذ المعنى يتطور مع الزمن وقيل عدوها (علقاً) أي شيئاً نفيساً، وقيل كتبوها بالذهب على القباطي المصري وعلقوها على جدار الكعبة، وقيل بل علقت بأذهان الناس. وعموماً هي ((من أجود الشعر وأدقه معنى وأوسعه خيالاً وأبرعه أسلوباً وأسمعه((لفظاً وأعمقه معنى. وفي اللسان ((وعلق الشيء بالشيء ومنه وعليه تعليقاً))، تعد المعلقات التي ظهرت في العصر الجاهلي، من أقدم القصائد الشعرية ذيوعا وشهرة، وقد تعددت دلالات تسميتها بين الشموط والمشهورات أو الطوال، ناطه، والعلاقة ما علقته به"[٦] وهي نموذجٌ فنيٌ يعتمدُ على البراعة وقوة المتن وأصالة التركيب بين اللفظ والمعنى والايقاع والموسيقى، يمكن تحديد خصائصها:

- جودة الشعر وفخامة أبياته لغة وخبرة في القول الجامع
- الاستطراد والإطالة في القصائد
- عدم التكلف والبساطة بالشمول والتعليل والتعقيد والتخريج.
- جزالة اللفظ وعمق المعنى
- أجود الشعر بمعانيه الدقيقة وخياله الواسع وبراعة الأسلوب.

أصحاب المعلقات ومطالع قصائدهم:

١ – امرؤ القيس ومطلع معلقته:

اشتهر امرئ القيس بـ(الملك الضليل) ضُرب المثل بشهرة معلقته وهي لامية العرب تقع نحو ثمانين بيتا من الطويل ومطلعها:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل   بِسَقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخولِ فَحوْمَلِ[٧]

٢ – طرفة بن العبد البكري ومطلع معلقته:

لِخَوْلَةَ أطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ   تَلوُحُ كَبَاقي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليَدِ

---

[٥] – أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت ، لبنان، ط/٢، ١٩٨٩، ص٢٩.

[٦] – منال عطية خلف الله عطية، المعنى في شرح المعلقات السبع، للزوزني، دراسة دلالية تطبيقية، في ضوء النظريات علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة ام درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات اللغوية والنحوية، ٢٠٠٨م، ص٦٠.

[٧] – امرئ القيس ، الديوان، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د ط ، د ت ،ص ٥٠ .

٣- زهير بن أبي سلمى المُزني (الشاعر الحكيم) ومطلع معلقته:

أمن أُمِّ أَوفَى دِمْنة لمْ تَكَلَّمِ   بِحَومَانةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ[٨]

٤- لبيد بن ربيعة العامري ومطلع معلقته:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحلُّهَا فَمُقَامُهَا   بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجامُها

٥- عمرو بن كلثوم التغلبي ومطلع معلقته:

ألاَ هُبِّي بصَحْنِكِ فاصْبَحِيْنَا   ولاتُبْقِي خُمُورَ الأنْدرِيْنَا

٦- الحارث بن حلزة اليشكري ومطلع معلقته:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أسْماءُ   رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ[٩]

٧- عنترة بن شداد العبسي وهو شاعر ملحمي كما إلياذة هوميروس نجد إلياة عنترة مطلع معلقته:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ من مُتَرَدَّمِ   أَمْ هَلْ عرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّم[١٠]

٨- الأعشى صناجة العرب وهو ميمون بن قيس ومطلع معلقته:

ودِّعْ هُرَيْرَةَ إن الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   وهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ[١١]

وقد جعل أبو زيد القرشي معلقة الأعشى القصيدة التي مطلعها:

ما بكاءُ الكَبِيرِ في الأطْلالِ   وسُؤَالي ومَا تَرَدُّ سُؤالِي

٩- النابغة الذبياني ومطلع معلقته:

يا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْيَا، فالسَّنَدِ   أَقْوَتْ وَطالَ عَلَيْها سالِفُ الأبَدِ[١٢]

ويرى أبو زيد القرشي أن معلقة النابغة هي القصيدة التي مطلعها:

عوُجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ   ماذَا تُحَيُّونَ من نُؤْيٍ وأَحْجَارِ

١٠- عبيد بن الأبرص ومطلع معلقته:

أقفَرَ من أهْلِهِ مَلْحُوبُ   فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ[١٣]

بلاغة التشبيه في المعلقات:

التشبيه من أوجه البلاغة ومن الصور الحسية الخيالية ، باب البيان ومسلك من التمثيل، إبراز للقدرة الفنية في تميز وجوده الأشياء وتلازمهما في صفة واحدة أو مقاربة التشبيه والمماثلة ومن أغراض التشبيه:

الايضاح والبيان- بيان مقدار المشبه في القوة والضعف والمعرفة الصفة -تقرير حال المشبه وتمكينه في ذهن المتلقي- إزالة الغرابة بالمشبه به الذي يزيل غرابته وبعد معناه وفهمه عند المستمعين- مدح

[٨] - الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل بيروت، لبنان، ١٢٠٥هـ_٢٠٠٤م، ص ٢١ - ٢٢

[٩] -الحارث بن حلزة والحارث بن كلثوم، الديون، شرح مجيد طراد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٨ ، ص ١٣-١٢٧

[١٠] - عنترة بن شداد، الديوان، شرح يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، دط، ٢٠٠١ ،ص ١٣

[١١] - - الأعشى، الديوان، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت لبنان، ط/١، ص.٢١٧

[١٢] - النابغة الذبياني، الديوان حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط/٢، ١٩٩٦م ، ص.٢٧

[١٣] - عبيد بن الأبرص، الديوان، أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط/ ١، ١٩٩٤م، ص ١٠

المشبه وتحسين حاله ومقامه وأهميته– يثبت في ذهن المتلقي ويسمو بالتمثيل على وجه المشابهة[١٤] والتشبيه يعتمد على المقاربة التخيلية للذهن بين مثيلين يحملان وجه المقاربة في الصفات أو التقريب بينهما في حالة كيمياء تتفاعل فيها الصورة وتصبح جسدا واحدا للتماثل.

دراسة التشبيه في نماذج من المعلقات:

بلاغة المبنى وأثر المعنى في تشبيه

معلقة زهير ابن أبي سلمى

تشبيه تمثيلي: (تشبيه مركب)
وَدارٌ لَها بِالرَقمَتَينِ كَأَنَّها
مَراجِعُ وَشمٍ في نَواشِرِ مِعصَمِ
شبه الدار الموجودة
بالمكانين أو الرقمين
بالوشم الموجود في عروق
معصمه
صورة تمثيلية للعمق الذي يتركه الأثر عبر الزمن

تشبيه بليغ:(تشبيه مفرد)
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده
فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدمِ
شبه الشاعر لسان
الفتى بالنصفين نصف
للرأي والكلام و النصف
الآخر للفؤاد والكبرياء
و ما تبقى في الظاهر لحم ودم.
صورة بليغة بين المشبه والمشبه به في تصوير حكمة النطق بالرأي السديد والتوفيق في استخدام الكلام بما يفيد ويجيد

أما معلقة الاعشى: يأتي قوله

ودِّع هريرةَ إنَّ الركبَ مرتحلُ	وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ
غرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضها	تمشي الهوينا كما يمشي الوجيُ
كأنَّ مشيتها من بيتِ جارتها	مرُّ السحابةِ لاريثٌ ولا عجلٌ
الريثُ :البطء	العجل : العجلة

تمضي الحبيبة مشيا بطيئاً يشبه مر السحاب يحدد التشبيه طبيعة المعنى في مشيتها تسير بغير بطء، وغير سرعة بل تعتدل فيها، تشبيه تام الأركان يورد اكتمال الوصف ومقاربة الصورة في حركتها وتفاصيل الوصف المتأني المقارب.

[١٤] – ينظر ، السيد أحمد الهاشمي جواهر البلاغة، تدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، دت، ص.٢٣٨-٢٤٠

أما طرفة ابن العبد يصف في قصيدته الطلل:

يا دارَ ميَّةَ بالعَلياءِ فالسَّندِ	أقوَت وطالَ عليها سالِفُ الأبَدِ
وقفتُ بها أُصَيلاً كي أُسائلَها	عيَّت جَواباً وما بالرَّبعِ من أحدِ
إلاّ الأَوارِيَّ لَأياً ما أبيِّنُــها	والنُؤيَ كالحوضِ بالمظلومةِ الجلَدِ

برقة تهمد: وهي تربة خليط بين الحصى والرمال وهي التربة الوحيدة التي تحتفظ بأثار الأقدام الشاعر يبدأ بكلمة خولة أطلال جملة إسمية تدل على الثبات والاطلال يدل على حزن الشاعر على فراق حبيبته والاطلال مصدر للذكريات شبه أطلال خولة ببقايا الوشم في ظاهر اليد وهذا امر صعب لصعوبة انتزاع الوشم،. النواصف: جمع الناصفة وهي أماكن تتسع من نواحي الأودية مثال السكك وغيرها. دد، قيل: هو اسم واد في هذا البيت وقيل دد مثل يد، وددًا مثل عصا، وددن مثل بدن، وهذه الثلاثة بمعنى اللهو واللعب.

كأن مراكب العشيقة المالكية غدوة فراقها بنواحي وادي دد سفن عظام، شبه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام، وقيل: بل حسبها سفنًا عظامًا من فرط لهوه وولهه، وهذا إذا حملت ددًا على اللهو، وإن حملته على أنه واد بعينه فمعناه على القول الأول.

وفي معلقة امرؤ القيس فلسفة حركة وجودية يكون التشبيه عالماً من المفارقات:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ	بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فَالمِقْرَاةِ لمْ يَعْفُ رَسْمُها	لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْألِ
تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا	وَقِيْعَانِــهَا كَأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا	لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

الآرام: الظباء البيض خالصة البياض، وأحدها رئم بالكسر وهى تسكن الرمل، أو آرام عند القلب، والأنثى رئمة، وعرصات: عرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التي ليست فيها بناء والجمع عراص وقيعان مجموع، قاع: وهو المستوى من الأرض، والفلفل: حب هندي، يقول: "انظر بعينيك تر هذه الديار التي كانت آهلة بأهلها مأنوسة بهم خصبة الأرض كيف غادرها أهلها وأقفرت من بعدهم أرضها، وسكنت رملها الظباء، ونثرت في ساحاتها بعرها حتى تراه كأنه حب الفلفل في مستوى رحباتها، والبني: الفرقة والفراق، غداة والغداة: الضحوة وهى مؤنثة، والجمع غدوات وهو المراد هنا، ومسرات جمع سُمرة بضم الميم من شجر الطلح، والحي القبيلة من الأعراب، ونقف الحنظل: شقه عن الهبيد وهو الحب،، يقول: "كأن عند سمرات الحي يوم رحيلهم ناقف حنظل. يريد وقفت بعد رحيلهم في حيرة وقفة جاني الحنظلة ، ينقفها بظافره ليستخرج منها حبها".

من أغرب التشبيهات في النسيب ما جاء قائل: "كأن غداة البين يوم تحملوا حيث جعل نفسه عند رحيل لحبيب من الداير كالرجل الذى يقف في انتظار الحبيب ليس للوصل واللقاء بل للفراق والوداع. وهذا العاشق يصبر على نفسه ومشاعره وينظر إلى الطريق الذى مير به مركب الحبيب تائها محيراً

الخاتمة:

المعلقات من القصائد المرصعة بجواهر المعنى وقوام المبنى وبلاغة التمكن في رسم لوحة وجدانية تصل للمتلقي عبر ألوان البيان ولعل التشبيه كان الأقرب للنفس في وصف الوجود ومقاربة الموصوف " تنشأ بلاغة التشبيه من ان ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه او صورة بارعة تمثله، وكلما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطور على البال أو ممتزجا بالبال أو كثير من الخيال كان التشبيه أروع للنفس أدعى إلى إعجابها واهتزازه(..)وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيانُ والإيضاحُ وتقريب الشيء إلى الأفهام وأكثر ما يُستعملُ في العلوم والفنون"[١٥]إن المبنى مكون جعل الشاعر الجاهلي يحيل الوسط الطبيعي وصفاء الذهن، وقوة الذاكرة وفطرة الرواية ثقافة في تكوين مزايا البيان وقدرته على التشكيل الجمالي للتشبيه عبر فنياته المختلفة وأدواته المستعملة حسب اقتضاء المعنى وتمكنه في جلاء الصورة ومقاربتها للموصوف بالسبق وحسن الوصف.

[١٥] – السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص.٢٤٥-٢٤٦

Phrase Criticism Linguistically According to Abi Hayyan Al-Andulisi in “Al-Bahr Al-Muheet”

Prof. Dr. Sha’alan Abid Ali Sultan

College of Human Sciences / University of Babylon

Abstract:

The paper deals with the phrases that Abi Hayyan Al-Andulisi highlighted in his criticism of the nature of their structure which had been mentioned before in the words of his predecessors of the commentators including Al-Zamakhshari in “Al-Kashaf” and Ibn Attiyah in “Al-Mharir Al-Wajees”. Criticizing such phrase structures, he revealed their linguistic mistakes. This is what we call (phrase criticism), which is one type of the linguistic corrections which has prevailed by the latest ones. It is a natural product of the explanation and footnotes of the works that require the workbook to follow the annotated text phrase with careful explanation, details, scrutiny and corrections if a phrase contained a defect in the structure or a deviation from the Arabic languages’ rules. The researcher intends to collect data of these criticisms to clarify the problems of Al-Andulisi and directs his rejection of the phrases and clarifies the validity of his position or not by referring to the grammarians and linguists’ works that help the research and lead it to correct opinions.

It was from the conclusions of the paper that many phrases that Abi Hayyan directed his criticism to, did not go out of the linguistic correction completely. The knowledgeable person may perceive that there is a prejudiced criticism of Abi Hayyan when describing the expressions of Al-Zamakhshari and Ibn Attiyah as (non- Arabic or foreign, …) though it was found in two places of Abi Hayyan. This implies the seriousness and prejudice of Abi Hayyan’s phrases in his interpretation.

The Effect of The Semantic Transformation on The Transition of The Grammatical Tools Out of The Basis of Its Usage Position

Prof. Dr. Atheer Tareq Noaman

College of Islamic Sciences / University of Anbar

Abstract:

The research aims to study the effect of the semantic transformation on the function of the grammatical tools used in the Arabic language within approved texts by grammarians. It takes what the applicants observed of the changes that occurred as a result of the shift in semantic and its effect on the idea of what was known as the factor, because the Arabic language is concerned with the grammar tools' function, since the tool's working or neglecting it is one of the basic pillars of understanding how to achieve the connection between the Arabic sentence's parts, which helps us to form our speech in a way of people of this language which is not exceeding the aspect of correction in it. The field of research is based on monitoring the change in the work of the grammatical tool or its neglect in search for an explanation for it in the light of its connotation, and this only appears to us structurally and verbally.

The researcher put a research plan that included an introduction in which he deals with the term (semantic transformation) then he presents the grammatical tools that have changed their connotation according to the alphabetical order, leading to the conclusion that the meaning of the word is related to the context in which it is presented. The meaning of a single word may vary according to the multiplicity of the context, as have been shown through the analysis of some evidence that it is possible for a tool to perform the work that the other tool does because of the semantic transformation that has changed the works' tool due to the change of its semantics.

(The Qur’anic) A Reading of Suggestion and Visualization

Prof. Dr. Ali Kadhum Mohammed Ali Almaslawi

College of Education for Human Sciences / University of Kerbala

Abstract:

Qur’anic quotation, the effect of the Qur’an or Qur’anic trace, the Qur’anic employment, and the Qur’anic intertextuality were among the terms used to describe the reception and interaction with the Holy Qur’an and among the well-known of its circulation and popularity. Each of these terms has adopters who defend their term, which they find the most efficient and appropriate in use. Among these terms, which appeared lately, is the term (Qur’anic), which recorded its presence in the critical and literary area. This innovation had its justifications and reasons, which were presented by its recommender, Dr. Mushtaq Abbas Maan, and its adopter, Dr. Ihsan Hajim Al-Tamimi, and they directly and explicitly reviewed the above-mentioned terms and justified the reason for leaving them and preferring the term (Qura’nic) over them, relying on the congregational rules that allow them to use the term and present a new conception of it.

The research read what was presented of this term’s conception, the criticisms leveled against it and the reasons for adopting it without the other terms.

The Divan of Ibn Alkhaimi (D.685h.)

Critical and Recantation Looks

Assis. Prof. Dr. Abbas Hani Ach-Charrakh

Editor in Chief of (Al-Muhaqqiq) Bulletin - Iraq

Abstract:

This research deals with criticism and recantation of Ibn Al-Khaymi's Divan (d. 685 H) which has been investigated in two manuscripts by Hilal Nagy and Dr. Zuhair Ghazi Zahid and has been published by Dar Al-Wafa'a in Alexandria in 2008.

It falls into two divisions; the first: a variety of critical views, including a mistake in reading, neglect of knowing the well known persons and introducing them, lack of control over texts, much weakness in extracting passages from manuscript and printed heritage sources, clarification of the illusions in confirming verses, and failure to refer to the compelling verses with other poets, with an alert to the existence of a "third copy" of the Divan that have been missed which the researcher referred to and benefited from it, as well as other critical issues dealt with in details.

The last section is related to important "Mustadrak" of the Divan, which included (16) pieces in 48 verses, in addition to two pieces of (the attributed).

Reflections on the Chapter of *Al-Musnad and Al-Masnad Ileih* in the Introduction of *Sibawayh's* Book

Dr. Saeed Ahmed Al-Batati

College of Arts / University of Hadhramout

Abstract:

The researcher aims to reflect on the text of this chapter revealing some of its theoretical and conceptual dimensions that constitute an important part of Sibawayh's linguistic theory whose dimensions have not been discovered yet, though what has been written about it shows clearly that it is a surpassing theory. To achieve this end, the research investigates texts from the book's body that are closely related to this chapter's conceptions, and other texts from the records of the grammarians who dissented with Sibawayh to reveal its proximity or distance from Sibawayh's perceptions presented in this chapter. The researcher concludes that (the chapter of *Al-Musnad and Al-Masnad Ileih*) is the origin of the grammatical structures that Sibawayh has dealt with in his Book, and that what Sibawayh meant by *Al-Musnad and Al-Masnad Ileih* is different from what the late grammarians meant. This leads to other results included in the conclusion of the research.

Chronic Diseases between Linguistic Meaning and Medical Terminology

Dr. Abdel Salam Saleh
Ministry of Health

Prof. Dr. Mahdi Saleh Sultan
College of Arts / University of Imam Jaafar Al-Sadiq “pbuh”

Abstract:

The term “chronic disease” is used for a concept that differs from the use of “persistent disease” term. We can classify the duration of diseases into four stages: acute stage is the first stage, in which the disease comes and fades quickly. The second stage, “Subacute” starts when the duration prolonged for few weeks. When the duration of the disease is prolonged for few months to several years it enters the third stage which is called persistent or permanent stage in which the patient may recover or transform into chronic disease in the fourth and the last stage like (Chronic Hepatitis).

The term chronic diseases have spread and widely used, it is given to certain diseases “Hypertension, Diabetes Mellitus, Chronic Obstructive Respiratory Diseases and Cancer” that the patient usually does not notice his disease until after the appearance of serious complications, and perhaps the sudden death which is the first appearance of the disease’s symptoms. The society and medical profession have agreed upon and used a fixed linguistic coin from two words: chronic disease or chronic diseases, as single word denoting a specific meaning.

The **Situational Context in The Arabic Lexicon**

- A Study in Arabic Inter Linguistics -

Prof. Dr. Abdel Qadir Milood Sallami
College of Arts and Languages / University of Telmisan / Algeria

Abstract:

The Arabic Lexicon made use of the situational context that denotes a set of circumstances that surround speech and all the current evidences which characterize the discourse and its denotation with a special character. This has been called by some modern scholars (The Social Context), or what is called in Semantics today (The Situational Context) which ancient Arab rhetoricians called "Al-Moqam".

This paper seeks to display samples of the Arabic Lexicon in both its vocabulary and semantic parts, and analyses it according to its social, cultural, and psychological occurrences, in a way as to achieve a significant Arabic linguistic level in the light of inter- linguistics.

Email: iraqacademy@yahoo.com , journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription: In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100) Dollars



IRAQI ACADEMY OF SCIENCES' JOURNAL

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No. 2

Vol. 69

Shawal 1443H

May 2022



IRAQI ACADEMY OF SCIENCES' JOURNAL



QUARTERLY JOURNAL - ESTABLISHED ON 1369H/ 1950
NO (2) - VOL (69)
May 2022 A.D / Shawal 1443 H

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
بغداد(١٦٦) لسنة(١٩٧٤م)